منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله

الهاشمي الخوئي قدس سره

من منشورات

مكتبة الإسلامية

طهران


انتشارات

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY
32101 012793541

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

H. Hāshimī al-Khū'ī

تكملة

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره

صنفها

الفاضل البارع المحقق العلامة الحاج الشيخ

(محمد باقر الكمره اى)

الجزء العشرون

عنى بتصحيحه و تهذيبه العالم الفاضل: السيد ابراهيم الميانجى

من منشورات

المكتبة الاسلامية

طهران، شارع ١٥ خرداد شرقى

تلفن ٥٢١٩٦٦

حق چاپ و عكسبرداری از اين نسخه محفوظ است

(طبع في المطبعة الاسلامية بطهران)

نام کتاب: منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه
مؤلف: علامه محقق حاج میرزا حبیب اله خوئی
مصحح: فاضل محترم سید ابراهیم میانجی
ناشر: کتابفروشی اسلامیه
تعداد: ۲۰۰۰ جلد
نوبت چاپ: چهارم ـ ۱۳۶۴ شمسی
چاپخانه: اسلامیه

2264
.1067
.754
1985
Jnz' 20

بسم الله الرحمن الرحیم

المختار الحادی و الثلاثون

ومن وصیة له علیه السلام للحسن بن علی ، کتبها الیه بحاضرین منصرفاً من صفین .

الفصل الاول من قوله :

مِنَ ٱلْوَالِدِ ٱلْفَانِ ، ٱلْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ ، ٱلْمُدْبِرِ ٱلْعُمُرِ ، ٱلْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ ، ٱلذَّامِّ لِلدُّنْيَا ، ٱلسَّاكِنِ مَسَاكِنَ ٱلْمَوْتَى ، ٱلظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً إِلَى ٱلْمَوْلُودِ ٱلْمُؤَمِّلِ مَالاَ يُدْرِكُ ، ٱلسَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ، غَرَضِ ٱلْأَسْقَامِ ، وَ رَهِينَةِ ٱلْأَيَّامِ ، وَ رَمِيَّةِ ٱلْمَصَائِبِ ، وَ عَبْدِ ٱلدُّنْيَا ، وَ تَاجِرِ ٱلْغُرُورِ ، وَ غَرِيمِ ٱلْمَنَايَا ، وَ أَسِيرِ ٱلْمَوْتِ ، وَ حَلِيفِ ٱلْهُمُومِ ، وَ قَرِينِ ٱلْأَحْزَانِ ، وَ نَصْبِ ٱلْآفَاتِ ، وَ صَرِيعِ ٱلشَّهَوَاتِ وَ خَلِيفَةِ ٱلْأَمْوَاتِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ ٱلدُّنْيَا عَنِّي ، وَ جُمُوحِ ٱلدَّهْرِ عَلَيَّ ، وَ إِقْبَالِ ٱلْآخِرَةِ إِلَيَّ ، مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ

وَ الْإِهْتِمامِ بِما وَرائي، غَيْرَ أَنّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بي - دُونَ هُمُومِ النّاسِ- هَمُّ نَفْسي ، فَصَدَفَني رَأْيي ، وَ صَرَفَني عَنْ هَوايَ ، وَ صَرَّحَ لي مَحْضُ أَمْري، فَأَفْضى بي إلى جِدٍّ لا يَكُونُ فيهِ لَعِبٌ ، وَ صِدْقٍ لا يَشُوبُهُ كَذِبٌ ، وَ جَدْتُكَ بَعْضي ، بَلْ وَ جَدْتُكَ كُلّي ، حَتّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصابَكَ أَصابَني ، وَ كَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتاكَ أَتاني ، فَعَنانِي مِنْ أَمْرِكَ ما يُعْنِيني مِنْ أَمْرِ نَفْسي ، فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتابي مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ .

اللغة

(حاضرين) بصيغة التثنية وقرء بصيغة الجمع مع اللاّم وبدونها: اسم موضع بالشّام ، (الفان) من الفناء حذف لامه للسّجع ، (الرّمية) : الهدف ، (نصب) : المنصوب (يزعنى) : يكفنى (المحض) : الخالص (الشوب) : المزج وا لخلط .

الاعراب

من الوالد : متعلق بمحذوف بقرينة الحال وهو كتب وما يساوقه ، وإلى المولود متعلق به أيضاً ، غرض الأسقام : صفة ثالثة للمولود ومجموعها معرّف مركب فترك فيها العطف ، فيما تبيّنت ظرف مستقر اسم إنّ ، وقوله : ما ، لفظه موصول خبرلها ، قوله : حيث تفرّد بي ، ظرف يتضمّن معنى الشّرط وقوله : فكتبت إليك بمنزلة الجزاء له .

المعنى

هذه وصيّة عامّة تامّة أخرجها إلى ابنه الحسن عليه السلام وجمع فيها أنواع المواعظ والنصائح الكافية الشافية وصنوف الحكمة العمليّة الوافية ، وكفى بها

دستوراً إرشادياً لكل مسلم بل لكل إنسان ، فكأنه عليه السلام جرد من نفسه الزكية والدا للكل أونموذجا لجميع الوالدين ، وجرد من ابنه الحسن عليه السلام ولداً لكل الأولاد أونموذجا لجميع الأبناء في أي بلاد ، ثم سرد النصائح و نظم المواعظ لتكون وصيته هذا انجيلا لأمة الاسلام : وتوجيه هذه الوصية إلى ابنه الحسن يشير إلى زعامته بعده واهتضامه واعتزاله فلا يكون إلا إماماً مبشراً منذراً بلاسلاح ولا اقتدار .

الترجمة

سی ویکم از سفارشنامه‌ئیکه بحسن بن علی سپرد و آنرا درهنگام بازگشت ازنبرد صفین در حاضرین نگارش فرمود :

ازپدری فناپذیرو زمان افکنده وازعمر گذشته وسربروزگارسپرده، بدگوی دنیا وسکنی گزین منازل مرده‌ها که فردا ازآن کوچا است .

بسوی فرزندی آرزومندبدانچه درنیابد آنکه براه هالکان است و بیماریهایش نشانه گرفته‌اند ، گروچند روزاست و هدف مصائب وبندهٔ دنیا غرور فروش‌است و بدهکار جان عزیز به مرگها واسیر مردنست وپیوند سپارباهموم وهمگام با احزان ، نشانه آفات است و کشته شهوات، وجانشین أموات .

أما بعد - بمن ازملاحظه برگشت دنیاوهجوم روزگاروپیشامد آخرت بأندازه‌ای درآویخت که از یاد دیگران واز اهتمام باین وآنم باز داشت جزاینکه چون از همه بخود پرداختم وخود را شناختم واز هو سرانی گذشتم وکار خود را بخو بی فهمیدم بکوششی خسته ناپذیر وصداقتی بی‌دروغ برخاستم وتورا پاره ازخویش‌یافتم نه بلکه همه خودم شناختم تا جائیکه گزندت گزند من است واگر بمیری من مرده باشم وبکار تو تا آنجا توجه‌دارم که بکارخود، واین‌نامه را برای کمك بتوپرداختم که درنظر بگیری چه بمانم وچه بمیرم .

الفصل الثاني قوله عليه السلام :

فَإِنّي أُوصيكَ بِتَقْوَى اللهِ - أَيْ بُنَيَّ - وَ لُزُومِ أَمْرِهِ ، وَ عِمارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ ، وَ الْإِعْتِصامِ بِحَبْلِهِ ، وَ أَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ ؟!

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ ، وَ أَمِتْهُ بِالزَّهادَةِ ، وَ قَوِّهِ بِالْيَقِينِ ، وَ نَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ ، وَ ذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَ قَرِّرْهُ بِالْفَناءِ ، وَ بَصِّرْهُ فَجائِعَ الدُّنْيا ، وَ حَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ ، وَ فُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيالي وَ الْأَيّامِ ، وَ اعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبارَ الْماضِينَ ، وَ ذَكِّرْهُ بِما أَصابَ مَنْ كانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ ، وَ سِرْ فِي دِيارِهِمْ وَ آثارِهِمْ ، فَانْظُرْ فِيما فَعَلُوا وَ عَمَّا انْتَقَلُوا ، وَ أَيْنَ حَلُّوا وَ نَزَلُوا ، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحِبَّةِ ، وَ حَلُّوا دارَ الْغُرْبَةِ ، وَ كَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ فَأَصْلِحْ مَثْواكَ ، وَ لا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْياكَ ، وَدَعِ الْقَوْلَ فِيما لا تَعْرِفُ ، وَ الْخِطابَ فِيما لَمْ تُكَلَّفْ ، وَ أَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذا خِفْتَ ضَلالَتَهُ ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلالَةِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوالِ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ ، وَ أَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَ لِسانِكَ وَ بايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ ، وَ جاهِدْ فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ ، وَ لا تَأْخُذْكَ

في اللهِ لَوْمَةُ لائِمٍ ، وَ خُضِ الْغَمَراتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كانَ ، وَ تَفَقَّهْ في الدِّينِ ، وَ عَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ ، وَ نِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ وَ أَلْجِىءْ نَفْسَكَ في الْأُمُورِ كُلِّها إِلَى إِلٰهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُها إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ، وَمانِعٍ عَزِيزٍ ، وَأَخْلِصْ في الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطاءَ وَ الْحِرْمانَ ، وَ أَكْثِرِ الْإِسْتِخارَةَ ، وَ تَفَهَّمْ وَ صِيَّتي ، وَلا تَذْهَبَنَّ عَنْها صَفْحاً ، فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ ما نَفَعَ ، وَ اعْلَمْ أَنَّهُ لا خَيْرَ في عِلْمٍ لا يَنْفَعُ وَ لا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ .

اللغة

(الغمرات) : جمع الغمرة و هي اللّجة في البحر و كناية عن الشدّائد ، (المثوى) : محلّ الاقامة .

المعنى

قد لخّص عليه السلام في هذا الفصل جوامع وصاياه في اُمور خمسة :

١ـ التوجّه إلى الله تعالى برعاية تقواه ، ولزوم أمره ، والاعتصام بحبله .

٢ـ التوجّه إلى القلب بتحليته بالفضائل ، وإحيائه بالمواعظ ، وتخليته عن الرّذائل بالزّهد وذكر الموت .

٣ـ التوجّه إلى الخلق الغابر ، والتدبّر في أحوالهم ومآل أمرهم .

٤ـ التوجّه إلى طريقه في الحيات وسيره في صراط السّعادة بالحذر عن الارتباك فيما لايعلم .

٥ـ التوجّه إلى الاجتماع بنشر الخير والمعروف ، ودفع الشرّ والمنكر باليد واللّسان ، والجهاد للحقّ بملازمة الصبر والالتجاء إلى الرّب بالاخلاص في مسألته والاستخارة من حضرته .

الترجمة

براستی سفارشت میکنم که از خدا بپرهیز وبفرمانش بچسب ودلت را بیادش آباد کن وبرشتهٔ وی در آویز ، کدام وسیله محکمتر از آنست که میان تو وخدا باشد اگرش بدست گیری ؟؟ .

دلت را باپند زنده دار وبازهدش بکش وبایقینش نیرو بخش وباحکمتش درخشان دار وبیادمرگش زبون ساز وبفناء تن مقرّش کن وبنا گواریها دنیایش بینانما واو پوزش روزگارش برحذر دار وازبی باکی دیگر گونیهای زمانه ، اخبار گذشته گانرا براو عرض کن ، وآنچه برسرشان آمده بیادش آر ، درخانمان وآثار آنان بگرد و ببین از کجا آمدند ؟ کجا رفتند ؟ کجا خفتند ؟ تا در یابی که ازدوستان بریدند وبغربت رسیدند وتوهم بزودی یکی ازآنها شوی ، آرامگاهت را درست کن وآخرتت را بدنیا مفروش آنچه را ندانی مگو ودرآنچه را نبایستت ملای ، ازراهیکه ندانی مرو ، زیرا توقف هنگام گمراهي به است از دچاری بپرتگاه جانگاه .

بکارهای خیر وادار تا اهل خیر باشي ، وبادست وزبانت اززشتیها جلوگیری کن وتا توانی اززشتکار بدور باش، در راه خدا تلاش ومبارزه کن ودر راه خدا از سرزنش کسی نهراس، وبرای حقّ هرجا باشد خودرا درلجّه‌ها افکن ومسائل دین را بیاموز،خودرا ببردباری ناخواه دل وادار وچه خوب روشی است بردباری، وخودرا در همه کارها بپناه خدا بسپار که بدژ محکمی ومقام منیعی سپردی ، ازدرگاه پروردگارت باخلاص درخواست کن که عطاء وحرمان بدست اواست ، پراستخاره کن وسفارش مرا بفهم وازان رومگردان ، راستیکه بهترین سخن آنست که سود بخشد وبدانکه دردانش بی‌سود خیری نیست وعلمیکه نباید آموخت سودی ندهد .

الفصل الثالث قوله عليه السلام :

أَيْ بُنَيَّ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً ، وَ رَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْناً ، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَ أَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي ، أَوْ أَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي ، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى ، أَوْ فِتَنِ الدُّنْيَا ، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ ، وَ إِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ ، فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَ يَشْتَغِلَ لُبُّكَ ، لِيَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارُبِ بُغْيَتَهُ وَ تَجْرِبَتَهُ ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ ، وَ عُوفِيتَ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ وَ اسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ .

أَيْ بُنَيَّ ، إِنِّي - وَ إِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي - فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ ، وَ فَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ ، وَ سِرْتُ فِي آثَارِهِمْ ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ ، وَ نَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ وَ تَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ ،

وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ ، وَرَأَيْتُ ـ حَيْثُ عَنانِي مِنْ أَمْرِكَ ما يَعْنِي الْوالِدَ الشَّفِيقَ ، وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ ـ أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمْرِ ، وَمُقْتَبِلُ الدَّهْرِ ، ذُونِيَّةٍ سَلِيمَةٍ ، وَنَفْسٍ صافِيَةٍ ، وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتابِ اللهِ وَتَأْوِيلِهِ ، وَشَرائِعِ الْإِسْلامِ وَأَحْكامِهِ ، وَحَلالِهِ وَحَرامِهِ ، [وَ] لا أُجاوِزُ ذٰلِكَ بِكَ إِلىٰ غَيْرِهِ ، ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ ما اخْتَلَفَ النّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوائِهِمْ وَآرائِهِمْ مِثْلَ الَّذي الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ ، فَكانَ إِحْكامُ ذٰلِكَ عَلىٰ ما كَرِهْتَ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلامِكَ إِلىٰ أَمْرٍ لا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللهُ لِرُشْدِكَ ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ ، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتي هٰذِهِ .

وَاعْلَمْ يا بُنَيَّ ، أَنَّ أَحَبَّ ما أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتي تَقْوىٰ اللهِ ، وَالْإِقْتِصارُ عَلىٰ ما فَرَضَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، وَالْأَخْذُ بِما مَضىٰ عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبائِكَ ، وَالصّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَما أَنْتَ ناظِرٌ ، وَفَكَّرُوا كَما أَنْتَ مُفَكِّرٌ ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذٰلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِما عَرَفُوا ، وَالْإِمْساكِ عَمّا لَمْ يُكَلَّفُوا ، فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذٰلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَما عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ

ذٰلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَ تَعَلُّمٍ ، لاٰ بِتَوَرُّطِ الشُّبُهاتِ ؛ وَ غُلُوِّ الْخُصُوماتِ ؛ وَ اَبْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذٰلِكَ ، بِالْإِسْتِعانَةِ بِإِلٰهِكَ ، وَ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ وَ تَرْكِ كُلِّ شائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلىٰ ضَلاٰلَةٍ ، فَإِذٰا أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفا قَلْبُكَ فَخَشَعَ ، وَ تَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمَعَ ، وَ كانَ هَمُّكَ فِي ذٰلِكَ هَمًّا واحِداً ، فَانْظُرْ فِيما فَسَّرْتُ لَكَ ، وَ إِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ ما تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ وَ فَراغِ نَظَرِكَ وَ فِكْرِكَ ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّما تَخْبِطُ الْعَشْواءَ ، وَ تَتَوَرَّطُ الظَّلْماءَ ، وَ لَيْسَ طالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ ، وَ الْإِمْساكُ عَنْ ذٰلِكَ أَمْثَلُ .

فَتَفَهَّمْ ، يٰا بُنَيَّ ، وَصِيَّتِي ، وَ اَعْلَمْ أَنَّ مالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مالِكُ الْحَياةِ ، وَ أَنَّ الْخالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ ، وَ أَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ ، وَ أَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعافِي ، وَ أَنَّ الدُّنْيا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلاّٰ عَلىٰ ما جَعَلَهَا اللّٰهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّعْماءِ وَ الْإِبْتِلاءِ وَ الْجَزاءِ فِي الْمَعادِ ، أَوْ ما شاءَ مِمّٰا لا نَعْلَمُ ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلىٰ جَهالَتِكَ بِهِ ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ ما خُلِقْتَ جاهِلاً ثُمَّ عَلِمْتَ ، وَ ما أَكْثَرَ ما تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ ، وَ يَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ ، وَ يَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ ، فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ ، وَ رَزَقَكَ وَ سَوّٰاكَ ، فَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ ، وَ إِلَيْهِ

رَغْبَتُكَ ، وَ مِنْهُ شَفَقَتُكَ .

وَ اَعْلَمْ يَا بُنَيَّ ، أَنَّ أَحداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ، فَارْضَ بِهِ رَائِداً ، وَ إِلَى النَّجَاةِ قَائِداً ، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً ، وَ إِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ - وَ إِنِ اجْتَهَدْتَ - مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ .

اللغة

(الوهن) : الضعف ، (أفضى) : أوصل ، (الحدث) : الشاب والغلام ، (الصفو) : الخالص ، (النخيل) : الدقيق الذي غربل وأخذ دخيله ، (الشائبة) : الوهم ، (خبط العشواء) : كناية عن ارتكاب الخطر .

الاعراب

فاعلم أنك انما تخبط الخ - بمنزلة الجزاء لقوله عليه السلام : وإن أنت لم يجتمع الخ - ، لم آلك : صيغة المتكلّم من فعل الجحد من ألى يألو ، نصيحة : تميز من فعل لم آلك .

المعنى

قد أشار عليه السلام في هذا الفصل إلى بيان سبب اقدامه لكتابة هذه الوصيّة عاجلاً في انصرافه من صفّين مشوّش البال منكسر الحال مبتلى بالأهوال من قبل الخوارج في المآل فبين أنّ سببه الخوف من الأجل ونقص الرأى وفوت الوقت من قبل المولود وقبل أن يغرق في الفساد فلا ينفعه الموعظة .

قال الشارح المعتزلي في «ص٦٦ ج١٦ ط مصر»: قوله عليه السلام (أو انقص في رأيي) هذا يدلّ على بطلان قول من قال: إنه لا يجوز أن ينقص في رأيه، وأنّ الإمام معصوم عن أمثال ذلك وكذلك قوله للحسن: (أو يسبقني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدُّنيا) يدلّ على أنّ الإمام لا يجب أن يعصم عن غلبات الهوى ولا عن فتن الدُّنيا .

أقول : مع اظهاره للاخلاص بعليّ وغلوّه في توصيفه في غير مورد من الشرح وفي قصائده المشهورة كأنّه غلب عليه النّصب في هذا المقام فاستفاد من كلام له وللحسن عليهما السلام ما ليس بمقصود ، لما قلنا من أنّ إخراج هذه الوصيّة ينظر إلى حال عامّة الوالدين وأبنائهم مجرّداً عن الخصوصيات الشخصيّة ليكون مثالا نافعاً للكلّ ، ولا تنا في عصمته وعصمة ولده ومقام الامامة والقداسة فيهما ، كيف ؟! وعمر الحسن في هذا الوقت يزيد على ثلاثين وقد استأهل للخلافة عند عامّة الناس ونصّ عليه بالامامة في غير مورد فلا يقصد عليه السلام أن يربّيه بعد ذلك بهذا الكلام وإنما المقصود «إيّاك أعني واسمعي ياجارة» .

الترجمة

ای پسرجانم چون بینی سالخورده‌ام وهرروزه سست ترمیشوم درسفارشم بتو پیشدستی کردم ومواد آنرا پیش ازآنکه مرگم برسد برشمردم وخاطره خود را برنهفتم تا مبادا دچارکاستی رأی شوم چونانکه تنم کاسته میشود یاآنکه مبادا هوس ودلبری دنیا بر تو چیره شوند وچون شتر فراری از پندم سرباز زنی ، همانا دل جوان چون زمین بکر است و هر بذری در آن افکنده شود بپذیرد ، من پیشدستی کردم تا دلت سخت نشده ودرونت مشغول باطل نگردیده تو را دریابم تا از صمیم قلب بدان روشیکه آزموده شده روآوری واز رنج جستجو راحت شوی واز آزمایش معاف گردی ما آنچه اندوختیم بتو دادیم تا اگر تیرگی درآن باشد خود نقطه آنرا روشن سازی .

ای پسرجانم گرچه من عمر کسان پیش ازخود را نگذراندم ولی در کردار آنان نگریستم ودر اخبارشان اندیشیدم و در آثار شان گردیدم تا یکی از آنان شمرده شدم بلکه چون هم کارهاشان بمن گزارش شده گویا از آغاز تا أنجام با آنها عمر کردم وزلال وتیره وزیان وسود همه کارها را فهمیدم وزبده وخوب آنها را برایت بر گزیدم وکارهای جاهلانه را ازتو دور کردم ، وچون کارهای تو مورد توجه پدری مهربانست خواستم تو درآغاز عمر ونخست بر خورد با روزگار

نهادی پاك وخاطری تابناك داشته باشي وخواستم آموزش را از قرآن خدا وتفسير آن وازدستورهای اسلام واحكام حلال وحرامش آغاز كنی واز آن نگذری وبر تو ترسيدم كه در مورد اختلافات چون مردم دچار اشتباه شوی ودنبال اهواء وآراء باطل بروی وبا اينكه دلخواه نيست كه تورا تنبيه سازم ولی تحكيم اين مطلب نزد من دوست تراست ازاينكه تورا تسليم بوصفی كنم كه برايت خطرناك باشد واميدوارم خداوند توفيق رشدت دهد وبراستی تورا هدايت فرمايد برای اينست كه سفارشنامه خود را بتو ميسپارم .

ای پسرجانم بدانكه بهترين فصل وصيت من كه بكاربندی پرهيزكاری وعمل بفرائض إلهی است وپيروی ازروش پدران شايسته خاندانست، زيرا آنهاهيچ بی‌اعتنا نبودند كه خودرا منظوردارند چنانچه تو ناظرخودی وبرای خود بينديشند چنانچه تو در انديشه‌ای ودرنتيجه آنچه را دانستند بكار بستند واز آنچه نبايست دست باز داشتند ، اگردلت نپذيرفت ندانسته پيروآنان باشی تاخود بدانی بايد ازروی فهم وآموزش حقيقت را بجوئی نه بوسيله پرت شدن درشبهه وازراه امتياز پرستی، وپيش از جستجوی حقيقت از معبودت ياری بجو وتوفيق بخواه واز هرتوهّمی كه تو را درشبهه افكند وبگمراهی كشد دست بكش، وچون يقين كردی دلت پاك شده وخشوع دارد ورأيت تابناك است وتصميم دارد وتشويش خاطرنداری در آنچه برايت شرح دادم نظر نما وگر نه بدانكه در رنج افتادی ودر تاريكی پرتاب شدی وكسيكه دچار خبط واشتباه باشد طالب دين حقّ نباشد وبهتراست دست نگهدارد .

پسر جانم وصيّت مرا خوب بفهم وبدانكه مالك مرگ وزندگی وآفريننده ومیراننده يكی است وهمانكه بفنا ميبرد بزندگی باز ميآورد وآنكه درد ميدهد عافيت بخشد ، وراستيكه دنيا پايدار نباشد جز بر پايه نعمتهائی كه خداوند درآن مقرّر داشته وبربنياد ابتلا وجزاء درمعاد ياهرآنچه اوبخواهد وما نميدانيم واگر چيزی از اين بابت برتو مشكل است بنادانی خود حمل كن زيرا تو در آغاز آفريدنت نادان بودی وسپس دانا شدی وچه بسيار استآنچه را نميدانی ودرباره

آن سر گردانی ودید رس تو نیست وپس از آن خواهی دید ، توباید خود را درپناه آنکسی بیندازی که آفریدت وروزیت داد ودرستت کرد ، وباید هم اورا بپرستی وبدو روی آری واز او بترسی .

وبدان - ای پسر جانم - هیچکس از سوی خدا خبری درست تر نیاورده از آنچه رسول صلى الله عليه وآله آورده او را بپیشوائی بپسند وبرای نجات رهبرخود ساز، زیرا من هیچ اندرزی از تو دریغ نداشتم وتو هر چه هم تلاش برای خیر خواهی خود نمائی باندازه من نتوانی بحقیقت رسید .

الفصل الرابع من قوله عليه السلام :

وَ اعْلَمْ ، يَا بُنَيَّ ، أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَ سُلْطَانِهِ ، وَ لَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَ صِفَاتِهِ ، وَلَكِنَّهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ ، وَ لَا يَزُولُ أَبَداً ، وَ لَمْ يَزَلْ ، أَوَّلٌ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ ، وَ آخِرٌ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ ، فَإِذَا عَرَفْتَ ذٰلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ ، وَ قِلَّةِ مَقْدُرَتِهِ وَ كَثْرَةِ عَجْزِهِ ، وَ عَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَىٰ رَبِّهِ ، فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ ، وَ الْخَشْيَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ ، وَ الشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنٍ ، وَ لَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ .

يَا بُنَيَّ ، إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَ حَالِهَا ، وَ زَوَالِهَا وَ انْتِقَالِهَا

وَ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَ ما أُعِدَّ لِأَهْلِها فيها ، وَ ضَرَبْتُ لَكَ فيهِما الْأَمْثالَ لِتَعْتَبِرَ بِها ، وَ تَحْذُوَ عَلَيْها ؛ إِنَّما مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَديبٌ فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصيباً ، وَ جَناباً مَريعاً فَاحْتَمَلُوا وَعْثاءَ الطَّريقِ ، وَ فِراقَ الصَّديقِ ، وَ خُشُونَةَ السَّفَرِ ، وَ جُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دارِهِمْ ، وَ مَنْزِلَ قَرارِهِمْ ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ أَلَماً ، وَ لا يَرَوْنَ نَفَقَةً فيهِ مَغْرَماً ، وَ لا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ ، وَ أَدْناهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ ، وَ مَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِها كَمَثَلِ قَوْمٍ كانُوا بِمَنْزِلٍ خَصيبٍ فَنَبا بِهِمْ إِلى مَنْزِلٍ جَديبٍ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَ لا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفارَقَةِ ما كانُوا فيهِ إِلى ما يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ ، وَ يَصيرُونَ إِلَيْهِ .

يا بُنَيَّ ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزاناً فيما بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَ اكْرَهْ لَهُ ما تَكْرَهُ لَها ، وَ لا تَظْلِمْ كَما لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ ، وَ أَحْسِنْ كَما تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ ، وَ اسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ ما تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ ، وَ ارْضَ مِنَ النّاسِ بِما تَرْضاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ ، وَ لا تَقُلْ ما لا تَعْلَمُ ، وَ إِنْ قَلَّ ما تَعْلَمُ ، وَ لا تَقُلْ ما لا تُحِبُّ أَنْ يُقالَ لَكَ .

وَ اعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجابَ ضِدُّ الصَّوابِ ، وَ آفَةُ الْأَلْبابِ ، فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ ، وَ لا تَكُنْ خازِناً لِغَيْرِكَ ، وَ إِذا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ ، فَكُنْ أَخْشَعَ ما تَكُونُ لِرَبِّكَ .

اللغة

حذا (عليه) : اقتدى به : (قوم سفر) : بالتسكين اى مسافرون ، (أمّوا) : قصدوا (الجديب) : ضدّ الخصيب (الجناب المريع) : ذوالكلاء والعشب (وعثاء الطريق) مشقّتها .

المعنى

قد استدلّ عليه السلام في إثبات التوحيد بما يقرب من الاستدلال في قوله تعالى « ما اتّخذالله من ولد وماكان معه من إله إذاً لذهب كلّ إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون - ٩١ المؤمنون » فانّ المقصود نفى الشريك بنفي آثاره الّتي لابدّ من ترتّبه على وجوده لوكان ، وهذا أحد طرق إثبات التوحيد المأثورة المشهورة .

ثمّ انتقل عليه السلام بعد تنوير الفكر بنور التوحيد إلى بيان زوال الدّنيا وضرب المثل للفريقين من أهل السّعادة والشّقاوة و كفى به واعظاً .

الترجمة

پسر جانم بدانكه اگر پروردگارت را شريكى بود فرستاده‌هايش نزد تو ميآمدند و آثار ملك وسلطنتش را ميديدى و كرداروصفاتش را ميشناختى، ولى همان معبود يكتا است چنانچه خودرا بيگانگى ستوده درملكش ديگرى نيست وهر گز زوال نپذيرد وتا هميشه بوده است بى نهايت آغاز هرچيز است وبى نهايت درانجام هرچيز ، بزرگتر از آنست كه ربوبيتش در دل وديده گنجد، چون اينرا دانستى چنان كن كه مانند تو بى أهميت وبيمقدار وپر عجز وحاجتمند بپروردگار خود

بایست درطلب طاعت وترس‌از کیفر ونگرانی از غضبش بکاربندد زیرا تورا فرمان نداده جز بکارنیك ، ونهی نکرده جزاز کار بد .

پسرجانم‌منت ازدنیا وحالش آگاه ساختم وهم اززوال وانتقالش، وازآخرت وآنچه برای اهلش آماده شده آگاه کردم ومثلها آوردم تا پندگیری وبروش آنها کار کنی، همانا مثل کسیکه دنیارا بررسی کرده است اهلش مانند مردمی مسافرند که درمنزل قحط وسختی گرفتارند وقصد دارند بمنزل پرنعمت وآستان بابرکتی بروند وسختی راه ودوری از دوست ورنج سفر وخوراك ناهموار را بر خود هموار کردند تا بخانه وسیع وقرارگاه خود رسند ازرنجهای چنین سفری دردی نگشند وهزینه آنرا زیانی ندانند وچیزی محبوتبراز آن‌نیست که آنانرا بمنزل موعودشان نزدیك سازد وبقرارگاهشان بکشاند ، ومثل آنانکه فریب دنیا خورده اند ودل بدان بسته‌اند مثل مردمی است که درمنزل پرنعمت باشند وخواهند بمنزل قحطی وسختی سفر کنند وچیزی نزد آنها بد خواه‌تر ودشوارتر ازآن نیست که از آنچه دارند جدا شوند وبدان آیندهٔ بد وسخت برسند .

پسر جانم خود را ترازوئی قرار ده وبا آن خویش را با دیگران بسنج برای دیگران همانرا بخواه که برای خود میخواهی وهمانرا بد دار که برای خود بد میداری ، ستم مکن چونانکه دوست نداری ستم بشوی ،احسان کن چنانچه دوست داری بتو احسان شود ، ازخود زشت شمارآنچه را ازدیگران زشت میشماری از خود نسبت بمردم همانرا پسند که از مردم نسبت بخودت پسنده داری آنچه را ندانی‌مگو واگرچه کم است آنچه را میدانی ، مگو با دیگران آنچه را دوست نداری با تو بگویند .

وبدانکه خود بینی مخالف حق وصوابست وآفت خرد وعقل‌است ، در رنج خود هموار باش وتلاش مکن که گنجینه برای دیگران بسازی وچون بقصد خود کامیاب شدی باید بیشتر برای پروردگارت خاشع وشکر گزار باشی .

الفصل الخامس من قوله عليه السلام :

وَ اعْلَمْ أَنَّ أَمامَكَ طَرِيقاً ذا مَسافَةٍ بَعِيدَةٍ ، وَ مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ ، وَ أَنَّهُ لا غِنىٰ بِكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الْإِرْتِيادِ ، وَ قَدْرِ بَلاغِكَ مِنَ الزّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ ، فَلا تَحْمِلَنَّ عَلىٰ ظَهْرِكَ فَوْقَ طاقَتِكَ فَيَكُونُ ثِقْلُ ذٰلِكَ وَبالاً عَلَيْكَ ، وَ إِذا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زادَكَ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ فَيُوافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَ حَمِّلْهُ إِيّاهُ ، وَ أَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَ أَنْتَ قادِرٌ عَلَيْهِ ، فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلا تَجِدُهُ ، وَ اغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حالِ غِنائِكَ لِيَجْعَلَ قَضاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ .

وَ اعْلَمْ أَنَّ أَمامَكَ عَقَبَةً كَؤُداً ، الْمُخِفُّ فِيها أَحْسَنُ حالاً مِنَ الْمُثْقِلِ وَ الْبَطِيءُ عَلَيْها أَقْبَحُ حالاً مِنَ الْمُسْرِعِ ، وَ أَنَّ مَهْبَطَكَ بِها لا مَحالَةَ عَلىٰ جَنَّةٍ أَوْ عَلىٰ نارٍ ، فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ ، وَ وَطِّيءِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ ، وَ لا إِلَى الدُّنْيا مُنْصَرَفٌ .

وَ اعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعاءِ وَ تَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجابَةِ ، وَ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ ، وَ تَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ ، وَ لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ مَنْ تَحْجُبُهُ عَنْكَ ، وَ لَمْ يُلْجِئْكَ إِلىٰ مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ ، وَ لَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَ لَمْ يُعَيِّرْكَ

بِالْإِنَابَةِ ، وَ لَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَىٰ وَ لَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ ، وَ لَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ ، وَ لَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً ، وَحَسِبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً وَ حَسِبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً ، وَ فَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ وَ بَابَ الْإِسْتِعْتَابِ ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ ، وَ إِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ وَ أَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ ، وَ شَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ ، وَ اسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ ، وَ اسْتَعَنْتَهُ عَلَىٰ أُمُورِكَ ، وَ سَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ : مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ ، وَ صِحَّةِ الْأَبْدَانِ ، وَ سَعَةِ الْأَرْزَاقِ ، ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ ، بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ ، فَمَتَىٰ شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ ، وَ اسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ ، فَلَا يُقْنِطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ ، فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَىٰ قَدْرِ النِّيَّةِ وَ رُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ ، وَ أَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ ، وَ رُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ ، وَ أُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً ، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ ، فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ ، فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَىٰ لَكَ جَمَالُهُ ، وَ يُنْفَىٰ عَنْكَ وَبَالُهُ ، فَالْمَالُ لَا يَبْقَىٰ لَكَ ، وَ لَا تَبْقَىٰ لَهُ .

اللغة

(الارتياد) : طلب المنزل الرّحب ، (الوبال) : الهلكة ، (كؤود) : الشاق الصعود (الشآبيب) الدفعات من المطر الغزير .

الاعراب

أما مك : ظرف مستقرخبر مقدّم لقوله « أن » وما بعده اسم له ، من زيادة الأعمار : بيان للفظ ما في قوله : « ما لايقدر » .

المعنى

جعل عليه السلام الانسان مسافرا في طريق الحيات واصلاً إلى الجنّة أو النار بانتخابه السير المؤدّي إلى هذه أو هذه ، وفي طريقه عقبة شاقّة وهى المرور على شهواته وأهوائه وأخطائه فوصّاه بحمل الزاد الكافي للسير في هذا الطريق البعيد والاجتهاد في تحصيل المعاون معه لحمل الزاد باعطاء الفقراء والمساكين مقداراً من أمواله ليكون ذخراً في مسعاه ومعاده أوقرضاً يرد عليه في أيام عسرته في آخرته .

ثمّ نبّه عليه السلام على ملازمة الدّعاء والتضرّع إلى الله في كلّ حال من الأحوال ولجميع الحوائج سواء كان مذنباً أومطيعاً فانّ المذنب إذا تضرّع إلى الله تعالى وسأل منه التوبة والمغفرة يخرج عن ذنبه ، والمطيع إذا سأله أجابه وإن لم يظهر له الاجابة كما يريد ، وبيّن أنّ الدّعاء إلى الله لا يضيع بحال من الأحوال فان لم يوافق المسألة مع المصلحة أعطاه الله في إجابة دعائه ما هو خير ممّا سأله عاجلاً أو آجلاً .

الترجمة

بدانكه در برابر تو راه دور ورنج سختى است وراستيكه تو نيازمند يك بررسى عميقى هستى كه راه خود را هموار سازى واندازه توشه خود را بسنجى وسبك بارباشى ، مبادا بار گران وطاقت فرسائى بردوش بگيرى واز سنگينى آن بنالى وهلاك شوى ، واگر از نيازمندان كسى را يافتى كه برايت توشه بقيامت برد وفردا كه بدان نياز دارى بتو برساند وجود او را غنيمت شمار وتوشه خود را

بدوش او گزار وهرچه میتوانی بیشتر بأو بسپار شاید دیگر او را درنیابی وغنیمت بدان که کسی از تو مالی بوام گیرد ودر روز سختی بتو بپردازد .

بدانکه در برابر تو گردنه سخت ودشواری است ، هر که در آن سبك بار باشد خوش حالتراست از کسیکه بارش سنگین است ، وهر که کند روبا شد بد حال تر است از آنکه شتابان میرود ، فرودگاه تو درپشت این گردنه بناچاربهشت است یا دوزخ ، پیش از آنکه از این گردنه فرود شوی جلو پای خود را پاك کن وببهشت برو نه بدوزخ ، وپیش ازمرگ برای خود منزل را هموار ساز که پس از مردن نه عذری پذیرفته شود ونه راه باز گشتی بدنیا میماند .

وبدانکه آن خدائیکه همه گنجهای آسمان وزمین را در دست دارد بتو اجازه داده تا بدرگاهش خواستار هر حاجتی شوی واز او بخواهی ودعاء کنی وضامن شده که دعایت را اجابت کند وبتو فرموده از او بخواهی تا بتو بدهد واز او رحمت طلبی تا بتورحم کند ، ومیان تو وخودش دربانی مقرر نداشته که تورا از او باز دارد وتو را وادار بواسطه تراشی نکرده ، واگر بد کرداری جلو توبه وبازگشت تورا نگرفته ، ودربازگشت تورا مورد سرزنش نساخته ، ودر کیفر توشتاب ندارد ودر آنجا که شاید تو را رسوا نساخته ودر پذیرش توبه وبازگشت تو سخت نگرفته وازتوجریمه نخواسته واز رحمتش تورا نا امید نساخته ، بلکه روگردانی تو را از گناه خوش کرداری مقرّر کرده وبدکاری تو را یکی بشمار گرفته وکار خوبت ده برابر بحساب آورده است ودر توبه را برای تو باز گذاشته وباب عذر خواهی را مفتوح داشته ، هر آنگاهش بخوانی فریادت را میشنود واگر رازش بگوئی رازت را میداند ، تومیتوانی عرض حاجت خود را بیواسطه بأو برسانی وهر چه در دل داری با او در میان گزاری واز گرفتاریهایت بوی شکایت کنی واز او چاره دردهایت را بخواهی ودر هر کارت از او یاری بجوئی واز خزائن رحمتش درخواست کنی آنچه را جز اونتواند بتوعطا کند از فزونی عمر وتندرستی ووسعت روزی ، سپس همه کلیدهای خزائن خودش را بتو سپرده که

اجازه مطلق درخواست از وی را بتوداده است ، هروقت بخواهی میتوانی بوسیله دعاء أبواب نعمت بیدریغش را بروی خود باز کنی واز ریزش سیل آسای رحمتش بر خود ببارانی وبرخور دار باشی ، نباید تأخیر اجابتش تورا نومید سازد ، زیرا بخشش باندازه صدق نیت است وبسا تأخیر اجابت برای اینست که اجر خواستار بزرگتر شود وعطیه بیشتری دریابد ، وبسا که چیزی درخواست کردی وبتو نداده ودر عوض بهتر از آنرا در دنیا ویا آخرت بتوخواهد رسانید ، یا اینکه مسئول تورا دریغ داشته وپاداش بهتری مقرّر نموده است چه بسا چیزی را خواستی که سبب از دست رفتن دین تو شود اگرش بدست آری ، باید همیشه درخواهت از درگاه خدا چیزی باشد که بهره آن برای توبماند ووبال ورنجی ببار نیاورد ، مال دنیا نه برای تو میماند ونه تو برای آن میمانی .

الفصل السادس من قوله عليه السلام :

وَ اعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلآخِرَةِ لاَ لِلدُّنْيَا ، وَ لِلْفَنَاءِ لاَ لِلْبَقَاءِ ، وَ لِلْمَوْتِ لاَ لِلْحَيَاةِ ، وَ أَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ ، وَ دَارِ بُلْغَةٍ ، وَ طَرِيقٍ إِلَى الآخِرَةِ ، وَ أَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لاَ يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ ، وَ لاَ يَفُوتُهُ طَالِبُهُ ، وَ لاَ بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَ أَنْتَ عَلَى حَالِ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ .

يَا بُنَيَّ ، أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَ ذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ ، وَ تُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ ، حَتَّى يَأْتِيَكَ وَ قَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ ، وَ شَدَدْتَ

لَهُ أَزْرَكَ ، وَ لاٰ يأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ ، وَ إِيّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمٰا تَرىٰ مِنْ إِخْلاٰدِ أَهْلِ الدُّنْيٰا إِلَيْهٰا ، وَ تَكٰالُبِهِمْ عَلَيْهٰا ، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهٰا ، وَ نَعَتْ [نَعَتَتْ] لَكَ نَفْسَهٰا ، وَ تَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسٰاوِيهٰا ، فَإِنَّمٰا أَهْلُهٰا كِلاٰبٌ عٰاوِيَةٌ ، وَ سِبٰاعٌ ضٰارِيَةٌ ، يَهِرُّ بَعْضُهٰا بَعْضاً ، وَ يأْكُلُ عَزِيزُهٰا ذَلِيلَهٰا وَ يَقْهَرُ كَبِيرُهٰا صَغِيرَهٰا ، نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ ، وَ أُخْرىٰ مُهْمَلَةٌ ، قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهٰا وَ رَكِبَتْ مَجْهُولَهٰا ، سُرُوحُ عاهَةٍ ، بِوٰادٍ وَعْثٍ ! لَيْسَ لَهٰا رٰاعٍ يُقِيمُهٰا ، وَلاٰ مُسِيمٌ يُسِيمُهٰا ، سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيٰا طَرِيقَ الْعَمىٰ ، وَ أَخَذَتْ بِأَبْصٰارِهِمْ عَنْ مَنٰارِ الْهُدىٰ ، فَتٰاهُوا فِي حَيْرَتِهٰا ، وَ غَرِقُوا فِي نِعْمَتِهٰا ، وَ اتَّخَذُوهٰا رَبّاً فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهٰا ، وَ نَسُوا مٰا وَرٰاءَهٰا !!

رُوَيْداً يَسْفِرُ الظَّلاٰمُ ، كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الْأَظْعٰانُ ، يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ .

اللغة

يقال : هذا منزل قلعة بضمّ القاف وسكون اللاّم : ليس بمستوطن ، ويقال : هم على قلعة أى على رحلة ، (البلغة) : قدر الكفاية من المعاش ، (الأزر) : الظّهر والقوّة ، (فيبهرك) أى يجعلك مبهوتاً مغلوباً لا تقدر على التدارك ، (أخلد) ، إلى كذا : اتّخذه دار الخلد و الاقامة الدائمة ، (التكالب) : التنازع على التسلط كالكلاب يتنازعون للتسلط على الجيف ، (المساوى) : المعايب ، (الضراوة) ، الجرأة على الاصطياد ، (المعقّدة) : المربوطة بالعقال ، (المجهول) والمجهل : المفازة

الّتي لا أعلام فيها ، (واد وعث) : لايثبت فيه خفٌّ ولاحافر لسهولته أو كونه مزلقاً (سروح عاهة) جمع سرح و هي المواشي المبتلاة بالآفة المعرضة للهلاك ، (مسيم يسيمها) : راع يرعاها ، (رويداً) تصغير رود وأصل الحرف من رادت الرّيح ترود تحرّك حركة خفيفة والمعنى لا تعجل (يسفر الظلام) ، يقال أسفر وجهه إذا أضاء وأسفر الصبح إذا انكشف ، (الأظعان) : جمع ظعن ، وهي الجماعات المتنقلة في البراري .

الاعراب

للآخرة : اللاّم للعاقبة ، منزل قلعة ودار بلغة : الظاهر أنّ القلعة والبلغة بمعنى المصدر فالأولى إضافة ما قبلهما إليهما ويحتمل أن تكونا صفة لما قبلهما بالتأويل ، نعم معقّلة : خبر بعد خبر لقوله « أهلها » ، سروح عاهة : خبر ثالث بأبصارهم: مفعول أخذت والظاهر انّ الباء زائدة للتأكيد ، رويدا : منصوب بمقدر أى امهل رويدا ، هذه الجملة وما بعدها أمثال سائرة .

المعنى

بين عليه السلام في هذا الفصل الهدف من خلق الانسان وأوضح بأبين بيان أنّ الدّنيا طريق ومعبر له لايستحقّ أن يطمئنّ إليه بل يجب أن يتزوّد منها لآخرته ويهيأ فيها لملاقات ربّه ، ويكون على حذر من الاشتغال بها وارتكاب سيّئآتها حتّى يأتيه الموت بغتة ولايجد مهلة للتوبة والتدارك لما فاته .

ثمّ حذّره أكيداً عن تقليد الناس في الافتتان بالدّنيا والاشتغال بها كأنها دار خلود لهم وليس لهم انتقال عنها إلى داراً خرى، ونبّه على ذلك بوجوه :

١ـ إخبار الله تعالى عن فنائها .

٢ـ توصيف الدّنيا نفسها بالفناء والزوال آناء الليل والنّهار .

٣ـ المغترّون بها كلاب وأنعام ضالّة مبتلاة بالآفات بلامرشد ولاراع ولامناص لهم من الهلاكة والدّمار ، فلا ينبغي الاقتداء بهم في أفعالهم وأحوالهم في حال من الأحوال .

الترجمة

بدان - پسرجانم - که توتنها برای آخرت آفریده شدی نه دنیا ، وبرای فنا ازدنیا بوجودآمدی نه برای زیست درآن ، وسرانجامت در دنیا مرگ است نه زندگی ، وبدانکه تو امروز در منزل کوچ وخانه موقت هستی که رهگذریست بآخرت ، وراستیکه مرگ درپی تواست و گریزان ازمرگرا رهائی نیست وازدست جوینده خود بدرنمیرود وبناچار اورا میگیرد ، توبرحذر باشی که مرگت فرارسد ودر حال گناه باشی ودر دل داشته باشی که از آن توبه کنی ولی مرگ بتو مهلت ندهد وبی تو به بمیری وخود را هلاك سازی ، پسر جانم بسیار در یاد مرگ باش وبیاد دار که بکجا انکنده میشوی وپس از مرگ بکجا وبچه وضعی میرسی تا آنکه چون مرگت رسد خود را آماده کرده باشی وپشتیبانت محکم باشد وناگهانت نگیرد تا خیره ودرمانده شوی .

مبادا فریب بخوری که دنیا طلبان بدان دل داده وآنرا جاودانه گرفته‌اند وبرسرآن باهم سگانه مبارزه میکنند ، زیرا خدا از فناء دنیا خبر داده وخود دنیا هم خودرا به بیوفائی توصیف کرده واز بدیهای خود برایت پرده بر گرفته، همانا اهل دنیاسگهائی عوعو کننده ودرنده‌هائی پوزش‌آور وزیان زننده‌اند بروی یگدیگر زوزه کشند ، وعزیزانشان خوارهایشانرا بخورند ، وبزرگشان خوردشانرا مقهورسازند ، چارپایانی باشند بسته‌یامهار گسیخة وآزاد ، عقل خودرا گمراه کرده ودر بیابانی ناشناخته میتازند ، رمه‌هائی بیمار وآفت زده در نمکزاری لغزان سرگردانند ، نه شبانی دارند که آنها را نگهداری کند ونه چوپانی که آنها را بچراند ، دنیا آنها را بکوره راه ناهمواری کشانده وچشم آنها را ازدیدار راه روشن هدایت بسته ، در سرگردانی دنیا گم شدند ودر نعمت بی عافیت آن اندرند ، دنیا را پروردگار خود شناخته ودو دستی آنرا گرفته‌اند ودنیایشان ببازی گرفته وآنها هم سرگرم بازی با دنیا شدند وفراموش کردند که در دنبال دنیا چه عالمی است ؟ .

آرام باش ، پرده تاريكى بكنار ميرود ، گويا كاروانهاى جهان ناپيدا وارد شوند ، هر كس شتاب كند بزودى بكاروانهاى پيش گذر ميرسد .

الفصل السابع من قوله عليه السلام :

وَ اعْلَمْ [يا بُنَيَّ] أَنَّ مَنْ كانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ فَإِنَّهُ يُسارُ بِهِ وَ إِنْ كانَ واقِفاً ، وَ يَقْطَعُ الْمَسافَةَ وَ إِنْ كانَ مُقيماً وادِعاً .

وَ اعْلَمْ يَقيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ ، وَ لَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ ، وَ أَنَّكَ في سَبيلِ مَنْ كانَ قَبْلَكَ فَخَفِّضْ في الطَّلَبِ ، وَ أَجْمِلْ في الْمُكْتَسَبِ ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلى حَرَبٍ ، وَ لَيْسَ كُلُّ طالِبٍ بِمَرْزُوقٍ ، وَ لا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ ، وَ أَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَ إِنْ ساقَتْكَ إِلَى الرَّغائِبِ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتاضَ بِما تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً ، وَ لا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ ، وَ قَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً ، وَ ما خَيْرُ خَيْرٍ لا يُنالُ إِلّا بِشَرٍّ ، وَ يُسْرٍ لا يُنالُ إِلّا بِعُسْرٍ !

وَ إِيّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطايَا الطَّمَعِ فَتُورِدَكَ مَناهِلَ الْهَلَكَةِ ، وَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا يَكُونَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ ، فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ ، وَ آخِذٌ سَهْمَكَ ، وَ إِنَّ الْيَسيرَ مِنَ اللهِ ـ سُبْحانَهُ ـ أَعْظَمُ وَ أَكْرَمُ مِنَ الْكَثيرِ مِنْ خَلْقِهِ ، وَ إِنْ كانَ كُلٌّ مِنْهُ .

وَ تَلا فيكَ ما فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْراكِكَ ما فاتَ مِنْ

مَنْطِقَكَ ، وَ حِفْظُ ما في الوِعاءِ بِشَدِّ الْوِكاءِ ، وَ حِفْظُ ما في يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ ما في يَدِ غَيْرِكَ ، وَ مَرارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النّاسِ ، وَ الْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنىٰ مَعَ الْفُجُورِ ، وَ الْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ ، وَ رُبَّ ساعٍ فيما يَضُرُّهُ ! مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ ، وَ مَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ ، قارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ ، وَ بايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ ، بِئْسَ الطَّعامُ الْحَرامُ ، وَ ظُلْمُ الضَّعيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ ، إِذا كانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كانَ الْخُرْقُ رِفْقاً ، وَ رُبَّما كانَ الدَّواءُ داءً وَ الداءُ دَواءً ، وَ رُبَّما نَصَحَ غَيْرُ النّاصِحِ وَ غَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ ، وَ إِيّاكَ وَ الْإِتِّكالَ عَلَى الْمُنىٰ فَإِنَّها بَضائِعُ النَّوْكىٰ ، وَ الْعَقْلُ حِفْظُ التَّجارُبِ ، وَ خَيْرُ ما جَرَّبْتَ ما وَعَظَكَ ، بادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً ، لَيْسَ كُلُّ طالِبٍ يُصيبُ ، وَ لا كُلُّ غائِبٍ يَؤُوبُ ، وَ مِنَ الْفَسادِ إِضاعَةُ الزّادِ وَ مَفْسَدَةُ الْمَعادِ ، وَ لِكُلِّ أَمْرٍ عاقِبَةٌ ، سَوْفَ يَأْتيكَ ما قُدِّرَ لَكَ ، التّاجِرُ مُخاطِرٌ ، وَ رُبَّ يَسيرٍ أَنْمىٰ مِنْ كَثيرٍ .

وَ لا خَيْرَ في مُعينٍ مَهينٍ ، وَ لا في صَديقٍ ظَنينٍ ، ساهِلِ الدَّهْرِ ما ذَلَّ لَكَ قُعُودُهُ ، وَ لا تُخاطِرْ بِشَيْءٍ رَجاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ ، وَ إِيّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجاجِ ، أَحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ

عَلَى الصِّلَةِ ، وَ عِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَ الْمُقَارَبَةِ ، وَ عِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ ، وَ عِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ ، وَ عِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ ، وَ عِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ ، وَ كَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ ، وَ إِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذٰلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ لاٰ تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ ، وَ امْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً ، وَ تَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلىٰ مِنْهَا عَاقِبَةً وَلاٰ أَلَذَّ مَغَبَّةً ، وَ لِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ ، وَ خُذْ عَلىٰ عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ ، وَ إِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذٰلِكَ يَوْماً مَّا ، وَ مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ لَنَّهُ ، وَلاٰ تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلىٰ مَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ ، وَ لاٰ يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ ، وَ لاٰ تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ عَنْكَ وَ لاٰ يَكُونَنَّ أَخُوكَ عَلىٰ مُقَاطَعَتِكَ أَقْوىٰ مِنْكَ عَلىٰ صِلَتِهِ ، وَ لاٰ يَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوىٰ مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ ، وَ لاٰ يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ ، فَإِنَّهُ يَسْعىٰ فِي مَضَرَّتِهِ وَ نَفْعِكَ ، وَ لَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ .

اللغة

(المطيّة) : ما يقطع به المسافة فاختلاف اللّيل والنّهار يوجب طيّ مدّة العمر ، (تعدو) : تجاوز (التخفيض والاجمال) : ترك الحرص في طلب الدّنيا ، (الحرب) : سلب المال وفنائه ، (أوجفت) : أسرعت (التلافي) : التدارك (الوكاء) : حبل يشدّ به رأس القربة ، (الحرفة) : الاكتساب بالتعب ، (أهجر الرجل) : اذا أفحش في منطقه (الرفق) : اللين و (الخرق) :ضدّه ، (النوكى) : الحمقى (الصّرم): القطع (الصدود) : الاعراض ، (الظنين) : المتهم ، (محضه النصيحة) : أخلصها له (المغبّة) : العاقبة .

الاعراب

وقد جعلك الله حرّاً ، جملة حاليّة ، وما خير خير : يحتمل أن يكون كلمة ما استفهامية للانكار فالخير الأوّل مضاف إلى الثانى ولو جعلت نافية ففي الاضافة غموض وفي العبارة إبهام والاعراب في قوله « ويسر لاينال » أغمض فتدبّر بشدّ الوكاء ظرف مستقر خبر لقوله « حفظ » ، ما ذلّ ، لفظة ما مصدرية زمانيّة رجاء أكثر منه : مفعول له لقوله « لاتخاطر » ، ما في قوله « يوماما » نكرة تفيد القلّة .

المعنى

قرّر عليه السلام في هذا الفصل زوال الدّنيا وفناءها بحساب رياضى فقال : إنّ العمر عدد من اللّيالى والأيّام المارّة على الدّوام ويصل إلى النهاية وينفد لامحالة وبعد ما أثبت بالبرهان الرياضى أنّ العمر منقض وأنّ الأجل محتوم فلا ينبغي الركون إلى الدّنيا والاعتماد عليها ، ثمّ توجّه إلى ابطال ما يفتتن به أهل الدّنيا من الآمال وبيّن أنّ الانسان في هذه الدّنيا لايبلغ إلى آماله لأنّ الأمل غير محدود ، والأجل محدود ، ووصّاه بترك الحرص والكدّ في طلب الدّنيا ، فإنّ الرزق المقدّر يصل بأدنى طلب وما يطلب بجدّ وكدّ ربّما يتلف ويضيع ويعرضه الحرب .

قال ابن ميثم : وذلك كما شوهد في وقتنا أنّ تاجراً كان رأس ماله سبعة عشر ديناراً فسافر بها إلى الهند مراراً حتّى بلغت سبعة عشر ألفاً فعزم حينئذ على ترك السّفر والاكتفاء بما رزقه الله ، فسوّلت له نفسه الأمّادة بالسّوء في العود وحبّبت إليه الزّيادة فعاود السّفر فلم يلبث أن خرجت عليه السّراق في البحر فأخذوا جميع ما كان معه ، فرجع وقد حرب ماله ، وذلك ثمرة الحرص المذموم .

ثمّ تعرّض عليه السلام للوصيّة بحفظ كرامة النفس والاحتفاظ بالشخصيّة الّتي هي شرف وجود الانسان وامتيازه عن سائر أنواع الحيوان فقال عليه السلام : (وأكرم نفسك عن كلّ دنيّة وإن ساقتك إلى الرغائب) ويندرج في وصيّته هذه الأمر بحفظ الحريّة والاستقلال في عالم البشريّة الّتي هي لبّ الدّيمو قراطيّة في الاجتماع الانسانى وأشار إلى أنّ النفس أعزّ وأعلى من كلّ شيء فلا قيمة له بوجه من الوجوه وأكّد ذلك بقوله عليه السلام (ولاتكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً) .

ثمّ أشار إلى أنّ آفة الحرّية الطمع فحذّر منه أشدّ الحذر وفي التشبث بالوسائط نوع من الضعف في الاستقلال والحرّية فقال عليه السلام (وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذونعمة فافعل) .

ثمّ سرد أنواعاً من الفضائل وحثّ على اكتسابها ، وأنواعاً من الرّذائل ووصّى الاجتناب عنها ، فمن الفضائل : الصّمت ، وحفظ المال ، وتكلّف الحرفة ومن الرّذائل : إظهار الحاجة إلى الناس ، وتحصيل الغنى بالفجور وكثرة الكلام .

ومن الفضائل : الفكر ومصاحبة أهل الخير ، ومن الرّذائل مصاحبة أهل الشرّ والظلم بالضعيف ، وجرّ عليه السلام كلامه إلى الوصيّة بحفظ روابط الودّ مع الأحبّاء والأقرباء فانّه اُسّ الاجتماع والتعاون المفيد في الحياة ، فقال عليه السلام : (احمل نفسك من أخيك عند صرمه على الصّلة) وبيّن كلّ ما يمكن أن يصير سبباً لقطع رابطة الاخاء وفتّ عضد المحبّة والاجتماع وأراه دواءه الناجع النافع فدواء الإعراض الاقبال والمقارنة باللّطف ، ودواء المنع عن العطاء هو البذل عليه ودواء التباعد الناشي عنه هو التقارب والدّنوّ منه ، ودواء شدّته وصولته هو اللّين

والرّفق معه ، ودواء جرمه واجترائه هو الاعتذار منه وله ، وقد لخّص كلّ ذلك في قوله : (حتّى كأنّك له عبد) .

وقد ذيّل وصايته هذه بأنّ تلك المعاملة الاخائيّة لابدّ وأن تكون مع من يليق بها وهو المؤمن المعتقد .

الترجمة

ای پسر جانم بدانکه هر کس بر پا کش شب وروز سوار است همیشه بسوی مرگ در رفتار است گرچه در جای خود ایستاده واستواراست ، وبناخواه طی راه مینماید گرچه مقیم وآسوده میزید، بطوریقین بدان که بآرزو وآرمان خودنمیرسی واز عمر مقدر نمیگذری وبراه همه کسانی که پیش از تو بوده‌اند میروی ، در طلب دنیا آرام باش ودر کسب مال هموار رفتار کن زیرا بسا طلب که بسر انجام تلف میکشد ، نه هر کس دنبال روزی دود بروزی میرسد ونه هر کس آرام وهموار کار میکند از روزی وا میماند ، خود را از هر پستی در طلب دنیا گرامی دار واگر چه آن کار پست تورا بآرمانهایت برساند ، زیرا اگر خودرا بفروشی بهائی که ارزش شخصیت را داشته باشد بدست نیاوری ، خودرا بنده دیگری مساز وبأو مفروش درصورتیکه خداوندت آزاد ومستقل آفریده است ، چه خیر وخوبی دارد آن خیریکه جز بوسیله بدی بدست نیاید ، وچه آسایشی است درآنچه جز بدشواری فراهم نشود ؟؟ .

مبادا اختیار خود را بمرکب سرکش طمع بسپاری تا تو را در پرتگاه هلاك ونابودی کشاند ، اگر توانی هیچ منعمی را میان خود وخدا واسطه طلب روزی نسازی همین کار را بکن وزیر بار نوکری دیگران مرو ، زیرا تو قسمت روزی خود را خواهی یافت وبهره ات بتو خواهد رسید همان روزی اندك از طرف خداوند سبحان بی منت دیگران بزرگتر وگرامی‌تر است از بهره بیشتر از دست دیگران ، وگرچه همه از طرف خداوند منّانست .

هر که نان از قبل خویش خورد منّت از حاتم طائی نبرد

تدارك تقصيريكه از خموشي بر آيد آسانتر است از تدارك آنچه از گفتار ناهنجار زايد ، نگهداري رازهاي درون ببستن زبانست چون بستن سرظرف آنچه‌را درآنست حفظ مينمايد ، نگهداري آنچه در دست خود داري نزد من محبوبتراست از جستن چيزيكه در دست ديگرانست ، تلخي نوميدي به است از دست نياز بمردم دراز كردن ، پيشه وري وآبرومندي به است از بي نيازي بوسيله هرزگي هر مردي بهتر ، راز خود را نگهمدارد ، بسا كسي كه در زيان بخود ميكوشد هر كه پر گويد ژاژ خواید ، هر كه انديشه كند بينا گردد ، با خيرمندان درآميز تا از ايشان باشي ، از شر انگيزان جدا شو تا از آنها بر كنار باشي ، چه بد خوراكي است مال حرام ، ستم برناتوان فاحشترين ستم است ، درجائيكه از ملايمت كج خلقي بر آيد كج خلقي ملايمت زايد ، چه بسا كه دارو درد گردد ودرد دارو، چه بسا كه اندرز از بد خواه بر آيد وخير خواه بد غلي در اندرز خود گرايد ، مبادا بر آرزوهاي خود اعتماد كني كه آرزومندي كالاي احمقان است ، عقل وخرد تجربه اندوزيست ، بهترين تجربه آنست كه تو را پند دهد تا غصه وافسوس نيامده وقت را غنيمت شمار وازدستش مده ، هر كس جويد بمقصد رسد ونه هر غائبي بخانه‌اش بر گردد ، ضايع نمودن توشه راه ارتكاب تباه است ومفسد روز رستاخيز ، هر كاري را دنباله ايست وبسرانجامي گرايد ، هر چه براي تو مقدر باشد بتو خواهد رسيد ، بازرگان خود را بخطرميانداز ، چه بسا اندكي كه پر بركت تر ازبسيار است ، در ياور وهمكار پست وزبون خيري نباشد ونه در دوست دو دل ومتهم بخيانت ، تا روزگار با تو بسازد با او بساز ، چيزي كه در دسترس است بامید بيش از آنش درخطر ميفكن، مبادا عنان خودرا بدست مركب سركش لجبازي بسپاري ، براي نگهداري برادر ودوست خود اگر از تو بريد با او پيوست كن ، وهنگام روگردانی او بالطف ومهربانی بأونزديك شو، وچون مشت خودرا بست بأو ببخش ، وچون دوري گزيد بأونزديك شو ، وهنگام سختگيري او با او نرمش كن ، وچون جرمي مرتكب شد بر او پوزش آور، تا آنجا در برابر

او فروتن باش بمانند بنده‌ای در برابر آقای خود وتا آنجا که او را منعم خویش بحساب آوری ، ومبادا این معامله برادرانه را با نا اهل ونا شایست آن روا داری .

با دشمن دوستت طرح دوستی مریز تا با دوستت دشمنی کرده باشی، بابرادر خود پاك وصریح نصیحت کن وحق را بأو بگوچه خوشاید او باشد چه اورا بد آید ، خشم را فرو خور زیرا من نوششی را شیرین سر انجام تر ولذت بخش تر در دنبال از آن آن ندیدم ، باکسیکه درشتت برآید نرمش کن چه بسا که نرم شود ، بردشمن خود بتفضل واحسان برتری جو،زیرا که این‌شیرین‌ترپیروزیهااست اگر خواستی از دوستی ببری یك رشته از حسن رابطه را بجای گزار که بوسیله آن بوی بر گردی اگر روزی پشیمان شدی ، هر گاه کسی بتو گمان خوبی دارد بأو خوبی کن و گمانش را درست درآور باعتماد دوستی ویگانگی حق دوست را زیر پامکن زیرا کسیکه حقش را ضایع سازی با تو برادری نکند .

مبادا خاندان تو بد بخترین مردم باشند نسبت بتو واز آنها رعایت دیگرانرا نکنی ، کسی که تورا ترك گوید واز تو روگرداند دل بأومبند ، برادر ودوست تو در قطع رابطه بر تو از پیوند تو با او پیشدستی نکند وپیش از آنکه او قطع رابطه کند جلو آنرا بگیر ومواظب باش که او دربد رفتاری با تو از خوشرفتاری تو با او پیشدستی نکند وبا خوشرفتاری جلو بد رفتاریش را ببند ستم ستمگر بر تو گران نیاید زیرا که او در زیان خود وسود تو کوشش مینماید پاداش کسیکه تو را شادمان مینماید این نیست که تو بأو بدی کنی ودلش را آزرده سازی .

الفصل الثامن من قوله عليه السلام:

وَ اعْلَمْ ، يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ، وَ رِزْقٌ

يَطْلُبُكَ ، فَإِنْ أَنتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتاكَ ، ما أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحاجَةِ ، وَ الْجَفاءَ عِنْدَ الْغِنىٰ ، إِنَّما لَكَ مِنْ دُنْياكَ ما أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْواكَ ، وَ إِنْ جَزِعْتَ عَلىٰ ما تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ فَاجْزَعْ عَلىٰ كُلِّ ما لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ ، اَسْتَدِلَّ عَلىٰ ما لَمْ يَكُنْ بِما قَدْ كانَ فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْباهٌ ، وَ لا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلّا إِذا بالَغْتَ في إِيلامِهِ ، فَإِنَّ الْعاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْأَدَبِ ، وَ الْبَهائِمَ لا تَتَّعِظُ إِلّا بِالضَّرْبِ ، اَطْرَحْ عَنْكَ واردات الْهُمُومِ بِعَزائِمِ الصَّبْرِ وَ حُسْنِ الْيَقِينِ ، مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جارَ ، وَ الصّاحِبُ مُناسِبٌ ، وَ الصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ ، وَ الْهَوىٰ شَرِيكُ الْعَمىٰ [الْعَنا] ، وَ رُبَّ قَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ ، وَ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ ، وَ الْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ ، مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضاقَ مَذْهَبُهُ ، وَ مَنِ اقْتَصَرَ عَلىٰ قَدْرِهِ كانَ أَبْقىٰ لَهُ ، وَ أَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللهِ ، وَ مَنْ لَمْ يُبالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ ، قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْراكاً إِذا كانَ الطَّمَعُ هَلاكاً ، لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ ، وَ لا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصابُ ، وَ رُبَّما أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ ، وَ أَصابَ الْأَعْمىٰ رُشْدَهُ ، أَخِرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ ، وَ قَطِيعَةُ الْجاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعاقِلِ ، مَنْ أَمِنَ الزَّمانَ خانَهُ ، وَ مَنْ أَعْظَمَهُ أَهانَهُ ، لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمىٰ أَصابَ ،

إِذا تَغَيَّرَ السُّلْطانُ تَغَيَّرَ الزَّمانُ ، سَلْ عَنِ الرَّفيقِ قَبْلَ الطَّريقِ ، وَ عَنِ الْجارِ قَبْلَ الدّارِ .

إِيّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ الْكَلامِ ما يَكُونُ مُضْحِكاً وَ إِنْ حَكَيْتَ ذٰلِكَ عَنْ غَيْرِكَ ، وَ إِيّاكَ وَ مُشاوَرَةَ النِّساءِ ، فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلىٰ أَفْنٍ ، وَ عَزْمَهُنَّ إِلىٰ وَهْنٍ ، وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصارِهِنَّ بِحِجابِكَ إِيّاهُنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجابِ أَبْقىٰ عَلَيْهِنَّ ، وَ لَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخالِكَ مَنْ لا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ ، وَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ ، وَلا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِها ما جاوَزَ نَفْسَها ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحانَةٌ وَ لَيْسَتْ بِقَهْرَمانَةٍ ، وَلا تَعْدُ بِكَرامَتِها نَفْسَها ، وَ لا تُطْمِعْها في أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِها ، وَ إِيّاكَ وَ التَّغايُرَ في غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يَدْعُو الصَّحيحَةَ إِلَى السَّقَمِ ، وَ الْبَريئَةَ إِلَى الرَّيْبِ ، وَ اجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ ، فَإِنَّهُ أَحْرىٰ أَنْ لا يَتَواكَلُوا في خِدْمَتِكَ ، وَ أَكْرِمْ عَشيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَناحُكَ الَّذي بِهِ تَطيرُ ، وَ أَصْلُكَ الَّذي إِلَيْهِ تَصيرُ ، وَيَدُكَ الَّتي بِها تَصُولُ .

أَسْتَوْدِعُ اللهَ دينَكَ وَ دُنْياكَ ، وَ أَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضاءِ لَكَ في الْعاجِلَةِ وَ الْآجِلَةِ ، وَالدُّنْيا وَ الْآخِرَةِ ، وَ السَّلامُ .

اللغة

(مثوى) : اسم مكان من ثوى بمعنى محل الاقامة ، (تفلّت) : تخلّص وفي معناه الافلات و الانفلات (العظة) :كالعدة مصدر وعظ يعظ ، (عزائم الصبر) : ما لزمته منها ، (مناسب) مفعول من ناسب أى من ذوى القربى ، (العورة) : قال ابن ميثم : هنا الاسم من أعور الصيد إذا أمكنك من نفسه وأعور الفارس إذا بدامنه موضع خلل الضّرب ، (أفن) : الأفن بسكون الفاء ، النقص ، والمتأفن ، المتنقص وروى إلى أفن بالتحريك فهو ضعيف الرأى ، أفن الرّجل يأفن أفناً أى ضعف رأيه (الوهن) : الضّعف ، (القهرمانة) : فارسي معرّب .

الاعراب

رزق تطلبه ، عطف بيان لقوله « رزقان » ، من دنياك متعلق بقوله « لك » وهي ظرف مستقر خبر مقدّم لقوله « ان » وماء الموصولة اسم له ، واكفف عليهنّ من أبصارهنّ قال الشارح المعتزلى « ص ١٢٤ ج ١٦ ط مصر» : من هاهنا زائدة وهو مذهب أبي الحسن الأخفش من زيادة من في الموجب ، ويجوز أن يحمل على مذهب سيبويه فيعنى به : فاكفف عليهنّ بعض أبصارهنّ ، بأشدّ خبر ليس ، والباء زائدة ، لاتعد : نهى من عدا يعدو أى لاتجاوز ، التغاير : تفاعل من الغيرة وهي الرقابة في النّساء .

المعنى

قد قسّم عليه السلام الرزق إلى رزق يحصل بلا طلب وإلى رزق يحصل بالطّلب وقد ورد في غير واحد من الآيات والأخبار أنّ الرزق مضمون على الله تعالى وأصرح الآيات قوله تعالى : « وما من دابّة في الأرض إلاّ على الله رزقها ويعلم مستقرّها ومستودعها كلّ في كتاب مبين: ٦ـ هود» وقوله تعالى « إنّ الله هو الرّزاق ذوالقوّة المتين: ٥٨ ـ الذاريات » .

فالآيتان تدلاّن على أنّ الله تعالى تعهّد رزق كلّ دابّة كدين يجب الوفاء به وهوقادرعلى أداء هذا الدّين فيصل رزق كلّ دابّة إليها وأنّه تعالى هوالرّازق

على وجه الحصر ولارازق غيره لأنّ ضمير الفصل في قوله : هو الرّزاق ، وتعريف المسند يفيدان الحصر فمعنى الآية أنّه تعالى رازق ولا رازق غيره ، وينبغي البحث هنا في أمرين :

١ـ أنّ وصول الرّزق إلى كلّ مرزوق مطلق أو له شرط معلّق عليه فاذا لم يحصل الشرط يسقط الرّزق المقدّر ، وما هو هذا الشرط ؟

يستفاد من بعض الأخبار أنّ الرّزق مشروط بالطلب والاكتساب بوجه ما فاذا ترك الطلب مطلقاً يسقط الرّزق المقدّر ، وذلك كمن ترك تحصيل الرّزق واعتزل في زاوية منتظراً لمن يدخل عليه و يكفله ، ويؤيّد ذلك وجوب تحصيل النفقة لنفسه ولمن يجب عليه نفقته كالزّوجة والأقارب باتفاق الفقهاء ، فلو كان الرّزق واصلاً مطلقاً وحاصلاً بتقدير من الله فلا معنى لوجوب تحصيله ، ولكن لا إشكال في أنّ تأثير الطلب مختلف في الأشخاص ، فربما يحصل بطلب قليل رزق واسع كثير ، وربّما يحصل بالجدّ والكدّ أدنى مؤونة العيش ومقدار دفع الجوع وسدّ الرّمق ، ونظره عليه السلام في هذا المقام ترك الحرص وتحمّل العناء في طلب الدّنيا ، كما أنّه لا إشكال في حصول الرّزق لبعض الأشخاص من حيث لا يحتسب قال الشارح المعتزلي « ص ١١٤ ج ١٦ ط مصر » :

دخل عماد الدّولة أبوالحسن بن بويه شيراز بعد أن هزم ابن ياقوت عنها وهو فقير لا مال له فساخت إحدى قوائم فرسه في الصحراء في الأرض فزلّ عنها وابتدرها غلمانه فخلّصوها ، فظهر لهم في ذلك الموضع نقب وسيع ، فأمرهم بحفره فوجدوا فيه أموالاً عظيمة و ذخائر لابن ياقوت .

ثمّ استلقى يوماً آخر على ظهره في داره بشيراز التي كان ابن ياقوت يسكنها فرأى حيّة في السقف ، فأمر غلمانه بالصّعود إليها وقتلها ، فهربت منهم ، ودخلت في خشب الكنيسة فأمر أن يقلع الخشب وتستخرج وتقتل ، فلمّا قلعوا الخشب وجدوا فيه أكثر من خمسين ألف دينار لابن ياقوت .

واحتاج لأن يفصل ويخيط ثيابا له ولأهله فقيل : هاهنا خيّاط حاذق كان

يخيط لابن ياقوت ، وهو رجل منسوب إلى الدين والخير ، إلا أنه أصم لا يسمع شيئاً أصلاً فأمر باحضاره فأحضر وعنده رعب وهلع ، فلما أدخله إليه كلمه وقال: أريد أن تخيط لنا كذا وكذا قطعة من الثياب ، فارتعد الخياط واضطرب كلامه وقال : والله يا مولانا ماله عندى إلا أربعة صناديق ليس غيرها ، فلا تسمع قول الأعداء فيّ ، فتعجب عماد الدولة وأمر باحضار الصناديق فوجدها كلها ذهباً وحلياً وجواهر مملوءة وديعة لابن ياقوت .

٢ـ أن من يأكل من الحرام كالسارق والكاسب من الوجوه المحرمة فهل يأكل رزقه المقدر أم يأكل من غير رزقه ؟ وهل الحرام رزق الله ويندرج في كلامه هذا أن الرزق رزقان أم هو خارج عن مفهوم كلامه ورزق ثالث ؟ .

ثم قبح عليه السلام خلقاً معروفاً عند الناس وهو الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى .

وقد ارتكب الناس هذا الخلق حتى مع الله تعالى فعاتبهم به في كلامه قال عز وجل « حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جائتها ريح عاصف وجائهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ☆ فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق :٢٢ـ ٢٣ يونس» .

وقد أشار عليه السلام إلى أن ما يفيد للانسان من الدنيا هو يصلح به أمر آخرته فحسب ، وأما غير ذلك فيذهب هدراً ويبقى تبعته .

وأشار عليه السلام إلى تسلية مقنعة مستدلة لترك الأسف على مافات بأنه إذ جزع على ماخرج من يده من المال والجاه فلابد أن يجزع على جميع ما في الدنيا مما لم يصل إليه لأنه لافرق بين القسمين ، ووصى أن يكون للانسان قلباً خاصعاً فهماً مستعداً للاتعاظ وهو دليل العقل والفراسة .

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة

ولا يخلو الانسان من هموم ترد على قلبه من حيث يشعر ولايشعر فوصى

عليه السّلام بطرد هذه الهموم بملازمة صبر ثابت ويقين صادق وبملازمة طريقة عادلة في أعماله و أخلاقه ونبّه على أنّ الصاحب الصديق كنسيب قريب ، وكان يقال : « الصديق نسيب الرّوح والأخ نسيب البدن » .

وقد بين عليه السلام موازين لأمور هامّة :

١ـ ميزان الصّداقة ، فقال : (والصديق من صدق غيبه) يعنى أنّ الصّداقة يعرف بحفظ الغيب للصديق ، فربّما شخص يظهر الصّداقة في الحضور ولم يكن إلاّ منافقا .

٢ـ ميزان الغربة ، فقال: (الغريب من لم يكن له حبيب) أى من لم يكن له مونس يطمئنّ إليه ويلمسه عن ظهر قلبه برابطة وديّة صادقة فهو غريب وإن كان في وطنه.

٣ـ ميزان العداوة ، فقال : (ومن لم يبالك فهو عدوّك) أى من لم يكترث بك ويراعيك فهو عدوّ .

وقد استغرب الشارح المعتزلى هذه الميزانيّة للعداوة فقال « ص١١٩ ج١٦ ط مصر » : وهذه الوصاة خاصّة بالحسن عليه السلام وأمثاله من الولاة وأرباب الرّعايا وليست عامّة للسوقة من أفناء الناس ، وذلك لأنّ الوالي إذا أنس من بعض رعيته أنّه لايباليه ولا يكترث به ، فقد أبدى صفحته ، ومن أبدى لك صفحة فهو عدوّك وأما غير الوالي من أفناء الناس فليس أحدهم إذا لم يبال بالآخر بعدوّ له .

أقول : قد ذكرنا فى بدء شرح هذه الوصيّة أنها موجّهة من نوع الوالد إلى نوع الولد من دون ملاحظة أيّة خصوصيّة في البين، والمقصود من عدم المبالات في كلامه عليه السلام هو عدم رعاية الحقّ بعد المعرفة ووجود الرّابطة بين شخصين وكلّ من عرف غيره ولم يراع له حقّه يكون عدوّاً له وظالماً ، سواء من السوقة وأفناء الناس ، أو من الولاة والحكّام ، والفرق أنّ المعرفة للوالي أعمّ ، وحقوقه على الرّعايا أتمّ وألزم .

وقد اختلف في تفسير قوله عليه السلام : (ليس كلّ عورة تظهر) فقال الشارح المعتزلى « في ص ١١٩ ج ١٦ ط مصر » : يقول : قد تكون عورة العدوّ مستترة

عنك فلا تظهر ، وقد تظهر لكِ ولا يمكنك إصابتها .

وقال ابن ميثم : نبّه بقوله : ليس كلّ عورة - إلى قوله : رشده ، على أنّ من الأمور الممكنة والفرض ما يغفل الطالب البصير عن وجه طلبه فلا يصيبه ولا يهتدى له ، ويظفر به الأعمى - إلى أن قال : وغرض الكلمة التسلية عن الأسف والجزع على ما يفوت من المطالب بعد إمكانها .

أقول : قد ارتبط ابن ميثم هذه الجمل الأربع إلى غرض واحد ، والظاهر أنّ كلاً منها حكمة عامّة تامّة ، والمقصود من العورة العيب في عدوّ أو غيره المعرض للانكشاف ، فيقول : ربّما يبقي عيب معروض للانكشاف مستورا لغفلة الناس أو سبب آخر ، كما أنه ربّما لايستفاد من الفرصة وربما يخطأ البصير عن قصده كما أنه ربمّا يصيب الأعمى رشده .

وهذه الحكم كلّها من قبيل المثل السائر المشهور : رميّة من غير رام وتنبيه على أنّ الأسباب المعمولة ليست عللا تامّة للوصول إلى المقاصد والأهداف .

ونبّه بقوله عليه السلام (من أمن الزّمان خانه ومن عظّمه هانه) على أنّ الزّمان إذا أقبل على الانسان لايصحّ الاعتماد عليه ، فانه دوّار غدّار كما قال أبو الطّيب :

وهي معشوقة على الغدر لاتحـــــــــفظ عهداً ولاتتمم وصلاً

وقد أشار إلى السّبب الأساسي في تغيير الزّمان على بني الانسان فقال : (إذا تغيّر السلطان تغيّر الزّمان) ذكر الشارح المعتزلي « ص ١٢١ ج ١٦ ط مصر » في شرح هذه الجملة :

في كتب الفرس أنّ أنوشروان جمع عمّال السّواد وبيده درّة يقلبها ، فقال : أيّ شيء أضرّ بارتفاع السّواد وأدعى إلى محقه ؟ أيّكم قال ما في نفسي جعلت هذه الدرّة في فيه ؟ فقال بعضهم : انقطاع الشّرب ، وقال بعضهم : احتباس المطر وقال بعضهم : استيلاء الجنوب وعدم الشمال ، فقال لوزيره : قل أنت فإني أظنّ عقلك يعادل عقول الرّعيّة كلّها أويزيد عليها ، فقال : تغيّر رأى السلطان في رعيّته ، وإضمار الحيف لهم ، والجور عليهم ، فقال : لله أبوك ، بهذا العقل أهّلك

آبائي وأجدادي لما أهّلوك له ، ودفع إليه الدرّة فجعلها في فيه .

ثمّ توجّه عليه السلام في آخر وصيّته إلى المعاملة مع النساء والخدم وهم أهل البيت والخاصّة ووصّى في النساء بأُمور :

١ـ ترك المشاورة معهنّ لضعف الرأى ووهن العزم والتصميم في الأُمور .

٢ـ كفّ أبصارهنّ عن الأجانب وزهرة الدّنيا بواسطة الحجاب عليهنّ فانه موجب لبقائهنّ ووفائهنّ للزّوج .

٣ـ عدم إدخال الرّجال الأجانب عليهنّ في البيت إذا كانوا أهل ريب وفتنة.

٤ ـ عدم إحالة تدبير أُمور البيت من شراء الحوائج و الأُمور الخارجة عن تدبير أنفسهنّ عليهنّ لأنّ ذلك يؤذيهنّ و يذهب بجمالهنّ وبهائهنّ وينقص من الاستمتاع بوجودهنّ .

٥ ـ عدم إجابتهنّ في الشفاعة و الوساطة للأغيار ، فانّه يوجب توجّههم إليهنّ ويؤدّي إلى فسادهنّ يوماً ما .

٦ ـ عدم اظهار الغيرة عليهنّ في غير موضعها ، و المقصود المنع من سوء الظنّ بهنّ ضناً عليهنّ وشغفاً بحبهنّ فانّه يوجب سوقهنّ إلى الفساد ، و يلوث براءة ساحتهنّ بالرّيب وعدم الاعتماد .

و أمّا وصيّته عليه السلام بالنسبة إلى الخدم فانّه تنتظم أعمال خدمتهم بتقسيم أُموره بينهم وإحالة كلّ أمر إلى من يناسبه منهم وجعله مسئولاً عنه بخصوصه لئلاّ يكل بعضهم إلى بعض ويضيع الأمو وتبقى بلا مسئول خاصّ .

ثمّ ختم عليه السلام وصاياه بقوله (وأكرم عشيرتك) والمقصود منه صلة الرّحم المأمور بها في الكتاب والسّنة معلّلاً بأنّ العشيرة كالجناح للطّيران وكالأصل للبنيان وكاليد للصّولة على ذوي العدوان .

وقد قرّر ابن خلدون في مقدمته المعروفة في علم الاجتماع والعمران ، العصبة والاعتماد على العشيرة أصلاً ثابتاً في القبض على الحكومة والسّلطان وتحصيل الزعامة على سائر أفراد الانسان ، وقرّر ذلك الأصل بشواهد كثيرة من التاريخ في شتّى النواحي والبلدان .

قال في « ص ١١٧ ج١ من المقدّمة ط مصر » : الفصل السابع عشر في أنّ الغاية الّتي تجری إليه العصبيّة هي الملك .

وذلك لأنا قدّمنا أنّ العصبيّة بها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة وكل أمر يجتمع عليه وقدّمنا أنّ الآدميّين الطبيعة الانسانية يحتاجون في كلّ اجتماع إلى وازع وحاكم يزع بعضهم عن بعض، فلابدّ أن يكون متغلّباً عليهم بتلك العصبيّة وإلاّ لم تتمّ قدرته على ذلك وهذا التغلّب هو الملك .

الترجمة

ای پسر جانم بدانکه روزی بر دو قسم است ، یك روزیست که تو بدنبال آن میروی وروزی دیگری که بدنبالت میآید واگر بدنبال آن نروی او بدنبال تو میآید ، وه چه زشت است که هنگام نیاز فروتن وزبون باشی وچون نیاز نداری جفا کنی ورو گردانی ، تو از دنیای خود همانی را داری که با آن کار آخرت خود را درست کنی ، اگر بدانچه از دستت رفته است بیتابی کنی باید بر هر چه که در جهانست وبتو نمیرسد بیتابی کنی وغم آنرا بخوری ، بدانچه نباشد از آنچه هست رهیاب باش، زیرا همه اُموربهم مانند وآنچه هست نمونه ایست برای آنچه نیست .

از آن کسانی مباش که پند نپذیرد مگر آنکه پندی جانگاه وملامت بار باشد ودلش را بدرد آورد ، زیرا خردمند بهمان ادب وپرورش پند پذیرد، جانوران چهار پایان که جز با کتك فرمان پذیر نباشند ، آنچه همّ واندوه بردلت وارد شود بوسیله شکیبائی پایدار وخوش باوری ازقدرت پروردگار از خود دور کن هر کس از راه عدل وداد بگردد جائر ونابکار باشد ، ورفیق موافق برادر باشد دوست آنکس است در پشت سر دوستی را رعایت کند ، هوس همعنان رنج وغم است ، بسا خویشی که از بیگانه دورتر است وبسا بیگانه که از خویش نزدیکتر ومهربانتر، آواره کسی است که دوستی ندارد .

هر کس از حقّ تجاوز کند به تنگنای گرفتار آید ، هر که قدر خود را

شناسد و بر آن بایستد برای او پاینده تر است ، محکمترین وسیله که به آن بچسبی آنست که میان تو وخدا است ، هر کسی بتو بی اعتنا است دشمن تو است ، گاهی شود که نومیدی رسیدن بمقصود باشد در صورتیکه طمع ورزی مایه نابودیست ، هر بدی فاش نگردد ، وهر فرصتی مورد استفاده نباشد ، بسا که بینا وهشیار از مقصد خود خطا رود ونا بینا ونادان بمقصد رسد .

بدی را تا توانی بتأخیر انداز که هردم میتوانی در آن بشتابی ، بریدن نادان برابر پیوند با خردمندانست ، هر کس از مکر زمانه آسوده زید بخیانت او دچار گردد ، وهر کس زمانه را بزرگ شمارد خواری آنرا بیند، نه هر کس تیر اندازد بهدف زند ، وقتی سلطان دیگر گونه گردد زمانه هم دیگر گون شود نخست از رفیق پرسش کن آنگاه از راه ، وازهمسایه بر رسی کن آنگاه از خانه مبادا سخنی بگوئی که خنده آور باشد واگر چه از دیگری آنرا حکایت کنی .

مبادا با زنان خانه خود درکارهایت مشورت کنی زیرا رأی آنان سست است و تصمیمشان نا پایدار است ، با حجاب خود جلو دیده آنانرا بر گیر زیرا هر چه در پرده باشند بهتر میمانند و سالم ترند ، بیرون رفتن آنها از خانه و گردش آنان در کوی وبرزن از آن بدتر نیست که بیگانه‌ای که مورد اطمینان نباشد نزد آنها آوری وبا او معاشرت کنند ، واگر بتوانی آنها را چنان داری که جز تو را نشناسند همین کن .

زنرا به بیش از آنچه راجع بخود او است برکارها سرکار وصاحب اختیار مکن، زیرا زن چون گل است وجنس لطیف وقهرمان و گار گزار نیست ، ونباید از اندازه احترام وشایستگی خود تجاوز نماید ، زن را بطمع میانداز که پیش تو واسطهٔ انجام کار دیگران شود ، ومبادا بیجا غیرت ورزی کنی وبدنبال بدبینی باشی که این خود زن درست وپارسا را بیمار وناهموار سازد وزن پاکدامن را بسوی آلودگی کشد .

برای هر کدام ازخدمتکاران خود کاری مخصوص اومقرر دار که مسئول او

باشد ، ودر عهدهٔ او شناخته شود ، زیرا این تقسیم کارها خود سبب میشود که کارها را بهم وا نگذارند وخدمت را بی سر انجام ننمایند .

عشیره وتیره وتبار خود را گرامی دار ومحترم شمار زیرا که آنان بجای پرهای تواند که بوسیله آنها پران میشوی وپایه تواند که بدانهای میگردی ، وچون دست تواند که بوسیله آنها یورش وفعالیت داری .

من تو را از نظر دین ودنیایت بخدا میسپارم ، واز او برای تو فرمان خیر وصلاح را در دنیا وآخرت خواستارم والسلام .

المختار الثانی والثلاثون

من کتاب له علیه السلام الی معاویة

وَ أَرْدَيْتَ جِيلاً مِنَ النَّاسِ كَثِيراً : خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ ، وَ أَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ ، وَ تَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ ، فَجَازُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ ، وَ نَكَصُوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ ، وَ تَوَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ وَ عَوَّلُوا عَلَىٰ أَحْسَابِهِمْ إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ ، وَ هَرَبُوا إِلَى اللهِ مِنْ مُوَازَرَتِكَ ، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ ، وَ عَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ ، فَاتَّقِ اللهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ وَ جَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ ، وَ الْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ ، وَ السَّلَامُ .

و أول هذا الكتاب

من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، أمّا بعد : فانّ الدّنيا دار تجارة ، و ربحها أو خسرها الآخرة ، فالسّعيد من كانت بضاعته فيها الأعمال الصّالحة ، و من رأى الدّنيا بعينها ، وقدّرها بقدرها ، وإنّي لأعظك مع علمي بسابق العلم فيك ممّا لا مردّ له دون نفاذه ، ولكنّ الله تعالى أخذ على العلماء أن يؤدّوا الأمانة ، و أن ينصحوا الغوىّ والرّشيد ، فاتّق الله ، و لاتكن ممّن لا يرجو الله وقاراً ، ومن حقّت عليه كلمة العذاب ، فإنّ الله بالمرصاد ، و إنّ دنياك مستدبر عنك ، و ستعود حسرة عليك ، فاقلع عمّا أنت عليه من الغيّ والضلال ، على كبر سنّك ، وفناء عمرك ، فانّ حالك اليوم كحال الثوب المهيل الّذي لا يصلح من جانب إلاّ فسد من آخر ، وقد أرديت جيلا ، الخ .

اللغة

(أرديت) : اوقعت في الهلاك و الضلالة ، (جيلا) : الجيل من الناس : الصنف منهم فالتّرك جيل والروم جيل والهند جيل ، (نكصوا) : أى انقلبوا (قياد) : حبل يقادبه البعير ونحوه ، (المهيل) المتداعى في التمزّق ومنه رمل مهيل أى ينهال ويسيل (عوّل) على كذا : اعتمد عليه (فاء) : رجع (المؤازرة) : المعاونة .

الاعراب

كثيراً : صفة للجيل ويدلّ على متابعة شعوب كثيرة لمعاوية في حرب عليّ عليه السّلام كاقباط الشام ويهود من القاطنين فيها وغيرهم وغرضهم اشعال الحرب بين المسلمين وتضعيف الدين ليحصّلوا حرّيتهم في أديانهم، تغشاهم الظلمات : فعليّة حالية ، قيادك : مفعول ثان لقوله « جاذب » ولايتعدى باب المفاعلة إلى مفعولين على الاُصول ويمكن ان يكون منصوباً على التميز فتدبّر .

المعنى

تعرّض عليه السلام في كتابه هذا لوعظ معاوية اتماماً للحجّة عليه ووفاء بما في

ذمّته من إرشاد الناس وتوضيح الحقّ لهم ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة .

ونبّه معاوية على أنّ ما ارتكبه من الخلاف أمر يرجع إلى إضلال كثير من الناس ولاتدارك له إلاّ برجوعه إلى الحقّ وإعلامه ضلالته ليرجع عنها من وقع فيه بغيّه وتلبيسه مع إشارته إلى أنه لايتّعظ بمواعظه حيث يقول في صدر الكتاب « وإنّي لأعظك مع علمي بسابق العلم فيك ممّا لامردّ له دون نفاذه ـ الخ» ومقصوده إعلام حاله على سائر المسلمين لئلاّ يقعوا في حبل ضلالته وخدعوا بالقاء شبهاته .

وقد نقل الشارح المعتزلي « ص ١٣٣ ج ١٦ ط مصر» : بعد نقل صدر كتابه عن أبي الحسن علي بن محمّد المدائني مكاتبات عدّة بعد هذا الكتاب بين علي عليه السلام ومعاوية تحتوى على جمل شديدة اللّحن يبين فيها على عليه السلام ماعليه معاوية من الغيّ والضلالة والخدعة والجهالة ، فيردّ عليه معاوية بما يفترى على علي عليه السلام من الأباطيل والأضاليل مقروناً بالوعيد والتهديد ، ثمّ يقول في « ص ١٣٦» :

قلت : وأعجب وأطرب ما جاء به الدّهر ... يفضي أمر علي عليه السلام إلى أن يصير معاوية نداًّ له ونظيراً مماثلاً ، يتعارضان الكتاب والجواب ـ إلى أن قال : ثمّ أقول ثانياً لأمير المؤمنين عليه السلام : ليت شعري لماذا فتح باب الكتاب والجواب بينه وبين معاوية ؟ وإذا كانت الضّرورة قد قادت إلى ذلك ، فهلاّ اقتصر في الكتاب إليه على الموعظة من غير تعرّض للمفاخرة و المنافرة ، وإذا كانت لابدّ منهما فهلاّ اكتفى بهما من غير تعرّض لأمر آخر يوجب المقابلة والمعارضة بمثله ، وبأشدّ منه « ولا تسبّوا الّذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم » وهلاّ دفع هذا الرّجل العظيم الجليل نفسه عن سباب هذا السّفيه الأحمق .

ثمّ جرّ الكلام إلى ابتداء علي عليه السلام بلعن معاوية في القنوت مع عمرو بن العاص وأبي موسى وغيرهم ، فقابله معاوية بلعنه مع أولاده ومع جمع من أخصّاء أصحابه .

أقول : ظاهر كلامه تأسّف مع اعتراض شديد أو اعتراض مقرون بتأسّف

عميق، ويشدّد اعتراضه عليه استدلاله بالآية الشريفة، وفحوى كلامه أنّ عمله عليه السلام مخالف لمفاد الآية، وهذا جرئة عليه عليه السلام، وغرضه تنديده بمقام عصمته وامامته والجواب أنّ لعن أعداءالله والدّعاء عليهم منصوص في القرآن في غير واحد من الآيات.

الّذين كقوله عزّ من قائل: «تبّت يدا أبي لهب وتبّ» وقوله عزّ من قائل: «لعن كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون :٧٩ـ المائدة».

مضافا إلى أنّ ما يندرج في كتب علي عليه السلام بيان للحقيقة من أحوال معاوية والمقصود كشف الحقيقة لعموم النّاس حتّى لايضلّوا بتضليلاته ولا ينخدعوا بخدعه وتسويلاته.

ومفاد الآية الّتي استدلّ بها النّهي عن سبّ الآلهة ولعلّ وجهه أنّ الآلهة غير مستحقين للسبّ لأنهم أجسام غير شاعرة يعبدون بغير إرادتهم و مستحقّ الملامة والسبّ عباد هم الّذين يصنعونهم ويعبدونهم، مع أنّ الآية نزلت حين ضعف المسلمين وحين الهدنة لأنها مكيّة من سورة الأنعام.

قال في مجمع البيان: «لاتسبّوا الّذين يدعون من دون الله» أي لاتخرجوا من دعوة الكفار ومحاجّتهم إلى أن تسبّوا ما يعبدونه من دون الله فانّ ذلك ليس من الحجاج في شيء «فيسبّوا الله عدواً بغير علم» وأنتم اليوم غير قادرين على معاقبتهم بما يستحقّون لأنّ الدّار دارهم ولم يؤذن لكم في القتال.

الترجمة

دسته هاى بسيارى از مردم را بنابودى كشاندى، بگمراهى خود آنان را فريفتى ودر امواج تاريك وجود خود افكندى، وپرده هاى تاريك وجودتو آنهارا فرو گرفت، وشبهه ها كه ساختى و پرداختى آنانرا درهم پيچيد، تا از پيشاهنگى خود در گذشتند و بروى پاشنهٔ پاى خود سرنگون گشتند، وروى بر پشت دادند وازحق بر گشتند، بخاندان وتبار خويش تكيه كردند و از دين وخدا بر گشتند،

جز آنانکه از مردمان بینا و هشیار روی از تو برتافتند و پس ازاینکه تورا شناختند از تو جدا شدند و بسوی خدا گریزان بازگشتند و از یاری با تو سر باز زدند ، چونکه آنان را بکوهستانی سخت می‌بردی و ازراه هموار ودرست بدر می کردی ، أی معاویه برای خاطر خود از خداوند بپرهیز و مهار خود را که بدست شیطان دادی وآنرا می کشد خود بدست گیر و بسوی حق بکش، زیرا که دنیا بناخواه ازتو بریده می‌شود وآخرت بتو نزدیکست وبناخواه می‌رسد، والسلام .

المختار الثالث و الثلاثون

ومن كتاب له عليه السلام الى قثم بن العباس وهو عامله على مكة :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ إِلَى الْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، الْعُمْيِ الْقُلُوبِ ، الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ ، الْكُمْهِ الْأَبْصَارِ ، الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَ يُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، وَ يَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ ، وَ يَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ ، وَ لَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ ، وَ لَا يُجْزَى جَزَاءَ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ ، فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ ، وَ النَّاصِحِ اللَّبِيبِ ، التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ ، الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ ، وَ إِيَّاكَ وَ مَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ ، وَ لَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً ، وَ لَا عِنْدَ الْبَأْسَاءِ فَشِلاً ، وَ السَّلَامُ .

اللغة

(العين) : الجاسوس ، (المغرب) : الشام لأنّه في مغرب كوفة و مكّة ، (الموسم) : موقع أداء الحجّ و مجمع الحجّاج في مكّة المكرّمة ، (العمى) جمع أعمى : من لا يُبصر ، (الصّم) : جمع أصمّ ، (الكمه): جمع الأكمه: الأعمى خلقةً ، (البطر) : شدّة الفرح و كثرة النّشاط ، (البأساء) : الشّدّة ولا أفعل له لأنّه إسمٌ غير صفة ، (الفشل) : الجبنُ و الضّعف .

الاعراب

بالمغرب : متعلّق بالعين لما فيه من معنى الوصفيّة و جملة كتب إلى خبره العمى القلوب : من إضافة الصفة إلى معموله والاضافة لفظيّة ولا مانع من دخول ألْ على المضاف و كذا ما بعده ، درّها : بدل اشتمال من الدنيا .

المعنى

قثم بن عبـاس بن عبد المطلب من المـوالين لعلىّ عليه السلام ولاّه على مكّة المكرّمة بعد عزل أبا قتادة الأنصاري عنها ، و لم يزل والياً عليها حتى قتل عليٌّ عليه السلام ، حكى عن ابن عبد البرّ أنّ قثم استشهد بسمرقند ، كان خرج إليها مع سعيد بن عثمان بن عفّان زمن معاوية فقتل بها ، قيل: وكان قثم يشبه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم .

قال الشارح المعتزلي في (ص١٣٨ ج١٦ ط مصر) : كان معاوية قد بعث إلى مكة دعاةً فى السرّ يدعون إلى طاعته و يُثبطون العرب عن نصرة أمير المؤمنين و يوقعون في أنفسهم أنه إمّـا قاتل لعثمان أو خاذل ، و إنّ الخلافة لا تصلح فيمن قتل أو خذل ، و ينشرون عندهم محاسن معاوية بزعمهم و أخلاقه و سيرته ، فكتب أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكتاب إلى عامله بمكة ينبهه على ذلك ليعتمد فيه بما تقتضيه السياسة و لم يصرّح في هذا الكتاب بماذا يأمره أن يفعل إذا ظفر بهم .

أقول : لعلّ ذلك قدكان ولكن لايلائم ماذكره ما يستفاد من هذا الكتاب فانه صادر باعتبار موسم الحجّ واجتماع الحجاج في مكة من كلّ صقع من الأصقاع

الاسلامية ، والموقف يقتضي القيام بعمل جهري للملأ لا القيام بأمر سرّي .

و قد ورد في شأن صدور هذا الكتاب أنّ معاوية بعث يزيد بن شجرة أميراً على ثلاثة آلاف جندي مجرّب و أمره بزحفه إلى مكّة جهاراً و إقامته الحجّ للنّاس من قبله وإخراجه والي أمير المؤمنين من مكّة وأخذه البيعة له عن الحاضرين في مكّة المكرّمة و لكن شرط عليه أن يكون كلّ ذلك من دون حرب و إراقة دم في الحرم ، و لمّا ورد جيش يزيد بن شجرة الجحفة و اطّلع قثم على ذلك عزم الهرب من مكّة والالتجاء بالجبال ، فمنعه الصّحابي الكبير أبوسعيد الخدري فورد يزيد بن شجرة مكّة و نزل بمنىً و طلب أباسعيد و أخبره أنّه لا يريد حرباً و أنّ الأمير قثم لا يرضى بامامته للحاجّ و لا أرضاه و اقترح أن يختار الناس رجلاً ثالثاً يؤمّ الفريقين ، فاستشاروا وتوافقوا على إمامة شيبة بن عثمان العبدي ، فأقام لهم الحجّ و صلّى بالفريقين ولم يقع حرب بينهما ، وخرج يزيد بعد الحجّ بجمعه عن مكّة المكرّمة .

و هذا ألصق بما كتبه عليه السلام إلى قثم بن العباس في هذا المقام .

و قوله عليه السلام : (يحتلبون الدّنيا درّها بالدين) توصيف لأتباع معاوية و إشعار بعدم اعتقادهم بالدّين وإنما يظهرون شعائر الدّين ليحتلبون بها متاع الدّنيا ويجعلونها وسيلة لأغراضهم المادّية الخسيسة .

الترجمة

نامهٔ آنحضرت بقثم بن عباس كه كار گزار او بود در مكّهٔ معظمه :

أما بعد براستى كه ديده بان من در مغرب بمن نامه‌اى نوشته وبمن گزارش داده كه جمعى از مردم شام براى موسم أنجام حج بمكّه فرستاده شدند ، مردمى كوردل كه نه گوش شنوا دارند ونه ديدهٔ بينا ، مردمى كه حق را بباطل در آميزند وآنرا وسيلهٔ مقاصد پوچ خود سازند ، مردمى كه در فرمانبردن از مخلوق نافرمانى آفريد گار را دارند ، وپستان دنيا را بوسيلهٔ اظهار دين بدوشند ، ودين را وسيله

دریافت آرمانهای دنیای خود سازند ، و سر انجام سعادت با نیکان پرهیزکار را بدنیای فانی بفروشند ، هرگز بسر أنجام نیك نرسد مگر نیکوکار ، وسزای بد کرداری را نکشد مگر بدکار وشرانگیز .

تو بر آنچه در دست داری از کار گزاری مکّه با کمال حزم و پایداری ایستادگی کن و مردی باش خیر اندیش و خردمند که پیرو حاکم خویش است وفرمانبر از پیشوای خود ، مبادا مرتکب خلافی شوی که نیاز بپوزش داشته باشد و برأثر دست یافتن بنعمتهای خداوند خوشگذرانی پیشه مکن ، ودر موقع سختی و گرفتاری سستی ازخود نشان مده .

المختار الرابع و الثلاثون

ومن کتاب له علیه السلام الی محمد بن أبی بکر لما بلغه توجده من عزله بالاشتر عن مصر ، ثم توفی الاشتر فی توجهه الی مصر قبل وصوله الیها

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ ٱلْأَشْتَرِ إِلَىٰ عَمَلِكَ ، وَ إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذٰلِكَ ٱسْتِبْطَاءً لَكَ فِي ٱلْجُهْدِ ، وَلَا ٱزْدِيَاداً فِي ٱلْجِدِّ ، وَ لَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً ، وَ أَعْجَبُ إِلَيْكَ وِلَايَةً .

إِنَّ الرَّجُلَ ٱلَّذِي كُنْتُ وَ لَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلاً لَنَا نَاصِحاً ، وَ عَلَىٰ عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً ، فَرَحِمَهُ اللهُ فَلَقَدِ ٱسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ ، وَ لَاقَىٰ حِمَامَهُ ، وَ نَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ ، أَوْلَاهُ ٱللهُ رِضْوَانَهُ ، وَ ضَاعَفَ ٱلثَّوَابَ لَهُ ، فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ ، وَ ٱمْضِ عَلَىٰ بَصِيرَتِكَ ، وَ شَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ

حارَبَكَ ، وَ ٱدْعُ إلىٰ سَبيلِ رَبِّكَ ، وَ أَكْثِرِ ٱلْإِسْتِعانَةَ بِاللهِ يَكْفِكَ مٰا أَهَمَّكَ ، وَ يُعِنْكَ عَلىٰ مٰا نَزَلَ بِكَ ، إِنْ شٰاءَ ٱللهُ .

اللغة

(الموجدة) : الغضب و الحزن ، وجدت على فلان موجدة ، (التّسريح) : الإرسال ، (الجُهد) : الطّاقة ، و من رواها الجهد بالفتح فهو من قولهم أجهد جهدك في كذا أى أبلغ الغاية ، (ناقماً) : من نقمت على فلان كذا إذا أنكرته عليه و كرهته منه ، (الحمام) : الموت ، (أصحر له) : أخرج له إلى الصّحراء و أبرز له من أصحر الأسد من خيسه إذا خرج إلى الصّحراء ، (شمّر) فلان للحرب : أخذ لها اهبتها .

الاعراب

من تسريح : للتّعليل ، استبطاء : مفعول له ، لنا : ظرف مستقر أى ثابتاً لنا و تعلّقه بقوله « ناصحاً » فيه غموض ، أولاه الله : جملة دعائيّة ، يكفك مجزوم في جواب الأمر .

المعنى

مصر بلدة عامرة ضمّت إلى حكومة عليّ عليه السلام بعد تصدّيه للحكومة ، وهى بلدة هامّة من أعظم ثغور الإسلام كما أشار إليه عليه السلام في مكتوب له إلى محمّد بن أبى بكر بعد ما ولاّه على مصر : « ثمّ اعلم يا محمّد إنّى وليّتك أعظم أجنادي أهل مصر و إذ وليّتك ما وليّتك من أمر النّاس فإنّك محقوق أن تخاف فيه على نفسك » .

و لمّا كان مصر مجاورة للشّام و يمدّ إليها الأعناق لكثرة خيراتها كانت أحد مراكز دعاة معاوية و جواسيسه و سكن فيه جمع من شيعة عثمان ، و لمّا ورد محمّد ابن أبى بكر فيها والياً تخلّفوا عنها ولا يقدر على إخضاعهم فاختار عليّ عليه السلام مالك الأشتر و عهد له على مصر لقوّته ومنعته ، و لمّا اطّلع محمّد بن أبي بكر على ذلك شقّ عليه تبديله بالأشتر لمكانته من أبي بكر وقريش ، و لكنّ الأشتر لم يصل

إلى مصر و اغتيل في الطريق فكتب عليه السلام هذا الكتاب إلى محمد بن أبي بكر كاعتذار ممّا بلغه و إعلام لوفاة الأشتر و تثبيت ولايته على مصر مشيراً إلى أنّ الولاية على مصر شاقٌّ ومعرض للخطر ، و مؤكّداً على التيقّظ و الاستعداد لمقابلة ما يجرى في مصر من المكائد .

قال الشّارح المعتزلي (ص١٤٢ ج ١٦ ط مصر) : اُمّ محمد رحمه الله أسماء بنت عميس الخثعميّة و هى اُختُ ميمونة زوج النّبي صلى الله عليه وآله و اُخت لبابة اُمّ الفضل و عبد الله زوج العبّاس بن عبد المطلب ، وكانت من المهاجرات إلى أرض الحبشة ، و هي إذ ذاك تحت جعفر بن أبيطالب عليه السلام ، فولد له هناك محمد بن جعفر و عبدالله و عوناً ، ثمّ هاجرت معه إلى المدينة ، فلمّا قتل جعفر يوم موتة تزوّجها أبوبكر فولدتْ له محمد بن أبى بكر هذا ، ثمّ مات عنها فتزوّجها عليٌّ عليه السلام ، و ولدتْ له يحيى بن علي ، لا خلاف في ذلك ـ إلى أن قال ـ : و قد روى أنّ أسماء كانت تحت حمزة بن عبد المطلب ، فولدت له بنتاً تسمّى أمة الله ـ و قيل أمامة ـ و محمد بن أبى بكر ممّن ولد في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله ـ إلى أن قال ـ : ثمّ كان في حجر علي عليه السلام و قتل بمصر ، وكان عليٌّ عليه السلام يثني عليه و يقرّظه و يفضّله ، و كان لمحمّد رحمه الله عبادة و اجتهاد ، و كان ممّن حضر عثمان و دخل عليه .

الترجمة

نامه ايكه بمحمّد بن أبي بكر نوشت ، چون بآنحضرت گزارش رسيد كه محمد از عزل خود بوسيله جاى گزينى مالك اشتر نا راحت وأندوهگين شده ، سپس أشتر پيش از رسيدن به مصر در راه مصر وفات كرد .

أمّا بعد بمن رسيده كه از گسيل داشتن اشتر بكار گزارى در جاى تو غمنده وناراحت شدى ، من اين كار را براى آن نكردم كه تودر كوشش وتلاش در كار خود كندى ومسامحه دارى ، ونه اينكه خواسته باشم تورا در كوشش بيشتر نسبت بكار گزاريت وادار كرده باشم ، واگر هم آن حكومت كه داشتى از دستت

میگرفتم تورا حکومتی میدادم که اداره آن آسان‌تر باشد ودر چشم تو خوش‌تر جلوه کند .

راستی آن مردی که من کار حکومت مصر را بدو واگزار کردم ، مردی بود که از ما بود ، خیر خواه بود و نسبت بدشمنان ما سخت گیر ودلیر بود ، وخرده گیر و بد خواه ، خدایش رحمت کند که روزگار عمرخودرا بسر آورد ودر گذشت ، ما ازاوخوشنودیم ، خداوندش مشمول رضایت خود سازد وثوابش‌را دو چندان کند .

بایدت از خانه بدرآئی ودر بیابانها بدشمن بتازی ، وبا بینائی دنبال وظیفه خود بروی ، و باهر که بجنگ توآید مردانه بجنگی ، وپر ازخدا یاری جوئی تا مهم تورا کفایت کند وتورا در گرفتاری یاری نماید ، والسّلام .

المختار الخامس والثلاثون

ومن كتاب له عليه السلام الى عبدالله بن العباس ، بعد مقتل محمد بن أبي بكر .

أَمّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ ٱفْتُتِحَتْ ، وَمُحَمَّدُ ٱبْنُ أَبِي بَكْرٍ « رَحِمَهُ اللهُ » قَدِ ٱسْتُشْهِدَ ، فَعِنْدَ ٱللهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً ، وَعَامِلاً كَادِحاً ، وَسَيْفاً قَاطِعاً ، وَرُكْناً دَافِعاً ، وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ لِحَاقِهِ ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ ٱلْوَقْعَةِ ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَجَهْراً ، وَعَوْداً وَبَدْءاً ، فَمِنْهُمُ ٱلْآتِي كَارِهاً ، وَمِنْهُمُ الْمُعْتَلُّ كَاذِباً ، وَمِنْهُمُ الْقَاعِدُ خَاذِلاً . أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلاً ، فَوَاللهِ لَوْلَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ ، وَتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ ، لَأَحْبَبْتُ

أَنْ لاَ أَبْقىٰ مَعَ هٰؤُلاَءِ يَوْماً وَاحِداً ، وَلاَ أَلْتَقِي بِهِمْ أَبَداً .

اللغة

(نحتسبه) : يقال : احتسب ولده إذا مات كبيراً ، وافترط ولده إذا مات صغيراً ، ويقال : احتسبت كذا عند الله أى طلبت به الحسبة بكسر الحاء وهي الأجر (الشهادة) : القتل في سبيل الله ، و استشهد كأنه استحضر إلى الله (كادحاً) : مجدّاً في الأمر ، (حششت) : أمرتهم أكيداً .

الاعراب

فعندالله : ظرف متعلّق بقوله « نحتسبه » ، ولداً : بدل من ضمير نحتسبه قال ابن ميثم : وولداً وعاملاً وسيفاً وركناً أحوال ، وفيه غموض والأظهر أنّ عاملاً ومابعده نعوت لقوله ولداً ، الوقعة : اللاّم فيه للعهد : أي وقعة قتل محمّد بن أبي بكر سر ا : بدل من المفعول المطلق وهودعاء وقد حذف .

المعنى

بعث عليه السلام بهذا المكتوب إلى عبدالله بن العبّاس وهو يومئذ عامله على البصرة وهي أيضاً ثغر من الثغور الهامة ومتاخم للشام من وجه يطمع معاوية في التسلّط عليها لكونها ثالث ثلاثة من المعسكرات الإسلاميّة العظمى ، وهى : مصر ، والكوفة ، و البصرة .

و يعلم معاوية أنّ في البصرة اُناس يكرهون علياً عليه السلام بعد وقعة الجمل لقتل كثير منهم في هذه الوقعة فلا يخلو صدورهم من حبّ الانتقام عن علىّ عليه السلام وقد ولى عليها ابن عبّاس لشرفه وعلمه واعتماده عليه وكان أحد أركان حكومته وينبغي إعلامه بما وقع في الحكومة من الأمور الهامّة وفتح مصر .

و قتل محمّد بن أبي بكر من أهمّ ما وقع في حكومته عليه السلام لأنّ مصر أحد الأركان الثلاثة في البلاد الإسلاميّة ، و محمّد بن أبي بكر من الرجال الأفذاذ وابن أوّل الخلفاء في الحكومة الإسلامية ، فكان قتله وهتك حرمته من أنكى الرّزايا

في المجتمع الإسلامي ، هذا .

مع الايماء إلى ابن عبّاس بشدّة صولة الأعداء و عدم رعايتهم أى حرمة وأىّ شخصيّة ليكون يقظاً في حوزة حكومته مدبّراً في ردّ كيد الأعداء ، فإنّ حوزة حكومته و هي البصرة مطمح نظر معاوية و أعوانه الطّغاة .

و يتلظّى لهبات قلبه الكئيب من خلال سطور هذا الكتاب ، فقد أصابه جراحات عميقة لا تندمل من موت الأشتر الّذى كان يمينه القاطعة في دفع أعدائه و لم يتسلّى عنه حتّى ورد عليه خبر فتح مصر و قتل محمّد بن أبى بكر الّذى يكون قرّة عينه في العالم الإسلامي و ناصره المخلص الوحيد من أبناء الخلفاء الماضين فكان إطاعته له عليه السلام حجّة قاطعة له تجاه مخالفيه و لعلّه وصفه في كلامه بالسّيف القاطع بهذا الاعتبار و من الوجهة السّياسيّة كتوصيفه بأنّه كان ركناً دافعاً .

و كان فوت الأشتر و محمّد بن أبي بكر نكاية من جهتين :

١- أنّ الأشتر اغتيل ومات بالسّمّ المدسوس من قبل جواسيس معاوية فعظُم فوته عليه حيث إنّه لو كان قتل فى الحرب كان مصيبته أخفّ .

٢- حيث إنّ محمّداً أُخذَ و قُتلَ صبراً و أُحرقَ جثمانه بأشدّ الإحراق و أفظعه و لو كان قتل في الحرب و الضّرب كان مصابه أخفّ .

و انضمّ إلى هذين المصيبتين الكبريين عصيان أصحابه ، فصار عليه السلام آيساً من الحكومة على المسلمين وكارهاً من الحياة حتّى يسأل الله الفرج والخلاص من هذا الأناس ، و هل أراد عليه السلام بالفرج العاجل إلاّ الموت ؟؟ فيا لله من مصيبة ما أعظمها و أفجعها .

الترجمة

نامه‌اى كه پس از كشته سدن محمّد بن أبي بكر به عبدالله بن عباس نگاشته :

أمّا بعد ، براستيكه مصر بدست دشمنان گشوده و تصرف شد و محمّد بن أبي بكر - كه خدايش رحمت كناد - بدرجهٔ شهادت رسيد ، من او را بحساب خدا مى گذارم بحساب فرزندى خيرخواه و كار گزارى كوشا ورنج كش ، و شمشيرى

برنده و گذرا و پشتیبانی دردفع أعداء ، من محقّقاً مردم را ترغیب و وادار نمودم که وی را دریابند و به آنها فرمان دادم تا حادثه واقع نشده بفریاد او برسند ، آشکارا و نهان واز آغاز تا انجام از آنها دعوت کردم .

یکدسته بنـاخواه حاضرشدند و یکدسته آنها عذر هـای دروغین آوردند و یکدسته‌شان تقاعد کردند وترك یاری نمودند .

من از خدا خواهانم که راه خلاص نزدیکی از دست این مردم برایم مقرّر سازد ، بخدا سوگند اگر این آرزو نبودم که در برخورد با دشمن سعادت شهادت یابم و عزم بر مرگ نداشتم دوست داشتم یك‌روز هم با این مردم بسر نبرم وهرگز با آنها روی در رو نشوم .

المختار السادس و الثلاثون

من کتاب له علیه‌السلام الی عقیل بن ابی طالب فی ذکر جیش أنفذه الی بعض الاعداء ، و هو جواب کتاب کتبه الیه

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذٰلِكَ شَمَّرَ هَارِباً ، وَ نَكَصَ نَادِماً ، فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَ قَدْ طَفَّلَتِ الشَّمْسُ لِلْإِيَابِ ، فَاقْتَتَلُوا شَيْئاً كَلاَ وَلاَ ، فَمَا كَانَ إِلاَّ كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّىٰ نَجَا جَرِيضاً بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ ، وَ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ ٱلرَّمَقِ فَلَأْياً بِلَأْيٍ مَا نَجَا فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وَ تَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلاَلِ وَ تَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ وَ جِمَاحَهُمْ فِي التِّيهِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ حَرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَىٰ حَرْبِ رَسُولِ ٱللهِ « صلی الله علیه و آله » قَبْلِي ، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي ٱلْجَوَازِي ،

فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَ سَلَبُونِي سُلْطَانَ ٱبْنِ أُمِّي .

وَ أَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي ٱلْقِتَالِ ، فَإِنَّ رَأْيِي قِتَالُ ٱلْمُحِلِّينَ حَتَّىٰ أَلْقَى اللهَ ، لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ ٱلنَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً ، وَ لَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً ، وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱبْنَ أَبِيكَ ـ وَ لَوْ أَسْلَمَهُ ٱلنَّاسُ ـ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً ، وَ لَا مُقِرًّا لِلضَّيْمِ وَاهِناً ، وَلَا سَلِسَ ٱلزِّمَامِ لِلْقَائِدِ ، وَلَا وَطِئَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ ٱلْمُقْتَعِدِ ، وَ لٰكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمٍ :

فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ ؟ فَإِنَّنِي صَبُورٌ عَلَىٰ رَيْبِ ٱلزَّمَانِ صَلِيبُ

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَىٰ بِي كَآبَةٌ فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

اللغة

(سرحت) : أرسلت ، (كثيفاً) : متراكماً كثيراً ، (شمّر) : هيّأ ، (نكص) : رجع إلى عقبه ، (طفّلت) الشمس بالتشديد : إذا مالت للمغيب ، (الجريض) : أى غصّ ريقه من شدّة الجهد و الكرب ، و حكى عن الاصمعي ، و يقال : هو يجرّض نفسه : أى يكاد يموت ، (المخنّق) بالتشديد : موضع الخنق في الحيوان من عنقه ، (الرّمق) : بقية النفس والرّوح ، (اللأى) : الشدّة و العسر وقيل : البطء ، (الاجماع) : تصميم العزم ، (الجوازى) : جمع جازية كالجوازى جمع جارية وهى أنواع العقاب للنفوس السيئة ، (المُحلّين) : الناقضين للبيعة يقال لمن نقض عهده وبيعته : مُحلٌّ و لمن حفظه : مُحرِم ، (الضيم) : الظلم (واهناً) : ضعيفاً ، (المقتعد) : الرّاكب على ظهر البعير .

الاعراب

هارباً : حال ، كلا ولا : ظرف مستقر في محلّ النصب لأنه صفة لقوله «شيئاً» و معناه قليلاً و قليلاً ، كموقف ساعةٍ : مستثنى مفرغ في محلّ الاسم لقوله (كان)

و هو فعل تامٌّ لا خبر له ، جريضاً : حال من فاعل نجا ، لأياً : مصدر منصوب قائم مقام الحال ، أى نجا مبطئاً و العامل في المصدر محذوف اى أبطأ إبطاءاً وما زائدة وبلأى : جار و مجرور متعلق بقوله لأياً أى لأياً مقروناً بلأى ، تركاضهم عطف على قريشاً و معناه شدّة العدو و كذا تجوالهم ،الجوازي : فاعل جزت .

قال الشارح المعتزلي في « ص١٥١ ج ١٦ ط مصر» : هذه كلمة تجرى مجرى المثل ، تقول لمن يسيء إليك و تدعو عليه : جزتك عنّى الجوازي ، أى أصابتك كلّ سوء و مجازاة تقدر لعملك .

المعنى

أشار السيد الرضى رحمه الله أنّ كتابه عليه السلام هذا جواب عن كتاب كتبه إليه عقيل ، والظاهر أنّه أخوه عقيل بن أبى طالب و لم يذكر الشرّاح أنّ عقيلا من أيّ بلد كتب إليه كتابه هذا ، و يشير جوابه عليه السلام إلى أنّ كتاب عقيل يتضمّن بيان أحد من الغارات الّتي وجّهها معاوية إلى أطراف حكومته في أيّام الهدنة السنوية المقرّرة بعد صلح صفّين، وأنّ عقيلاً تعرّض في كتابه لبيان اضطراب حكومته و إعراض عامّة قريش عنه عليه السلام ، فيريد استبطان رأيه في إدامة الحرب مع مخالفيه بعد قلّة أنصاره و اضطراب أطراف حكومته في أثر غارات معاوية و قتل كثير من شيعته ، و أجابه عليه السلام بتسريح الجيش في أثر المغير و الضّغط عليه إلى أن نجا برمقٍ من حياته .

فيحتمل أن يكون كلامه هذا ناظراً إلى إغارة بسر بن أرطاة على نواحى جزيرة العرب من الحجاز واليمن واليمامة فانّها أشدّ الغارات و أنكاها وأكثرها قتلاً لشيعة عليّ عليه السلام وأوقعها محلاً في قلوب أنصاره ، وقد أشار إلى ذلك الشارح المعتزلي « ص ١٤٨ ج ١٦ ط مصر » حيث يقول بعد ذكر المكتوب : قد تقدّم ذكر هذا الكتاب في اقتصاصنا ذكر حال بسر بن أرطاة و غارته على اليمن في أوّل الكتاب .

و لكن لم نعثر في التواريخ على محاصرة جيش عليّ عليه السلام بسراً على هذا

الوجه الّذي يشعر به هذاالكتاب ، بل ذكروا أنّه لمّا بلغ إليه عليه السلام إغارة بسر على المدينة و مكّة المكرّمة و قتله لشيعته و ذبحه لابنَي عُبيدالله بن عباس عامله على اليمن، خطب أهل الكوفة و أكثر من ذمّهم و تأبينهم ، فأجابه حارثة بن قدامة السعدي فرحّب عليه السلام به و سرّحه في ألفي رجل من الفرسان ، و لمّا سمع بسر في اليمن تسريح الجيش من الكوفة خاف و هرب إلى نجران و كان يستخير من جيش حارثة و يهرب من لقائهم هنا و هنا حتّى رجع إلى الشّام .

نعم حكى عن ابن أعثم الكوفي أنّه لمّا بلغ بسر إلى أرض اليمامة زحف في عقبه عبيد الله بن عباس في ألف فارس حتى لقيه و حارب معه و قتله .

و قد تعرّض عليه السلام في جواب كتاب عقيل لأمور :

١ـ إظهار البسالة من قبل المسلمين في تعقيب المعتدي و ضعفه قبال جيش المسلمين بحيث صار مورداً للحملة عند التلاقي مع القرب من غروب الشمس فلم يقدر على المقاومة ليلة واحدة ، قال الشارح المعتزلي « ص ١٤٩ ج ١٦ طبع مصر » : و الطفل بالتحريك بعد العصر حين تطفل الشمس للغروب ـ إلى أن قال ـ: و قال الراوندي « عند الاياب » عند الزوال و هذا غير صحيح لأنّ هذا الوقت لا يسمّى طَفَلا ، ليقال إنّ الشمس قد طفلت فيه .

٢ـ أنه لايتوجّه إلى نصرة قريش له ولايعبأ بمخالفتهم وأنهم كلاًّ يركضون في الضّلال و يجولون في الشقاق معه في تيهٍ من الطريق و أنّهم أجمعوا على حربه كإجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله و دعا عليهم بقوله : « جزت قريشاً عنّي الجوازي » و شكى منهم أنهم قطعوا رحمه و سلبوه سلطان ابن أمّه ، قال الشارح المعتزلي « ص ١٥١ ج ١٦ ط مصر » : و سلطان ابن أمّي يعني به الخلافة ، وابن أمّه هو رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنّهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عائذ بن مخزوم أمّ عبد الله و أبي طالب ، و لم يقل سلطان ابن أبي ، لأنّ غير أبيطالب من الأعمام يشتركه في النسب إلى عبدالمطلب .

٣ـ أبدى رأيه صريحاً في القتال مع المُحلّين و هم الخارجون من الميثاق

و البيعة يعني البغاة و المخالفين مع الإمام المفترض الطاعة ، و يقال لكلّ من خرج عن الإسلام أوحارب في الحَرَم أو في الأشهر الحُرُم : مُحلّ ، و بيّن أنّه لا ينقاد للعُتاة و لا يقرّ بالضّيم و لا يعرضه وهنٌ و فتورٌ مهما قلّ ناصره و كثُر أعداؤه .

الترجمة

ترجمه از نامه ای که بعقیل دربارهٔ اعزام قشون به برخی دشمنان نوشته در پاسخ نامهٔ وی :

من قشونی انبوه از مسلمانان را بسوی او گسیل داشتم ، و چون این قشون به وی رسید برای گریختن کمر را تنگ بربست و با پشیمانی فراوان بدنبال برگشت ، قشون به تعقیب او پرداخت و در نیمه راهش دریافت و خورشید بدامن مغرب سرازیر شده بود جنگی ناچیز در میانه درگرفت و با نبردی اندك که باندازهٔ ایست ساعتی بود شکست خورده ، نیمه جانی با رنج فراوان ازمعر که بدر برد، چون گلو گیرشده بود وجزرمقی برتن نداشت وبکندی وسختی خودرا نجات داد.

یاد قریش را ازنهاد بدر کن که دوسپه بوادی گمراهی می‌تازند و در میدان تفرقه اندازی جولان می زنند و خود را به گمگاه شقاوت پرتاب می نمایند ، راستیکه همگی تصمیم دارند با من پیکار کنند چنانچه همه تصمیم داشتند تا با رسولخدا ﷺ پیش از من پیکار کردند ، هر گونه کیفر و سزا بر قریش باد که براستی با من قطع رحم کردند و از من بریدند و خلافت همزاد و پسر مادرم را از من باز گرفتند .

أمّا اینکه از نظر من دربارهٔ جنگ پرسیدی ، راستی که رأی من بر آنست که با شکننده های عهد و میثاق دیانت بجنگم تا بخدا برسم ، فزونی مردم در دنبال من برای من عزتی نیفزاید ، وجدا شدن آنها ازمن مایهٔ هراس من نگردد گمان مبر پسر پدرت - و گرچه همه مردمش از دست بدهند واورا تنها بگذارند - زاري و زبوني پيشه سازد و بستم ستمکاران تن در دهد و سست گردد و مهارش را

آرام بدست پیشوائی سپارد و پشت خود را برای راکبی هموار گیرد و خم کند ، ولی او چنانست که شاعر بنی سلیم سروده :

اگر پرسی که چونی راست گویم که در ریب زمان سخت و شکیبا
نخواهم در رخ من غم ببینی که دشمن شاد گردد ، دوست رسوا

المختار السابع و الثلاثون

و من كتاب له عليه السلام الى معاوية

فَسُبْحَانَ ٱللهِ !! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْواءِ الْمُبْتَدَعَةِ ، وَٱلْحَيْرَةِ الْمُتَّبِعَةِ، مَعَ تَضْيِيقِ [تَضْيِيعِ] الْحَقَائِقِ، وَ أَطْرَاحِ ٱلْوَثَائِقِ، ٱلَّتِي هِيَ لِلهِ طَلِبَةٌ ، وَ عَلَىٰ عِبَادِهِ حُجَّةٌ ، فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ فِي عُثْمَانَ وَ قَتَلَتِهِ فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ ٱلنَّصْرُ لَهُ ، وَ السَّلَامُ .

و لهذا الكتاب صدر ذكره الشراح هكذا :

أمّا بعد ، فانّ الدّنيا حلوة خضرة ، ذات زينة و بهجة ، لم يصبْ إليها أحد إلاّ و شغلته بزينتها عمّا هو أنفع له منها ، و بالاٰخرة اُمرنا و عليها حثثنا ، فدعْ يا معاوية ما يفنى ، واعمل لما يبقى ، و احذر الموت الّذي إليه مصيرك ، و الحساب الّذى إليه عاقبتك .

و اعلم أنّ الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً حال بينه و بين ما يكره ، و وفّقه لطاعته ، و إذا أراد بعبد شرّاً أغراه بالدّنيا و أنساه الاٰخرة ، و بسط له أمله ، و عاقّه عمّا فيه صلاحه ، وقد وصلني كتابك فوجدتك ترمي غير غرضك ، و تنشد غير ضالّتك ، و تخبط في عمايةٍ ، و تتيه في ضلالةٍ ، و تعتصم بغير حجّةٍ ، و تلوذ

بأضعف شبهة .

فأمّا سؤالك إليّ المشاركة و الإقرار لك على الشام ، فلو كنت فاعلاً لذلك اليوم لفعلته أمس . و أمّا قولك : إنّ عمر ولاّكها فقد عزل عمر من كان ولّى صاحبه ، و عزل عثمان من كان عمر ولاّه ، و لم ينصب للنّاس إمام إلاّ ليرى من صلاح الأمّة ما قد كان ظهر لمن كان قبله ، أو خفى عنهم عيبه ، و الأمر يحدث بعده الأمر ، و لكلّ والٍ رأيٌ و اجتهادٌ ، فسبحان الله ما أشدّ لزومك - إلى آخر الكتاب .

أقول: و قد اختلف متن المحذوف من كتابه عليه السلام في نسخة شرح ابن ميثم و ابن أبي الحديد في موارد أهمّها في قوله : « و أمّا سؤالك إليّ المشاركة » ففي نسخة ابن أبي الحديد « و أمّا سؤالك المتاركة » فالمقصود من المشاركة أن يكون شريكاً في أمر الخلافة ، و الغرض منه تجزية الحكومة الاسلامية و إفراز الشام منها لمعاوية ، و المقصود من المتاركة ترك الحرب و إقرار معاوية عاملاً على الشام ، فالظاهر منه أنّ هذا الكتاب من الكتب الّتي تراددّت بين عليّ عليه السلام و بينه أيّام حرب صفّين و تضييق الأمر على معاوية كما يشير إليه قوله عليه السلام : (مع تضييق الحقائق ، و اطّراح الوثائق) و قد اقترح معاوية في كتابه اقتراحاً يشمل أمرين :

متاركة الحرب أو المشاركة في أمر الخلافة و إقراره على الشام ، مستدلاً بأنّ عمر ولاّه على الشام ، و ردّ عليه السلام اقتراحه بتصميمه على عزله من قبل لفقد صلاحيّته في نظره للولاية على المسلمين ، و ردّ استدلاله بأنّ من شأن الإمام الاستقلال في عزل العُمّال و الحُكّام و جرت عليه سيرة السلف ، فعمر عزل من ولاّه أبوبكر ، و عثمان عزل من ولاّه عمر ، فلا وجه لهذا التشبّث ، و ذكر أنه يلازم الأهواء المبتدعة بتقلّب الأحوال و يتّبع الحيرة و الضلال في أشدّ الأحوال مع ظهور الحجّة و الوثائق لديه على بطلان دعواه .

ثمّ بيّن أنّه هو الّذي خذل عثمان حتى قتل و إنما يُظهر الانتصار له و الانتقام لدمه بحساب نفسه و لانتصار مقاصده كما روي عن البلاذري أنّه قال :

لمّا أرسل عثمان إلى معاوية يستمدّه ، بعث يزيد بن أسد القسري ، جدّ خالد ابن عبد الله القسري أمير العراق ، و قال له : إذا أتيتَ ذا خشب فأقمْ بها ، و لا تتجاوزْها ، و لا تقلْ : الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، فانّني أنا الشاهد و أنت الغائب .

قال : فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان ، فاستقدمه حينئذٍ معاوية ، فعاد إلى الشام بالجيش الّذي كان أرسل معه ، و إنّما صنع معاوية ذلك ليقتل عثمان فيدعوَ إلى نفسه .

و نقل عن مكتوب لابن عباس في جواب معاوية أنه قال : و أمّا قولك : إنى من الساعين على عثمان ، و الخاذلين له ، والسافكين دمه ، و ما جرى بيني و بينك صلح فيمنعك منّي ، فأُقسم بالله لأنت المتربّص بقتله ، و المحبّ لهلاكه ، و الحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من أمره - إلى أن قال - أنت تعلم أنّهم لن يتركوه حتى يقتل ، فقتل كما كنتَ أردتَ .

الترجمة

از نامه ای که آنحضرت بمعاویه نوشت :

أمّا بعد ، براستی دنیا شیرین وخوش نما است ، زیور دار وبهجت افزا است هیچکس بدان دل نبازد جز آنکه بزیورش او را سر گرم سازد تا از آنچه وی را سودمند تر است وا اندازد ، ما فرمان داریم بکار آخرت بپردازیم و به آن است که ترغیب شده ایم .

ای معاویه ، آنچه را نیست میشود از دست بگذار و برای آنچه بجا میماند کار کن ، بترس از مرگی که بسوی آن میروی و از حساب خداوند که سرانجام تو است ، و بدانکه راستی چون خداوند برای بنده‌ای خیر ونیکوئی خواهد میان او و هر آنچه بد دارد حایل گردد و او را برای طاعت خود موفق دارد ، وهر گاه برای بنده‌ای بدی خواهد اورا بدنیا وادار کند و آخرت را از یادش ببرد وپهنای آرزو را دربرابرش بگشاید و او را از آنچه صلاح او است دور کند .

نامهٔ تو بمن رسید ودریافتم که بهدف خود تیر نیندازی وجز گمشدهٔ خودرا میجوئی ، در تاریکی میپوئی ، ودر گمگاه میدوی ، بچیزی که حجت نتواند بود پناه میبری ، وبسست‌ترین شبهه‌ای دست میاندازی .

أمّا اینکه از من در خواست داری شریك کار خلافت باشی وجنگ متارکه گردد وبرحکومت شام بمانی پاسخش اینست که :

اگر من امروز چنین کاری میکردم همان دیروز کرده بودم ، و أمّا اینکه میگوئی عمرت فرمان ولایت وحکومت برشام صادر کرده است محقق است که عمر خودش والیان صاحب خود أبی‌بکر را از کار بر کنار کرد وعثمان هم که برسر کار آمد هر که را عمر والی کرده بود ازکار بر کنار کرد وعزل نمود ، برای مردم امام ورهبری منصوب نگردد جز برای اینکه صلاح امّت را بنظرخود بسنجد وآنچه از پیش برطبق آن بوده بکار بندد ، وآن عیبی که نهفته بوده منظور دارد وبرطرف سازد، بدنبال هر کاری کارتازه‌ای میآید وباید تجدید نظرشود، هرپیشوائی رأی واجتهادی دارد .

سبحان الله تا چند بدنبال هوسهای نو ظهور چسبیده ای و از سر گردانی پیروی میکنی بااینکه حقیقت محدود است ، ودلائلی که مسئولیت إلهی بارمیآورند وبر بندگان خدا حجّت تمام میکنند دردست هستند ومشهود .

أمّا اینکه در بارهٔ عثمان وکشندگانش پرمیگوئی و راه احتجاج میپوئی راستی که تو آنجا که یاری عثمان یاری خودت باشد بانصرت اوهمداستانی، وآنجا که یاری تو پیروزی اواست اورا ترك میگوئی ووامیگذاری .

المختار الثامن و الثلاثون

ومن كتاب له عليه‌السلام الى أهل مصر، لما ولى عليهم الاشتر رحمه‌الله

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلهِ حِينَ

عُصِيَ فِي أَرْضِهِ ، وَ ذُهِبَ بِحَقِّهِ ، فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ ، عَلَى الْبَرِّ وَ الْفَاجِرِ ، وَ الْمُقِيمِ وَ الظَّاعِنِ ، فَلاَ مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ ، وَلاَ مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللهِ ، لاَ يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ ، وَلاَ يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ ، وَ هُوَ مَالِكُ ابْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ ، فَاسْمَعُوا لَهُ ، وَ أَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ ، لاَ كَلِيلُ الظُّبَةِ ، وَلاَ نَابِي الضَّرِيبَةِ ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا ، وَ إِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا ، فَإِنَّهُ لاَ يُقْدِمُ وَلاَ يُحْجِمُ ، وَلاَ يُؤَخِّرُ وَلاَ يُقَدِّمُ ، إِلاَّ عَنْ أَمْرِي ، وَ قَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ ، وَ شِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ .

اللغة

(السرادق) جمع سرادقات : الفسطاط الذي يعد فوق صحن البيت ، (الظاعن) : الراحل ، (النكول) : الرجوع ، (الظبة) بالتخفيف : حد السيف ، و (النابى) من السيوف : الذي لا يقطع ، (الاحجام) : ضد الاقدام ، (شديد الشكيمة) : القوى الأبى ، وأصل الشكيمة : الحديدة المعترضة في فم الفرس .

الاعراب

يستراح إليه : جملة فعلية خبر للاء المشبهة بليس والمقصود الاخبار عن سلب

اطمينان النّاس على ما يتظاهر به عمّال عثمان من إقامة الصّلاة ونحوها ، وكذا قوله : يتناهى عنه ، خبر والمقصود عدم النهى عن المنكر ، لا ينام : فعلية وصفة لقوله : « عبداً » .

المعنى

وجّه عليه السلام كتابه هذا إلى الأخيار الوجهاء من أهل مصر الّذين نقموا على المظالم الواقعة بيد عمّال عثمان في مصر وقاموا للنهى عنها وبعثوا وفداً إلى عثمان يطلبون عزل عاملهم واستبداله برجل صالح ، وقد استظهر الشارح المعتزلي من هذا العنوان الوصفي رضاء عليّ عليه السلام بقتل عثمان و قال في «ص ١٥٨ ج ١٦ ط مصر» : هذا الفصل يشكل علىّ تأويله ، لأنّ أهل مصرهم الّذين قتلوا عثمان و إذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام أنّهم غضبوا لله حين عصي في الأرض ، فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان .

ثمّ تعسّف باعترافه في الجواب عنه في كلام طويل .

أقول : لا وجه لهذا الاستظهار فإنّ المخاطب بهذا الكلام من أهل مصر هم الموصوفون بما ذكره عليه السلام منهم ، ولا يلزم أن يكون قتلة عثمان داخلاً فيهم .

و العجب من ابن ميثم حيث يقول « ص ٨٣ ج ٥ » ، فإن قلت : فيلزم أن يكون عليه السلام راضياً بقتل عثمان ، إذ مدح قاتله على المسير بقتله .

أقول : قد عرفت أنّ الخطاب في الكتاب لم يوجّه إلى عامّة أهل مصر ولا إلى قتلة عثمان ولا وجه لهذا الاستنكار والتعرّض للجواب من ابن ميثم .

وقد بالغ عليه السلام في كتابه هذا في مدح الأشتر وتعريفه ، وذلك لتقريبه إلى أفكار أهل مصر ، فإنّهم ينظرون إلى كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في أمر الحكومة والولاية عليهم ويخضعون للصّحابي والأشتر من التابعين فيثقل عليهم الانقياد إلى طاعته و الخضوع لحكومته خصوصاً بعد حكومة محمّد بن أبي بكر المعظم عند أهل مصر بأبيه ونسبه القرشيّ ، ولهذا وصف الأشتر في خاتمة كتابه هذا بقوله : (فإنّه لا يقدم ولا يحجم ، ولا يؤخّر ولا يقدّم إلاّ عن أمري) ليقنع أهل مصر بأنّ الأمر لهم

والحاكم عليهم هو نفسه وأنّ الأشتر آلة و واسطة لا يصال أوامره إليهم ، فهو نفسه وال عليهم و حاكم بينهم .

قال الشارح المعتزلي « ص ١٥٩ ج ١٦ ط مصر » : و هذا إن كان قاله مع أنه قد سنح له أن يعمل برأيه في اُمور الحرب من غير مراجعته فهو عظيم جدًّا لأنّه يكون قد أقامه مقام نفسه ، وجاز أن يقول : إنّه لا يفعل شيئاً إلاّ عن أمري و إن كان لا يراجعه في الجزئيات على عادة العرب في مثل ذلك ، لأنّهم يقولون فيمن يثقون به نحو ذلك .

أقول : كان الأشتر رحمه الله بطيب طينته و حسن استعداده و كمال خلوصه له عليه السلام تأدّب بآدابه و لمس بقلبه الطّاهر روحيّته الشريفة فينعكس في نفسه إرادته ومشيته عليه السلام فكأنه كانت مرآة مجلوّة محاذية لنفس عليّ عليه السلام أينما كان ، فما أراد إلاّ ما أراده ، وماشاء إلاّ ما شاء كما أنّ نفس النبيّ صلى الله عليه وآله كانت مرآة مجلوّة تجاه مشيّة الله تعالى فيطبع فيها مايشاءالله ، فكان صلى الله عليه وآله « ماينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى » فأنزل الله تعالى في حقّه « و ما آتيكم الرّسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا ٧ ـ الحشر » .

ثمّ نبّه على علوّ مقام الأشتر رأياً و إقداماً بقوله : (و قد آثرتكم به على نفسي) .

الترجمة

از نامه ايكه در بارهٔ حكومت مالك اشتر برمصر به أهل مصر نوشت :

ازطرف بندهٔ خدا علي أميرمؤمنان بسوى مردمى كه براى خداوند بخشم آمدند چون در سرزمين آنان نافرمانى حضرت او شد وحق اطاعت اورا از ميان بردند وستمكارى ونا روا خيمهٔ سياه خودرا برفراز سر نيكوان وبدكاران ومقيمان وكوچ كنان آن شهرستان برافراشت وهمه را فروگرفت ، وكار خيرى نماند كه وسيله آسايش باشد وكار زشتى نماند كه ازآن جلوگيرى شود .

أمّا بعد ، محققاً من يكى از بندگان خدا را بسوى شما گسيل داشتم كه در

روزگار نا أمن خواب ندارد ، ودر هنگام هراس ازتعقیب دشمنان سر باز نمیزند ، برجان نابکاران از زبانه آتش سخت‌تر در گیرد .

اومالك بن‌حارث ازتیرهٔ مذحج است نسبت بأوشنوا باشید ، ودر آنچه مطابق حق است از او فرمان برید ، زیرا که او شمشیریست از شمشیرهای خدا برجان دشمنان دین‌نه دمش کند است ونه ضربتش بی‌أثر ، اگر بشما فرماید: بسیج شوید ، بسیج شوید ، واگر فرماید: درجای خود بمانید ، بمانید ، زیرا که اوپیش نرود وعنان درنکشد وعقب ننشیند ، وپیش نتازد مگر بفرمان خود من ، من اورا ازخود باز گرفتم وبشما دادم ، چون خیراندیش شما وسخت گیروشکنندهٔ دشمن شما است .

المختار التاسع و الثلاثون

ومن كتاب له عليه‌السلام الى عمرو بن العاص

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا أَمْرِئٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ ، يَشِينُ ٱلْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ ، وَ يُسَفِّهُ ٱلْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ ، فَٱتَّبَعْتَ أَثَرَهُ ، وَ طَلَبْتَ فَضْلَهُ ٱتِّبَاعَ ٱلْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ : يَلُوذُ إِلَىٰ مَخَالِبِهِ ، وَ يَنْتَظِرُ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَ آخِرَتَكَ ! وَ لَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ ، فَإِنْ يُمَكِّنِّي ٱللهُ مِنْكَ وَ مِنِ ٱبْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا ، وَ إِنْ تُعْجِزَانِي وَ تَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا ، وَ ٱلسَّلَامُ .

قال الشارح المعتزلي « ص ١٦٣ ج ١٦ ط مصر » : وذكر نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » هذا الكتاب بزيادة لم يذكرها الرضي ، قال : نصر ، وكتب

علي عليه السلام إلى عمرو بن العاص :

من عبدالله أمير المؤمنين إلى الأبتر بن الأبتر عمرو بن العاص بن وائل ، شانىء محمد وآل محمد في الجاهلية والإسلام ، سلام على من اتبع الهدى ، أمّا بعد، فانك تركتك مروءتك لامرء فاسق مهتوك ستره ، يشين الكريم بمجلسه ، ويسفه الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعاً ، كما قيل : « وافق شن طبقة » فسلبك دينك وأمانتك ودنياك وآخرتك ، وكان علم الله بالغاً فيك ، فصرت كالذئب يتبع الضرغام إذاما الليل دجى ، أو أتى الصبح يلتمس فاضل سؤره ، وحوايا فريسته ، ولكن لا نجاة من القدر ، ولو بالحق أخذت لأدركت ما رجوت ، وقد رشد من كان الحق قائده ، وإن يمكّن الله منك ومن ابن آكلة الأكباد ألحقتكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإن تعجزا وتبقيا بعد فالله حسبكما ، وكفى بانتقامه انتقاماً ، وبعقابه عقاباً ، والسلام .

اللغة

(الغي) : الضلالة ، (يشين) : يصير قبيح الوجه مذموماً ، (الضرغام) : الأسد (المخالب) : أظفار السبع من الحيوان ، (الفريسة) : ما يصيده السبع ويقتله (أجزكما) : أعاقبكما ، (وافق شن طبقه) أو طبقة : مثل سائر قال في فرائد الأدب : يضرب مثلا للشيئين يتفقان ، قال الأسمعي: الشن وعاء من أدم كان قد تشن أى تقبض فجعل له طبقاً أى غطاء فوافقه ، وقيل أيضاً : شن رجل من دهاة العرب وكان ألزم نفسه أن لا يتزوج إلا بامرأة تلائمه ، فكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته ، فوافق في بعض أسفاره رجلاً إلى بلاد ذلك الرجل وهما راكبان فقال له شن : أتحملني أو أحملك ؟ فاستجهله الرجل ، وإنما أراد أتحدثني أو أحدثك لنميط عنا كلال السفر ، وقال له وقد رأى زرعا مستحصداً : أكل هذا الزرع أم لا ؟ وإنما أراد هل بيع وأكل ثمنه ، ثم استقبلتهما جنازة فقال له شن: أحي من على هذا النعش أم ميت ؟ وإنما أراد هل له عقب يحيا به ذكره ؟ فلما بلغ الرجل وطنه وعدل بشن إليه ، سألته بنت له اسمهما طبقة عنه ، فعرفها قصته

وجهله عندها ، فقالت : يا أبت ما هذا إلاّ فطن داه ، وفسّرت له أغراض كلماته فخرج إلى شن وحكى له قولها ، فخطبها فزوّجاها إيّاه ، وحملها إلى أهله، فلمّا رأوها وعرفوا ما حوته من الدهاء والفطنة قالوا : وافق شنّ طبقة .

المعنى

بيّن عليه السلام حال عمرو بن العاص ومعاوية بأبلغ بيان ، ويشعر كلامه إلى أنّ معاوية لا دين له أصلاً ، وأنّ عمراً جعل دينه تبعاً لدنيا معاوية .

قال الشارح المعتزلي « ص ١٦٠ ج ١٦ ط مصر » : كلّ ما قاله فيهما هو الحقّ الصّريح بعينه ، لم يحمله بغضه لهما ، وغيظه منهما إلى أن بالغ في ذمّهما به ، كما يبالغ الفصحاء عند سورة الغضب ، و تدفّق الألفاظ على الألسنة ، و لا ريب عند أحد من العقلاء ذوي الانصاف أنّ عمراً جعل دينه تبعاً لدنيا معاوية ، و أنه ما بايعه و تابعه إلاّ على جعالة له ، و ضمان تكفّل له بايصاله ، وهي ولاية مصر مؤجّلة وقطعة وافرة من المال معجّلة ، ولولديه وغلمانه مائلاً أعينهم .

الترجمة

از نامه ايكه بعمرو بن عاص نوشت :

بر استيكه تو دين خودرا دنباله وپيرو دنياى معاويه ساختى آن مردى كه گمراهى وضلالتش آشكار وبى‌پرده است ، آبرويش برباد رفته وپرده‌اش دريده مرد راد وارجمند ازهمنشينى با اولكه دار وآلوده وزشت ميشود ، وبردبار وباوقار ازآميزش با او بنابخردى وسفاهت كشيده ميشود .

تو دنبال او رفتى و فضله اورا خواستى چونانكه سگى بدنبال شيرى رود و بنيروى چنگال او پناهنده گردد ، و در انتظار ته مانده شكار او باشد كه پيش او اندازند .

تو دنيا وآخرت خودرا ازميان بردى ، واگرحق وراستى را پيشه ميساختى آنچه را خواستار بودى بدست ميآوردى ، اگرخدا مرا برتو وبر زادهٔ أبوسفيان قدرت عنايت كرد بسزاى كردار گذشته تان ميرسانم ، واگر مرا درمانده كرديد

و زنده ماندید آنچه در برابر شما است برای شما بدتر از سزائیست که من بدهم ، والسّلام .

ترجمهٔ نامه بروایت نصر بن مزاحم طبق نقل ابن أبی الحدید

از طرف بندهٔ خدا علي أميرمؤمنان بسوی ابتر بن ابتر عمرو بن عاص بن وائل ، دشمن محمد وخاندان محمد درجاهلیت واسلام ، درود بر آنکه پیرو حق است .

أمّا بعد براستی تومردانگی خودرا زیر پا کردی برای مردی فاسق وبی آبرو که راد مرد ازنشستن با اولکه دار میشود ، ومرد بردبار از آمیزش با او بی خرد وناهنجار میگردد ، دلت پیرو دل اوشد چنانکه گفته‌اند (شن وطبقه باهم دمساز شدند) دین و أمانت را از تو ربود ودنیا وآخرتت را برباد داد ، وآنچه خدا میدانست در بارهٔ تو أنجام گردید .

چون گرگی شدی که دنبال شیری باشد ، درتاریکی شب ، یا بامدادان آید درخواست ته ماندهٔ اورا کند ودرونیهای شکار اورا که دور ریخته بخواهد ، آری ازقدر نجاتی نیست ، اگرحق وراستی را پیشه کرده بودی آنچه را امید داشتي بدان میرسیدی، محققاً براه راست رفته کسیکه حق پیشوای او باشد ، اگرخداوند مرا برتو وزادهٔ هند جگر خوار فرمانگزار ساخت ، شما هردورا بستمکاران قریش عهد رسول خدا صلی الله علیه و آله که خداوندشان کشت ملحق کنم ، واگرازدست من گریختید وزنده ماندید ، خداوند شما را بس است ، وکافي است انتقام او وشکنجه وعذاب او در برابر هرانتقام وهرشکنجه وعذابی ، والسّلام .

المختار الاربعون

و من كتاب له عليه السلام الى بعض عماله

أَمّا بَعْدُ ، فَإِنّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ في أَمانَتي ، وَجَعَلْتُكَ شِعاري

وَ بِطَانَتِي ، وَ لَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِي رَجُلٌ أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي وَ مُوَازَرَتِي وَ أَدَاءِ ٱلْأَمَانَةِ إِلَيَّ ، فَلَمَّا رَأَيْتَ ٱلزَّمَانَ عَلَى ٱبْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ ، وَ ٱلْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ ، وَ أَمَانَةَ ٱلنَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ ، وَ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةَ قَدْ فَنَكَتْ وَ شَغَرَتْ ، قَلَبْتَ لِٱبْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ ٱلْمِجَنِّ ، فَفَارَقْتَهُ مَعَ ٱلْمُفَارِقِينَ ، وَ خَذَلْتَهُ مَعَ ٱلْخَاذِلِينَ ، وَ خُنْتَهُ مَعَ ٱلْخَائِنِينَ فَلَا ٱبْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ ، وَ لَا ٱلْأَمَانَةَ أَدَّيْتَ ، وَ كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ ٱللهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ ، وَ كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ ، وَ كَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ ، وَ تَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ ، فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ ٱلشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ ٱلْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ ٱلْكَرَّةَ ، وَ عَاجَلْتَ ٱلْوَثْبَةَ ، وَ ٱخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ ٱلْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَ أَيْتَامِهِمْ ٱخْتِطَافَ ٱلذِّئْبِ ٱلْأَزَلِّ دَامِيَةَ ٱلْمِعْزَى ٱلْكَسِيرَةَ ، فَحَمَلْتَهُ إِلَى ٱلْحِجَازِ رَحِيبَ ٱلصَّدْرِ بِحَمْلِهِ ، غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ ، كَأَنَّكَ ـ لَا أَبَا لِغَيْرِكَ ـ حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَ أُمِّكَ ، فَسُبْحَانَ ٱللهِ ! أَمَا تُؤْمِنُ بِٱلْمَعَادِ ؟ أَوَ مَا تَخَافُ نِقَاشَ ٱلْحِسَابِ ؟ أَيُّهَا ٱلْمَعْدُودُ ـ كَانَ ـ عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي ٱلْأَلْبَابِ ، كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَ طَعَاماً وَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً وَ تَشْرَبُ حَرَاماً ؟ وَ تَبْتَاعُ ٱلْإِمَاءَ وَ تَنْكِحُ ٱلنِّسَاءَ مِنْ مَالِ

الْيَتَامىٰ وَ الْمَسَاكِينَ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ الَّذِينَ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِمْ هٰذِهِ الْأَمْوَالَ ، وَ أَحْرَزَ بِهِمْ هٰذِهِ الْبِلَادَ ! فَاتَّقِ اللهَ وَارْدُدْ إِلَىٰ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي اللهُ لَأَعْذِرَنَّ إِلَى اللهِ فِيكَ ، وَ لَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلَّا دَخَلَ النَّارَ ! وَ اللهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ ، وَ لَا ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ ، حَتَّىٰ آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا ، وَ أُزِيلَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتِهِمَا ، وَ أُقْسِمُ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ : مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي ، فَضَحَّ رُوَيْداً فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَىٰ ، وَ دُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَىٰ ، وَ عُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ ، وَ يَتَمَنَّى الْمُضَيِّعُ فِيهِ الرَّجْعَةَ ، وَ لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ .

اللغة

(الأمانة) : الوديعة ، قال الشارح المعتزلي « ص ١٦٨ ج ١٦ » : جعلتك شريكاً فيما قمت فيه من الأمر ، وائتمنني الله عليه من سياسة الأمّة ، وسمّى الخلافة أمانة ، (الشعار) : ما يلي الجسد من الثياب ، (و بطانة الرجل) : خاصّته ، (كلب الزمان) اشتدّ ، (حرب العدوّ) : استأسد واشتدّ غضبه ، (والفتك) : التعدّي والغلبة . (شغرت) الأمّة : خلت من الخير ، وشغر البلد خلا من الناس وقيل معناه : تفرّقت .

(وقلبت له ظهر المجنّ) : إذا كنت معه فصرت عليه ، وأصل ذلك أنّ الجيش إذا لقوا العدوّ كانت ظهور مجانّهم إلى وجه العدوّ ، وإذا صاروا مع العدوّ قلبوها إلى رئيسهم الّذي فارقوه .

(أسرعت الكرّة) أي حملت على جمع الأموال (الذّئب الأزلّ) : خفيف الوركين وذلك أشدّ على عدوه ، (نقاش الحساب) : مناقشته ، (والهوادة) : المصالحة والمصانعة (فضحّ رويداً) أمر بالأناة والسكون ، وأصلها الرّجل يطعم إبله ضحى ويسيّرها مسرعاً ليسير فلا يشبعها : فيقال له : ضحّ رويداً ، (المناص) : المهرب والمخلص و (النّوص) : الهرب والتخلّص .

الاعراب

ابن عمّك : مفعول مقدّم لقوله : « آسيت » ، الله : مفعول تريد قُدّم عليه و جملة تريد بجهادك خبر لم تكن ، اختطاف الذّئب مفعول مطلق نوعى لقوله : « اختطفت » ،كان: كأنه زائدة أن ما أخذت: مؤوّل بالمصدر أى المأخوذ من أموالهم و فاعل لقوله « يسرّني » و حلال بدل منه ، رويدا نائب للمفعول المطلق وصفة لمحذوف أى ضحى رويدا ، حين مناص اسم لا وخبرها محذوف .

المعنى

و ممّا يوجب الأسف المحرّق هذا الكتاب المخاطب به أحد خواصّه من بني عشيرته و الأكثر على أنه عبدالله بن عبّاس ، فالظاهر أنه لما كتب عليه السلام إليه كتابه بعد مقتل محمّد بن أبي بكر ، و قد مرّ آنفاً أيس ابن عبّاس من إدامة حكومته العادلة وعلم أنّ الحكومة تقع في يد أعدائه وأعداء بني هاشم وأقلّ ما ينتقمون منهم منعهم عن حقوقهم وايقاعهم في ضيق المعاش وضنك العيش فادّخر من بيت مال البصرة مقادير يظهر من كتابه عليه السلام أنها كثيرة تسع لابتياع العقار في مكّة والمدينة والطائف وابتياع العبيد ونكاح الأزواج .

و قد أثر عمله هذا في قلبه الشريف حيث يتوجّه إلى تأمين معاش عشرات الألوف من الأرامل و الأيتام اللاّتي قتل أزواجهنّ وآباؤهم في معارك جمل

وصفّين ولا كفيل لهنّ في معاشهنّ ، وكان مايجمع في بيت مال البصرة مبلغاً كثيراً يسدّ كثيراً من حاجته في هذه الأرامل و الأيتام فالتهب قلبه الشريف من هذا الاختطاف والاختلاس الّذي ارتكبه مثل ابن‌عبّاس أومن يقارنه أويقاربه من‌أهله و عشيرته ، فرماه من لسانه الشّريف بسهام ما أغرزها في القلب و سيوف ما أقطعها للوتين

و كان ابن‌عباس يتوجّه إلى حالة عليّ الروحيّة فيبادر إلى‌جوابه بأخصر عبارة ويشير إلى عذره في خيانته .

قال الشارح المعتزلي « ص ١٧٠ ج ١٦ ط مصر » : و قد روى أرباب هذا القول « أى القول بأنّ هذا الكتاب خطاب إلى عبدالله بن عبّاس » أنّ عبدالله بن عبّاس كتب إلى عليّ عليه السلام جواباً عن هذا الكتاب ، قالوا : وكان جوابه :

أمّابعد ، فقد أتاني كتابك تعظّم عليّ‌ّما أصبت من بيت مال‌البصرة ، ولعمري إنّ حقّي في بيت المال أكثر ممّا أخذت ، والسّلام .

هذا و قد ذكر في نسخة شرح ابن أبي‌الحديد كتاباً منه إلى بعض عمّاله لم يذكر في نسخة شرح ابن ميثم نذكره هنا تتميماً للفائدة قال :

الأصل : ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله :

أمّا بعد ، فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربّك ، و عصيت إمامك ، و أخزيت أمانتك ، بلغني أنّك جرّدت الأرض فأخذت ما تحت قدميك وأكلت ماتحت يديك ، فارفع الىّ حسابك ، واعلم أنّ حساب الله أعظم من‌حساب النّاس ، والسّلام .

الترجمة

از نامه‌ايكه آنحضرت عليه السلام بيكى از كارگزارانش نوشت :

أمّا بعد براستيكه من تورا در رياست خود كه سپرده بمن بود شريك كردم وتورا همراز دل وهمكار حكمرانى خويش نمودم ، درميان خاندانم درنظرم مردى ازتو بيشتر براى همدردى وپشتيبانيم وجود نداشت ، ودر پرداخت سپرده و أمانت

بهتر مورد اعتماد نبود ، چون دیدی که روزگار برعمو زادهات دست انداخت وسخت گرفت ودشمن چیره شد واختیار را ازدست گرفت ، ومردم در أمانت داری خیانت کردند و برسوائي گرائیدند ، و این ملت اسلامی ربوده شده و پریشان و بدبخت گردید ، تو پشت بعمو زادهٔ خود دادی واز او برگشتی ، و بهمراهی آنان که از او جدا شدند جدا شدی و بهمراهی آن دسته بیوفا از او گسستی وبا خیانتکاران وی پیوستی ، نه باعموزادهٔ خود همدردی وغمخواری کردی ، ونه أمانت خودرا پرداختی ، گویا اینکه تو درجهاد وتلاش خود خدا را نخواستی وگویا که دربرابر پروردگارت گواه روشن برطریقهٔ حق نداشتی ، و گویا که همانا تو برای بدست آوردن دنیای این ملت با آنها نیرنگ باختی ودردل داشتی که آنها را فریب بدهی و بیت المال آنها را برای خودت ببری ، و چون سختی روزگار برای خیانت برأمّت بتو فرصت داد شتابانه بیورش پرداختی و بزودی جست وخیزرا آغاز کردی ، وهرچه را توانستي ازأموال آنان که پشتوانهٔ زندگی بیوه زنان وکودکان بی‌پدر آنان بود در ربودی چونانکه گرگ لاغر کفل بزغاله شکسته استخوان خونین را درمیرباید .

این أموال بیت المال را برگرفتی و بادل خوش بحجاز فرستادی وخودرا از برگرفتن آن گناه کار ندانستی ، گویا ئیکه ـ جزتو بی‌پدر باد ـ ارث پدر ومادرت را بسوی خاندانت سرازیر کردی ، سبحان الله ، تو بروز رستاخیز ایمان نداری ؟ تو از خورده گیري حساب قیامت خبر نداري ؟! اي آنکه نزد ما درشمار خردمندان ودلداران وهشیاران بودي چگونه برخود نوشابه وخوراکی را گوارا میداري که میدانی‌حرام میخوري وحرام مینوشی؟؟ وچطورازمال‌یتیمان ومستمندان ومؤمنان، وجانبازان کنیزان میخری وزنانی بهمسری درمیآوری از مال کسانیکه خداوند این أموال را غنیمت و بهرهٔ آنها مقرر داشته و بوجود آنها این بلاد اسلامی را در برابر دشمنان نگهداشته است ، ازخدا بپرهیز أموال اینان را بدانها بازگردان ، زیرا اگر این‌کار را نکنی، ومال مردم را بآنها باز پس ندهی وسپس

خداوند مرا برتومسلّط کند وبچنگ من افتی من نزد خداوند درعقوبت تومعذورم و هرآینه تورا از دم تیغ خود بگزرانم ، همان شمشیری که بکسی نزدم مگر آنکه بدوزخ رفت .

بخدا سوگند اگر حسن و حسینم بمانند کاري که تو کردي بکنند براي آنها در نزد من هیچ مسامحه و سازشی نیست و بجلب اراده من بسود خود پیروز نخواهند شد تا آنکه حق را از آنها بستانم وزنگ باطل را ازستمی که کردند بزدایم ، من بخداوند پروردگارجهانیان سوگند میخورم : که خوش نداشتم آنچه‌را توبر گرفتی وبردی از أموال مردم برایم از راه حلال میسر باشد وآنها را برای کسانم پس از خود بارث بگذارم .

آرام بران و بیندیش گویا تو بآخر عمر خود رسیدي ، وزیر خاك تیره بگور اندرشدي و کردارت برخت کشیده شده ، درهمانجا که ستمکار فریاد افسوس برآورد ، وبنده ضایع روزگار و بدکردار آرزوی برگشت بدنیا دارد ، و راه چاره اي وجود ندارد .

« ترجمه نامه‌ایکه درشرح ذکرشده است » :

أمّا بعد بمن از تو گزارش کاري رسیده که اگر آن را کرده باشی محقّقاً پروردگارترا بخشم آوردي وامام خودرا نافرماني کردي ، وأمانت خودرا خیانت کردی ، وکارش‌رابرسوائی کشاندي، بمن گزارش رسیده که توسرزمین حکومتت را لخت کردي ، وهرچه زیرپایت بوده برگرفتی وآنچه درپیش رویت بوده خوردي حساب خودرا بمن صورت بده وبدانکه حساب خداوند ازحساب مردم بزرگتر است ، والسّلام .

المختار الواحد والاربعون

و من کتاب له علیه‌السلام الی عمربن أبی‌سلمة المخزومی ، و کان عامله علی البحرین فعزله واستعمل نعمان بن‌عجلان الزرقی مکانه :

أَمّا بَعْدُ ، فَإِنّي قَدْ وَلَّيْتُ نُعْمانَ ابْنَ عَجْلانَ الزُّرَقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ

وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلاَ ذَمٍّ لَكَ وَلاَ تَثْرِيبٍ عَلَيْكَ ، فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ ٱلْوِلاَيَةَ وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ ، وَلاَ مَلُومٍ ، وَلاَ مُتَّهَمٍ ، وَلاَ مَأْثُومٍ ، فَلَقَدْ أَرَدْتُ ٱلْمَسِيرَ إِلَىٰ ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَىٰ جِهَادِ الْعَدُوِّ ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ .

اللغة

(لا تثريب عليك) : لالوم عليك والتثريب : الاستقصاء في اللوم ، (الظنين) : المتهم ، و الظنّة : التهمة والجمع الظنن .

المعنى

عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ ، وأبوه أبوسلمة بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم يكنى أبا حفص : ولد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة ، وقيل : إنه كان يوم قبض رسول الله ﷺ ابن تسع سنين .

وأمّا النعمان بن عجلان الزُرقي من الأنصار من بني زريق ، قال ابن عبدالبر : كان النعمان هذا لسان الأنصار وشاعرهم وهو القائل يوم السقيفة :

وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم	عتيق بن عثمان حلال أبابكر
و أهل أبوبكر لها خير قائم	و إنّ علياً كان أخلق بالأمر
و إنّ هوانا في عليّ و إنّه	لأهل لها من حيث يدرى ولايدري

أقول: و لعلّ إحضار عمر بن أبي سلمة إلى جبهة صفّين باعتبار و جاهته وحرمته في المسلمين حيث إنّه قرشي ومهاجر ومن بني مخزوم وهم من سادات قريش يتنافسون بني هاشم في السيادة والشرف .

و هذا من أهمّ موانع اسلام أبي جهل ، كما في سيرة ابن هشام « ص ١٩٣ ج ١ ط مصر » : في مصاحبة الأخنس مع أبي جهل بعد استماعهم آيات من القرآن في ليال متتابعة عن لسان النبيّ صلى الله عليه وآله باستراق السمع من وراء بيته : قال : ثمّ خرج من عنده « أي من عند أبي سفيان » حتّى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمّد ؟ فقال : ماذا سمعت ، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشّرف : أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتّى إذا تحاذينا على الركب و كنّا كفرسي رهان ، قالوا : منّا نبيّ يأتيه الوحي من السّماء فمتى ندرك مثل هذه والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدّقه .

الترجمة

از نامه‌ای که آن حضرت عليه السلام به عمر بن أبي سلمة مخزومي نگاشته ، وی ازطرف آن حضرت کارگزار بحرین بود، واورا ازکار بر کنار کرد ونعمان بن عجلان زُرقی را بجای او گماشت .

أمّا بعد ، من براستی نعمان بن عجلان زُرقي را بربحرین کارگزار ساختم وبدان ولایت گماشتم ، ودست تورا ازآن بر گرفتم ، نه تورا نکوهشی هست ونه برتو انتقاد و سرزنش میباشد ، تو خوب فرمانگزاری کردی ، و أمانت خودرا پرداختی ، نزد من بیا ، نه بد گمانی داری و نه شرمساری ، نه متّهمی و نه گنه کار .

من میخواهم بسوی ستمکاران أهل شام کوچ کنم ، ودوست دارم که توهم بامن حاضر باشی ، زیرا تو ازکسانی هستی که پشت من درنبرد با دشمن بوجود تو نیرومند است ، و هم تو در برپا داشتن ستون دین یاور وپشتیبان من هستی ، إن شاء الله .

المختار الثاني و الاربعون

ومن كتاب له عليه السلام الى مصقلة بن هبيرة الشيبانى ، وهو عامله على أردشير خرّة

بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلٰهَكَ ، وَ أَغْضَبْتَ إِمَامَكَ : أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَ خُيُولُهُمْ ، وَ أُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ ، فِيمَنِ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ . فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَ بَرَأَ النَّسَمَةَ ، لَئِنْ كَانَ ذٰلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَاناً ، وَ لَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً ، فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ ، وَ لَا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ ، فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً .

أَلَا وَ إِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَ قِبَلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هٰذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ : يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ ، وَ يَصْدُرُونَ عَنْهُ .

ورد في نسخة شرح المعتزلي « ص ١٧٥ ج ٦ طبع مصر » : و عصيت إمامك بدل أغضبت .

اللغة

(اعتامك) : اختارك من بين الناس ، أصله من العيمة ، و هي خيار المال ، و قد روي « فيمن اعتماك » بالقلب ، و الصحيح المشهور الأوّل (الفيء) : الغنيمة و مال الخراج المضروب على الأراضي المفتوحة عنوة ، (حازته) : جمعته ، (المحق) محق محقاً الشيء : أبطله و محاه .

الاعراب

لتجدنّ بك عليّ هواناً : بالباء و معناها اللاّم و يصحّ أن يكون الباء

للسببيّة أي بسبب فعلك كما في قوله تعالى « فبظلم من الّذين هادوا حرّمنا عليهم طيّبات اُحلّت لهم ١٦٠ ـ النساء » و روى « و لتجدنّ بك عندي هواناً » .
أردشير خرّة : كورة من كور فارس .

المعنى

مصقلة بن هبيرة من سادات نجد و من بني شيبان و فيه ضعف و اتّباع هوى يظهر من عتابه عليه السلام في كتابه هذا ويُشير إلى أنّه تصرّف في بيت المال و قسّم الخراج في بني قومه من دون إجازته عليه السلام ظنّاً منه احتسابه عليهم من سهامهم في بيت مال المسلمين و يظهر أنّه خصّص من بني قومه من اعتامه و اختاره و صار من خواصّه و حاشيته .

فبيّن عليه السلام أنّ الفيء من أيّ بلدٍ يحوز فهو لجميع المسلمين و لا يختصّ بمن حضر ذلك البلد منهم لأنّه من الأراضي المفتوحة عنوةً الّتي حازته جيوش الاسلام بضرب الرماح و زحف الخيول و بذل النفوس فصارت ملكاً لعامّة المسلمين و اختيارها بيد الإمام فلابدّ من جمع خراجها في بيت المال و تقسيمه بنظر الامام حفظاً للعدالة فإنّ خراج جميع الأراضي و البلدان ليس مساوياً و الساكن في كلّ البلادليسوا مساوين حتّى يحرز العدالة باختصاص فيء كلّ بلدٍ بأهله .

مضافاً إلى أنّ تصرّف كلّ عاملٍ فيما يجمع من الخراج يوجب الفوضى و اختلال النظام المالي و الاقتصادي للدولة الاسلاميّة فكان شرّع عليه السلام في كتابه هذا قانون الميزانيّة العامّة الّذي يتّكي عليه اقتصاد البلدان العامرة الشاملة للملايين من النفوس و لا محيص عنه في إدارة شئون الماليّة لبلد كافل بالجماهير فالخزانة العامّة بمنزلة القلب لجريان الشئون الاقتصاديّة فينشعب منها شرائين المصارف الماليّة و ينتشر في مجارى الأمور الكلّيّة و الجزئيّة ثمّ يجتمع فيها ثمّ ينتشر كجريان الدم في أعضاء الحيوان ينتشر من القلب في جميع العروق الدمويّة ثمّ يجتمع فيه ثمّ ينتشر ، وكان للمصقلة خلاف آخر معه عليه السلام أدّى إلى فراره في ظلّ معاوية وهو أنّه ارتدّ بنو الناجية عن عليّ عليه السلام وأخذوا يحاربون

مع المسلمين فسار في تعقيبهم معقل بن قيس في جهاد مرّ طويل حتّى غلب عليهم بعد ائتلافهم مع جمع من النصارى في حوالي أهواز فأسر منهم جماً غفيراً فاشتراهم مصقلة بمأة الألوف من الدراهم في ذمّته و أعتقهم ثمّ امتنع من تسليم ما تعهّد إلى بيت المال و طالبه عليّ عليه السلام و استحضره إلى الكوفة و تعهّد بأدائه أقساطاً فأدّى قسطاً منه ثمّ هرب إلى معاوية فراراً عن أداء هذا الدّين فصدر منه عليه السلام في حقّه : « عمل عملَ الأحرارِ و فرّ فرارَ العبيدِ » و هل ينظر هذا الكتاب إلى ذلك أو هذه قصّة آخر عنه في خلافه معه ؟ الله أعلم .

الترجمة

از نامه ای که بمصقلة بن هبيرة شيباني نوشت و وی کارگزار آنحضرت بود بر شهرستان اردشیرخرّه :

بمن گزارشی رسیده دربارهٔ تو که اگر درست باشد محقّقاً معبود خود را بخشم آورده‌ای وامام خود را نافرمانی و غضبناك کردی .

راستی که تو درآمد خراج مسلمانان را که با سرنیزه وتاخت وتاز قشون وریختن خون خود بدست آوردند میان آن دسته از اعراب قوم و قبیله ات که دور تو جمع شدند پخش کردی ؟؟

سوگند بدان خدائی که دانه را سبز کند و جاندار را بیافریند اگر این گزارش درست باشد خود را درنزد من خوار و بی‌مقدار خواهی یافت ودر پیش‌من سبك و کم ارج خواهی بود ، بحقّ پروردگار خود سستی و بی‌اعتنائی روا مدار و دنیایت را با از میان بردن دینت اصلاح مکن تا از آنها باشی که در کردار خود از همه زیانمندترند ، آگاه باش که حقّ کسانی که نزد تو هستند از مسلمانان و کسانی که نزد ما هستند در پخش این خراج و غنیمت برابرند وهمه باید درنزد من و باجازه من بر آن وارد شوند و سهم خود را از دست من بگیرند وبرگردند ، والسّلام

المختار الثالث والاربعون

و من كتاب له عليه السلام الى زياد بن أبيه ، وقد بلغه أن معاوية كتب اليه يريد خديعته باستلحاقه

وَ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ ، وَ يَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ ، فَاحْذَرْهُ ، فَإِنَّما هُوَ الشَّيْطانُ : يَأْتِي الْمَرْءَ [الْمُؤْمِنَ] مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ ، وَ عَنْ يَمِينِهِ وَ عَنْ شِمالِهِ ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ ، وَ يَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ .

وَ قَدْ كانَ مِنْ أَبِي سُفْيانَ في زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ ، وَ نَزْغَةٌ مِنْ نَزَغاتِ الشَّيْطانِ ، لا يَثْبُتُ بِها نَسَب ، وَ لا يُسْتَحَقُّ بِها إِرْثٌ ، وَ الْمُتَعَلِّقُ بِها كَالْواغِلِ الْمُدَفَّعِ ، وَ النَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ .

فلمّا قرأ زياد الكتاب قال : شهد بها و ربِّ الكعبة ، ولم تزل في نفسه حتّى ادّعاه معاوية . قال الرّضيُّ :

قوله عليه السلام : الْواغِل : هو الذي يهجم على الشّرب ليشرب معهم وليس منهم ، فلا يزال مدفّعاً محاجزاً ، وَ النَّوْطِ مُذَبْذَبِ هو ما يناط برحل الراكب من قعب أو قدح أو ما أشبه ذلك ، فهو أبداً يتقلقل إذا حثّ ظهره ، وَ استعجل سيره .

اللغة

(يستزلّ لبّك) : يطلب زلله و خطأه ، اللّبّ : العقل والقلب ، (يستفلّ غربك) : يريد أن يفلّ عزمك ، الغرب : حدّ السيف وهو مجاز عن العزم ، ويصح أن يكون الجملة مجازاً مركّباً ، (فلتة) : الكلام أو الأمر بغير رويّة ، (نزغة من نزغات الشيطان) : نزغ الشيطان بينهم أى أغرى بعضهم على بعض و نزغه الشيطان إلى المعاصي أى حثّه ، (محاجَزاً) : ممنوعاً ، (القعب) : القدح الضّخم الغليظ ـ المنجد ـ .

الاعراب

فلتة : اسم كان و خبره من أبي سفيان و هو ظرف مستقرّ و في زمن جارّ و مجرور متعلّق بالظرف المتقدّم و يمكن أن يكون مستقراً خبراً بعد خبر . من حديث النفس : متعلّق بقوله عليه السلام « فلتة » . الهاء في قول الرضي نقلاً عن زياد « شهد بها » يرجع إلى مقدّر و هو « القصّة » .

المعنى

قد حكم عليه السلام في هذا الكتاب بأنّ معاوية هو الشيطان باعتبار أنّه يوسوس من كلّ جانب مشيراً إلى ما ورد في وصف الشيطان في قوله تعالى « ثمّ لآتينّهم من بين أيديهم و من خلفهم و عن أيمانهم و عن شمائلهم ، ١٧ الأعراف » .

قال الشارح المعتزلي « ص ١٧٨ ج١٦ ط مصر » : و قال شقيق البلخي : ما من صباح إلاّ قعد لي الشيطان على أربعة مراصد : من بين يدىّ ، و من خلفي وعن يميني ، وعن شمالي ، أمّا من بين يدىّ فيقول : لاتخفْ فإنّ الله غفور رحيم ، فأقرأ « و إنّي لغفّار لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثمّ اهتدى ، ٨٢ ـ طه » وأمّا من خلفي فيخوّفني الضيعة على مخلّفي ، فأقرأ : و ما من دابّة في الأرض إلاّ على الله رزقها ، ٦ ـ هود » و أمّا من قبل يميني فيأتيني من جهة الثناء ، فأقرأ : « و العاقبة للمتّقين » و أمّا من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات ، فأقرأ : « و حيل بينهم و بين ما يشتهون ، ٥٤ ـ السباء » .

و قد تعرّض فيه لنفي نسب زياد من أبي سفيان و تكذيب معاوية في ادّعائه أخاً له و إنكاره استلحاقه به طمعاً في نصره له و هذه مسألة دقيقة و لا بدّ من النظر فيه من وجوه :

١ـ قد ادّعى أبوسفيان في زمن عمر أنّ زياد بن سميّة مع كون أمّها زوجةً لعبيد مكوّنة من نطفته و هو الّذي وضعه في رحم أمّه ، قال المعتزلي :

و روى أبوعمر بن عبد البرّ في كتاب «الاستيعاب» عن هشام بن محمّد بن سائب الكلبي ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس ، أنّ عمر بعث زياداً في إصلاح فسادٍ واقع باليمن ، فلمّا رجع من وجهه خطب عند عمر خطبة لم يسمعْ مثلها ـ و أبوسفيان حاضر و عليٌّ عليه السلام و عمرو بن العاص ـ فقال عمرو بن العاص : لله أبو هذا الغلام ! لوكان قرشياً لساق العرب بعصاه ، فقال أبوسفيان : إنّه لقرشيٌّ ، و إنّي لأعرف الّذي وضعه في رحم أمّه ، فقال عليٌّ عليه السلام : و من هو ؟ قال أنا فقال : مهلاً يا أباسفيان ، فقال أبوسفيان :

أما و الله لولا خوف شخصٍ يراني يا عليُّ من الأعادي
لأظهر أمره صخر بن حربٍ و لم يخف المقالة في زيادِ
و قد طالتْ مجاملتي ثقيفاً و تركي فيهم ثمرَ الفؤادِ

و في رواية نقلها عن الواقدي أنّه قال في جواب عليّ عليه السلام : أتيت أمّه في الجاهليّة سفاحاً ، فقال عليٌّ عليه السلام : مهْ يا أباسفيان ! فإنّ عمر إلى المساءة سريع ، فعرف زياد ما دار بينهما ، فكانت في نفسه .

و قد روى في هذا المعنى أحاديث اُخر كلّها صريحة في دعوى أبي سفيان لزياد ابناً له قطعاً و الكلام في أنّه ادّعى هذه الدعوى جزافاً وعلى سبيل الخرص و السلف أو له علم بذلك و من أين علم ذلك فإنّ مجرّد بغائه مع سميّة مرّة و زوجها معها حاضر عندها ثمّ حملها و ولادتها لا يدلّ على كونه منه .

و هذا ما روى عن المدائني من حديث الاستلحاق ، قال : لمّا أراد معاوية استلحاق زياد و قد قدم عليه الشام جمع الناس و صعد المنبر ، و أصعد زياداً معه

فأجلسه بين يديه على المرقاة التي تحت مرقاته ، و حمد الله و أثنى عليه ثمّ قال : أيّها الناس إنّي قد عرفت نسبتنا أهل البيت في زياد ، و من كان عنده شهادة فليقمْ بها - إلى أن قال - فقام أبومريم السلولي - وكان خمّاراً في الجاهليّة - فقال : أشهد يا أمير المؤمنين أنّ أباسفيان قدم علينا بالطائف ، فأتاني فاشتريت له لحماً وخمراً وطعاماً ، فلمّا أكل قال: يا أبامريم ، أصب لي بغياً فخرجت، فأتيت بسميّة فقلت لها : إنّ أباسفيان ممّن قد عرفت شرفه و جوده ، و قد أمرني أن اصيب له بغياً ، فهل لك ؟ فقالت : نعم ، يجيء الآن عبيد بغنمه - وكان راعياً - فإذا تعشّى و وضع رأسه أتيته فرجعت إلى أبي سفيان فأعلمته ، فلم تلبث أن جائت تجرّ ذيلها ، فدخلت معه ، فلم تزلْ عنده حتّى أصبحت ، فقلت له لمّا انصرفت : كيف رأيت صاحبتك ؟ قال : خير صاحبة ، لولا ذفر في إبطيها .

و ربّما طال مصاحبة أبي سفيان مع سميّة حتّى عرف ذلك و أنّه كان كثيراً يزور الطائف للبغي و المصاحبة مع بغاتها كما يدلّ عليه ما تقدّم من شعره :

و قد طالت مجاملتي ثقيفاً و تركي فيهم ثمر الفؤاد

ثمّ إنّه عليه السلام تذكّر في كتابه ما أظهره أبوسفيان في زمان عمر ، و وصفه بأنه فلتة من حديث النفس و نزغة من نزغات الشيطان ، و يحتمل كلامه عليه السلام وجهين :

١ـ أنّ زعمه كون زياد منه لا أصل له ، و إنّما هو صرف حديث نفس بلا رويّة و تخيّل شيطانيّ كاذب لا أصل له .

٢ـ أنّ إظهار هذه الحقيقة فلتة و كلام بلا رويّة و استلحاق زياد بمجرّد كونه من مائه نزغة من نزغات الشيطان لأنّ الماء من الزنا لا يثبت به النسب كما صرّح به النبيّ صلى الله عليه وآله « الولد للفراش و للعاهر الحجر » .

و كأنّ زياداً حمل كلامه عليه السلام على الوجه الثاني حيث استفاد منه إثبات كونه متكوّناً من ماء أبي سفيان فقال : شهد بها و ربّ الكعبة ، و لكنّ الظاهر منه هو الأوّل و الظاهر أنّ شهادة أبي مريم السلولي شهادة زور زوّره معاوية و حمّلها عليه أو زوّرها هو طمعاً في التقرّب و العطاء و كان أبوبكر أخو زياد

ينكر ذلك أشدّ الانكار ، و حلف أن لايكلّم زياد أبداً وقال : هذا زنّى أمّه وانتفى من أبيه ، و لا و الله ما علمت سميّة رأت أباسفيان قبل .

الترجمة

از نامه‌ای که حضرتش عليه السلام بزياد بن ابيه نوشت چون بآنحضرت گزارش رسيد که معاويه به او نامه ای نوشته و قصد دارد او را بفريبد و به برادری خود پيوندش دهد :

من دانستم که معاويه بتو نامه نوشته است تا دلت را بلغزاند و تصميمت را بگرداند ، از او درحذر باش ، همانا که او شيطانی است که بمؤمن درآيد از پيش رو واز پشت سر و از سمت راست و از سمت چپ او ازهمه سو بآدم درآويزد تا او را غافلگير کند و فريب دهد .

از أبی‌سفيان در دوران خلافت عمر بن‌الخطّاب يك سخن پريشان وبيجائی سرزد که ناشی از جهش نفس أمّاره بود ويك پرشی بود از پرشهای شيطان ، بااين سخن بی پرو پا و بيجا نه نسب ثابت می‌شود و نه پايه استحقاق ارث و ميراثی می‌تواند بود ، کسی که باين سخن‌چنگ زند چون شتريست بيگانه که با اشتران برآبگاهشان درآيد و اورا برانند و يا چون ظرفی است که ببار مرکبی بياويزند و هميشه در لرزش و اضطراب باشد ، رضي عليه الرحمة گويد : اينکه فرموده است (الواغل) آنست که هجوم برد برای نوشيدن ازآب و بيگانه باشد و پيوسته اورا برانند و دور کنند و (نوط مذبذب) آن ظرفی است که شترسوار به بند زير پای خود بندد مانند قدحی يا سبوئی يا هرچه بدانها ماند وآن درموقع راندن مرکب يا شتابانندن آن پيوسته در لرزش است و زيرورو می‌شود .

المختار الرابع والاربعون

ومن كتاب له عليه السلام الى عثمان بن حنيف الانصاری ، وهو عامله على البصرة ، وقد بلغه أنه دعی الى وليمة قوم من أهلها فمضى اليها.

أَمَّا بَعْدُ ، يَاابْنَ حُنَيْفٍ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ

دَعاكَ إِلىٰ مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعتَ إِلَيْهَا ، تُسْتَطَابُ لَكَ الأَلْوَانُ ، وَ تُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ ، وَ مَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلىٰ طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ ، وَ غَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ ، فَانْظُرْ إِلىٰ مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هٰذَا الْمَقْضَمِ ، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ ، وَ مَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ [وَجْهِهِ] فَنَلْ مِنْهُ .

أَلاَ وَ إِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ ، وَ يَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلاَ وَ إِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَىٰ مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ ، وَ مِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ ، أَلاَ وَ إِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلىٰ ذٰلِكَ ، وَ لٰكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَ اجْتِهَادٍ وَ عِفَّةٍ وَ سَدَادٍ ، فَوَاللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً ، وَ لاَ ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً ، وَ لاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً .

اللغة

(الفتية) : ج فتى كفتيان وفتو الشاب والجواد ، (المأدبة) بضم الدال: طعام يدعى إليه الجماعة و أدب القوم يأدبهم بالكسر أى دعاهم إلى طعامه ، (الألوان) : أنواع من الطعام اللذيذ ، (الجفان) : جمع جفن ، و هو القصعة الكبيرة ، (العائل) : الفقير ، (مجفو) : مفعول من جفاه أي معرض عنه يقال: جفوت الرجل أجفوه إذا أعرضت عنه ، (المقضم) : معلف الدابة ، يأكل منه الشعير بأطراف أسنانه ، و القضم : الأكل بأطراف الأسنان إذا أكل يابساً يقال : قضمت الدابة شعيرها من باب تعب و من باب ضرب لغة : كسرته بأطراف أسنانها - مجمع البحرين - ، و (لفظت) الشيء من فمي ألفظه لفظاً من باب ضرب :

رميت به ، (الطمر) بالكسر هو الثوب الخلق العتيق أو الكساء البالي من غير الصوف ـ مجمع ـ .

الاعراب

تستطاب لك الألوان : جملة حاليّة عن المخاطب و ما بعدها عطف إليها ، تجيب إلى طعام قوم ، مفعول ثان لقوله ظننت ، و جملة : عائلهم مجفوٌّ ، مبتدأ و خبر حال عن القوم و ما بعدها عطف إليها .

المعنى

عثمان بن حنيف ، بضمّ الحاء ، ابن واهب بن الحكم بن ثعلبة بن الحارث الأنصاري الأوسي أخو سهل بن حنيف أحد الأمجاد من الأنصار ، أخذ من النبيّ صلّى الله عليه وآله العلمَ و التربيةَ و بلغ الدرجة العالية فنال مناصب كبرى ، قال في الشرح المعتزلي : « عمل لعمر ثمّ لعليّ و ولاّه عمر مساحة الأرض وجبايتها بالعراق ، و ضرب الخراج و الجزية على أهلها ، و ولاّه عليٌّ عليه السلام على البصرة ، فأخرجه طلحة والزبير منها حين قدماها » .

و يظهر من ذلك أنّه كان رجلاً بارعاً في علم الاقتصاد و السياسة معاً فاستفاد منه عمر من الناحية الاقتصاديّة و فوّض إليه أمر الخراج و الجزية و هو من أهمّ الأمور في هذا العصر و خصوصاً في أرض العراق العامرة ، وكان من خواصّ عليّ عليه السلام و من السابقين الّذين رجعوا إليه و أخلصوا له ، قال في الرجال الكبير بعد ترجمته : « هو من السابقين الّذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، قاله الفضل ابن شاذان » وكلمة السابقين في وصفه مأخوذ من قوله تعالى في سورة البرائة الآية ١٠٠ « و السابقون الأوّلون من المهاجرين و الأنصار و الّذين اتّبعوهم بإحسان رضى الله عنهم و رضوا عنه و أعدّ لهم جنّات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم » وكفى له بذلك مدحاً و إخلاصاً له عليه السلام فإنّ الآية تخصّص السابقين الأوّلين من الأنصار و المهاجرين بهذه الفضيلة الّتي لا فضيلة فوقها ، و السبق والتقدّم إنّما هو بقبول ولاية أمير المؤمنين فإنّها ميزان الايمان

و الإخلاص لله و رسوله و دليل البرائة من النفاق و المطامع الدنيويّة .

و مؤاخذته عليه السلام بمجرّد إجابة دعوة من بعض فتيان البصرة و تشديده في توبيخه بهذه الجمل البالغة في الطعن و المذمّة دليل آخر على علوّ رتبته و سموّ درجة ايمانه و أنّه لا ينبغي من مثله إجابة مثل تلك الدعوة و الاشتراك في حفلة ضيافة تُعقد لكسب الشهرة ، أو جلب المنفعة ، أو الانهماك في اللذة و الغفلة ، أوالاستمتاع بالأغذية اللذيذة، فظاهر الكتاب الموجّه على عثمان بن حنيف بالعتاب توبيخ عنيف على ارتكابه خلافاً عظيماً يستحقّ به هذا التوبيخ الشديد الّذي آلم من الضرب بالسوط ، أو الحبس إلى حين الموت ، فلا بدّ من التدبّر في اُمور :

الاول : ما هو جوهر هذا الخلاف الّذي ارتكبه هذا الوالي الّذي فوّض إليه إدارة اُمور ثغرهامّ من الثغورالاسلاميّة في هذا الزمان ، فالبصرة أحد الثغور الهامّة الاسلاميّة فى تينك العصور تضاهي مركزيّة الكوفة و مصر و الشام ، و قد انتخبه عليه السلام والياً له و فوّض إليه إدارة شئونه و سياسة نظامه في هذا الموقف الرهيب ، فكيف يؤبّخه و يؤنّبه بهذه الجمل القاسية ملؤها الوهن و الاستضعاف فهذا الخلاف يحتمل وجوهاً :

١ـ أنّه مجرّد إجابة دعوةالاشتراك في وليمة لذيذة هيئت للتفريح والأنس مع الأحباب و الأقران .

٢ ـ اُعدّت هذه الوليمة على حساب استمالة الوالي و النفوذ فيه للاستفادة منه في شتّى المقاصد المرجوعة إليه و للاعتماد عليه في تنفيذ الحوائج كما هو عادة ذوي النفوذ و الجاه في كلّ بلد ، فإنّ شأنهم تسخير عمّال الدولة بالتطميع و الإحسان للاستمداد منه في مقاصدهم .

٣ـ إنّ هذه الوليمة اُعدّت من عصابة مخالفة لعليّ عليه السلام وموالية لمعاوية و أعوانه فهي حفلة مؤامرة ضدّ عليّ عليه السلام والهدف منها جلب الوالي إلى الموافقة مع مقاصد سياسة هامّة و صرف عثمان بن حنيف عن موالاته عليه السلام إلى معاداته كما فعل معاوية مع زياد بن أبيه بعد ذلك ، فانّه أحد أعوان عليّ عليه السلام و أحد ولاته

المسيسن ، و له يد في تقوية حكومته فاستجلبه معاوية بالمكائد والمواعيد وأثبته أخاً لجلبه من موالاة عليّ عليه السلام إلى معاداته ، و استفاد منه أكثر استفادة في حكومته .

وما ذكره عليه السلام في كتابه هذا يناسب الوجه الثالث ، فانّه موقف خطر يحتاج إلى الحذر منه أشدّ الحذر فشرع عليه السلام يوبّخ عثمان في قبول هذه الدعوة والإسراع إليها و تقبّل ما أعدّوه له من النزل من إعداد الأطعمة الطيّبة المختلفة الألوان و تقديم الأقداح الكبيرة في الخوان ، و أشار عليه السلام إلى أنّ هذه الوليمة ممّا لم يقصد به رضاء الله و إكرام والي وليّ الله ، و إلاّ فيشترك فيه ذووا الحاجة و الفقراء من الجيران و سائر المسلمين و لم يخصّصوا الدّعوة بالأغنياء و ذوي النفوذ والثروة .

ثمّ أشار عليه السلام إلى أنّ الحاضرين حول هذه الخوان من الغافلين المنهمكين في اللذّات الماديّة ، فعبّر عن الخوان بالمقضم و هو مايعدّ فيه علف الدابّة من التبن و الشعير ، و تعبيره عليه السلام يعمّ كلّ خوان و مطعم مهيّأ لأمثال هؤلاء المفتونين بأمر الدنيا .

و قوله عليه السلام (فما اشتبه عليك علمه فالفظه) يحتمل وجهين :

١ـ أن يكون المقصود منه بيان الأصل في الأموال و أنّ الأصل فيها التحريم و لزوم الاحتياط والتحرّز إلاّ ما ثبت حلّه بوجه شرعيّ كما ورد في الحديث أنّه : لا يحلّ مال إلاّ من حيث ما أحلّه الله ، فالأصل في المال المشتبه الحلّ و الحرمة التحريم و إن قلنا في غيره بالحلّيّة و هو الظاهر من قوله عليه السلام « فما اشتبه عليك علمه فالفظه » و لكن يشكل عليه بأنّه لا ينطبق على المورد لأنّ مورد الكتاب الأكل من مأدبة الضيافة و دليل حلّها هو ظاهر يد المسلم و إصالة اليد دليل عامّ يتّكى عليه في أكثر المعاملات و المبادلات .

٢ـ أن يكون المقصود تحقيق الحلال الواقعي و عدم الاكتفاء بالأمارات و الأدلّة المحتملة للخلاف تحصيلاً للورع عن الحرام الواقعي ، كما يستفاد من

قوله عليه السلام (و ما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه) فيستفاد منه أنه قرّر على عمّاله احتياطاً في الدين فوق حدّ العدالة الّتي كانت شرطاً في تصدّي هذه المناصب الجليلة .

قال ابن ميثم في شرح المقام: « ويفهم منه بحسب التأديب الأوّل أنّ التنزّه عن هذا المباح أفضل له من تناوله » فحمل كلامه عليه السلام على الوجه الثاني و هو أوضح ، لأنّ مقام هذا الصحابي الكبير أجلّ من أن ينال ما لا يحلّ له من الطعام جهلاً بالمسئلة أو تسامحاً في أمر دينه فكان هذا التشدّد منه عليه السلام عليه لعلوّ رتبته، فنبّه عليه السلام على أنه لا يليق هذا العمل بمثله و إن كان لا بأس عليه لغيره ممّن لم ينل مقامه في العلم و الورع .

ثمّ توجّه عليه السلام إلى بيان منظّمة لعمّاله أو مطلق شيعته ، و لخّصها في كلمتين :

١ـ الاقتداء بالامام في العمل و السيرة .

٢ـ الاستضائة من نور علمه و الأخذ بدستوره في كلّ الأمور ، والاقتداء بالامام عملاً و أخذ دستور العمل منه ، كلاهما سلوك طريق النجاة و لكنّ الثاني أعمّ ، فانّه يشمل الغايب عن محضر الامام و يشمل التكاليف الخاصّة بالمأموم دون الامام ، و هي كثيرة جداً .

ثمّ لخّص عليه السلام سيرته في كلمتين لتكون مدار العمل لعمّاله و للاقتداء به عليه السلام :

١ـ الاكتفاء من رياش الدنيا و لباسها و زينتها بطمرين أي ثوبين باليين إزار و رداء من غير صوف يلبسه أحوج الناس .

٢ـ الاكتفاء من طعامها و غذائها و لذائذها بقرصين من خبز الشعير اليابس الفارغ عن الادام .

و قد مثّل عليه السلام في هذه الكلمتين الزهد بأدقّ معانيه و أشقّ ما فيه بحيث جعله من كراماته و أنّه ممّا لا يقدر على العمل به غيره فقال عليه السلام : (ألا و إنّكم لا تقدرون على ذلك) .

ثمّ نظم برنامجاً تربويّاً لعمّاله و من يتصدّي إدارة أُمور حكومته في أربع موادّ :

١ـ الورع ـ و هو تحصن النفس عن الرذائل و الاجتناب عن المحارم و المحرّمات .

٢ـ الاجتهاد ـ في تحرّي الحقيقة و العمل على مقتضي الوظيفة و تحمّل الكدّ و الاذى في سبيل الحقّ .

٣ـ العفّة ـ و هى ضبط النفس عمّا لا يحلّ و لا ينبغي من المشتهيات و ما فيه الرغبات .

٤ـ السداد ـ وهو تحكيم المعرفة بالأُمور و الأخذ باليقين و تحكيم العمل و الدقّة في تقرير شرايطه و كيفيّاته و عدم التسامح فيه .

و قد بقي في المقام نكتة و هى أنّه ربما يزهد بعض الناس في معاشهم حباً بجمع المال و ادّخاره ، فيعيشون عيشَ الفقراء و يكنزون الذهب و الفضّة و يقتنون العقار والدار فقال عليه السلام (فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً و لاادّخرت من غنائمها وفراً و لا أعددت لبالي ثوبي طمراً) ، و زاد في متن الكتاب في شرح ابن أبي الحديد « ج ١٦ ط مصر » : « و لا حُزتُ من أرضها شبراً ، و لا أخذت منه إلاّ كقوت اتان دبرة » وهى الّتي عقر ظهرها فقلّ أكلها .

ثمّ بيّن إحساسه من الدنيا الّتي يطلبها أهلها و يجهدون في طلبها و أنّه من النفرة و الانزجار إلى أقصى حدّ ، فقال « دنياكم في عيني أهون من عفصة مقرة » و العفصة حبّة كالبندقة تستعمل في دبغ الجلود و يتّخذ منها الحبر ـ كما في مجمع البحرين ـ أى من طعم هذه الحبّة المرّة و هى في نهاية النفور .

بقية من المختار الرابع والاربعين من كتبه عليه السلام

بَلىٰ كانَتْ في أَيْدِينا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ ما أَظَلَّتْهُ السَّماءُ ، فَشَحَّتْ عَلَيْها نُفُوسُ قَوْمٍ ، وَ سَخَتْ عَنْها نُفُوسُ [قَوْمٍ] آخَرِينَ ، وَ نِعْمَ الْحَكَمُ اللّٰهُ !

وَ مٰا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَ غَيْرِ فَدَكٍ ، وَ النَّفْسُ مَظٰانُهٰا فِي غَدٍ جَدَثٌ ، تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آ ثٰارُهٰا ، وَ تَغِيبُ أَخْبٰارُهٰا ، وَ حُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهٰا ، وَ أَوْسَعَتْ يَدٰا حٰافِرِهٰا لَأَضْغَطَهَا الْحَجَرُ وَ الْمَدَرُ ، وَ سَدَّ فُرَجَهَا اَلتُّرٰابُ اَلْمُتَرٰاكِمُ ، وَ إِنَّمٰا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهٰا بِالتَّقْوىٰ لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ اَلْأَكْبَرِ ، وَ تَثْبُتَ عَلىٰ جَوٰانِبِ الْمَزْلَقِ .

اللغة

(فدك) : قرية من قرى اليهود بينها و بين مدينة النبي ﷺ يومان ، وبينها و بين خيبر دون مرحلة ـ مجمع البحرين ـ ، (الشحّ) : البخل مع حرص فهو أشدّ من البخل ، (سخوت) نفسي عن الشيء : تركته ، (الجدث) : القبر ، (أضغطها الحجر) : جعلها ضاغطة ، (المظانّ) جمع مظنّة : موضع الشيء و مألفه الّذي يكون فيه .

الاعراب

في أيدينا : ظرف مستقرّ خبر كانت و قوله : فدك ، اسم لها ، من كلّ : جار و مجرور و ما موصولية و جملة أظلّته السماء صلتها و جملة الظرف في محلّ الحال من فدك ، و النفس مظانّها في غدٍ جدث : جملة حالية ، و قوله : حفرة ، عطف على جدث .

المعنى

لمّا قال عليه السلام « و لا حزت من أرضها شبراً » توجّه إلى ماض بعيد و هو بعيد وفاة النبي ﷺ فقال : (كانت في أيدينا فدك) فبخلت بها قوم ، سلبوها وأخذوها من أيدينا غصباً وهم المتصدّون لغصب خلافته خوفاً منهم أن يجمع الناس حول أهل البيت برجاء هذا المال فأيّدوهم واستردّوا حقّهم (وسخت عنها نفوس

آخرين) يظهر من بعض الشراح أن المراد من نفوس آخرين هم أهل البيت أى تركوها في أيدي الغاصبين و انصرفوا عنها قال الشارح المعتزلي : وسخت عنها نفوس آخرين أى سامحت و أغضت و ليس يعني بالسخاء هاهنا إلا هذا لا السخاء الحقيقي لأنه عليه السلام و أهله لم يسمحوا بفدك إلا غصباً و قسراً .

أقول : يمكن أن يكون المراد من الآخرين هم الأنصار حيث سكتوا عن مطالبة حقهم و قعدوا عن نصرتهم لاسترداده و إن لم يبخلوا بكونها في أيديهم و هذا هو الظاهر لأنه عليه السلام في مقام الشكوى إلى الله عمن ظلمه وأهله في غصب فدك وقد سامح الأنصار في نصرته لردها بعد مطالبتها من جانب فاطمة عليها السلام .

قال في الشرح المعتزلي : قال أبو بكر : حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال : حدثنا حيان بن بشر ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : أخبرنا ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، قال : بقيت بقية من أهل خيبر تحصنوا ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يحقن دمائهم و يسيرهم ففعل ، فسمع ذلك أهل فدك ، فنزلوا على مثل ذلك ، و كانت للنبي صلى الله عليه وآله خاصة ، لأنه لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب .

و قال ابن ميثم : ثم المشهور بين الشيعة و المتفق عليه عندهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاها فاطمة عليها السلام و رووا ذلك من طرق مختلفة .

منها : عن أبي سعيد الخدري قال لما أنزلت « وآت ذا القربى حقه ٣١ - الروم : » أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فدك ، فلما تولى أبو بكر الخلافة عزم على أخذها منها فأرسلت إليها يطالبها بميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله وتقول : إنه أعطاني فدكاً في حياته و استشهدت على ذلك علياً عليه السلام و أم أيمن فشهدا لها بها فأجابها عن الميراث بخبر رواه هو : نحن معاشر الأنبياء لانورث فما تركناه فهو صدقة ، و عن دعوى فدك : أنها لم تكن للنبي و إنما كانت للمسلمين في يده يحمل بها الرجال و ينفقه في سبيل الله و أنا أليه كما كان يليه .

و في شرح المعتزلي قال : أبوبكر و حدّثني محمد بن أحمد بن يزيد ، عن عبد الله بن محمد بن سليمان ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الحسن بن حسن قالوا جميعاً : لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك ، لاثت خمارها ، و أقبلت في لمّة من حفدتها و نساء قومها تطأ في ذيولها ، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى دخلت على أبي بكر و قد حشد الناس من المهاجرين و الأنصار ، فضرب بينها و بينهم ريطة بيضاء و قال بعضهم : قبطيّة و قالوا قبطيّة ، بالكسر و الضمّ ، ثمّ أنّت أنّة أجهش لها القوم بالبكاء ، ثمّ أمهلت طويلاً حتّى سكنوا من فورتهم ، ثمّ قالت :

أبتدء بحمد مَن هو أولى بالحمد و الطّول و المجد ، الحمد لله على ما أنعم و له الشكر بما ألهم ، و ذكر خطبة جيّدة قالت في آخرها :

فاتّقوا الله حقّ تقاته ، و أطيعوه فيما أمركم به ، فانّما يخشى الله من عباده العلماء ، و احمدوا الله الّذي بعظمته و نوره يبتغي من في السماوات و الأرض إليه الوسيلة ، و نحن وسيلته في خلقه ، و نحن خاصّته ، و محلّ قدسه ، و نحن حجّته في غيبه ، ونحن ورثة أنبيائه ، ثمّ قالت :

أنا فاطمة بنت محمد ، أقول عوداً على بدءٍ و ما أقول ذلك سَرَفاً و لا شَطَطاً فاسمعوا بأسماع واعية ، و قلوب داعية ، ثمّ قالت : « لقد جائكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ما عنتّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم : ١٢٨ ـ التوبة » فان تعزوه تجدوه أبي دون آبائكم ، و أخا ابن عمّي دون رجالكم .

ثمّ ذكرت كلاماً طويلاً ، سنذكره فيما بعد في الفصل الثاني ، ثمّ أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي « أفحكم الجاهليّة يبغون و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون : ٥٠ ـ المائدة » ايها معاشر المسلمين ، أبتزّ إرث أبي ، أبى الله أن ترث يا ابن أبي قحافة أباك و لا أرث أبي ، لقد جئت شيئاً فرياً ، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله ، والزعيم محمد ، و الموعد القيامة ، و عند الساعة يخسر المبطلون ، ولكلّ نبأ مستقرٌ وسوف تعلمون ، من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ

عليه عذاب مقيم ، ثمّ التفت إلى قبر أبيها فتمثّلت بقول هند بنت أثاثه :

قد كان بعدك أنباء و هيمنة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم لمّا قضيت وحالت دونك الكتب

تجهّمتنا رجال واستخفّ بنا إذ غبت عنّا فنحن اليوم نغتصب

قال : و لم ير الناس أكثر باك و لا باكية منهم يومئذ ، ثمّ عدلت إلى مسجد الأنصار فقالت : يا معشر البقيّة ، و أعضاد الملّة ، وحضنة الاسلام ، ما هذه الفترة عن نصرتي ، و الونية عن معونتي ، و الغمزة في حقّي ، و السّنة عن ظلامتي ، أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « المرء يحفظ في ولده » سرعان ما أحدثتم ، وعجلان ما أتيتم ، الآن مات رسول الله صلى الله عليه وآله أمتّم دينه ، ها إنّ موته لعمري خطب جليل استوسع وهنه ، واستبهم فتقه ، وفُقِد راتقه ، واُظلمت الأرض له ، وخشعت الجبال و أكدت الآمال ، اُضيع بعده الحريم ، وهتكت الحرمة ، واُذيلت المصونة ، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته ، و أنبأكم بها قبل وفاته ، فقال « و ما محمّد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أ فإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً ، و سيجزي الله الشاكرين : ١٤٤ ـ آل عمران » .

ايهاً بني قيلة أ أهتضم تراث أبي ، و أنتم بمرأى و مسمع ، تبلغكم الدعوة و يشملكم الصوت ، و فيكم العدّة و العدد ، و لكم الدار و الجنن ، و أنتم نخبة الله الّتي انتخب ، و خيرته الّتي اختار ، باديتم العرب ، و بادهتم الأمور ، و كافحتم البهم ، حتّى دارت بكم رحى الاسلام ، و درّ حلبه ، و خبت نيران الحرب ، و سكنت فورة الشرك ، و هدأت دعوة الهرج ، و استوثق نظام الدين ، أفتأخّرتم بعد الإقدام ، و نكصتم بعد الشدّة ، و جبنتم بعد الشجاعة عن قوم « نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمّة الكفر إنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون » ألا و قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض ، و ركنتم إلى الدعة ، فجحدتم الّذي وعيتم ، و سغتم الّذي سوّغتم ، و إن تكفروا أنتم و من في الأرض جميعاً فانّ الله لغنيٌّ حميد .

ألا و قد قلت لكم ما قلت على معرفة منّي بالخذلة الّتي خامرتكم ، وخور القناة ، و ضعف اليقين ، فدونكموها فاحتووها مدبرة الظهر ، ناقبة الخفّ ، باقية العار ، موسومة الشعار ، موصولة بنار الله الموقدة الّتي تطّلع على الأفئدة ، فبعين الله ما تعملون ، و سيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .

و حدّث بسنده عن عوّانة بن الحكم قال : لمّا كلّمت فاطمة عليها السلام أبابكر بما كلّمته به حمد أبوبكر الله و أثنى عليه و صلّى على رسوله ، ثمّ قال : يا خيرة النساء و ابنة خير الآباء : و الله ما عدوت رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ، و ما عملت إلاّ بأمره ، و إنّ الرائد لا يكذب أهله ، و قد قلت فأبلغت و أغلظت فأهجرت ، فغفر الله لنا و لك ، أمّا بعد ، فقد دفعت آلة رسول الله و دابّته و حذاءه إلى علي عليه السلام ، و أمّا ما سوى ذلك فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول « إنّا معاشر الأنبياء لا نورّث ذهباً و لا فضّة و لا أرضاً و لا عقاراً و لا داراً و لكنّا نورث الايمان و الحكمة و العلم و السنّة » فقد عملت بما أمرني و نصحت له ، و ما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت و إليه اُنيب .

قال أبوبكر : وروى هشام بن محمّد ، عن أبيه قال : قالت فاطمة لأبي بكر : إنّ اُمّ أيمن تشهد لي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك ، فقال لها : يا ابنة رسول الله ، و الله ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله أبيك و لوددت أنّ السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك ، و الله لأن تفتقر عائشة أحبّ إليّ من أن تفتقري ، أتراني اُعطي الأحمر و الأبيض حقّه و أظلمك حقّك ، و انت بنت رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ، إنّ هذا المال لم يكن للنبي صلّى الله عليه و سلّم ، و إنّما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل به النبيّ الرجال ، و ينفقه في سبيل الله ، فلمّا توفّي رسول الله صلّى الله عليه و سلّم وليته كما كان يليه ، قالت : و الله لا كلّمتك أبداً ، قال : والله لاهجرتك أبداً ، قالت : و الله لأدعونّ الله عليك قال : و الله لأدعونّ الله لك ، فلمّا حضرتها الوفاة أوصت ألاّ يصلّي عليها ، فدفنت ليلا ، و صلّى عليها عبّاس بن عبد المطلب ، و كان بين وفاتها و وفاة أبيها اثنتان

و سبعون ليلة .

قال أبوبكر : و حدّثني محمد بن زكريّا ، قال : حدّثنا جعفر بن محمد بن عمارة بالإسناد الأوّل قال : فلمّا سمع أبوبكر خطبتها شقّ عليه مقالتها ، فصعد المنبر و قال : أيّها الناس ما هذه الرّعة إلى كلّ قالة ، أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ، ألا من سمع فليقل ، ومن شهد فليتكلّم ، إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه ، مربّ لكلّ فتنة ، هو الّذي يقول كرّوها جذعة بعد ما هرمت ، يستعينون بالضعفة ، و يستنصرون بالنساء ، كأمّ طحال أحبّ أهلها إليها البغيّ ألا إنّي لو أشاء أن أقول لقلت ، و لو قلت لبحت ، إنّي ساكت ما تركت .

ثمّ التفت إلى الأنصار فقال : قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم ، و أحقّ من لزم عهد رسول الله صلّى الله عليه و سلّم أنتم ، فقد جاءكم فآويتم و نصرتم ، ألا إنّي لست باسطاً يداً و لا لساناً على من لم يستحقّ ذلك منّا ، ثمّ نزل ، فانصرفت فاطمة إلى منزلها .

أقول : هذا شطر ممّا ورد في أمر فدك عن طرق أهل السنّة ، ذكرناه بنصّه عن الشرح المعتزلي ، و قد بحث الفريقان في هذه المسئلة بحثاً وافياً لامزيد عليه ، و أوّلوا ما ورد فيه وما صدر من النصوص بكلّ وجه ممكن لتأييد كلّ فريق مذهبه و كفى في ذلك ما نقله الشارح المعتزلي عن قاضي القضاة و ما نقله من النقد و الردّ عليه من السيّد المرتضى ـ رحمه الله ـ و ما علّق على نقوض السيّد المرتضى انتصاراً لقاضي القضاة ، من أراد الاطّلاع فليرجع إليه ، و نحن نلخّص البحث في أمر فدك بما يلي :

الاول : لاخلاف و لاشكّ في أنّ فدك كانت ملكاً صافياً خالصاً لرسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم ، لأنّ أهلها ملّكوها إيّاها صلحاً على أن يزرعوها بنصف عوائدها ، و ما روي من أنّه صلى الله عليه وآله صالحهم على النصف محمول على العوائد لا على صلب الملك و لا ينافي مع ما دلّ على أنّ أهلها صالحوه على جميعها ، و الدليل على ذلك من وجوه :

١ـ قوله تعالى « و ما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل و لا ركاب و لكنّ الله يسلّط رسلَه على من يشاء ، و الله على كلّ شيء قدير » : ٦ ـ الحشر » .

ظاهر هذه الآية أنّ ما أعطاه الله رسوله من أهل القرى من غير ايجاف الخيل والركاب و زحف المجاهد و المحارب فهو خاصّة للرسول لا يشترك فيه سائر المسلمين كأرض صالحَ أهلها مع النبي صلى الله عليه وآله و سلّموها إليه أو باد أهلها أو تركوها و هاجروا منها ، و فدك ممّا سلّمها أهلها إلى النبي صلى الله عليه وآله من دون حرب و زحف ، فهي له خاصّة ، و الآية التالية تنظر إلى الفيء الّذي أُخذ عنوة ، فهو للنبي صلى الله عليه وآله و ذوى القربى و غيرهم .

٢ـ اعتراف أبي بكر بأنّه للنبي صلى الله عليه وآله حيث تمسّك بمنعها عن فاطمة عليها السلام بحديث رواه عن النبيّ و هو قوله « لا نورث ، ما تركناه صدقة » مع أنّه لو لم يعترفْ بكونها ملك النبيّ صلى الله عليه وآله لا يحتاج إلى التمسك بهذا الحديث ، بل يمنعها باعتبار عدم ارتباطها بها .

٣ـ أنّه بعد ما ادّعت فاطمة عليها السلام أنّها نحلة أبي و قد وهبها لي ، طلب أبو بكر منها الشهود ، و طلب الشهود على النحلة ، يدلّ على اعترافه بأنّها ملك مخصوص بالنبيّ صلى الله عليه وآله ، لأنّه لا هبة إلاّ في ملك ، نعم قال في الشرح المعتزليّ : قال أبو بكر : و روى هشام بن محمّد ، عن أبيه قال : قالت فاطمة لأبي بكر : إنّ أُمّ أيمن تشهد لي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك ، فقال لها : يا ابنة رسول الله و الله ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله أبيك ـ إلى أن قال ـ إنّ هذا المال لم يكن للنبي صلّى الله عليه و سلّم و إنّما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل النبيّ به الرجال و ينفقه في سبيل الله ، فلمّا توفّي رسول الله وليته كما كان يليه ، قالت : و الله لا كلّمتك أبداً ـ الخ .

و يرد الإشكال على هذا الحديث بوجوه :

١ـ معارضته صريحاً مع ما رواه في الشرح أيضاً :

قال أبو بكر : حدّثني أبو زيد عمر بن شبّة قال : حدّثنا يحيى بن بشر ، قال : حدّثنا يحيى بن آدم ، قال : أخبرنا ابن أبي زائدة عن محمّد بن إسحاق ، عن الزهري ، قال : بقيت بقيّة من أهل خيبر تحصّنوا ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يحقن دمائهم و يسيرهم ففعل ، فسمع ذلك أهل فدك ، فنزلوا على مثل ذلك ، وكانت للنبي صلى الله عليه وآله خاصّة ، لأنّه لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب .

وهذا الحديث صريح و معلّل و موافق للقرآن وله وجوه من الترجيح سنداً .

٢ـ قال الشارح المعتزلي : و أمّا الخبر الثاني و هو الّذي رواه هشام بن محمّد الكلبي عن أبيه ففيه إشكال أيضاً ، لأنّه قال : إنّها طلبت فدك و قالت : إنّ أبي أعطانيها ، و إنّ أُمّ أيمن تشهد لي بذلك ، فقال لها أبو بكر في الجواب : إنّ هذا المال لم يكن لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وإنما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل به الرجال وينفقه في سبيل الله ، فلقائل أن يقول له : أيجوز للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يملّك ابنته أو غير ابنته من أفناء الناس ضيعة مخصوصة ، أو عقاراً مخصوصاً من مال المسلمين ، لو حي أوحى الله إليه ـ إلى أن قال : و هذا ليس بجواب صحيح .

٣ـ مخالفته مع الآية السابقة السادسة من سورة الحشر كما بيّنّاه ، فالقول بأنّ فدك لم يكن للنبيّ صلى الله عليه وآله مردود و مخالف لما عليه الفريقان ، فاذا ثبت أنّ فدك كانت خاصّة لرسول الله يثبت أنّ انتقالها إلى فاطمة عليها السلام كان بهبة رسول الله إيّاها لا بالارث فانه لو كان بالارث لا يختص بفاطمة سلام الله عليها ، فانّها لم تكُ وارثة منحصرة له صلّى الله عليه وآله بل تشترك معها أزواج النبيّ التسع و عصبة النبيّ صلى الله عليه وآله ، على مذهب العامّة فلا يصحّ لها دعوى كلّ فدك .

و لم يرد في رواية اشتراك غيرها معها في دعوى فدك إلاّ ما رواه في الشرح عن أبي بكر بسنده عن عروة عن عائشة أنّ فاطمة و العبّاس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وآله وهما حينئذٍ يطلبان أرضه بفدك وسهمه بخيبر ، فقال لهما أبو بكر : إنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه و سلّم يقول : « لا نورث ، ما تركناه صدقة » إنّما يأكل آل محمّد صلّى الله عليه من هذا المال ، و إنّي و الله لا

احيز أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه إلاّ صنعته ، قال : فهجرته فاطمة فلم تكلّمه حتّى ماتت .

و هذه رواية شاذّة تتضمّن إرث العصبة مع الأولاد ، و هو مخالف لمذهب الاماميّة ، مع احتمال أن يكون ارضه بفدك غير ضيعة فدك ، بل قطعة ارض مخصوصة فيها .

الثاني لابدّ و أن يكون في بحث فاطمة عليها السلام مع أبي بكر دعويان :

١ـ دعوى فدك بعنوان النحلة لا بعنوان الميراث .

٢ـ دعوى ميراث النبيّ ممّا تركه من غير فدك ، و هو اُمور ، منها سهمه صلّى الله عليه وآله بخيبر ، ومنها سهم الخمس الّذي كان له في حياته من سهم الله وسهم الرسول ، ومنها سائر ما يملكه من الدار والمتاع وغيرهما وقد حازها كلّها أبو بكر بحجّة ما تفرّد بروايته من قوله « لانورث ما تركناه صدقة » فدعوى الهبة والارث لم تتعلّق بموضوع واحد و هو فدك ، بل الهبة متعلّقة بفدك و دعوى الارث بغيرها ، كما يستفاد ممّا رواه في الشرح المعتزلي عن أبي بكر بسنده إلى اُمّ هاني ، أنّ فاطمة قالت لأبي بكر : من يرثك إذا متّ ؟ قال : ولدي و أهلي ، قالت : فمالك ترث رسول الله ﷺ دوننا ؟ قال : يا ابنة رسول الله ، ما ورّث أبوك داراً و لا مالاً و لا ذهباً و لا فضّة ، قالت : بلى سهم الله الّذي جعله لنا ، و صار فيئنا الّذي بيدك ، فقال لها : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّما هي طعمة أطعمنا الله ، فاذا متّ كانت بين المسلمين .

و لا بدّ من القول بأنّ الدعويين مختلفتان ولم تتواردا على مورد واحد ، فانّهما متكاذبان ، لأنّ دعوى الهبة تقتضي الاعتقاد بخروج المورد عن ملك النبيّ صلّى الله عليه وآله في حياته ، و دعوى الارث تقتضي بقائه في ملكه إلى حين الموت اللهمّ إلاّ أن يقال : إنّ دعوى الهبة مقدّمة على دعوى الارث فلمّا ردّت طرحت دعوى الارث على وجه التنزّل عنها و على وجه الجدال مع الخصم ، و فيه بعد .

و قد اختلف كلامهم في أنّ أيّ الدعويين مقدّمة ، قال في الشرح المعتزلي

في الفصل الثالث من مباحثه الّتي طرحها في أمر فدك « ص ٢٦٩ ج ١٦ ط مصر » :

وقد أنكر أبوعلي ما قاله السائل من أنّها لمّا ردّت في دعوى النحلة ادّعته إرثاً و قال : بل كانت طلبت الارث قبل ذلك ، فلمّا سمعت منه الخبر كفّت و ادّعت النحلة .

و العجب كلّ العجب من أبي علي ، كيف خفي عليه أنّه لو كانت دعوى الارث مقدّمة فقد اعترفت فاطمة عليها السلام ببقاء المورد في ملك أبيه إلى حين الوفات ، فكيف يصحّ منها أن تدّعي النحلة بعد ذلك .

و العجب من السيّد المرتضى - رحمه الله - حيث لم يتوجّه في جوابه عن كلامه هذا في الشافي إلى خبطه فقال : و أمّا إنكار أبي علي أن يكون النحل قبل ادّعاء الميراث و عكسه الأمر فيه ، فأوّل ما فيه أن لا نعرف له غرضاً صحيحاً في إنكار ذلك لأنّ كون أحد الأمرين قبل الآخر لايصحّح له مذهباً فلايعتدّ على مخالفه مذهباً ، ثمّ قال رحمه الله :

ثمّ إنّ الأمر في أنّ الكلام في النحل كان المتقدّم ظاهراً ، والروايات كلّها به واردة ، و كيف أن تبتدأ بطلب الميراث فيما تدّعيه بعينه نحلاً أوليس هذا يوجب أن تكون قد طالبت بحقّها من وجه لاتستحقّه منه مع الاختيار و كيف يجوز ذلك و الميراث يشتركها فيه غيرها ، و النحل تنفرد به » .

أقول : قد ترى أنّ السيّد رحمه الله لم يُشر إلى التكاذب و التناقض الّذي يلزم على المدّعي للميراث قبل ادّعاء النحل ، فانّه لو ادّعى الميراث أوّلاً فقد اعترف ببقاء الملك على ملك المورث إلى حين الموت ، فلو ادّعى النحل بعد ذلك فقد ناقض دعواه الأولى و كذّب نفسه ، ولايصحّ صدوره من فاطمة عليها السلام مع عصمته و طهارته ، فلابدّ من القطع بتقدّم دعوى النحل على دعوى الارث ، ولايصحّ جعله ظاهر الحال أو ظاهر الأخبار ، كما يستفاد من كلام السيّد رحمه الله .

وقد انتصر الشارح المعتزلي لأبي علي بما يلي « ص ٢٨٥ ج ١٦ ط مصر » :

فأمّا تعجّب المرتضى من قول أبي علي أنّ دعوى الارث كانت متقدّمة على

دعوى النحل وقوله : إنّا لانعرف له غرضاً في ذلك ، فانّه لايصحّ له بذلك مذهب و لا يبطل على مخالفيه مذهب ، فانّ المرتضى لم يقف على مراد الشيخ أبي علي في ذلك ، و هذا شيء يرجع إلى اصول الفقه ، فانّ أصحابنا استدلّوا على جواز تخصيص الكتاب بخبر الواحد باجماع الصحابة ، لأنّهم أجمعوا على تخصيص قوله تعالى : « يوصيكم الله في أولادكم » برواية أبي بكر عن النبيّ صلى الله عليه وآله « لانورث ما تركناه صدقة » ، قالوا : و الصحيح في الخبر أنّ فاطمة عليها السلام طالبت بعد ذلك بالنحل لا بالميراث ، فلهذا قال الشيخ أبوعلي : إنّ دعوى الميراث تقدّمت على دعوى النحل ، و ذلك لأنّه ثبت أنّ فاطمة انصرفت عن ذلك المجلس غير راضية و لا موافقة لأبي بكر ، فلو كانت دعوى الارث متأخّرة ، و انصرفت عن سخط لم يثبت الاجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد ، أمّا إذا كانت دعوى الارث متقدّمه فلمّا روى لها الخبر أمسكت و انتقلت إلى النزاع من جهة اُخرى ، فانه يصحّ حينئذٍ الاستدلال بالاجماع على تخصيص الكتاب بخبر الواحد ، فأمّا أنا فالأخبار عندي متعارضة ، يدلّ بعضها على أنّ دعوى الارث متأخّرة ، و بعضها على أنّها متقدّمة و أنا في هذا الموضع متوقّف ، وما ذكره المرتضى من أنّ الحال تقتضي أن تكون البداية بدعوى النحل فصحيح ، انتهى .

أقول : لايخفى ما في كلام الشارح المعتزلي من الاضطراب والتناقض ، فتارة ينتصر لأبي علي جزماً ليصحّح الاجماع ، واخرى يحكم بتعارض الأخبار و يتوقّف و ثالثة يصحّح كلام المرتضى في تقدّم دعوى النحل .

و الأصحّ أنّ مورد دعوى النحل خصوص فدك ولم يرد عليها دعوى الارث أصلاً لا قبلها و لا بعدها ، و مورد دعوى الارث سائر ما تركه رسول الله من سهمه بخيبر و سهمه في الخمس وغيرذلك من متاعه ، وقد تصرّف أبوبكر في جميع ذلك و قام مقامه كلاًّ و لم يمسك عن أموال رسول الله يداً إلاّ من آلة رسول الله ودابّته و حذائه حيث دفعها إلى عليّ عليه السلام ، كما في رواية عوانة بن الحكم .

والعجب من الشارح المعتزلي حيث انتصر لأبي علي بما يوجب تكاذب فاطمة

عليها السلام لنفسها و سقوط كلامها عن الاعتبار بالتناقض الظاهر ، و كيف يصح لها عليها السلام دعوى النحل في فدك بعد الاعتراف بأنها ميراث لرسول الله صلى الله عليه وآله ، و قد أصرت في غير موضع من كلامه على اعتراف فاطمة بصحة ما رواه أبو بكر من قوله « لا نورث ، ما تركناه صدقة » وموافقتها معه في ذلك ، ومن يتدبر في كلام فاطمة تجاه أبي بكر و من وافقه يفهم أن فاطمة عليها السلام أنكر حديثه و نسبت المعترف به إلى الكفر و الالحاد و الخروج عن الاسلام و متابعة القرآن ، فانظر إلى قولها فيما ذكره الشارح المعتزلي بأسناد عدة :

« ثم أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي « أفحكم الجاهلية يبغون و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » ايها معاشر المسلمين ابتز إرث أبي ، أبى الله أن ترث يا ابن أبي قحافة أباك و لا أرث أبي ، لقد جئت شيئاً فرياً ، فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك ، فنعم الحكم الله ، و الزعيم محمد ، و الموعد القيامة ، و عند الساعة يخسر المبطلون ، و لكل نبأ مستقر و سوف تعلمون ، من يأتيه عذاب يخزيه و يحل عليه عذاب مقيم » ، و قالت فيما خاطبت و عاتبت به الأنصار :

« ما هذه الفترة عن نصرتي ، و الونية عن معونتي ، و الغمزة في حقي ، والسنة عن ظلامتي - إلى أن قالت عليها السلام : ايها بني قيلة ، أأهتضم تراث أبي ، وأنتم بمرأى و مسمع ، تبلغكم الدعوة ، و يشملكم الصوت ، و فيكم العدة و العدد ، و لكم الدار و الجنن ، وأنتم نخبة الله التي انتخب ، وخيرته التي اختار ، باديتم العرب ، و بادهتم الأمور ، و كافحتم البهم ، حتى دارت بكم رحى الاسلام ، و در حلبه ، وخبت نيران الفتنة ، و سكنت فورة الشرك ، و هدأت دعوة الهرج واستوثق نظام الدين ، أفتأخرتم بعد الإقدام ، و نكصتم بعد الشدة ، وجبنتم بعد الشجاعة ، عن قوم « نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون » .

أقول : من تدبر هذه الكلمات التي خرجت من قلب ملتهب و أسف عميق

يفهم بوضوح عدم طريق للموافقة بين بنت الرسول المظلومة الممنوعة عن حقّها مع مخالفيها بوجه من الوجوه ، و قد صرّحت فيها بنكث العهد و مخالفة الرسول عن اولئك المخالفين .

الثالث ممّا يهمّ في المقام ، بيان أنّ فدك كانت في تصرّف فاطمة عليها السلام فانتزعها منها أبوبكر ؟ أو كانت في ضمن ما تركه النبيّ صلى الله عليه وآله فمنعها أبوبكر من التصرّف فيها ؟

حكى في الشرح المعتزلي عن قاضي القضاة ما يلي « ص٢٦٩ ج١٦ ط مصر » :

و لسنا ننكر صحّة ما روي من ادّعائها فدك ؛ فأمّا أنّها كانت في يدها فغير مسلّم ، بل إن كانت في يدها لكان الظاهر أنّها لها ، فاذا كانت في جملة التركة فالظاهر أنّها ميراث .

و نقل عن السيّد المرتضى في ردّ كلامه « ص ٢٧٥ ج ١٦ ط مصر » :

فأمّا إنكار صاحب الكتاب لكون فدك في يدها فما رأيناه اعتمد في إنكار ذلك على حجّة ، بل قال : لو كان ذلك في يدها لكان الظاهر أنّها لها ، و الأمر على ما قال ، فمن أين أنّه لم يخرج عن يدها على وجه يقتضي الظاهر خلافه ، و قد روى من طرق مختلفة غير طريق أبي سعيد الّذي ذكره صاحب الكتاب أنّه لمّا نزل قوله تعالى « وآت ذا القربى حقّه : ٣٨ـ الروم » دعا النبيّ صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فأعطاها فدك ، و إذا كان ذلك مرويّاً فلامعنى لدفعه بغير حجّة .

أقول : لاإشكال في أنّ ظاهر « فأعطاها فدك » الواردة في غير واحد من الأخبار هو إقباض النبيّ صلى الله عليه وآله إيّاها ، لا مجرّد إنشاء صيغة الهبة ، فانّ العطاء حقيقة في العمل الخارجي ، و من هذه الجهة عنون الفقهاء المعاطاة في مقابل العقد والمعاملة الانشائيّة ، فالمعاطاة معاملة بالعمل وبالأخذ والردّ ، و أدلّ دليل على كونها في تصرّف فاطمة عليها السلام حين موت النبيّ صلى الله عليه وآله كلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الكتاب الموجّه إلى عثمان بن حنيف من كبار الصحابة حيث يقول صلوات الله عليه :

« بلى كانت في أيدينا فدك » فانّه كاد أن يكون صريحاً في كونها تحت

تصرّف أهل البيت .

الرابع : لقضيّة فدك جهتان هامّتان :

الاولى النظر إليها من الوجهة الحقوقيّة و القضائيّة و البحث من حيث إنّ فدك كانت حقاً لفاطمة سلام الله عليها بهبة من النبيّ صلى الله عليه وآله كما هو الظاهر ، أو بالارث كما ذكره غيرواحد من الأصحاب و جمّ من المخالفين فأخذت منها غصباً و تعمّداً ، أو على وجه الشبهة باعتماد الحديث الّذي رواه أبوبكر عن النبيّ صلى الله عليه وآله « لانورث ، ما تركناه صدقة » و البحث في هذا الحديث يقع من وجهين :

الأوّل : من جهة السند ، و يضعّف من وجوه شتّى ، كتفرّد أبي بكر بنقله مع وفور الصحابة و توفّر الداعي ببيانه للناس لإزالة الشبهة ، و كعدم اطّلاع أهل البيت عليهم السلام و أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله عنه مع مسيس الحاجة إلى إبلاغهم هذا الحكم من النبيّ ليعرفوا تكليفهم في تركته من حين موته ، و يكاد يقطع باستحالة إخفاء النبيّ صلى الله عليه وآله هذا الحكم عنهم مع ولعه بتقوى ذويه وأهل بيته .

الثاني: من جهة دلالته حيث إنّ للنبيّ صلى الله عليه وآله جهتان متمايزتان : الأولى جهة شخصيّة و أنّه كسائر أفراد البشر و المسلمين يملك و يتزوّج و يصير أباً و يكون ابناً لأبيه ، وله حقوق متساوية مع غيره فيملك و يملّك و يرث و يورّث ، الثانية جهة نبوّته و ما يتعلّق به بعنوان أنّه نبيّ فيكون والد الأمّة و مالك الوجوه العامّة من الغنائم و السبايا ، و بيده مفتاح بيت المال يتصرّف فيه على ما يراه صلاحاً ، فيمكن أن يكون مقصوده من قوله صلى الله عليه وآله « لانورث » الجهة الثانية ومعناه أنّ ما يملكه النبيّ بعنوان أنّه نبيّ غيرمورث و تترك صدقة عامّة للأمّة و لا يشمل ما يملكه باعتبار شخصه من أمواله الخاصّة فانّها متروكة لوارثه كسائر الأفراد .

و حيث كانت فدك مطرحاً لدعوى فاطمة عليها السلام من جهة النحلة وطلب أبوبكر منها البيّنة فشهد لها عليّ عليه السلام و أمّ أيمن فردّت شهادتهما أو لم يكتف بهما لنقصانهما عن حدّ البيّنة الشرعيّة فانّها تتحقّق بشهادة رجلين أو رجل و امرأتين عرضت القضيّة لبحث قضائي من وجوه شتّى .

منها ، هل يصحّ أو يجب الاكتفاء بمجرّد الدعوى من فاطمة عليها السلام للحكم لها ؟ أم حالها حال سائر الناس و لا بدّ من عرض دعويها على الموازين القضائيّة العامّة ؟

و تحقيق البحث فيه يرجع إلى النظر في أمرين :

الأول في أنّ البيّنة حجة لاثبات دعوى المدّعي باعتبار صرف الحكاية عن الواقع ومن جهة الكاشفيّة فقط ، فكلّ كاشف عن الواقع يساويها في البيان أو يقوى عليها يقوم مقامها ، أم هي حجّة قضائيّة بخصوصها و لها موضوعيّة لفصل الدعوى و إثبات المدّعى ؟ والظاهر هو الأوّل لأنّ البيّنة كاشفة عن الواقع و حجّة بهذا الاعتبار ولذا يقوم مقامها الشياع ، وحينئذ فعصمة فاطمة عليها السلام و طهارتها عن الكذب بحكم آية التطهير الشامل لها ممّا يوجب العلم بصدق دعويها فيحكم لها لهذا العلم الناشي عن خصوصية المدّعي و إن منعنا عن جواز حكم القاضي في موضوع النزاع بمجرّد علمه الغير المستند إلى طرح الدعوى كالوحي أو الاستظهار بالغيب من الرياضة أو مثل علوم الجفر والرمل ونحوهما لمن هو أهله .

ففي الشرح المعتزلي : قال المرتضى : نحن نبتدء فندلّ على أنّ فاطمة عليها السلام ما ادّعت من نحل فدك إلاّ ماكانت مصيبة فيه ، وأنّ مانعها ومطالبها بالبيّنة متعنّت ، عادل عن الصواب ، لأنّها لا تحتاج إلى شهادة و بيّنة - إلى أن قال - أمّا الّذي يدلّ على ما ذكرناه فهو أنّها معصومة من الغلط ، مأمون منها فعل القبيح ومن هذا صفته لايحتاج فيما يدّعيه إلى شهادة و بيّنة .

ثمّ استشهد لاثبات عصمتها بآية التطهير و حديث « فاطمة بضعة منّي ، من آذاها فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله عزّ وجلّ » و هذا يدلّ على عصمتها ، لأنّها لو كانت ممّن يقترف الذنوب لم يكن من يؤذيها مؤذياً له على كلّ حال ، بل متى فعل المستحقّ من ذمّها ، أو إقامة الحدّ عليها ، إن كان الفعل يقتضيه ساراً له و مطيعاً ، على أنّنا لانحتاج في هذا الموضع على الدلالة على عصمتها ، بل يكفي في هذا الموضع العلم بصدقها فيما ادّعته ، و هذا لاخلاف فيه بين المسلمين لأنّ

أحداً لا يشكّ أنّها لم تدّع ما ادّعته كاذبة ، و ليس بعد أن لا تكون كاذبة إلاّ أن تكون صادقة ، و إنّما اختلفوا في أنّه هل يجب بعد العلم بصدقها تسليم ما ادّعته بغير بيّنة أم لا يجب ذلك ؟

ثمّ استدلّ على أنّ البيّنة من جهة الكاشفيّة لا من جهة الموضوعيّة بوجوه :

١ـ اشتراط العدالة في البيّنة للاعتماد بصدقها .

٢ـ جواز حكم الحاكم بعلمه من غير شهادة .

٣ـ كون الإقرار أقوى من البيّنة من حيث إنّه أكشف للواقع ـ إلى أن قال: « و الّذي يدلّ على صحّة ما ذكرناه أيضاً أنّه لا خلاف بين أهل النقل في أنّ أعرابياً نازع النبيّ صلى الله عليه وآله في ناقة ، فقال عليه السلام « هذا لي و قد خرجت إليك من ثمنها » فقال الأعرابي : من يشهد لك بذلك؟ فقال خزيمة بن ثابت : أنا أشهد بذلك ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : « من أين علمت ، وما حضرت ذلك ؟ » قال : لا ولكن علمت ذلك من حيث علمت أنّك رسول الله ، فقال : « قد أجزت شهادتك وجعلتها شهادتين » فسمّي ذا الشهادتين ، و هذه القضيّة شبيهة لقصّة فاطمة عليها السلام .

و منها أنّه حيث كانت فاطمة عليها السلام مدّعية لفدك باتّفاق أهل الحديث يستفاد أنّها كانت متصرّفة فيها و صاحبة يد عليها ، فلا يصحّ مطالبتها بالبيّنة إلاّ أن يقال بأنّ دعويها مقرونة بالاستناد إلى ادّعاء الهبة و بهذا الاعتبار تحتاج إلى البيّنة ، و قد شهد لها عليّ عليه السلام و أمّ أيمن ، و يظهر مما نسب إلى أبي بكر التوقّف في الحكم لها باعتبار نقصان البيّنة ، فانّها تتحقّق برجلين أو رجل وامرأتين ، فيبحث عن خطأ أبي بكر في ذلك باعتبار أنّ علياً مشمول لآية التطهير و معصوم ، فيقوم شهادته مقام رجلين و أمّ أيمن ممّن ثبت كونها من أهل الجنّة فيقطع بصدقها ويقوم شهادتها مقام امرأتين و أكثر ، و نسب إلى عمر ردّ شهادتهما باتّهام عليّ عليه السلام بأنّه يجرّ النار إلى قرصه ، و القدح في أمّ أيمن بأنّها عجميّة مردودة الشهادة فيالهما من خطأ و جور .

الثانية النظر إليها من الوجهة السياسية ، وهي أن أخذ فدك من فاطمة عليها السلام

و أخذ سائر مواريث النبيّ منها و من سائر الورّاث تابع للاستيلاء على الخلافة و الحكم ، فلا يستقرّ بيعة سقيفة على أبي بكر إلاّ بهذين الأمرين ، لأنّ الرياسة على الأمّة من أهمّ مواريث النبيّ صلى الله عليه وآله و من أوفر ما تركه بعده فتتعلّق بذويه الأقربين من اهل بيته ، و لا يكفي مجرّد بيعة الناس مع ابي بكر لسلب هذا الحق عن اهل البيت إلاّ بمنع التوريث عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، و منع الارث يحتاج إلى قضيّة عامّة و هي جملة « لانورّث ، ما تركناه صدقة » الّتي ابتكرها أبوبكر و تفرّد بنقلها و لم يكن لمن بايع معه من المهاجرين و الأنصار إلاّ التسليم لها وترك النكير عليها ، فانّهم لوأنكروها وقاموا في وجه أبي بكر لردّها يضطرّون إلى نقض بيعتهم معه بالرئاسة و الخلافة فلا يستقيم قبول وراثة فاطمة و سائر أهل البيت عمّا تركه النبيّ صلى الله عليه وآله مع بيعتهم لأبي بكر بالخلافة .

و يدلّ على ذلك ما حكي أنّ هارون العبّاسي قال لموسى بن جعفر عليه السلام : حدّ لي فدك حتّى أردّه ، فقال عليه السلام : حدّها من سيف البحر إلى دومة الجندل إلى عريش مصر ، فقال هارون : حتّى أنظر فيها ، فالظاهر أنّ مقصوده عليه السلام أنّ فدك نموذج ما تركه النبيّ صلى الله عليه وآله لأهل بيته و هو ما استقرّ حكومته عليه في حياته .

و قال الشارح المعتزلي « ص ٢٨٤ ج ١٦ ط مصر » : « و سألت عليّ بن الفارقي مدرّس المدرسة الغربيّة ببغداد ، فقلت له : أكانت فاطمة صادقة ؟ قال : نعم ، قلت : فلم لم يدفع إليها ابوبكر فدك و هي عنده صادقة ؟ فتبسّم ، ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه و حرمته و قلّة دعابته ، قال : لو أعطاها اليوم فدك بمجرّد دعواها لجائت إليه غداً و ادّعت لزوجها الخلافة ، و زحزحته عن مقامه ، و لم يكن يمكنه الاعتذار و الموافقة بشيء لأنّه يكون قد أسجل على نفسه أنّها صادقة فيما تدّعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة و لا شهود ، و هذا كلام صحيح ، و إن كان قد أخرجه مخرج الدّعابة و الهزل » .

ثمّ إنّ عمق سياسة قضيّة فدك يظهر من التدبّر في خطب ابي بكر و مكالمته

مع فاطمة عليها السلام حيث يستفاد منها أنّ أبابكر كان داهية دهياء ولايكون في المسلمين يومئذ أدهى منه و أمكر ، و صوّر خطّة سياسته في هذه القضيّة من ثلاث :

الاولى رقّته و لينه تجاه فاطمة عليها السلام بما لا مزيد عليه و تمسّكه بالإطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله و ولعه على العمل بسنّته و سيرته حرفاً بحرف و قدماً على قدم ، و تحريش الناس على فاطمة عليها السلام بأنّها يريد خلاف قول أبيها طلباً لحطام الدنيا فانظر فيما يلي :

في الشرح المعتزلي « ص ٢١٤ ج ١٦ ط مصر » : و روى هشام بن محمّد عن أبيه قال : قالت فاطمة لأبي بكر : إنّ اُمّ أيمن تشهد لي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك ، فقال لها : يا ابنة رسول الله ، والله ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله أبيك ، و لوددت أنّ السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك ، و الله لأن تفتقر عايشة أحبّ إليّ من أن تفتقري ، أتراني اُعطي الأحمر و الأبيض حقّك و أظلمك حقّك ، و أنت بنت رسول الله صلّى الله عليه و سلّم ، إنّ هذا المال لم يكن للنبيّ صلّى الله عليه و سلّم ، و إنّما كان مالاً من أموال المسلمين ، يحمل النبيّ به الرجال ، و ينفقه في سبيل الله ، فلمّا توفّي رسول الله صلّى الله عليه و سلّم وليته كما كان يليه ، قالت : و الله لا كلّمتك أبداً ، قال : و الله لاهجرتك أبداً ، قالت : و الله لأدعونّ الله عليك ، قال : والله لأدعونّ الله لك ، فلمّا حضرتها الوفاة أوصت ألاّ يصلّي عليها . فدفنت ليلا ...

و في الشرح أيضاً « ص ٢١٣ ج ١٦ ط مصر » : عن عوانة بن الحكم ، قال : لمّا كلّمت فاطمة عليها السلام أبابكر بما كلّمته به ، حمد أبوبكر الله و أثنى عليه و صلّى على رسوله ثمّ قال : يا خيرة النساء و ابنة خير الآباء ، و الله ما عدوت رأي رسول الله صلى الله عليه وآله ، و ما عملت إلاّ بأمره ، و إنّ الرائد لايكذب أهله ، وقد قلت فأبلغت و أغلظت فأهجرت ، فغفر الله لنا و لك ، أمّا بعد ، فقد دفعت آلة رسول الله ، و دابّته و حذاءه إلى عليّ عليه السلام ، فأمّا ما سوى ذلك فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إنّا معاشر الأنبياء لانورث ذهباً و لا فضّة و لا أرضاً و لا عقاراً و لا داراً ،

و لكنّا نورث الايمان و الحكمة و العلم و السنّة ، فقد عملت بما أمرني ، و نصحت له ، و ما توفيقي إلاّ بالله عليه توكّلت و إليه اُنيب .

فقد ترى أبابكر في هذه المكالمة و هذه الخطبة القصيرة الّتي أجاب بها عن خطبة فاطمة الطويلة القاصعة يظهر الخضوع و التذلّل لفاطمة عليها السلام و الطوع والانقياد لأمر أبيها حتّى يصوّر فاطمة عليها السلام في نظر الناس عاقّة لأبيها و طالبة لحطام الدنيا .

الثانية استصغار عليّ و أهل بيته و إهانتهم في نظر الناس ليسقط عندهم هيبة أهل البيت و ينتهك حرمتهم الّتي اكتسبوها في ضوء توصيات النبي صلى الله عليه وآله و حرمة مهبط الوحي و الرسالة ، و يجترؤا على الصّول عليهم ، بما يقتضيه السياسة في مواقفها الآتية .

فانظر إلى قوله في تلك الخطبة « أمّا بعد ، فقد دفعت آلة رسول الله و دابّته و حذاءه إلى عليّ » فإنّ فيه من الإهانة بمقام عليّ عليه السلام ما لا يخفى ، فيغصب أبوبكر منبر رسول الله و سيفه و يدفع إلى عليّ عليه السلام حذاءه .

ثمّ انظر إلى ما أفاده في خطبته الثانية كما في الشرح المعتزلي « ص٢١٤ ج١٦ ط مصر » : قال أبوبكر : و حدّثني محمّد بن زكريّا قال : حدّثنا جعفر بن محمّد بن عمارة بالإسناد الأوّل قال : فلمّا سمع أبوبكر خطبتها شقّ عليه مقالتها ، فصعد المنبر و قال : أيّها الناس ، ما هذه الرعة إلى كلّ قالة ، أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله صلّى الله عليه و سلم ، ألا من سمع فليقل و من شهد فليتكلم ، إنّما هو ثعالة شهيده ذنبه ، مربّ لكلّ فتنة هو الّذي يقول : كرّوها جذعة بعد ما هرمت ، يستعينون بالضعفة و يستنصرون بالنساء كأمّ طحال أحبّ أهلها إليها البغيّ ألا أنّي لو أشاء أن أقول لقلت ، و لو قلت لبحت ، إنّي ساكت ما تركت ...

قال الشارح المعتزلي : قرأت هذا الكلام على النقيب أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري و قلت له : بمن يعرّض ؟ فقال : بل يصرّح ، قلت : لو صرّح لم أسألك ، فضحك و قال : بعليّ بن أبيطالب عليه السلام ، قلت : هذا الكلام كلّه لعليّ يقوله ؟ قال : نعم ، إنّه الملك يا بنيّ ، و يظهر نهاية استخفافه بعليّ

وفاطمة عليها السلام واستصغاره لشأنهما بما فسّره من غريب ألفاظ الخطبة ، قال : فسألته عن غريبه ، فقال : أمّا الرعة بالتخفيف ، أى الاستماع و الاصغاء ، و القالة : القول، و ثعالة : اسم الثعلب علم غير مصروف مثل ذؤالة للذئب ، وشهيده ذنبه : أي لا شاهد له على ما يدّعى إلاّ بعضه و جزء منه ، و أصله مثل ، قالوا : إنّ الثعلب أراد أن يغري الأسد بالذئب فقال : إنّه قد أكل الشاة الّتى قد أعددتها لنفسك ، و كنت حاضراً ، قال: فمن يشهد لك بذلك ؟ فرفع ذنبه و عليه دم ، وكان الأسد قدافتقد الشاة فقبل شهادته ، و قتل الذئب ، ومربّ : ملازم ، أربّ بالمكان ، و كرّوها جذعة : أعيدوها إلى الحال الأولى ، يعني الفتنة والهرج ، وأمّ طحال امرأة بغيّ في الجاهليّة ، فيضرب بها المثل فيقال : أزنى من أمّ طحال ، انتهى .

فقد اتّهم عليّاً عليه السلام في كلامه هذا بأنّه يجرّ النار إلى قرصه و يشهد لجرّ النفع و جلب المنفعة و أنّه يريد إلقاء الفتنة بين المسلمين و ايقاد نيران الحرب و ردّ الاسلام قهقرى ، فيستعين بالضعفة و النساء ، و كفى وهناً به و بفاطمة قوله : كأمّ طحال أحبّ أهلها إليها البغيّ ، و هل قصد تشبيه عليّ عليه السلام بأمّ طحال أو فاطمة عليها السلام أو هما معاً ، و كفى به توهيناً لهما و إظهاراً للكفر و الزندقة .

و يقصد في ضمن ذلك سلب الفوائد عن عليّ عليه السلام بحيث لا يملك درهماً ولا ديناراً ، فيكون قد اشتغل بتحصيل القوت ويكون آكلاً سهمه من بيت المال بنظارته كأحد أجرائه و أمرائه لئلاّ يتوجّه إليه النّاس فيعتزّ بهم و يطلب حقّه من الخلافة .

قال في الشرح المعتزلي (ص ٢٣٦ ج ١٦ ط مصر) : وقال لي علويّ من الحلّة ، يعرف بعليّ بن مهنّا ، ذكيّ ذوفضائل : ما تظنّ قصد أبي بكر و عمر بمنع فاطمة فدك ؟ قلت : ما قصدا ؟ قال : أرادا أن لا يظهرا لعليّ ـ وقد اغتصباه الخلافة ـ رقّة ولين ، ولا يرى عندهما خوراً ، فاتبعا القرح بالقرح .

و قلت لمتكلّم من متكلّمى الإماميّة يعرف بعليّ بن تقيّ من بلدة النّيل وهل كانت فدك إلاّ نخلاً يسيراً وعقاراً ليس بذلك الخطير ؟ فقال لي : ليس الأمر

كذلك ، بل كانت جليلة جدًّا ، و كان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل ، و ما قصد أبو بكر و عمر بمنع فاطمة عنها إلاّ ألاّ يتقوّى عليٌّ بحاصلها وغلّتها على المنازعة في الخلافة ، ولهذا اتبعا ذلك بمنع فاطمة وعليّ وسائر بني هاشم وبني المطّلب حقّهم في الخمس ، فانّ الفقير الّذي لا مال له تضعف همّته ويتصاغر عند نفسه ويكون مشغولاً بالاحتراف والاكتساب عن طلب الملك والرآسة ، فانظر إلى ما قد وقر في صدور هؤلاء ...

الثالثة إرعاب الناس وتخويفهم إلى حيث ينقادون لحكمهم ويتهيّأون لكلّ ما يقرّرونه بعد ذلك من مؤامراتهم ، فتشديدهم الأمر على أهل بيت النبيّ إلى حيث هدّدوهم بإحراق بيتهم أو أشعلوا النار في باب فاطمة عليهاالسلام و في روايات عدّة أنّهم ضربوها بالسياط تقرير لهذه السياسة الحديديّة الناريّة الّتي يرتكبها الطامعون في استقرار حكومتهم و كبح مخالفيهم .

قال في الشرح المعتزلي « ص ٢٨٣ ج ١٦ ط مصر » : فيما نقله عن السيّد المرتضى في جواب قاضي القضاة : فأمّا قوله إنّ حديث الإحراق لم يصحّ ، و لو صحّ لساغ لعمر مثل ذلك فقد بيّنّا أنّ خبر الاحراق قد رواه غير الشيعة و قوله أنّه يسوغ مثل ذلك ، فكيف يسوغ إحراق بيت عليّ و فاطمة عليهماالسلام و هل في ذلك عذر يصغى إليه أويسمع ، وإنّما يكون عليٌّ و أصحابه خارقين للاجماع و مخالفين للمسلمين لوكان الاجماع قد تقرّر و ثبت ، و ليس بمتقرّر و لا ثابت مع خلاف عليّ وحده فضلاً عن أن يوافقه على ذلك غيره ...

و تهديد أبي بكر للناس و خصوص الأنصار الّذين هم العدّة و العدد و صاحبوا الدار و الجنن يظهر من ذيل خطبته السابقة « ص٢١٥ ج ١٦ ط مصر » :

ثمّ التفت إلى الأنصار فقال : قد بلغني يا معشر الأنصار مقالة سفهائكم ، و أحقٌّ من لزم عهد رسول الله أنتم ، فقد جائكم فآويتم و نصرتم ، ألا أنّي لست باسطاً يداً و لا لساناً على من لم يستحقّ ذلك منّا ، ثمّ نزل ، فانصرفت فاطمة عليها السلام إلى منزلها .

قال الشارح المعتزلي في ضمن ماسأله عن النقيب أبي يحيى « قلت : فما مقالة الأنصار ؟ قال : هتفوا بذكر عليّ فخاف من اضطراب الأمر عليهم ، فنهاهم » .

و بهذه السياسة الحديديّة المقرونة بأشدّ الارعاب أخمدوا نار الثورة الفاطميّة الّتي أشعلتها عليهم بخطبتها الرنّانة الفائقة و تمسّكوا بالملك والخلافة بكلّ قوّة و شدّة ، و سيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .

الترجمة

از نامهٔ آنحضرت عليه السلام است که بعثمان بن حنيف انصاری نگاشته ـ عثمان ابن حنيف کارگزار آنحضرت بود بر استان بصره ، و از وی بآنحضرت گزارش رسيده بود که برای صرف وليمه جشن جمعی ازمردم بصره دعوت شده واين دعوت را پذيرفته و درآن وليمه شرکت کرده ، ودرضمن نامه بدو نوشته است :

أمّا بعد أی زادهٔ حنيف ، بمن خبر رسيده که مردی ازجوانان اهل بصره ازتو برسرخوان مهمانی دعوت کرده وتوهم بدان شتافتی ، خورا کهای رنگارنگ برايت آورده اند و قدحهای چند دربرابرت چيده اند (تو حريصانه ازآنها خوردی واستخوانهای گوشت را بدندان پاك کردی) .

من گمان نمی بردم تو پذيرای دعوت مردمی شوی برسرخوان خورا کشان که بينوايان آنها گرسنه اند و توانگرانشان دعوت شده اند ، بنگر ازاين آخر دنيا چه می جوی ، آنچه را يقين نداری که حلال است بدورانداز وازآنچه بيقين ميدانی حلال است استفاده کن .

هلا براستيکه هرمأمومی را امامی است که ازاو پيروی کند واز پرتودانشش روشنی گيرد ، هلابراستی امام وپيشوای شما ازدنيای خود بدوپاره کرباس ودوقرصه نان جوين قناعت کرده ، معلومست که شمانتوانيد چنين زندگی کنيد وتااين اندازه قناعت ورزيد ، ولی بورع و کوشش خود درکار دين بمن کمك کنيد ، و با پارسائی ودرستکاری مرا مدد کنيد ، بخدا سوگند ، من ازدنيای شما گنجينه زری نيندوختم و از دست آوردهای آن بری برنگرفتم ، وذخيره و پس اندازی نيندوختم ، و برای

کهن جامه تن خود پارچه کرباسینی آماده نساختم ، واززمین این دنیا یك وجب بچنگ نیاوردم ، وازاین دنیا جز قوتی اندك باندازهٔ خوراك ماده الاغی پشت‌ریش برنگرفتم ، وهرآینه این دنیا در چشم من سست تر و پست تر است از دانه بلوطی گرف ونامطبوع .

آری در زیردست ما تنها یك فدك بود از هرآنچه آسمان برآن سایه دارد ودلهای مردمی برآن دریغ آورد و دلهای دیگران برآن بخششگرشد وازدست ما ربوده گردید ، و چه خوب دادگری است خداوند ، مرا چه‌کاراست با فدك یا جز فدك بااینکه منزل فردای هر کس گوراست ، گوری که درتاریکیش آثار و کردار هر کس منقطع میگردد واخبارش نهان می‌شود گودالی که اگردرمیدانش بیفزایند ودست حفّارش پهناور سازد سنگ وکلوخش تنگ سازد وخاکهای انباشته سوراخ وروزنش‌را مسدودسازد ، همانا منم واین‌نفس سرکشم که بوسیله تقوی وپرهیزکاری آنرا سوقان می‌دهم تا بلکه در روز هراس بزرگتر درآسایش باشد و بر اطراف پرتگاه دوزخ پابرجا واستوار گذر کند .

بقية من المختار الرابع والاربعين من كتبه عليه‌السلام

وَ لَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ ٱلطَّرِيقَ إِلىٰ مُصَفّٰى هٰذَا ٱلْعَسَلِ ، وَ لُبَابِ هٰذَا ٱلْقَمْحِ ، وَ نَسَائِجِ هٰذَا ٱلْقَزِّ ، وَ لٰكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوٰايَ ، وَ يَقُودَنِي جَشَعِي إِلىٰ تَخَيُّرِ ٱلْأَطْعِمَةِ وَ لَعَلَّ بِالْحِجٰازِ أَوِ ٱلْيَمٰامَةِ مَنْ لاٰ طَمَعَ لَهُ فِي ٱلْقُرْصِ ، وَلاٰ عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ !! أَوْ أَبِيتَ مِبْطٰاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثىٰ ، وَ أَكْبٰادٌ حَرّىٰ ، أَوْ أَكُونَ كَمٰا قٰالَ ٱلْقَائِلُ :

وَ حَسْبُكَ دٰاءً [عٰاراً] أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ وَ حَوْلَكَ أَكْبٰادٌ تَحِنُّ إِلَى ٱلْقِدِّ.

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَ لاَ أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ ؛ أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ ، فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا ، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا ، وَ تَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا ، أَوْ أُتْرَكَ سُدًى ، أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً ، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلاَلَةِ ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ .

اللغة

(القمح) : الحنطة : (الجشع) : أشدّ الحرص ، (المبطان) ، الّذي لا يزال عظيم البطن من كثرة الأكل ، فأمّا المبطن : فالضامر البطن ، وأمّا البطين فالعظيم البطن بالخلقة ، وأمّا البطن : فهو الّذي لا يهمّه إلاّ بطنه ، وأمّا المبطون فالعليل البطن ، (و البطون الغرثى) : الجائعة ، (البطنة) : الكظّة ، وذلك أن يمتلى الانسان من الطّعام امتلاءً شديداً ، (القدّ) : إناء من جلد يدّخر فيها الغذاء أو بمعنى القديد : اللحم المشوى المقدّد الّذي يجفّ بالشّمس ويدّخره أهل البادية يتغذّون به (التقمّم) : أكل الشاة مابين يديها بمقمّتها أي بشفتها (تكترش من أعلافها) : أي تملأ كرشها من العلف ، والكرش للشاة بمنزلة المعدة للإنسان ، و يقال (أجررته) رسنه : أى أهملته ، (الاعتساف) : السلوك في غير طريق (المتاهة) : أرض يتاه فيها لعدم وجود الطريق .

الاعراب

هيهات اسم فعل بمعنى بعُدَ ، بالحجاز جار ومجرور متعلّق بفعل مقدّر و الجملة خبر مقدم لقول لعلّ ، و من لا طمع له اسم لها ، أو أبيت ، عطف على قوله يغلبني ومنصوب مثله ، حولي، ظرف مستقر خبر لقوله بطون غرثى والجملة حالية عن الضمير في قوله أبيت ، همّها علفها ، جملة حالية عن البهيمة ، شغلها تقمّمها

مبتدأ وخبر والجملة حال عن المرسلة، أو اُترك سدى عطف على قوله يشغلني و كذلك قوله اهمل واجرّ واعتسف .

المعنى

بيّن عليه السلام في هذا الفصل من كتابه إلى عثمان بن حنيف أنّ تجنّبه عن الأكل الطيّب الهنيء والقناعة بقرصين جافين من شعير ليس من الضرورة لعدم القدرة على مازاد من المآكل الهنيئة ، وأشار إلى اقتداره على أطيب الأكل وأهنى العيش من وجوه :

١ ـ من فوائد ما استنبطه من العيون و ما غرسه من النّخيل في ينبع أيام اعتزاله في المدينة واشتغاله بالحرث و الزراعة في نواحيها ، فمن ضياعه العين المعروفة بعين نيزر أحد مواليه المشتغلين بالزراعة من قبله عليه السلام في ينبع ، فقد ورد في الحديث أنه حضر يوماً يحفر فيه بئراً فأصاب حجراً فألقى عليه السلام ردائه وأخذ المعول وضرب الحجر حتّى كسره فطلع من تحته عين ماء كأنها عنق البعير.

وفي حديث آخر : أنّ مغيرة بن شعبة مرّ عليه عليه السلام يوماً وقد ركب بعيراً و تحته حمل فقال له عليه السلام : ما تحتك يا عليّ ؟ فأجابه : مائة ألف نخلة إن شاء الله فكان يحمل نوايا التمر ليغرسه .

و على الجملة كان له عليه السلام ضياع و نخيل أنشأها وجعلها صدقة و صرفها على الفقراء .

٢ـ أنّه عليه السلام يقدر على الاحتراف والكسب بوجوه شتّى ويهتدى إلى تهية أطيب العيش من كدّ يده مضافاً إلى مايستحقه من العطايا والحقوق من بيت المال و هو رئيس المسلمين و أمير المؤمنين ، فيقدر على ما يريد من العيش الرّغيد ، ولكنّه ترك ذلك ولازم الزّهد والرياضة ليكون اُسوة للزاهدين .

بقية من المختار الرابع والاربعين من كتبه عليه السلام

وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ : إِذَا كَانَ هٰذَا قُوتُ ٱبْنِ أَبِيطَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ

بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ ، وَ مُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ ؟! أَلَا وَ إِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً ، وَ الرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً ، وَ النَّابِتَاتِ الْعَذِيَةِ [وَ النَّبَاتَاتِ الْبَدَوِيَّةِ] أَقْوَى وُقُوداً وَأَبْطَأُ خُمُوداً ؛ وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ كَالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ وَ الذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ ، وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا ، وَ لَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا ، وَ سَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ هٰذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ ، وَ الْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ .

اللغة

(الأقران) : جمع قِرن وهو الكفو في المبارزة والقتال ، (الشجرة البريّة) : الّتي تنبت في البرّ الّذي لاماء فيه ، (الروائع) : جمع رائعة و هي الشجرة النابتة على الماء ، (النابتات العذية) بسكون الذال : الزرع لايسقيه إلّاماء المطر ، (الصنو) : إذا خرجت نخلتان أو أكثر من أصل واحد فكلّ واحدة منها هي صِنو أو صُنو ، (ركس) ركساً الشيء : قلب أوّله على آخره .

المعنى

كان المخالفون لعليّ عليه السلام يعترضون عليه حتّى في زهده ورياضته و يذمّون قلّة أكله باعتبار أنّه مخلّ بما يجب عليه من وظيفة الجهاد و الدفاع عن العدوّ ، لأنّه موجب لضعفه وقلّة مقاومته تجاه العدوّ الشجاع اللدود ، وكأنّه ارتفع صدى هذا الاعتراض من الكوفة إلى البصرة فتذكّر عليه السلام في هذا الكتاب وجه الدفاع عنه بقوله : (ألاوإنّ الشجرة البريّة أصلب عوداً والروائع الخضرة أرقّ جلوداً). و يمكن أن يكون هذا الكلام جواباً عن اعتراض ربما يرد على تحريص

أصحابه بالزهد وقلّة الأكل والمواظبة على جشوبة العيش، فدفعه عليه السلام بأنّ القوّة والشجاعة ذاتيّة للمؤمن ولاتتوقّف على تقوية الجسم بالأغذية اللذيذة .

ثمّ أيّد سيرته هذه بمتابعته للنبيّ صلى الله عليه وآله فقال : (أنا من رسول الله) كغصنان من أصل واحد فأصلهما عبد المطلب عليه السلام تفرّع منه عبد الله أبو النبيّ وأبو طالب أبو عليّ عليه السلام أو أنّهما مشتقّان من أصل نوريّ واحد في تسلسل الوجود وانبعاثه عن المصدر الأزلي كما في غير واحد من الأخبار ، و عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : أنا وعليّ من شجرة واحدة وسائر النّاس من شجر شتّى . وهذه الرواية تؤيّد النسخة الّتي روت قوله (كالصّنو من الصّنو) بالصّاد المهملة بعدها نون معجمة .

و نسخة شرح ابن أبي الحديد « ٢٨٩ ج١٦ ط مصر » : « كالضوء من الضوء » بالضّاد المعجمة ، و بهذا الاملاء فسّره في شرحه فقال : (ص ٢٩٠) وذلك لأنّ الضّوء الأوّل يكون علّة في الضّوء الثاني ، ألا ترى أنّ الهواء المقابل للشّمس يصير مضيئاً من الشّمس ، فهذا الضوء هو الضوء الأوّل .

ثمّ إنّه يقابل وجه الأرض فيضيء وجه الأرض منه ، فالضوء الّذي على وجه الأرض هو الضوء الثاني ، ومادام الضّوء الأوّل ضعيفاً فالضّوء الثاني ضعيف ، فإذا ازداد الجوّ إضائة ازداد وجه الأرض إضائة لأن المعلول يتبع العلّة ، فشبّه عليه السلام نفسه بالضوء الثاني ، وشبّه رسول الله صلى الله عليه وآله بالضوء الأوّل ، وشبّه منبع الأضواء والأنوار سبحانه وجلّت أسماؤه بالشّمس الّتي توجب الضوء الأوّل، ثمّ الضوء الأوّل يوجب الضّوء الثاني ، وهاهنا نكتة وهي أن الضوء الثاني يكون أيضاً علّة لضوء ثالث ، وذلك أنّ الضوء الحاصل على وجه الأرض ـ وهو الضوء الثاني ـ إذا أشرق على جدار مقابل ذلك الجدار قريباً منه مكان مظلم ، فانّ ذلك المكان يصير مضيئاً بعد أن كان مظلماً . . .

أقول : قد اعتبر الشارح المذكور لفظة من في كلامه نشويّة فيصير المعنى و أنا من رسول الله كالضوء الناشي من الضّوء ، واستفاد منه تسلسل أنواع العلوم والافاضات إلى سائر النّاس بوساطته جيلاً بعد جيل إلى أن يضعف ويضمحلّ ويعود

الإسلام غريباً ، ويمكن استفادة تسلسل الإماعة منه نسلاً بعد نسل كما هو معتقد الاماميّة ولا يلزم أن يكون الضوء الثاني أضعف من الضوء الأوّل إذا تساوت القابليّات والانعكاسات المثالية كما لا يخفى .

ثمّ النفت عليه السلام إلى شجاعته في ذات الله وأنّه لا يخاف تظاهر العرب تجاهه وبيّن أنّهم ارتدّوا عن الإسلام وصاروا كالمشركين يجب قتالهم وتطهير الأرض من وجودهم وأنّ من يجاهد الكفّار يجب عليه أن يغلظ عليهم ويستأصل شافتهم ، وأشار إلى معاوية رأس النفاق والشقاق و وصفه بأنّه شخص معكوس انقلب على وجهه وارتدّ عن حقيقة إنسانيته ، وسقط في مهوى شهواته حتّى أثر باطنه في ظاهره فصار جسمه مركوساً إلى ظلمات الطبيعة ودركات الهوى والبهيميّة ، فوجوده بين المسلمين كالمدرة بين حبّ الحصيد يوجب الفساد و يضلّ العباد قالوا : و إلى ذلك وقعت الاشارة بقوله تعالى : « أفمن يمشي مكبّاً على وجهه أهدى أم من يمشي سويّاً على صراط مستقيم : ٢٢ـ الملك » .

بقية من المختار الرابع والاربعين من كتبه عليه السلام

إِلَيْكِ عَنِّي يا دُنْيا فَحَبْلُكِ عَلىٰ غارِبِكِ ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخالِبِكِ ، وَ أَفْلَتُّ مِنْ حَبائِلِكِ ، وَ اجْتَنَبْتُ الذَّهابَ في مَداحِضِكِ أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَداعِبِكِ ؟ أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخارِفِكِ ؟ هٰاهُمْ رَهائِنُ الْقُبُورِ ، وَ مَضامِينُ اللُّحُودِ ، وَ اللهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيًّا ، وَ قالِباً حِسِّيًّا ، لَأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللهِ في عِبادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالْأَمانِيِّ ، وَ أُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ في الْمَهاوي ، وَ مُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ ، وَ أَوْرَدْتِهِمْ مَوارِدَ الْبَلاءِ ، إِذْ لا وِرْدَ وَ لا صَدَرَ .

هَيْهاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقَ ، وَ مَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ ، وَ مَنِ ٱزْوَرَّ عَنْ حَبائِلِكِ وُفِّقَ ، وَ السّالِمُ مِنْكِ لا يُبالي إنْ ضاقَ بِهِ مُناخُهُ ، وَ الدُّنْيا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حانَ ٱنْسِلاخُهُ .

أُعْزُبي عَنِّي فَوَاللهِ لا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلّيني ، وَ لا أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِيني ، وَ أَيْمُ اللهِ - يَميناً أَسْتَثْني فيها بِمَشيئَةِ اللهِ - لَأَرُوضَنَّ نَفْسي رِياضَةً تَهُشُّ مَعَها إِلَى الْقُرْصِ إِذا قَدَرَتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً ، وَ تَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً ، وَ لَأَدَعَنَّ مُقْلَتي كَعَيْنِ ماءٍ نَضَبَ مَعينُها مُسْتَفْرَغَةً دُمُوعُها ، أَتَمْتَلِئُ السّائِمَةُ مِنْ رَعْيِها فَتَبْرُكَ ؟ وَ تَشْبَعُ الرَّبيضَةُ مِنْ عُشْبِها فَتَرْبِضَ ؟ وَ يَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زادِهِ فَيَهْجَعُ ؟ قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ إِذا قْتَدى بَعْدَ السِّنينَ الْمُتَطاوَلَةِ بِالْبَهيمَةِ الْهامِلَةِ ، وَ السّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ !

طُوبى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلى رَبِّها فَرْضَها ، وَ عَرَكَتْ بِجَنْبِها بُؤْسَها ، وَ هَجَرَتْ في اللَّيْلِ غُمْضَها ، حَتّى إِذا غَلَبَ الْكَرى عَلَيْها ٱفْتَرَشَتْ أَرْضَها وَ تَوَسَّدَتْ كَفَّها ، في مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعادِهِمْ ، وَ تَجافَتْ عَنْ مَضاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ ، وَ هَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفاهُهُمْ ، وَ تَقَشَّعَتْ بِطُولِ ٱسْتِغْفارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ « أُولئِكَ حِزْبُ اللهِ ، أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٢٢ ـ المجادلة » .

فَاتَّقِ اللهَ يَاابْنَ حُنَيْفٍ ، وَ لْتَكْفِكَ أَقْرَاصُكَ ، لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ .

اللغة

(الغارب) جمع غوارب : الكاهل ، أو بين الظهر او السنام و العنق ، حبلك على غاربك : كناية من كنايات الطلاق ، أى اذهبي حيث شئت ، لأنّ الناقة إذا أُلقي حبلها على غاربها فقد فسح لها أن ترعى حيث شاءت و تذهب حيث شاءت .

(المخالب) جمع مخلب وهى للطيور الجوارح ، (المداحض) : المزالق ، (المداعب) جمع مدعبة : الدعابات ، (زخارف) جمع زخرف : ما يتزيّن به ، (رهائن) جمع رهينة و هى الوثيقة ، (مضامين) : أى الّذي تضمّنتهم القبور فاستعارها للموتى لشبههم في اللحود بالأجنّة في بطون الأمّهات ، (المهاوي) جمع مهواة : المهلكة ، (الدحض) : المكان الزلق ، (ازورّ) : تنحّى ، (مناخ البعير) : مبركه ، (اعزبي) : ابعدي ، (اسلس) : انقاد ، (ايم الله) : من صيغ الحلف ، (تهشّ) : تفرح (نضب) : غار في الأرض ، (ماء معين) : جار على وجه الأرض ، (فتبرك) : أى تنام ، (الربيضة) : جمع الغنم (فيهجع) : فينام ، (البهيمة الهاملة) : المسترسلة المهملة من الزمام ، (السائمة المرعيّة) : جمع الغنم مع الراعي ، (عركت بجنبها) : أى تحمل الشدّة في العبادة ناقلاً من جنب إلى جنب .

المعنى

كتب عليّ عليه السلام هذا الكتاب إلى أحد عمّاله في ناحية كبيرة من دار حكومته الواسعة و هو في ابان قدرته و على عرش حكومته الاسلاميّة الّتي حازها بحقّ ، فينبغي أن يتوجّه إليها و يطمئنّ بها ، و لكن يتوجّه إلى أنّها مظهر من مظاهر الدنيا الغرّارة الفتّانة يكاد يغلب عليه ببهرجها وزينتها وعواملها الخلّابة الخلّابة

من توجّه عموم الناس إلى بابه ، و من انقياد الأمراء و الحكّام و الضابطين إلى جنابه ، و من ورود سيل الخراج و الأموال و الغنائم من شتّى نواحى البلاد الاسلاميّة تحت يده ، فمن هو الرجل الّذي لا يغرّ بهذه المظاهر الفتّانة الدنيويّة و يقدر على ضبط نفسه عن التأثّر بها والافتتان منها ، فكان عليه السلام يلقّن بهذه الجمل النافذة كره الدنيا و كيدها و غرورها و عواقبها على نفسه و على قلوب أعوانه و حكّامه و يطرد الدنيا عن حوله و عن فنائه بقوله عليه السلام : (إليك عنّي يا دنيا) فأنت مطلّقة عنّي لا سبيل لك إليّ ، و يهدّدها أشدّ التهديد بأنّها لو كانت جسماً محسوساً كالواحد من البشر يقيم عليها الحدّ و يعرضها للمجازات بما ارتكبته من الخلاف في حقّ ذويها :

١ـ بجرم التغرير و إرائة ما لا واقع له لطلاّبها فكانت مدلّسة يتوجّه إليها مجازات التدليس .

٢ـ التسبيب إلى الهلاك والتلف لأبنائها وجرّهم إلى موارد البلاء والدّمار.

ثمّ بيّن أنّه لا نجاة لمن غرّ بها و صار في طلبها فليس لها إلاّ مزالق هائلة و لجج مهلكة ، فمن سلم عنها فهو على طريق النجاة ، و إن ضاق عليه أمر الدنيا ، فانّ الدنيا لمحة يسيرة تنصرم عاجلاً و يفوز المؤمن السالم فيها عن مكائدها إلى الفوز الأبد و الراحة الطويلة .

ثمّ يبيّن عليه السلام سيرته في معيشة الدنيا مقروناً بالحلف بالله تعالى في التمسّك بالرياضة وتقليل الطعام إلى حيث يفرح نفسه بأكل قرصة من الشعير لسدّ جوعتها و تقنع بالملح للأدام ، و مع ذلك يبكي من خشية الله و موقف الحساب إلى حيث ينضب عينه من الدموع ، و أشار إلى أنّ النفس الانسانيّة أشرف من الاقتداء بالبهائم من الأبال و البقر و الغنم في الأكل و طلب الراحة ، فلا بدّ من حفظ الامتياز ، وهو ملازمة الجوع و الخوف من الله والعبادة في جوف الليل ، والهمهمة بذكر الله بالشفاه ، و غسل الذنوب بالاستغفار في باب الله .

المختار الخامس والاربعون من كتبه عليه السلام

ومن كتاب له عليه السلام الى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَىٰ إِقَامَةِ الدِّينِ ، وَ أُقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْأَثِيمِ ، وَ أَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمَخُوفِ ، فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَىٰ مَا أَهَمَّكَ ، وَ اخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ اللِّينِ ، وَ ارْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ ، وَ اعْتَزِمْ بِالشِّدَّةِ حِينَ لَا يُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشِّدَّةُ وَ اخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ ، وَ ابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ ، وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ، وَ آسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَ النَّظْرَةِ وَ الْإِشَارَةِ وَ التَّحِيَّةِ ، حَتَّىٰ لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ ، وَ لَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ ، وَ السَّلَامُ .

اللغة

(أستظهر) : أجعلك كظهري أتقوّى بك ، (النخوة) : الكبر ، (الأثيم) : المخطىء المذنب ، (اللهات) : ما بين الفكّين الأعلى والأسفل ، وهى كناية عن هجوم العدوّ كالسبع فاتحاً فاه لأخذ الصيد ، (الضغث) : النصيب من الشيء يختلط بغيره .

الاعراب

ما كان الرفق : ما مصدريّة زمانيّة وكان صلتها ، حتّى لا يطمع : لفظة حتّى تفيد التعليل .

المعنى

لم يشر الشراح إلى من كاتبه عليه السلام بهذا الكتاب وإلى من خاطبه بهذه التوصيات الحكيمة ، و لكن يستفاد من قوله عليه السلام (و أسدّ به لهاة الثغر المخوف) أنّه كان من الأُمراء و العمّال المرابطين في أحد الثغور الهامّة الهائلة، والثغور الّتي لا بدّ من المراقبة منها في عصر حكومته على قسمين : منها ما كانت بين المسلمين و الكفار من ناحية المشرق و المغرب ، و منها ما كان بين المؤمنين و الفسّاق في داخل البلاد الاسلاميّة كثغور الشام و العراق ، فانّ معاوية يحكم في قطعة واسعة من البلاد الاسلاميّة تمتدّ من شمال الجزيرة إلى نواحي العراق ، و كان يراقب الغرّة من المجاهدين المؤمنين الّذين يطيعون علياً للفتك بهم و التسلّط على ما في يدهم كما فعله بحسّان بن حسّان البكري عامل علي عليه السلام على أنبار ، وربما يشعر قوله عليه السلام (واقمع به نخوة الأثيم) على الوجه الثاني كما أنّ قوله عليه السلام « لهاة الثغر المخوف » لايخلو من ايماء إلى ذلك فانّ الثغور الداخليّة حينئذ كانت أخوف من الثغور الخارجيّة المجاورة مع الكفّار ، وقد ارتكب معاوية أيّام الهدنة المضروبة طيلة سنة في قضيّة الحكمين من العيث والفساد في نواحي العراق والحجاز ما لايرتكبه الكفّار في الثغور الاسلاميّة الخارجيّة .

وقد أمر عليّ عليه السلام عامله على محافظة اُمور ثلاثة :

١ـ الاعانة على إقامة الدين الّذي هو برنامج تربية المسلمين مادّة ومعناً .

٢ـ قمع العصاة و المخالفين الّذين يريدون الفساد و الافساد في حوزة المسلمين .

٣ـ المراقبة على الثغر الاسلامي و الدفاع عن هجوم الأعداء ، وأمر عامله بالاستعانة على ما يهمّه من الله تعالى و الاستمداد من سياسة ذات جهتين مخلوطة و مركّبة من الرفق و الشدّة و اللين و الضغط ، بحسب ما يعترضه من الحوادث والعوارض تجاه العدوّ و المخالف ، فانّ مدار التدبير و السياسة على الانذار و التبشير و الاحسان و التقتير كما قال الشاعر :

فوضع الندى في موضع السيف بالعلا مضرٌّ كوضع السيف في موضع الندى

و وصّاه في معاملته مع الرعايا المطيعين بمراعاة أربعة أُمور :

١ـ التواضع لهم وخفض الجناح تجاههم لحفظ حرمتهم وعدم إظهار الكبرياء في وجوههم كما أمر الله نبيّه صلى الله عليه وآله في السلوك مع المؤمنين فقال تعالى : « واخفض جناحك للمؤمنين ٨٨ ـ الحجر » .

٢ـ لقائهم بالبشر و البشاشة و الفرح للدلالة على مودّتهم ولتحكيم الرابطة الاخوية معهم .

٣ـ الاستيناس بهم والتلطف معهم ليطمئنوا برحمة الحكومة ويخلصوا لها ايمانهم بها.

٤ـ المواساة بينهم و رفع التبعيض بحيث ينسلكون في نظم الأُخوّة الاسلامية كملاً ، ولا يطمع العظماء و أرباب الثروة و النفوذ في سوء الاستفادة من الحاكم في الظلم على الضعفاء ، ولا ييئس الضعفاء من عدل الحاكم والشكاية عن الظالم .

الترجمة

در نامه‌ای بیکی ازکارگزاران خود چنین مینویسد :

أمّا بعد ، تو یکی از کسانی هستی که من برای پایدار کردن دین بدانها پشت گرم هستم ، و سر بزرگی گنهکار را بوسیلهٔ آنها میکوبم ، و مرز معرض هجوم وبیمناك را مسدود میسازم ، از خدا درکارهائیکه بعهدهٔ تو است یاری بجو ، سخت گیری را با أندکی نرمش درآمیز ، تا آنجا که نرمش برای پیشرفت کارت هموارتراست نرمش کن ، وچون جزسخت گیری چاره‌ای نماند بردشمن سخت گیر .

دربرابر رعیّت فرمانبر تواضع پیشه کن و بزرگی بدانها مفروش ، باخوشروئی با آنها روبروشو ، وآنانرا بخود راه بده ومأنوس کن ، ومساوات وبرابری کامل را میان آنها رعایت کن تا آنجا که نگاه وتوجّه وإشاره ودرود را میان همه پخش کنی وبرابری را رعایت کنی تا آنکه بزرگان وأرباب نفوذ درطرفداری وستم تو طمع نورزند ، و بوسیلهٔ تقرّب بتو بر دیگران ستم نکنند و بینوایان از عدالت و داد خواهیت نومید نگردند ، واز شکایت ستمکاران دم درنبندند .

المختار السادس والاربعون

ومن وصية له عليه السلام للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللهِ ، وَ أَنْ لاَ تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَ إِنْ بَغَتْكُمَا، وَلاَ تَأْسَفَا عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا ، وَ قُولاَ بِالْحَقِّ ، وَ اعْمَلاَ لِلْأَجْرِ ، وَ كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً ، وَ لِلْمَظْلُومِ عَوْناً .

أُوصِيكُمَا وَ جَمِيعَ وَلَدِي وَ أَهْلِي وَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللهِ ، وَ نَظْمِ أَمْرِكُمْ ، وَ صَلاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا - صلى الله عليه وآله - يَقُولُ : صَلاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاَةِ وَ الصِّيَامِ .

اللهَ اللهَ فِي الْأَيْتَامِ ، فَلاَ تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ ، وَلاَ يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ وَ اللهَ اللهَ فِي جِيرَانِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ ، مَازَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ ، وَ اللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ ، لاَ يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ وَ اللهَ اللهَ فِي الصَّلاَةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ ، وَ اللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ ، لاَ تُخْلُوهُ مَا بَقِيتُمْ ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا ، وَ اللهَ اللهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ وَ أَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَ عَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ وَ إِيَّاكُمْ وَ التَّدَابُرَ وَ التَّقَاطُعَ ، لاَ تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ

عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَيُوَلَّىٰ عَلَيْكُمْ أَشْرَارُكُمْ ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ.

ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً تَقُولُونَ : قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، أَلاَ لاَ تَقْتُلُنَّ بِي إِلاَّ قَاتِلِي.

انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هٰذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ ، وَلاَ يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وآله - يَقُولُ : « إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ ».

اللغة

(لاتبغيا) : لا تطلبا ، (زوى عنكما) : قبض عنكما ، (صلاح ذات البين) : الصلح بينكم و ترك الخصومة و ذات هاهنا زائدة مقحمة ، (لا تغبّوا أفواههم) : لاتطعموهم يوماً بعد يوم فتجيعوهم ، (لم تناظروا) : عجّل لكم البلاء والاستيصال ، (المثلة) : قطع الاعضاء .

الاعراب

الله الله : منصوب على التحذير أى اتّقوا الله ، إيّاكم و التدابر : مفعول لمحذوف على التحذير .

المعنى

هذه وصيّة عامّة لأهل بيته و غيرهم من المسلمين نظمها في اثنتى عشرة مادّة و قدّم عليها وصيّة خاصّة لولديه الحسن و الحسين عليهما السلام في ستّ موادّ تالية :

١ـ ملازمة التقوى ٢ـ ترك طلب الدنيا و إن أقبلت ٣ـ ترك التأسّف على فوت أمور الدنيا مهما كانت ٤ـ ملازمة القول بالحقّ ٥ـ العمل للثواب و إدراك أجر الآخرة ٦ـ الخصومة مع الظالم و عون المظلوم للدّفاع عنه .

و أمّا وصاياه العامّة :

١ـ ملازمة التقوى

٢ـ التزام النظم في كلّ الأمور ، فانّ عدم رعاية النظم يوجب عدم الوصول إلي المآرب و الحوائج .

٣ـ إصلاح ذات البين و ترك الخصومة و النزاع و النفاق .

٤ـ رعاية الأيتام في حفظ مالهم و تغذيتهم و تربيتهم و هو الغير البالغ الّذي فقد أبـاه ، قال الشارح المعتزلي : و الظاهر أنّه لا يعني الأيتام الّذين لهم مال تحت أيدي أوصيائهم ، لأنّ اولئك الأوصياء محرّم عليهم أن يصيبوا من أموال اليتامى إلاّ القدر النزر جداً عند الضرورة ثمّ يقضونه مع التمكّن ، و من هذه حاله لا يحسن أن يقال له : لا تغيروا أفواه أيتامكم ، و إنّما الأظهر أنّه يعني الّذين مات آباؤهم ، و هم فقراء يتعيّن مواساتهم ، ويقبح القعود عنهم ، كما قال تعالى : « و يطعمون الطعام على حبّه مسكيناً و يتيماً و أسيراً ٨ ـ الدهر » و اليتم في الناس من قبل الأب ، و في البهائم من قبل الأمّ ـ إلى أن قال ـ و لا يسمّى الصبيّ يتيماً إلاّ إذا كان دون البلوغ و إذا بلغ زال اسم اليتم عنه ، و اليتامى أحد الأصناف الّذين عيّنوا في الخمس بنصّ الكتاب العزيز .

٥ ـ رعاية الجيران ، فانّ الجار بمنزلة الملتجىء المأمون بالنسبة إلى جاره و من حقّه كفّ السوء عنه و الاحسان و الاعانة بالنسبة إليه ، و أبلغ ما روي في حق الجار ما حدّثه عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله من قوله (ما زال يوصي بهم حتّى ظننّا أنّه سيورّثهم) .

قال في الشرح المعتزلي : واللفظ الّذي ذكره عليه السلام قدورد مرفوعاً في رواية عبدالله بن عمر لمّا ذبح شاة ، فقال : أهديتم لجارنا اليهودي؟ فانّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول : « مـا زال جبرئيل يوصيني بالجـار حتّى ظننت أنّه سيورّثه »

وفي الحديث أنّ حسن الجوار وصلة الرحم يعمران الديار ويزيدان في الأعمار.

وقد ورد في ذمّ جار السوء أخبار و آثار كثيرة .

٦ـ ملازمة القرآن تعليماً و تعلّماً و ملازمة العمل به و بأحكامه ، و قد حذّر عليه السلام من المسامحة في ذلك إلى حيث يسبق غير المسلمين عليهم في العمل به كما نشاهده الآن من عمل غير المسلمين بأحكام العامّة من الصدق والتعاون والجدّ في العمل حتّى تقدّموا على المسلمين في كثير من الأمور .

٧ـ ملازمة إقامة الصلاة بالجمعة و الجماعة كما هي سنّة الرسول صلى الله عليه وآله ، فانّها بهذه الكيفيّة عمود الدين و ملاك تربية المسلمين و جمعهم و تأليف قلوبهم و وحدتهم .

٨ـ ملازمة إقامة شعائر الحجّ في كلّ سنة ، ليجتمع جميع المسلمين في هذا المعبد الاسلامي العامّ فيتعارفون و يتعاونون و يشدّ بعضهم ازر بعض ، فانّ الحجّ عمود الاجتماع الاسلامي فلو ترك ينثلم الوحدة الاسلاميّة ولا يناظر المسلمون .

٩ـ الجهاد بالمال و النفس و اللسان ، فانّه واجب على كلّ حال بحسب ما اقتضاه الأحوال .

١٠ـ التواصل وحفظ الرابطة مع الاخوان المسلمين في شتّى البلاد الاسلاميّة و بذل العون بالمال و الحال بعضهم مع بعض .

١١ـ ترك التدابر و الهجر و القطيعة فانّه يوجب المقت و العداوة و سوء الظنّ و التخاذل .

١٢ـ ملازمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لردع الاشرار عن أعمالهم السوء وقيام الأبرار باجراء الأمور النافعة للعامّة و الأمّة ، فانّ التسامح فيهما يوجب تسلّط الأشرار و الاستيلاء على موارد القدرة والثروة في الجامعة الاسلاميّة و يؤثّر الدعاء في دفعهم لتقصير المسلمين و جرّهم البلاء على أنفسهم .

ثمّ وصّى عشيرته بالا كتفاء بالقصاص عن القاتل وعدم الأخذ بالظنّة والتهمة و عدم الانتقام من سائر الأمّة و إن كانوا أعداءاً و عدم التجاوز على الجاني دون ضربة ارتكبه في قتله .

الترجمة

چون ابن‌ملجم ملعون ضربت برسر آنحضرت زد بحسن و حسین علیهما السلام چنین وصیّت کرد :

من بشما وصیّت می کنم که پرهیزکار باشید و بدنبال دنیا نروید و گرچه دنیا بدنبال شما آید ، بهرچه ازدنیا که ازدست شما بدررفت افسوس مخورید ، حق بگوئید ، برای ثواب آخرت کار کنید ، دشمن ظالم باشید و کمك‌کار مظلوم .

من بشما وهمه فرزندان وخاندانم و بهر کس این نامه من بدو رسد وصیّت می کنم که :

تقوا پیشه سازید وکارهای خودرا منظّم دارید و با هم خوب باشید و خوب رفتار کنید زیرا ازجدّ شما صلی الله علیه و آله شنیدم که می‌فرمود : صلح وصلاح میان مسلمانان بهتراست ازهمه گونه نماز وروزه .

خدارا ، خدارا دربارهٔ کودکان پدرمرده ، مبادا آنها را گرسنه بگذارید ودر حضورشما ازمیان‌بروند ونابود گردند .

خدارا ، خدارا دربارهٔ همسایه‌های شما که مورد سفارش پیمبرشمایند پیوسته در بارهٔ آنان سفارش می کرد تا آنجا که پنداشتیم سهمی از ارث برایشان مقرّر خواهدداشت .

خدارا ، خدارا دربارهٔ قرآن ، مبادا دیگران درعمل بدان برشما پیشدستی کنند .

خدا را ، خدارا دربارهٔ نماز که ستون دین شمااست .

خدارا ، خدارا در بارهٔ خانه پروردگارتان کعبه معظّمه ، تا زنده‌اید آنرا وانگذارید زیرا اگرمتروك گردد مهلت نخواهید یافت .

خدارا ، خدارا دربارهٔ جهاد با مال وجان وزبانتان درراه خدا .

برشماباد که باهم پیوسته باشید وبهم بخشش کنید ، مبادا بهم پشت کنید واز هم ببرید ، امربمعروف ونهی‌ازمنکررا ازدست ندهید که بدان‌شما برشما حکمران

گردند وسپس هرچه دعا کنید پذیرفته نباشد و باجابت نرسد ، سپس فرمود :

ای زادگان عبدالمطلب وهاشمیّین ، شمارا فتنه جوِ وخونریز نیابم که دست بخون مسلمانان بیالائید وبگوئید : أمیرالمؤمنین را کشتند ، أمیرالمؤمنین را کشتند « چنانچه معاویه خون عثمان را بهانه کرد و بقتل و غارت مسلمانان پرداخت » نباید بخاطر کشتن من جز کشندهٔ مرا بکشید .

متوجّه باشید اگرمن بر أثر این ضربت ابن ملجم کشته شدم ووفات کردم ازاو بایك ضربت قصاص کنید ، مبادا آن مردرا مثله کنید ودست وپایش را ببرید ، زیرا من خود ازرسولخدا صلی الله علیه وآله شنیدم که می‌فرمود: بپرهیزید از مثله گرچه نسبت بیك سگ گزنده باشد .

المختار السابع والاربعون من کتبه علیه السلام

و من کتاب له علیه السلام الی معاویة

وَ إِنَّ الْبَغْيَ وَ الزُّورَ يوُتِغَانِ [يُذِيعَانِ] بِالْمَرْءِ فِي دِينِهِ وَ دُنْيَاهُ وَ يُبْدِيَانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ ، وَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ وَ قَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْراً بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَأَوَّلُوا عَلَى اللهِ فَأَكْذَبَهُمْ ، فَاحْذَرْ يَوْماً يَغْتَبِطُ [يُغْبَطُ] فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ ، وَ يَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَاذِبْهُ .

وَ قَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ ، وَ لَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا ، وَ لَكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ ، وَ السَّلَامُ .

اللغة

(الزور) : خلاف الحقّ و يطلق كثيراً على الشهادة الكاذبة ، (يوتغان) : يهلكان ، والوتغ بالتحريك الهلاك ، وقد وتغ يوْتَغ وتغاً : أى أثم وهلك ،(رام) : طلب ، (فتأوّلوا) : التّأويل : حمل الكلام على خلاف ماقصد منه في الظاهر أو حمل المجمل على أحد محتملاته ، وفي الشرح المعتزلي : فتآلوا ، أى حلفوا .

المعنى

قال ابن ميثم : هذا الفصل من كتاب له إليه بعد التحكيم و تمسّك معاوية بما حكم به الحكمان و يحتمل أن يكون عند إجابته إلى التحكيم .

أقول : صدر عنه عليه السلام هذاالكتاب في مبتدأ حكومة معاوية واستقرار سلطته الظالمة على ناحية كبيرة من البلدان الاسلاميّة المتعقّبة لتسلّطه على سائر البلاد ، و بيّن أنّ مبنى حكومته البغي و هو خروجه عن إطاعة الحكومة الحقّة الاسلاميّة وعدم إطاعته عن أمير المؤمنين عليه السلام وايجاده الفوضى في بلاد الشام و إغوائه لأهلها مؤيّداً بالزور و البهتان الّذي تمسّك به من الطلب بدم عثمان و تعاون اتباعه معه باتّهام عليّ عليه السلام بقتله أو معاونته في ذلك ، و نبّهه على أنّ الحكومة المكتسبة بهذين العاملين توجب هلاكه في الدين و الدنيا و تبدي مساويه عند أهل النقد و أهل البصيرة في مسير التاريخ ، و أشار إلى أنّه لا ينال ما رامه و ما قصد إليه من تقمّصه بخلافة وآمارة ظاهرة الصلاح عند كافّة المسلمين كحكومة الأوّل والثاني وأنّ المسلمين يتنفّرون عنه لمساوي أعماله ، أو المقصود أنّه لا يدرك ثار عثمان عمّن قتله ، أو المراد أنّه لا يدرك إثبات تهمة عليّ عليه السلام بدم عثمان لأنّه زور و بهتان معلوم عند المسلمين .

ثمّ بيّن أنّ اُناساً ممّن يؤيّدونه يطلبون السلطنة و الأمارة بغير حقّ فتحالفوا على الله على ذلك فأكذبهم ، و الظاهر أنّ المقصود من هؤلاء الأقوام طلحة و الزبير و أشياعهما ممّن حضر البصرة و أثاروا حرب الجمل فأكذبهم الله بانهزامهم وفشلهم ، وحذّر بهذا التذكر معاوية وخوّفه من سوء عاقبته وأفاد عليه السلام

أنّ الشيطان قائده ، فلا بدّ له من المقاومة تجاه الشيطان حتّى لا يندم من سوء عاقبته .

ثمّ أشار إلى أنّ دعوة معاوية إلى حكم القرآن كانت خدعة منه وأنّه لا يعتقد بالقرآن و لا يكون من أهله و أنّ أمير المؤمنين و شيعته لم يوافقوا على إجابته و إنّما وافقوا على إجابة حكم القرآن في أمر الامامة و الخلافة عن النبي صلى الله عليه وآله و حكمه إقرار خلافة علي عليه السلام لنصوص خاصة وعامّة تعين إمامته بعد النبي صلى الله عليه وآله من الآيات الدالة على إمامته .

قال ابن ميثم : قوله : و قد دعوتنا - إلى آخره صورة سؤاله والجواب عنه ، و كونه ليس من أهله إذ لم يكن صالحاً للامامة كما سبق بيانه مراراً ، و حيث لم يكن أهلاً لأن يجاب إلى الرضا بالتحكيم أعلمه بذلك وأنه إنما أجاب القرآن إلى حكمه و ذلك في قوله تعالى في حقّ الزوجين : « و إن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله و حكماً من أهلها » الآية ، فجعل هذا أصلاً و قاس عليه بالطريق الأولى حال الأمّة عند وقوع الشقاق بينهم . وبعين ذلك احتجّ ابن عباس - رضي الله عنه - على الخوارج حيث أنكروا التحكيم فقالوا : كيف يجوز لعليّ أن يحكّم في دين الله الرجال ؟ فقال لهم : إنّ ذلك ليس بأمر عليّ عليه السلام و إنما هو بأمر من الله تعالى في كتابه ، إذ يقول في حقّ الزوجين : « و إن خفتم » الآية أفترون أنّه أمر تعالى بذلك في حقّ الرّجل وامرأته مراعاة لمصلحتهما ولا يأمر بذلك في حقّ الأمّة رعياً لمصلحتهم ؟ فرجع كثير منهم إلى قوله ، وبالله التوفيق.

أقول : و في كلامه هذا موارد من النظر :

١- أنّ مفاد قوله عليه السلام (ولكنّا أجبنا القرآن في حكمه) ليس الإجابة إلى الدّعوة بالتحكيم في أمر الإمامة على وجه عرضه معاوية، فانّ الإمامة تشريع إلهي لا يناله رأى البشر ، بل المراد الإجابة إلى حكم القرآن في تعيين أمر الإمامة وبيان أوصاف الإمام ممّا ينطبق عليه عليه السلام .

٢- انّه عليه السلام لم يرض بالتحكيم وإنّما أكرهوه على ذلك فسكت عمّا يطلبه

ذووا الباس من جنده حفظاً لدماء أهله وخصوصاً الحسن والحسين عليهما السلام منهم حيث إنّهما إمامان بعده و لابدّ من بقائهما و تحمّلهما أمر الإمامة على ما قرّره النّبيّ صلى الله عليه وآله ، و قد أوضح عليه السلام ذلك فيما أجاب به رأس اليهود في مصاحبته معه عليه السلام بعد المراجعة من صفّين ، كما ذكره الشّيخ الصّدوق رحمه الله في الباب الرّابعة عشر من الخصال في ضمن ما يلي به من الإمتحان والابتلاء في زمان حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وبعد مماته ، فاكره عليه السلام على التحكيم أوّلاً وعلى انتخاب أبي موسى الأشعري حكماً ثانياً .

٣ـ أنّ قياس الحكميّة في أمر الإمامة بالحكميّة في اختلاف الزّوجين قياس مع الفارق من وجوه شتّى ، فانّ الاختلاف بين الزّوجين يرجع إلى حقوقهما الخاصّة بهما و لهما الحقّ على إسقاطها والطلب بها والتراضي عليها بكلّ وجه ولكن أمر الإمامة حقّ إلهيّ ولامدخل للرأى والنظر من النّاس فيها ، ويرجع إلى كافّة الرّعيّة فكيف يصحّ تحكيم جمع أوأفراد فيه ، وما نقله عن ابن عبّاس لايصحّ إلاّ على وجه الجدال بالأحسن والاحتجاج على الخصم بما يلتزم به دحضاً لشبهته ودفعاً لتهمته و إرجاعاً له إلى الحقّ بأىّ وجه تيسّر ، و إلاّ فآية التحكيم بين الزّوجين بمعزل عن الإمامة والخلافة خصوصاً على ما التزم به الاماميّة من أنها لا يثبت إلاّ بالنّص من المعصوم في حقّ إمام معصوم .

الترجمة

ازيك نامه اى كه بمعاويه نگاشته است :

وراستى كه شورش برحكومت و گفتار دروغ مرد را در ورطه هلاكت دين ودنيا اندازند و كم وكاستى اورا نزد تيز بينان وعيب جويان هويدا سازند .

تو بخوبى ميدانى كه آنچه بحكم قضاى حتمى از دست رفته بدست نتوانى آورد ، مردمى بناحق دنبال كارى و مقامى ناشايست آنها رفتند وبا هم برخداوند هم سوگند شدند وخداوند دروغ آنهارا فاش ساخت .

برحذر باش از روزى كه برهر كه سرانجامش ستوده و رضايت بخش است رشك برند وهر كس شيطانش مهار كشيده ودر برابرش مقاومتى نكرده ودنبال او رفته پشيمان است وافسوس ميخورد .

تومارا بحكم قرآن دعوت كردى بااينكه أهل آن نبودى ، وماهم پاسخ گو وپذيراى دعوت تونبوديم ولي قرآن را درحكم وفرمانش پذيرا هستيم . والسّلام .

المختار الثامن و الاربعون من كتبه عليه السلام

ومن كتاب له عليه السلام الى غيره [الى معاوية أيضاً]

أَمّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِها ، وَ لَمْ يُصِبْ صاحِبُها مِنْها شَيْئاً إِلاّ فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْها ، وَ لَهَجاً بِها ، وَ لَنْ يَسْتَغْنِيَ صاحِبُها بِما نالَ فيها عَمّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْها ، وَ مِنْ وَراءِ ذٰلِكَ فِراقُ ما جَمَعَ ، وَ نَقْضُ ما أَبْرَمَ ! وَ لَوِ اعْتَبَرْتَ بِما مَضىٰ حَفِظْتَ ما بَقِيَ ، وَ السَّلامُ .

اللغة

اللّهج : الحرص الشّديد .

المعنى

قال الشارح المعتزلي : وقد ذكر نصر بن مزاحم هذا الكتاب وقال :

إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كتبه إلى عمرو بن العاص ، وزاد فيه زيادة لم يذكرها الرّضي : « أمّا بعد ، فانّ الدّنيا مشغلةٌ عن الآخرة ، و صاحبها منهوم عليها ، لم يصب شيئاً منها قطّ إلاّ فتحت عليه حرصاً ، وادخلت عليه مؤنة تزيده رغبةً فيها ولن يستغني صاحبها بما نال عمّا لم يدرك ، ومن وراء ذلك فراق ماجمع ، والسّعيد من وعظ بغيره ، فلاتحبط أجرك أباعبدالله ولاتشرك معاوية ، في باطله ، فإنّ معاوية غمص النّاس وسفه الحقّ ، والسّلام » .

قال نصر : و هذا أوّل كتاب كتبه عليّ عليه السلام إلى عمرو بن العاص فكتب إليه عمرو جوابه :

أمّا بعد ، فانّ الّذي فيه صلاحنا ، وألفة ذات بيننا ، أن تنيب إلى الحقّ ، وأن تجيب إلى ما ندعوكم إليه من الشّورى ، فصبر الرّجل منّا نفسه على الحقّ ، وعذره النّاس بالمحاجزة ، والسّلام .

قال نصر بن مزاحم : فكتب عليّ عليه السلام إلى عمرو بن العاص بعد ذلك كتاباً غليظاً وهو الّذي ضرب مثله فيه بالكلب يتبع الرّجل ، وهو مذكور في نهج البلاغة .

أقول : ما ذكره عن نصر بن مزاحم صريح في أنّ هذا الكتاب موجّه إلى غير معاوية و تذكّر بالغ لعمرو بن عاص في الرجوع عن غيّه و هربه عن حبالة معاوية فانّه عليه السلام نبّه على أنّ مشغلة الإنسان على وجهين :

١ـ المشغلة الروحانية والهدف الإنساني المجرّد عن الأميال الماديّة و هي التقرّب إلى الله وتحصيل رضاه لأداء شكره و رسم العبوديّة تجاه عظمته ثمّ طلب رضوان الله و نيل المثوبات الأخرويّة و منها رعاية الوجهة الملكيّة والسّماويّة الرّاجعة إلى الرّوح الإنسانيّة الّتي هي من عالم القدس والتجرّد ، ورعاية الأخلاق السامية البشريّة من طلب العلم والمعرفة و كشف الحقائق الكونيّة و رموز أنوار الوجود المطلق .

٢ـ المشغلة الدّنيويّة الشاملة لما فيها من الأمور الماديّة المتنوّعة كالمال و الجمال والجاه و الانانيّة وكلّما يرجع إلى الغرائز الحيوانيّة من الملاذّ و الشّهوات والمكاره والأسفات الّتي منشأها كلتا القوّتين الشهويّة والغضبيّة ، فبيّن عليه السلام أنّ مادامه مخاطبه بهذا الكتاب سواء كان عمرو بن عاص كما نصّ عليه نصر بن مزاحم أو معاوية أو غيرهما ممّن يتبعهما محبّ المدنيا وشؤنها من الثّروة والقدرة والجاه ، و بيّن أنّ الدّنيا مشغلة موبقة ومهلكة للشاغل بها وللطالب لها لأنّ صاحب الدّنيا كشارب الماء المالح كلّما ازداد شرباً ازداد عطشاً ، وكالمبتلى بمرض الاستسقاء لا يرتوى من شرب الماء .

قال الشارح المعتزلي : « و الأصل في هذا قول الله تعالى « لوكان لابن آدم واديان من ذهب لا بتغى لهما ثالثاً ، ولا يملأ عين ابن آدم إلاّ التراب » وهذا من القرآن الذي رفع ونسخت تلاوته » .

مضافاً إلى أنّ للدّنيا شئون وحوائج لا تحصى ولا يؤثر نيل شأن من شئونها أوقضاء حاجة من حوائجها عن سائر الشئون والحوائج . بل كلّما نال طالبها حاجة من حوائجها و شأناً من شئونها ازداد حوائج أُخرى ، فمن نال ثروتها يحتاج إلى حفظة يحفظونها و مخازن تحتويها ، ومن نال جاهها وملوكيتها تحتاج إلى خدم وجند وأعوان ، ثمّ بيّن أنّه من نال شيئاً منها فلا يبقى له بل يفارقه وينقطع منه إمّا بفناء ما ناله وزواله وهلاكه ، وإمّا بموت صاحبه وطالبه ، وعبّر عن الجامع بين الوجهين بقوله (ومن وراء ذلك فراق ما جمع ونقض ما أبرم) .

الترجمة

أمّا بعد براستى كه دنيا از هر آنچه جز خودش بازدارنده است ، دنيا دار بچيزى از آن دست نيابد جز آنكه آزش بر آن بيفزايد ودلش بيشتر دربند آن باشد ، وهرگز دنيادار بهر آنچه كه از آن بدست آرد بى نياز نگردد از آنچه را كه بدان دست نيافته است .

و در دنبال آن همه جدا شدن از هر آنچه است كه فراهم آورده وشكست هر آنچه است كه محكم ساخته ، واگر تواز آنچه گذشته است عبرت پذير باشى آنچه را كه ازعمر وفرصت برايت بجااست غنيمت شمارى ونگهدارى ، والسّلام .

المختار التاسع والاربعون من كتبه عليه السلام

ومن كتاب له عليه السلام الى امرائه على الجيوش

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِيطَالِبٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلىٰ أَصْحَابِ الْمَسَالِحِ :

أما بعدُ فإنَّ حقًّا على الوالي أنْ لا يُغيِّرَهُ على رَعيَّتِهِ فضلٌ نالَهُ ، ولا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ ، وَ أنْ يَزيدَهُ ما قَسَمَ اللهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوًّا مِنْ عِبادِهِ ، وَ عَطْفاً على إخْوانِهِ .

ألا وَ إنَّ لَكُمْ عِندي أنْ لا أحتجِزَ دُونَكُمْ سِرًّا إلاّ في حَرْبٍ ، وَ لا أطْوِيَ دُونَكُمْ أمْراً إلاّ في حُكْمٍ ، وَ لا أُؤخِّرَ لَكُمْ حَقًّا عَنْ مَحلِّهِ ، وَ لا أقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ ، وَ أنْ تَكونوا عِندي في الحَقِّ سَواءً ، فإذا فَعَلْتُ ذلِكَ وَجبَتْ لِلهِ عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ ، وَلي عَلَيْكُمُ الطّاعَةُ ، وَ أنْ لا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ ، وَ لا تُفَرِّطُوا في صَلاحٍ ، وَ أنْ تَخُوضُوا الغَمَراتِ إلى الحَقِّ ، فإنْ أنْتُمْ لَمْ تَستَقيمُوا لي عَلى ذلِكَ لَمْ يَكُنْ أحَدٌ أهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنْ اعْوَجَّ مِنْكُمْ ، ثُمَّ أعْظَمُ لَهُ العُقُوبَةَ ، وَ لا يَجِدُ عِندي فيها رُخْصَةً ، فَخُذُوا هذا مِنْ أُمَرائِكُمْ ، وَ أعْطُوهُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ ما يُصْلِحُ اللهُ بِهِ أمْرَكُمْ ، وَ السَّلامُ .

اللغة

(أصحاب المسالح) : جماعات تكون بالثغر يحمون البيضة ، والمسلحة هي الثغر ، كالمرغبة ، (لا أحتجز) : لا أستر ، (لا تنكصوا) : لاترجعوا أي لا تردّوا الدّعوة ، (الغمرة) : اللّجة من البحر يغرق من وقع فيه .

الاعراب

أن لايغيّره : تركيب من لفظة أن الناصبة مع لاء النافية ، وفضل فاعل لقوله

يغيّره ، والجملة خبر فانّ ، وأن يزيده ، عطف على قوله : أن لا يغيّره ، و هو خبر لقوله فانّ أيضاً ، دنوّاً من عباده مفعول ثان لقوله يزيده .

المعنى

كتابه هذا إلى أُمراء الجيوش ، أوّل مصدر تشريعيّ و سند قانونيّ للنظام العسكري في الدّولة الإسلاميّة الفنيّة يبيّن فيه الحقوق والنظامات بين الوالي وهو مقام الرآسة المطلقة للقوى المسلحة في الحكومة مع الأُمراء و الضّباط و القوّاد الّذين بيدهم الأمر في الحرب والسّلم ، وتعرض في هذا الكتاب للرابطة بين الوالي والأُمراء وهم الطبقة الأُولى وأصحاب الدرجة العليا من المراتب العسكريّة المعبّر عنهم في هذا العصر بالفريق ، و دونهم درجات ومراتب متنازلة إلى أن ينتهي إلى قائد عشرة ، و من بيان الرّابطة والحقوق المتبادلة بين الوالي وأُمراء الجيوش يتّضح الحقوق والروابط بين الأُمراء وسائر المأمورين والرّؤساء ، وقد بنى الأمر في هذا المقام على أكمل درجات الديموقراطية العليا و هو سقوط الرتبة والمزيّة بين الوالي وأُمراء الجيوش ، وبيّن أنّ هذا الفضل الّذي ناله الوالي من ارتقائه إلى مقام الرآسة بأمر من الله أو بعلّة اُخرى كانتخابه من طرف الرّعيّة يلزم ألاّ يغيّره على الرّعيّة ولا يثبت له درجة ومزيّة عليهم ، بل لابدّ و أن يزيده ما قسم الله له من نعمته دنوّاً من عباده و عطفاً على إخوانه فيكون بينهم كأحدهم ، و قد كان سيرته عليه السلام مع رعيّته هكذا طول أيّام أمارته وولايته، وهذا هو الدّرجة العليا في الديموقراطية لم يبلغ النّظامات الديموقراطيّة البشرية إليها بعد .

ثمّ التزم في مقام ولايته العليا لأُمراء جيوشه بأُمور أربعة :

١ ـ اشتراكهم معه في الاطلاع على إجراء كلّ أمر إلاّ في بعض الأسرار المتعلّقة بالحرب ، فانّه ربما يلزم إخفائه حتّى عن الأُمراء ، صيانة عن إفشائه قبل أوانه لئلاّ يطّلع عليه العدوّ ، فكتمان الأسرار الحربية من مهام الأُمور العسكريّة حتّى في هذه العصور ، وقد اكتسب نظره هذا أهمّيّة في خلال القرون الماضية إلى هذا العصر ، و قد اهتمّ الدّول الكبرى في إنشاء إدارات هامّة للتجسّس و كسب

الاطلاع عن برامج أعدائهم في الحروب وعن سائر ما يتعلّق بها .

قال ابن ميثم : ويحتمل أن يكون ترك مشورتهم لأمرين :

أحدهما : أنّ أكثرهم ربّما لا يختار الحرب ، فلو توقّف على المشورة فيه لما استقام أمره بها ، و لذلك كان كثيراً ما يحملهم على الجهاد و يتضجّر من تثاقلهم عليه وهم له كارهون كما سبق .

الثاني : أن يكتم ذلك خوف انتشاره إلى العدوّ فيكون سبب استعداده و تأهّبه للحرب ، و لذلك كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً إلى الحرب ورّى بغيره كما روى أنّه لما نوى غزاة بدر كتب للسريّة كتاباً وأمرهم أن يخرجوا من المدينة إلى صوب مكّة يومين أو ثلاثة أيام ، ثمّ ينظروا في الكتاب و يعملوا بما فيه . فلمّا ساروا المدّة نظروا فيه فاذا هو يأمرهم فيه بالخروج إلى نخلة محمود وأن يفعلوا كذا و كذا ففعلوا وخرج النبيّ ﷺ خلفهم إلى بدر وكان الظّفر لهم و لو أعلمهم حين أمرهم بالخروج أنّه يسير إلى قريش لا نتشر ذلك إلى قريش و كان استعدادهم لهم أقوى ، و جاز أن يكون ذلك أيضاً مانعاً لبعض الصحابة عن النّهوض خوفاً من أهل مكّة وشوكتهم .

أقول : في حمل كلامه هذا على ترك المشورة معهم نظر ، فانّ اخفاء بعض الأمور الحربيّة غير ترك المشورة ، مع أنّ حروبه في الجمل وصفّين ونهروان كان مع الشور والاطلاع .

و أما ما ذكره من إخفائه صلوات الله عليه أمر بدر فلا يوافق ما ذكر ابن هشام في سيرته قال : في (ص٣٦٩ ج١ ط مصر) عن ابن عبّاس في حديث بدر قالوا : لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام ندب المسلمين إليهم فقال : هاهي عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعلّ الله ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أنّ رسول الله ﷺ يلقى حرباً...

نعم ذكر في غزوة تبوك ما يلي : إنّ رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتّهيؤ لغزو الرّوم ، و ذلك في زمن عسرة من الناس و شدّة من الحرّ وجدب من البلاء ،

وحين طابت الثمار، والناس يحبون في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قلّما يخرج في غزوة إلا كنّى عنها و أخبر أنّه يريد غير الوجه الذي يصمد له إلا ما كان من غزوة تبوك فإنّه بيّنها للناس لبعد الشقة وشدّة الزمان و كثرة العدو الذي يصمد له ليتأهّب الناس لذلك اهبته فأمر الناس بالجهاد وأخبرهم أنه يريد الروم ...

٢ ـ عدم استقلاله بانجاز الأمور و اجرائها ودعوتهم للشركة فيها إلا أن يكون ذلك الأمر حكماً إلهياً فانّه لامجال لاشتراك غيره معه في بيان الحكم الإلهي أو إنشاء حكم شرعي .

٣ ـ عدم تأخير حقوقهم عن محلّه ووقته وعدم التردّد فيه ، بل ينفذه في وقته صريحاً سواء كان في عطايا بيت المال المقرّرة لهم أوغيرها ممّا يستحقونها .

٤ ـ عدم التبعيض فيما بينهم وعدم ترجيح بعضهم على بعض مع تساوي العمل و الرتبة لأغراض شخصيّة أو قبليّة أو ارتشاء أو استمالة وتوصية من ذوي النفوذ كما يرتكبه الولاة الغير العدول أوالولاة الظلمة فانّهم يرجحّون من يستخدمهم في أغراضهم على غيرهم .

ثمّ أعلمهم عليه السلام أنّ مراعات هذه الشروط يتمّ عليهم نعمة الولاية العادلة من الله تعالى فيلزم عليهم رعاية أمور أربعة :

١ ـ الطّاعة في كلّ ما أمرهم من الوظائف وما وجّهه إليهم من الأوامر .

٢ ـ عدم ردّ دعوته في اجراء الأمور وإنجازها وما يلزم في ذلك من عقد المؤمرات واللّجان المربوطة بها .

٣ ـ عدم التّقصير و التفريط في اظهار نظرات اصلاحيّة وارتكاب ما يلزم في صلاح أمر الأمّة وحفظ وحدتها والالفة بين أفرادها وجماعاتها ليكونوا يداً واحدة على أعدائها .

٤ ـ أن يخوضوا الغمرات ويتحمّلوا الشّدائد و يجهدوا في تثبيت الحقّ ودحض الباطل .

ثمّ توجّه إلى تشريع المجازات على التخلّف بوجهين :

الأ لف ـ إسقاط الرتب والدرجات عن المتخلّفين وإنزال المعوّجين عن درجاتهم فقال عليه السلام : (فلم يكن أحد أهون عليّ ممّن اعوجّ منكم) .

ب ـ تشديد العقوبة المقتضية للتخلّف وترك الانضباط والاطاعة وعدم الارفاق بالمتخلّف .

فقد شرّع عليه السلام في كتابه هذا نظاماً عسكرياً و أعطى أُصولاً كلّياً فرّع عليه علماء الحقوق النظاميين قوانين شتّى يكون المدار على العمل بها في النظامات العسكريّة إلى عصرنا هذا .

الترجمة

از نامه‌ايكه بفرماندهان وافسران قشون خود نوشته است .

از طرف بندهٔ خدا علىّ بن أبي‌طالب أمير المؤمنين بسرپرستان وفرماندهان مرزهای اسلامی .

أمّا بعد ، براستي برشخص والي وفرمانده كلّ ورئيس ارتش لازمست كه فضيلت ولايت وفرمانروائی مزاج برادرانهٔ اورا دگرگون نسازد نسبت برعايا و زيردستانش و مقام شامخي كه مخصوص او است اورا از اُمّت جدا نكند بلكه اين نعمتی كه خداوندش نصيب كرده اورا به‌بندهايش نزديكتر سازد وبر برادران همكيش او مهربانتر نمايد ، بدانيد كه شمارا برمن اين حقوق درعهده است :

١ ـ هيچ رازی را از شما كتمان نكنم وهمهٔ اطلاعات را در دسترس شما بگذارم وبشما گزارش دهم مگر راجع باسرارجنگی باشد كه كتمان آن لازمست .

٢ ـ هيچ أمری را بی مشورت ومراجعه بشما أنجام ندهم مگر بيان حكم إلهي باشد كه مخصوص مقام خود من است .

٣ ـ هيچ يك از حقوق شماهارا از موقع خود بتأخير نياندازم ودچارتردید و توقف نسازم .

٤ ـ تبعيضي ميان شما قائل نشوم وهمه را درحقوق ومزايا برابر بحساب آورم.

چون اين شرائط ومقررات را رعايت كردم نعمت ولايت عدل إلهي برشما مسلّم گرديده است ، وشما هم بايد چهار حق را نسبت بمن رعايت كنيد :

١ ـ فرمانبردار وطاعت گزار باشيد .

٢ ـ دعوت مرا رد نكنيد واز آن سرباز نزنيد .

٣ ـ در صلاح واصلاح اُمور كشور وملّت تقصير و كوتاهي روا نداريد .

٤ ـ در اجراى حق نهايت بكوشيد و خودرا بآب وآتش بزنيد تا حق مجرى شود .

در خاتمه بدانيد كه اگر براين مقررات پاى بند نشويد واز آنها تخلّف ورزيد هيچكس نزد من خوارتر و زبونتر نيست از كسيكه راه كج رفته در ميان شماها ، وسپس مجازات وسزاى اورا سخت وبزرگ نمايم وتخفيف و گذشتى از آن رعايت نكنم اين دستور را از فرماندهان خود بگيريد ، وخودرا آماده كنيد كه وسيلهٔ صلاح كارهاى خود باشيد ، والسّلام .

المختار الخمسون من كتبه عليه السلام

ومن كتاب له عليه السلام الى عماله على الخراج

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ أَصْحَابِ الْخَرَاجِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا ، وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ يَسِيرٌ ، وَ أَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ ، وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ وَ الْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ ، فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ

أَنْفُسِكُمْ ، وَ اصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ ، فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ ، وَ وُكَلاءُ الْأُمَّةِ ، وَ سُفَرَاءُ الْأَئِمَّةِ ، وَ لاَ تُحْشِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ ، وَ لاَ تَحْبِسُوهُ عَنْ طَلِبَتِهِ ، وَ لاَ تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَ لاَ صَيْفٍ وَ لاَ دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا وَ لاَ عَبْداً ، وَ لاَ تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ ، وَ لاَ تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ وَ لاَ مُعَاهِدٍ إِلاَّ أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلاَحاً يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلاَمِ فَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذَلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الْإِسْلاَمِ فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ ، وَ لاَ تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً ، وَ لَا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ ، وَ لَا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً ، وَ لاَ دِينَ اللهِ قُوَّةً ، وَ أَبْلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَ عِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا ، وَ أَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا ، وَ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

اللغة

(السفير) : الرسول ، (حشمته) و احتشمته بمعنى : أى أغضبته و أخجلته ، (الشوكة) : القوّة ، (أبليته) : أعطيته .

الاعراب

عقاب : اسم لم يكن اخبر عن خبره ، يخاف : فعل مبني للمفعول المستتر فيه والجملة صفة لقوله عقاب ، ما لاعذر : ما نكرة موصوفة بما بعده وهو اسم مكان .

لاتبيعُنّ : نهى مؤكد بنون التأكيد الثقيلة ، كسوة شتاء : مفعول ، اصطنع : افتعال من صنع أى أعطى ، أن نشكره : بمنزلة المفعول له لقوله: اصطنع بحذف اللام أى لأن نشكره ، قال في الشرح المعتزلي : و حذفها أكثر نحو قوله تعالى « لبئس ما قدّمت لهم أنفسُهم أن سخط الله عليهم ٨٠ ـ المائدة » .

المعنى

قد نظّم عليه السلام في كتابه هذا الاقتصاد العمومي واعتمد في نظمه هذا على الايمان والأخلاق ، فانّ أكثر ما يصل إلى بيت المال في ذلك الزمان يجتمع من أموال الزكاة الّتي تتعلّق بالمسلمين فيما يجب عليه الزكاة من الغلاّت الأربعة والأنعام الثلاثة و الذهب والفضّة المسكوكتين بشرائطها المقرّرة في الفقه الاسلامي و من أموال الخراج الّتي تؤخذ من أهل الذمّة والمعاهدين الّذين يعملون في الأراضي المفتوحة عنوة ، فانّ هذه الأراضي ينتقل إلى ملك المسلمين عموماً فتسلم إلى من يعمل فيها قبال سهم من زراعتها أومقدارمعين من النقود والأوّل يسمّى بالمقاسمة و الثاني بالخراج .

قال ابن هشام في سيرته « ص٢٤١ ج ٢ ط مصر » : فأخبرني ابن هشام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله افتتح خيبر عنوة بعد القتال و كانت خيبر ممّا أفاء الله عزّوجلّ على رسول الله صلى الله عليه وآله و خمّسها رسول الله صلى الله عليه وآله و قسّمها بين المسلمين و نزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذا الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم وأقرّكم ماأقرّكم الله ، فقبلوا فكانوا على ذلك يعملونها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يبعث عبدالله بن رواحة فيقسّم ثمرها ويعدل عليهم في الخرص .

وقد نظّم أمر الخراج في البلاد الّتي استولى عليه المسلمون بعد ذلك من بلاد الرّوم و فارس ، وقد بعث عمر أيّام حكومته عبد الله بن مسعود وحذيفة بن يمان لمساحة الأراضي العامرة في عراق وضرب الخراج فحسبوها ثلاثين ألف ألف جريب من مزارع الحنطة و الشعير و النخل فضربوا على كلّ جريب من النخيل

ثمانية دراهم و من الحنطة درهمين و من الشعير أقلّ من ذلك ، فكان الخراج يبلغ مأة و سبعون ألف ألف درهم ، وكان مهمّة الحكومة الاسلاميّة تحصيل هذا الخراج وحفظه وإيصاله إلى موارده و مصارفه ، فكان عمّال الخراج من عمد النظام في عالم الاسلام ، وكان يعتمد على تقواهم ودينهم في ذلك وقد نبّههم عليه السلام على ذلك وحذّرهم من الخيانة والتسامح في أموال المسلمين فابتدأ كلامه بقوله :

(فانّ من لم يحذر ما هو سائر إليه ، لم يقدّم لنفسه مايحرزها) أشار إلى أنّ المسير هوالموت ولقاء الله العالم بكلّ خفيّة وخائنة فمن اهتمّه أمر نفسه فلابد من الحذر من موارد الهلكة و العقاب ، و نبّه على أنّ اشتغالهم بأمر الخراج لابدّ وأن يكون باعتبار إطاعة الله ووليّه فيما يلزم عليهم ويكون في عهدتهم لا باعتبارما ينالونه من الأجرة الماليّة في هذا العمل بما هو حلال لهم ، فقال عليه السلام : (ما كلّفتم يسير وإنّ ثوابه كثير) و أكّد ذلك بقوله : (لو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي و العدوان عقاب يخاف ، لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذرَ في ترك طلبه) .

ثمّ حرّضهم على رعاية العدل و الانصاف في أخذ الخراج و إيصاله إلى مصارفه ، قال ابن هشام في سيرته (ص ٢٣٩ ج٢ ط مصر) : فكان رسول الله صلى الله عليه وآله - كما حدّثني عبد الله بن أبي بكر - يبعث إلى أهل خيبر عبدالله بن رواحة خارصاً بين المسلمين ويهود فيخرص عليهم فاذا قالوا : تعدّيت علينا قال : إن شئتم فلكم وإن شئتم فلنا فتقول يهود : بهذا قامت السماوات والأرض .

ثمّ وصف عمّال الخراج بألقاب شامخة ثلاثة :

١- جعلهم خزّان الرّعيّة فيلزم عليهم رعاية الأمانة وترك الخيانة .

٢- جعلهم وكلاء الأمّة فلابدّ لهم من رعاية العدالة والمصلحة في ما حوّل إليهم من أمر الأمّة .

٣- جعلهم سفراء الأئمّة فلا بدّ لهم من حفظ مقام سفارتهم برعاية الصحّة والأمانة في ما تحت أيديهم .

ثمّ نهاهم عن إظهار الحشمة والهيبة تجاه الناس ليمنعوهم عن إظهارحوائجهم

ويحبسوهم عن مطالبهم .

ثمّ استثنى من الخراج لوازم المعيشة من اللباس و دواب العمل و العبد الخادم و نهى عن ضرب الناس في تحصيل الخراج و عن مصادرة أموالهم و إن كانوا كفّاراً في ذمّة الاسلام و عهده إلاّ أن يكون ممّا يعين به على مخالفة الاسلام وتقوية أعداء الاسلام من الفرس و السلاح فلا بدّ من ضبطها لدفع مادّة الفساد وحفظ الأمن في البلاد الاسلاميّة .

ثمّ وصّاهم أموراً أربعة :

١ـ بذل النّصح لأنفسهم .

٢ـ وحسن السيرة مع الجنود الّذين يضحّون أنفسهم في سبيل تقوية الاسلام .

٣ـ وإعانة الرعيّة فيما يقوّيهم على العمل والاكتساب لتوفير الفوائد ومزيد الدخل القومي .

٤ـ تقوية الدين بالتبليغ والمواظبة على العمل بقوانينه .

ثمّ أمرهم بالجدّ في سبيل ما أوجب الله عليهم من التكاليف و ضبط الخراج ورعاية الأمانة فيه لأداء شكر الله تعالي في قبال نعمة الاسلام والتسلّط على الأعداء وبلادهم ونعمهم .

الترجمة

ازنامه‌ای که بکارمندان خراج نگاشت :

ازطرف بندهٔ خدا علي امیرمؤمنین بأصحاب خراج

أمّا بعد هر کس از سرانجامی که بدان در حرکت است نهراسد برای خود پیشگیری لازم را مراعات نکرده‌است ، بدانید این وظیفه‌ای که بشماوا گذار شده اندك است و ثوابش بسیار است ، اگر در ارتکاب آنچه خداوند از آن نهی کرده از ستمگری و تجاوز عقوبتی بیمناك نبود همان درك ثواب اجتناب از آن برای قطع عذر درترك اطاعت فرمان خدا بس بود .

از طرف خود نسبت بمردم انصاف را رعایت کنید و در برابر انجام حوائج

و نیازمندیهای آنان شکیبا باشید زیرا شما ها خزانه داران رعیّت و وکلاء امّت و سفیران أئمّه هستید ، هیچکس را از نیازی که دارد گرفتار حشمت خود نسازید و اورا از تقاضایش بازندارید .

برای تحصیل خراج از مردم جامهٔ تن آنها را چه تابستانی باشد و چه زمستانی نفروشید و حیوانی که وسیلهٔ کار آنها است از گاو و الاغ نفروشید و بنده وخدمتکار را هم بفروش نرسانید .

بخاطر یك درهم بدهی خراج احدی را یك تازیانه نزنید ، بمال احدی چه مسلمان باشد وچه کافر در پناه اسلام دست درازی نکنید ، مگر اینکه اسب یا سازوبرگ جنگ باشد که وسیلهٔ تجاوز بأهل اسلام گردد که براي مسلمان نشاید که نیروی جنگی را در دست دشمنان اسلام وانهد و وسیله شوکت آنها در برابر مسلمانان گردد .

از نصیحت واندرز خود دریغ نکنید واز خوشرفتاری با قشونی‌ها کوتاهی نکنید ، از کمك برعیّت خودداری ننمائید واز تقویت وتأیید دین خدا باز نایستید درراه آنچه خدا برشما واجب کرده تلاش کنید ، زیرا خداوند بما وشماها احسان کرده ونعمت بخشیده تا باهمه کوشش خود شکراورا بگزاریم وتا آنجا که نیروی ما برسد اورا یاری کنیم وجنبش وتوانی نیست جز بخداوند والا و بزرگوار .

المختار الواحد والخمسون من کتبه عليه السلام

ومن کتاب له علیه السلام الی امراء البلاد فی معنی الصلاة

أَمَّا بَعْدُ ، فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتّٰى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِثْلَ مَرْبَضِ الْعَنَزِ ، وَ صَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَ الشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ ، وَ صَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ وَ يُدْفَعُ

الْحاجُّ إِلىٰ مِنىٰ ، وَ صَلوا بِهِمُ الْعِشاءَ حِينَ يَتَوارَى الشَّفَقُ إِلىٰ ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَ صَلُّوا بِهِمُ الْغَداةَ وَ الرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صاحِبِهِ ، وَ صَلُّوا بِهِمْ صَلاةَ أَضْعَفِهِمْ وَ لا تَكُونُوا فَتّانِينَ .

اللغة

(مربض العنز) : محلّ نوم الشاة طوله يقرب من ذراعين و عرضه يقرب من ذراع ، (ويدفع الحاجّ إلى منى) : وقت الافاضة من عرفات إلى منى وهو آخر يوم عرفة يبتدء من المغرب الشرعي ، (يتوارى الشفق) : يزول الحمرة المغربيّة الحادثة بعد غروب الشمس ، (و الرجل يعرف وجه صاحبه) : أى إذا كانا تحت السماء ولم يكن غيم ولا مانع .

الاعراب

صلّوا بالناس : الباء في قوله : بالناس ، يشبه أن تكون للتعدية كالباء في ذهب به لأنّ الامام يوجد الصلاة في المأمومين بتصدّيه للامامة كما أنّ ذهب به ربما يستعمل في مقام تصدّى الفاعل لهداية الذاهب و إمامته في الذهاب ، مثل مربض العنز : أى فيئاً مثل مربض العنز فحذف الموصوف وهو مفعول مطلق لقوله تفيء ، و الشمس بيضاء حيّة مبتدء و خبر و الجملة حاليّة عن فاعل صلّوا ، و في عضو من النهار : ظرف مستقرّ خبر بعد خبر لقوله : و الشمس ، و كذلك قوله : حين يسار فيها فرسخان ، ويمكن أن يكون ظرفاً لغواً متعلّقاً بقوله : صلّوا ، وقوله : حين يفطر الصائم ، ظرف متعلّق بقوله : صلّوا .

المعنى

هذا دستور لإقامة صلاة الجماعة مع النّاس إلى أُمراء البلاد لأنّ الإمامة في الصّلاة من أهمّ وظائف الأُمراء في الإسلام وخصوصاً في ذلك العصر ، لأنّ

الجماعة في الصلاة محور تربية المسلمين و تعليمهم لما يهمّهم من أمور الدين و خصوصاً تعليم آي القرآن و سوره ، فانّ الامام يقرء بعد الحمد ما يتيسّر من سورالقرآن الكريم والمأمومين ينصتون له و يحفظون ما يقرؤه بالمداومة والمحافظة على الصلاة كما أنّ إقامة الصلاة في صفوف مرصوصة منظّمة يدرّبهم على الاصطفاف تجاه الأعداء في ميادين الجهاد و معارك القتال و هو فنّ نظامي عسكري كان له أثر كبير في تقدّم جيوش الاسلام و الغلبة على أعدائهم ، وقد أشير إليه في قوله تعالى « إنّ الله يحبّ الّذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنّهم بنيان مرصوص ٣ ـ الصف » فالمقاتلة في صفّ كأنّهم بنيان مرصوص ممّا يدربون عليها في الإصطفاف لصلاة الجماعة .

فالظاهر أنّ هذا الدستور لا يرجع إلى تحديد أوقات الصلاة تشريعاً بحيث يمكن الاستناد به لاثبات الوقت المشروع ، نعم يستفاد منه أنّ إقامة الصلاة في هذه الأوقات مقرونة بالفضيلة ومناسبة مع حال الأمّة .

و ليس الغرض منه تحديد وقت الصلاة الشرعي كما يظهر من ابن ميثم قال : « ص١٣٣ ج ٥ » بيّن في هذا الكتاب أوقات الصلاة المفروضة ، فالأوّل وقت الظهر وحدّه بوقت فيء الشمس أى رجوعها وميلها إلى المغرب ، ثمّ نبّه بتقديره بمربض العنز وهو أوّل وقت الظهر و ذلك ممّا يختلف باختلاف البلاد .

أقول : ظاهر كلامه بل صريحه أنّ رجوع الظلّ الحادث بعد الزوال إلى مقدار مربض العنز أوّل وقت الظهر ، وفيه :

١ـ أنّ ظاهر قوله عليه السلام : (صلّوا بالناس الظهر حتّى تفيء الشمس مثل مربض العنز) أنّ بلوغ الفيء إلى هذا المقدار آخر وقت صلاة الظهر ، لأنّ لفظة حتّى تفيد انتهاء الغاية في الزمان و المكان لا ابتداءها ، فالمقصود أنّه صلّوا الظهر من حين الزوال إلى أن يبلغ الفيء هذا المقدار .

٢ـ أنّه مخالف لقوله تعالى « أقم الصّلوة لدلوك الشمس إلى غسق الليل و قرآنَ الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً ٨٧ ـ الأسراء » .

قال في المجمع : أقم الصّلوة لدلوك الشمس ، أى لزوالها وميلها ، يقال :

دلكت الشمس و النجوم من باب قعد دلوكاً إذا زالت و مالت عن الاستواء ، قال الجوهري : و يقال دلوكها غروبها ، و هو خلاف ما صحّ عن الباقر عليه السلام من أنّ دلوك الشمس زوالها ، فهذه الآية شرّعت أوقات الصلاة وابتدأت ببيان وقت الظهر من حين زوال الشمس و رجوع الفيء إلى مقدار مربض العنز متأخّر عنه بساعات خصوصاً في البلاد الّتي يسامت الشمس رؤوس أهلها و يزول الظلّ عند زوال الشمس كالمدينة في أيّام من كون الشمس في برج جوزاء .

٣ـ أنّه مخالف لما اتّفق عليه الفقهاء الاماميّة من أنّ أوّل وقت صلاة الظهر من حين زوال الشمس و ميلها عن دائرة نصف نهار البلد .

قال المحقّق في الشرايع : فما بين زوال الشمس إلى غروبها وقت للظهر و العصر و إن كان يختصّ الظهر من أوّله بمقدار أدائها وكذا العصر من آخره و ما بينهما فمشترك .

قال صاحب الجواهر في شرح كلامه : كلّ ذلك على المشهور بين الأصحاب بل لا خلاف في كون الزوال مبدأ صلاة الظهر بين المسلمين كما عن المرتضى و غيره الاعتراف به عدا ما يحكى عن ابن عبّاس و الحسن و الشعبي من جواز تقديمها للمسافر عليه بقليل و هو بعد انقراضه لا يقدح في إجماع من عداهم من المسلمين على خلافه إن لم يكن ضروريّاً من ضروريّات الدين .

ثمّ تعرّض صاحب الجواهر رحمه الله لأخبار كثيرة يستفاد منها تأخير وقت الظهر عن الزوال ، فقال : فما في صحيح الفضلاء عن الباقر و الصادق عليهما السلام من أنّ وقت الظهر بعد الزوال قدمان و وقت العصر بعد ذلك قدمان ، و صحيح زرارة عن الباقر عليه السلام أنّ وقت الظهر بعد ذراع من زوال الشمس و وقت العصر ذراعين من وقت الظهر ، و ذلك أربعة أقدام من زوال الشمس ، بل عن ابن مسكان أنّه قال : حدّثني بالذراع و الذراعين سليمان بن خالد و أبو بصير المرادي و حسين صاحب القلانس و ابن أبي يعفور و من لا أحصيه منهم ، و خبر عبد الله بن مسكان أنّه كان حائط مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يظلّل قامة و كان إذا كان الفيء ذراعاً وهو قدر مربض

غزال صلّى الظهر و إذا كان ضعف ذلك صلّى العصر و نحوه غيره .

و خبر إسماعيل الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام : كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان في الجدار ذراعاً صلّى الظهر و إذا كان ذراعين صلّى العصر ، قلت : إنّ الجدار يختلف ، بعضها قصير و بعضها طويل ؟ فقال : كان جدار مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذٍ قامة .

وخبر إسماعيل بن عبدالخالق عن الصادق عليه السلام : إنّ وقت الظهر بعد الزوال بقدم أو نحو ذلك إلاّ في يوم الجمعة أو في السفر فانّ وقتها حين تزول الشمس .

و مضمر ابن أبي نصر : سألته عن وقت صلاة الظهر و العصر ؟ فكتب : قامة للظهر و قامة للعصر .

وخبر عمر بن سعيد بن هلال عن الصادق عليه السلام : قال : قل لزرارة إذا كان ظلّك مثلك فصلّ الظهر و إذا كان ظلّك مثليك فصلّ العصر .

و خبر سعيد الأعرج عن الصادق عليه السلام أيضاً عن وقت الظهر ، أ هو إذا زالت الشمس ؟ فقال : بعد الزوال بقدم أو نحو ذلك إلاّ في السفر و يوم الجمعة فانّ وقتها إذا زالت الشمس فقال : بعد الزّوال .

و خبر ابن شعيب عن الصادق عليه السلام : سألته عن صلاة الظهر ؟ فقال : إذا كان الفيء ذراعاً قلت : ذراعاً من أيّ شيء ؟ قال : ذراعاً من فيئك ، قلت : فالعصر ؟ قال : الشطر من ذلك ، قلت : هذا شبر ؟ قال : أوليس الشبر بكثير .

و خبر زرارة عن الصادق عليه السلام أيضاً : وقت الظهر على ذراع .

و خبر ذريح المحاربي : سأل أبا عبد الله اُناس و أنا حاضر ، إلى أن قال : فقال بعض القوم : إنّا نصلّي الاُولى إذا كانت على قدمين والعصر على أربعة أقدام فقال أبو عبدالله عليه السلام : النصف من ذلك أحبّ إليّ .

و خبر أبي بصير عن الصادق عليه السلام : الصلاة في الحضر ثمان ركعات إذا زالت الشمس ما بينك و بين أن يذهب ثلثا القامة ، فاذا ذهب ثلثا القامة بدأت بالفريضة .

و خبر عبيد بن زرارة : سألت أباعبدالله عليه السلام من أفضل وقت الظهر ؟ قال : ذراع بعد الزوال ، قال : قلت : فالشتاء و الصيف واحد ؟ قال : نعم .

و يستفاد من مجموع هذه الأخبار أمور :

١ـ أنّ المقصود من مربض العنز في كلامه عليه السلام هو مقدار مربضه عرضاً و يقرب من ذراع .

٢ـ أنّ المقصود من هذه التعبيرات المختلفة كمربض العنز و مربض الغزال و الذراع و القدمين أمر واحد و أنّ اختلاف التعبير بمناسبة أنس ذهن المخاطب بأحد هذه المقادير .

٣ـ أنّ تأخير صلاة الظهر عن الزوال بهذا المقدار كان لغرض من الأغراض:

منها ـ إرادة الرخصة في التنفّل كما ذكره في الجواهر ، قال : محمول على إرادة الرخصة للمتنفّل في تأخير الظهر هذا المقدار و أنّه لا يتوهّم حرمته للنهي عن التطوّع وقت الفريضة كما يؤمى إليه الأمر بالظهر عند الزوال حيث لا تشرع النافلة فيه كالسفر يوم الجمعة ، و في خبر زرارة قال : قال لي : أتدري لم جعل الذراع و الذراعان ؟ قال : قلت : لم ؟ قال : لمكان الفريضة لك أن تتنفّل من زوال الشمس إلى أن يبلغ ذراعاً فاذا بلغ ذراعاً بدأت بالفريضة و تركت النافلة .

ومنها ـ انتظار اجتماع الناس وحضورهم في الجماعة و عدم تخلّف أحد منها كما هو الظاهر من دستوره لأمراء بلاده .

ومنها ـ انتظار برودة الهواء في الأيّام الشديدة الحرّ كما ورد من قوله صلى الله عليه وآله « أبردوا بصلاة الظهر » و فسّر بأنّ المقصود من الإبراد بصلاة الظهر هو تأخيره إلى أن يبلغ الظلّ مقدار ذراع و تنكسر سورة الحرّ .

هذا ، و لم يتعرّض عليه السلام في كتابه هذا لبيان آخر وقت الظهر ، و هذا دليل على أنّه ليس في مقام تحديد الوقت ، و وقت صلاة العصر بعد مضيّ مقدار أداء صلاة الظهر من الزوال و يمتدّ إلى غروب الشمس فيختصّ العصر بمقدار أربع ركعات من آخر النهار كما في مرسلة داود بن فرقد المنجبرة عن الصادق عليه السلام إذا

زالت الشمس فقد دخل وقت الظهر حتّى يمضي مقدار مايصلّي المصلّي أربع ركعات فاذا مضى ذلك فقد دخل وقت الظهر و العصر حتّى يبقى من الشمس مقدار ما يصلّي أربع ركعات فاذا بقى مقدار ذلك فقد خرج وقت الظهر و بقى وقت العصر حتّى تغيب الشمس - الخ .

ولكنّه قرّر وقت أداء صلاة العصر و عقد الجماعة لها بقوله : (و صلّوا بهم العصر والشمس بيضاء حيّة) أى لم ينكسر ضوؤها بقربها وهبوطها إلى أفق المغرب ثمّ أوضح ذلك بقوله (حين يسار فيها فرسخان) و المقصود سير القوافل المعمولة و يشغل مسير الفرسخين ممّا يقرب من ساعتين و الظلّ في هذا الوقت يقرب من المثلين كما نقل في الجواهر : و دخل أبو بصير على أبي عبد الله عليه السلام فقال : إنّ زرارة سألني عن شيء فلم أجبه فقد ضقت من ذلك فاذهب أنت رسولي إليه فقل له : صلّ الظهر في الصيف إذا كان ظلّك مثلك و العصر إذا كان مثليك ، و كان زرارة هكذا يصلّي في الصيف .

و لم يتعرّض عليه السلام لبيان آخر وقت العصر أيضاً و قد عرفت أنّه يمتدّ إلى غروب الشمس .

و أمّا صلاة المغرب فقد أمر بعقد الجماعة لها من أوّل وقتها و هو غروب الشمس و ذكر له علامتين :

١- حين يفطر الصائم ، و إفطار الصائم إنّما يكون بعد انتهاء النهار ودخول الليل لقوله تعالى « ثمّ أتمّوا الصيام إلى الليل » .

٢- حين يدفع الحاجّ من عرفات إلى المشعر ، و هو بعد انتهاء نهار عرفة أيضاً و لكن في التعبير بقوله عليه السلام : إلى منى ، غموض فانّ دفع الحاجّ إلى منى إنّما يكون في عشيّة يوم التروية ليبيتوا بمنى ثمّ يذهبوا إلى عرفات من صبيحة اليوم التاسع و ليس له وقت محدود و على أيّ حال فالمقصود إقامة صلاة المغرب في أوّل الليل بعد انتهاء النهار ، وقد اختلف كلمات الأصحاب في تحديده :

قال في الشرايع : و كذا إذا غربت الشمس دخل وقت المغرب و يختصّ من

أوّله بمقدار ثلاث ركعات ثمّ يشاركها العشاء حتّى ينتصف الليل و يختصّ العشاء من آخر الوقت بمقدار أربع ركعات - إلى أن قال : و يعلم الغروب باستتار القرص وقيل : بذهاب الحمرة عن المشرق وهو الأشهر ، قال صاحب الجواهر في شرحه : بل في كشف اللثام أنّه مذهب المعظم بل هو المشهور نقلاً و تحصيلاً فتوى وعملاً شهرة عظيمة سيّما بين المتأخّرين ، بل في الرياض أنّ عليه عامّتهم إلا من ندر ، بل في المعتبر أنّ عليه عمل الأصحاب كما عن التذكرة بل عن السرائر الاجماع عليه ....

أقول : لا إشكال في أنّ المدار في دخول الليل و انتهاء النهار هو سقوط الشمس عن الأفق و غيبوبة الشمس عن الأبصار و الأنظار و حلول السواد محلّ بياض النهار ، و لكنّ البحث في أنّ سقوط الشمس عن أيّ الأفق مدار نهاية النهار و دخول الليل ، فالأفق الظاهري هو ما يحيط به خطّ موهوم يخرج من عين الناظر و يتّصل بمنتهى الأفق في الأرض المستوية بحيث إذا هبطت عنه الشمس تغيب عن عين الناظر ، والافق الحقيقي هوما يحيط به دائرة متوهّمة يمرّ بمركز الأرض من تحت رجل الناظر بحيث إذا جاوزت عنه الشمس تقع محاذية للقسم الأسفل من الكرة الأرضية ، فسقوط الشمس عن الأفق الظاهري محسوسة في الأرض المستوية و أمّا سقوطه عن الأفق المركزي فيعلم بعلامة وهي ذهاب الحمرة المشرقيّة الحادثة أوان غيبوبة الشمس عن الأفق الظاهري كان ، فينبغي أن يقال أنّه لاخلاف في انّ حقيقة المغرب هو سقوط القرص كما أنّه لاخلاف بين الاماميّة في اعتبار ذهاب الحمرة علامة للمغرب ، إنّما الكلام في تحقيق معنا ذهاب الحمرة عن المشرق . ففسّره بعضهم بانّه عبارة عن ارتفاع الحمرة إلى فوق الرأس ثمّ هبوطها إلى أفق المغرب وظهورها هناك ، و لكنّه ليس بصحيح ، لأنّ الحمرة المشرقيّة ترتفع عن الأفق إلى فوق القامة ثمّ تمحو و تضمحلّ و لامفهوم لتجاوز الحمرة عن فوق الرأس بهذا المعنى .

وفسّره بعضهم بارتفاع الحمرة عن أفق المشرق إلى ما يتجاوز قامة إنسان معتدل بحيث إذا توهّم قيام إنسان في الأفق الشرقي وقيس الحمرة المرتفعة معه

كانت الحمرة فوق رأسه فيصحّ أن يقال إنّ الحمرة جاوزت عن الرأس ، و هذا هو الصحيح .

فالحاصل أنّ المغرب يدخل بسقوط الشمس عن الأفق المركزي و علامته ارتفاع الحمرة عن أفق المشرق فوق القامة و إن كانت باقية بعد ، و هذا هو المراد من تجاوز الحمرة قمّة الرأس ، كما ورد في مرسل ابن أبي عمير الّذي وصفه في الجواهر بأنّه في قوّة المسند عن الصادق عليه السلام وقت سقوط القرص و وقت الافطار من الصيام أن تقوم بحذاء القبلة و تتفقّد الّتي ترتفع من المشرق، فاذا جاوزت قمّة الرأس إلى ناحية المغرب فقد وجب الافطار و سقط القرص - انتهى .

و هذا هو مراد ابن أبي عقيل فيما حكي عنه كما في الجواهر :

« أوّل وقت المغرب سقوط القرص ، وعلامة ذلك أن يسودّ أفق السماء من المشرق وذلك الليل » فانّه لا معنى لتجاوز الحمرة عن قمّة الرأس إلاّ ارتفاعها فوق القامة فانّها بعد ذلك تضمحلّ و تمحو فانّ ظهور هذه الحمرة إنّما هو من تجلّي أشعّة الشمس في الطبقة البخاريّة الهوائيّة حول الأفق .

و يؤيّد ذلك ما رواه في الجواهر عن كتاب محمّد بن علي بن محبوب ، قال : أمرت أبا الخطّاب أن يصلّي المغرب حين زالت الحمرة من مطلع الشمس فجعل هو الحمرة الّتي من قبل المغرب وكان يصلّي حين يغيب الشفق .

هذا ، و لم يتعرّض عليه السلام في كتابه هذا لبيان آخر وقت صلاة المغرب و قد عرفت أنّه يمتدّ إلى نصف الليل و إن اختصّ من آخره مقدار أربع ركعات بصلاة العشاء .

ثمّ قال عليه السلام (وصلّوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق الى ثلث الليل) .

فقد فسّر الشفق بالحمرة المغربية ، قال في الشرح المعتزلي : فأمّا وقت العشاء فقال الشافعي : هو أن يغيب الشفق و هو الحمرة - إلى أن قال : و قد حكينا مذهب أبي حنيفة فيما تقدّم و هو أن يغيب الشفق الّذي هو البياض و به قال زفر و المزني - انتهى .

فقد ترى اختلاف الفقهاء في أنّ الشفق هو الحمرة المغربيّة القليلة البقاء بعد غروب الشمس أو البياض الباقي في أفق المغرب إلى ما يقرب ساعتين من الليل ، و قد فسّر بعض الفقهاء الشفق بالحمرة المغربيّة فقال بضيق وقت المغرب و نافلتها حيث إنّ هذا الوقت لا يكفي إلاّ لأداء فريضة المغرب و نافلتها ، و الظاهر أنّ المراد من الشفق في كلامه عليه السلام هو البياض الساطع بعد غروب الشمس إلى مقدار ساعة و نصف من الليل تقريباً فانّه المعهود لأداء صلاة العشاء عند تفريقها عن صلاة المغرب ، و عليه جرت السنّة و السيرة في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله إلى عصرنا هذا .

و حدّد عليه السلام آخر وقت أداء صلاة العشاء بمضيّ ثلث الليل و ظاهره سعة وقت إقامة الجماعة في صلاة العشاء إلى ثلث الليل باختلاف وضع البلدان واختلاف الليل و النهار في الفصول المختلفة و ليس المقصود أنّ ثلث الليل نهاية وقت صلاة العشاء على وجه الاطلاق ، لما عرفت ممّا ذكرنا أنّ هذا الكتاب ليس بصدد بيان الأوقات بحدودها ، بل المقصود منه دستور لإقامة الجماعة في وقت مناسب لها .

و أمّا الغداة فقال عليه السلام (و صلّوا بهم الغداة و الرجل يعرف وجه صاحبه) و هذا التعبير كناية عن بسط ضوء الفجر بحيث يعرف الرجل صاحبه إذا نظر إليه كما عبّر في القرآن الكريم عن الفجر الصادق بقوله عزّ من قائل « حتّى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » ففسّره بعضهم بأنّ المراد منه بسط ضوء الصباح إلى حيث يمتاز الخيط الأسود من الخيط الأبيض لأصحاب العيون الصحيحة ، بناءاً على أنّ لفظة من في قوله تعالى « من الفجر » للتعليل فالمقصود أنّ الفجر يعتبر من بسط الضوء إلى حيث يكشف الظلمة ويتبين الأشياء فيمتاز الخيط الأسود من الخيط الأبيض أو يعرف الرجل وجه صاحبه إذا لم يكن هناك مانع من غيم أو سقف أو غيرهما .

و قد وصّى عليه السلام أمراءه بعد بيان أوقات الجماعة بأمرين :

١ـ مراعاة حال الضعفاء في الصلاة بترك التطويل وأداء المستحبّات في الركوع والسجود فيصعب الأمر على الضعفاء ويرد عليهم المشقّة فيبغضون الجماعة .

٢ـ ترك الفتنة في إقامة الجماعة وهي على وجوه :

الالف ـ أى لا تفتنوا الناس بإتعابهم و إدخال المشقّة عليهم بإطالة الصلاة و إفساد صلاة المأمومين بما يفعلونه من أفعال مخصوصة .. ، هكذا فسّره في الشرح المعتزلي .

ب ـ وجه الفتنة هنا أنّهم يكونون صادفين للناس عن الاتّفاق والتساعد على الجماعة باطالتها المستلزمة لتخلّف العاجزين و الضعفاء ، هكذا فسّره ابن ميثم « ص ١٣٤ ج ٥ » .

أقول : وأنت ترى أنّ كلا التفسيرين متشابهان و كأنّه تكرار للأمر الأول .

ج ـ أن يكون المراد من النهي عن الفتنة عدم التوسّل بالمأمومين واجتماعهم لاثارة الخلاف والصول على المخالفين أو عدم الافتتان بالصفوف المرتصّة خلفهم فيدخلهم الكبرياء و العجب ، فتدبّر .

الترجمة

ازيك نامه اى كه درمعنى نماز بفرماندهان بلاد نگاشت .

أمّا بعد نمازظهررا براى مردم بخوانيد تا گاهى كه سايه خورشيد بأندازهٔ خوابگاه گوسفندى بر گردد ، و نماز عصر را هنگامى براى آنان بخوانيد كه خورشيد پرتوافكن و زنده است و قسمتى از روز باقى است بأندازه اى كه بتوان مقدار دو فرسخ در آن طىّ مسافت كرد (پياده يا با چهارپا) ، نماز مغرب را در آنگاه برايشان بخوانيد كه روزه دار افطار كند و حاج از عرفات كوچ كنند « بسوى منى » ، و نماز عشا را در آنگاه برايشان بخوانيد كه شفق نهان مى‌شود تا يك سوم أز شب ، ونماز بامداد را در آنگاه بخوانيد كه هر مردى چهره مصاحب خود را مى‌شناسد ، نماز را برابر توانائى ضعيف ترين مردم بخوانيد ، و درنماز فتنه‌جو مباشيد .

المختار الثاني والخمسون من كتبه عليه السلام

و من عهد له عليه السلام كتبه للاشتر النخعي رحمه الله ، لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر ، وهو أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن

مالك بن الحارث الأشتر النخعي قد عدّه الشيخ رحمه الله في رجاله من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام و قال في القسم الأوّل من الخلاصة : « و هو ما اجتمع فيه الصحاح و الحسان » مالك بن الأشتر قدّس الله روحه ورضي الله عنه جليل القدر عظيم المنزلة كان اختصاصه بعليّ عليه السلام أظهر من أن يخفى ، وتأسّف أمير المؤمنين لموته وقال : لقد كان لي مثل ما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله ، انتهى ، وقد روي عن الكشّي فيه روايات :

فمنها ما عن الفضل بن شاذان أنّه من التابعين الكبار ورؤسائهم وزهّادهم .

و منها ما رواه مرسلاً بقوله لمّا نعي الأشتر مالك بن الحارث النخعي أمير المؤمنين عليه السلام تأوّه حزناً، ثمّ قال : رحم الله مالكاً و ما مالك ؟! عزّ عليّ به هالكاً لو كان صخراً لكان صلداً ولو كان جبلاً لكان فنداً و كأنّه قدّمني قداً .

ومنها ما رواه هو عن محمّد بن علقمة بن الأسود النخعي ، قال : خرجت في رهط أُريد الحجّ ، منهم مالك بن الحارث الأشتر و عبدالله بن الفضل التميمي ورفاعة بن شدّاد البجلي حتّى قدمنا الربذة ، فاذا امرأة على قارعة الطريق تقول: يا عباد الله المسلمين هذا أبوذرّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله هلك غريباً ليس لي أحد يعينني عليه ، قال : فنظر بعضنا إلى بعض وحمدنا الله على ما ساق إلينا و استرجعنا على عظيم المصيبة ، ثمّ أقبلنا معها فجهّزناه وتنافسنا في كفنه حتّى خرج من بيننا بالسواء ، ثمّ تعاونّا على غسله حتّى فرغنا منه ، ثمّ قدّمنا الأشتر فصلّى بنا عليه ، ثمّ دفنّاه ، فقام الأشتر على قبره ثمّ قال : اللّهمّ هذا أبوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله عبدك في العابدين و جاهد فيك المشركين ، لم يغيّر و لم يبدّل لكنّه

رآى منكراً فغيّره بلسانه و قلبه حتّى جفي ونفى وحُرِم و احتقر ثمّ مات وحيداً غريباً ، اللهمّ فاقصم من حرمه ونفاه عن مهاجره حرم رسولك ، قال : فرفعنا أيدينا جميعاً وقلنا آمين ، ثمّ قدّمت الشاة الّتي صنعت فقالت : إنّه قد أقسم عليكم أن لا تبرحوا حتّى تتغدّوا فتغدّينا وارتحلنا .

ومنها ما روي عن حلاّم دلف الغفاري وكانت له صحبة ، قال : مكث أبوذر بالربذة حتّى مات فلمّا حضرته الوفاة قال لامرأته : إذبحي شاة من غنمك واصنعيها فاذا نضجت فاقعدي على قارعة الطريق فاوّل ركب تريهم قولي يا عباد الله المسلمين هذا أبوذر صاحب رسول الله قد قضى نحبه و لقى ربّه فأعينونى عليه و أجيبوه . فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أنّى أموت في أرض غربة و أنّه يلي غسلي و دفني و الصلاة عليّ رجال من أمّته صالحون .

و منها ما في البحار من أنّه ممّا كتب أمير المؤمنين إلى مالك الأشتر لمّا نعي إليه محمّد بن أبي بكر وكان مقيماً بنصيبين ، أمّا بعد فانّك ممّن أستظهر به على إقامة الدين و أقمع به نخوة الاثيم و أسدّ به الثغر المخوف ، وقد كنت ولّيت محمّد ابن أبي بكر مصر فخرج خوارج وكان حدثاً لاعلم له بالحرب فاستشهد فاقدم إليّ لننظر في أمور مصر واستخلف على عملك أهل الثقة والنصيحة من أصحابك واستخلف مالك بن شبيب بن عامر .

وقد ذكر جماعة من أهل السير أنّه لمّا بلغ معاوية إرسال عليّ عليه السلام الأشتر إلى مصر عظم ذلك إليه و بعث إلى رجل من أهل الخراج وقيل : دسّ إليه مولى عمر ، وقيل مولى عثمان فاغتاله فسقاه السمّ فهلك ، ولمّا بلغ معاوية موته خطب الناس فقال : أمّا بعد فانّه كان لعليّ بن أبي طالب يمينان قطعت إحداهما يوم صفّين وهو عمّار بن ياسر وقد قطعت الأخرى اليوم وهو مالك بن الأشتر .

و في شرح ابن أبي الحديد أنّه كان فارساً شجاعاً رئيساً من أكابر الشيعة و عظمائها شديد التحقّق بولاء أمير المؤمنين عليه السلام ونصره وقال فيه بعد موته : رحم الله مالكاً فلقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله .

أقول : إنّ الأشتر كان رجل فذّ من نخع أحد قبائل يمن وقد كان أكثر أهل يمن ذووا بصيرة في الدين ومن المخلصين لأمير المؤمنين لوجوه :

١ـ أنّ مقاطعة يمن دخل تحت حماية فارس منذ زمان كسرى أنوشروان و أنّها صارت تحت إدارة الفرس عشرات من السنين و اختلطت سكّانها بالفرس فكانوا ذوي بصيرة وأجابوا إلى الاسلام عن طوع وإرادة واتّصلوا بأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله فنشأ فيهم رجال من المخلصين لعلي عليه السلام العارفين بحقّه أمثال مالك الأشتر النخعي و كميل بن زياد النخعي .

٢ـ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خصّ أهل يمن بأن بعث عليهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام غير مرّة ، قال في « ص ٤١٥ ج٢ من سيرة ابن هشام ط مصر » :

« غزوة عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى اليمن » :

و غزوة عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه اليمن غزا ها مرّتين ، قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدني : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب إلي اليمن وبعث خالد بن الوليد في جند آخر وقال: إن التقيتما فالأمير عليّ بن أبي طالب .

وكان عليّ عليه السلام سنة حجّة الوداع في يمن والتحق برسول الله صلى الله عليه وآله في الحجّ وقد أحرم على إحرام رسول الله صلى الله عليه وآله فاشترك معه في الهدي الّذي ساقه .

قال ابن هشام في سيرته « ص٣٨٩ ج٢ ط مصر » :

قال ابن إسحاق : و حدّثني عبد الله بن أبي نجيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان بعث علياً رضي الله عنه إلى نجران فلقيه بمكّة و قد أحرم فدخل على فاطمة بنت رسول الله رضي الله عنها فوجدها قد حلّت وتهيّأت فقال : ما لكِ يا بنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله أن نحلّ بعمرة فحللنا ، ثمّ أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فلمّا فرغ من الخبر عن سفره قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : انطلقْ فطُفْ بالبيت و حلّ كما حلّ أصحابك، قال : يا رسول الله إنّي أهللت كما أهللت فقال : ارجع فاحلل كما حلّ أصحابك قال : يا رسول الله إنّي قلت حين أحرمت : اللهمّ إنّي اُهلّ بما أهلّ به نبيّك وعبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وآله ، قال : فهل معك من هدي ؟ قال : لا ، فأشركه

رسول الله في هديه وثبت على إحرامه مع رسول الله ﷺ حتّى فرغا من الحجّ ونحر رسول الله ﷺ الهدي عنهما .

قال ابن إسحاق : وحدّثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن دكانة قال : لمّا أقبل عليٌّ رضي الله عنه من اليمن لتلقى رسول الله ﷺ بمكّة تعجل إلى رسول الله ﷺ فاستخلف على جنده الّذين معه رجلاً من أصحابه فعمد ذلك الرجل فكسا كلّ رجل من القوم حلّة من البزّ الّذي كان مع عليّ رضي الله عنه ، فلمّا دنا جيشه خرج ليلقاهم فاذا عليهم الحلل قال : ويلك ما هذا ؟ قال : كسوت القوم ليتجمّلوا به إذا قدموا في الناس ، قال : ويلك انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله ﷺ قال : فانزع الحلل من الناس فردّها في البزّ قال : وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم .

قال ابن إسحاق : فحدّثني عبدالله بن عبدالرحمن بن معمر بن حزم عن سليمان ابن محمد بن كعب بن عجرة ، عن عمّته زينب بنت كعب وكانت عند أبي سعيد الخدري عن أبي سعيد الخدري قال : اشتكى الناس علياً رضوان الله عليه فقام رسول الله فينا خطيباً فسمعته يقول :

أيّها الناس لاتشكوا عليّاً فوالله إنّه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله من أن يشكى ، انتهى ما أردنا نقله عن السيرة لابن هشام .

فممّا ذكرنا يظهر أنّ عرب يمن وقبائله الّذين سكنوا كوفة بعد الفتح الاسلامي كانوا أهل بصيرة بالدّين وأهل إخلاص لأهل بيت النبيّ و أمير المؤمنين عليه السلام ، ومن هذه الجهة لمّا جمع طلحة و الزبير الجموع في بصرة بغياً على حكومة علي عليه السلام خرج عليٌّ إليهم من مدينة بما لا يبلغ ألف نفس من كبار أصحاب النبيّ اعتماداً على نصرة أهل كوفة فاستنصر منهم فنصروه ، فانهزم أصحاب الجمل وأكثر المهاجرين في الكوفة من قبائل يمن

موقعية مصر فى الحكومة الاسلامية

مصر من البلاد العريقة في المدنية منذ آلاف من القرون ، وقد كشف الباحثون

فيها آثار المدنيّة إلى مايزيد عن عشرات من القرون ، وبرع فيها جمع من الفلاسفة الأول قد استمدّ يونان في عصره الذهبي من تعليمات شائعة فيها ، ثمّ عقّب ذلك بحكومة البطالسة فيها فأسّسوا فيها دور الحكمة و ألّفوا كتباً قيّمة بقي منها نحو مجسطي ، فكانت مصر متهيّئة لبيان دقائق النظم الاجتماعيّة والقضائيّة والعسكرية أكثر من سائر البلاد .

وهذا هو السبب في تطويل هذا العهد و تعرّضه لكافّة شئون الحياة المادّيّة والمعنويّة ، فانّ الاسلام حاو لكلّ ما يحتاج إليه بنو الانسان من النظم والقوانين لتربية الروح والمادّة ، وهذا أحد معاني الشريعة الكاملة الناسخة لماقبلها من الشرائع والباقية إلى آخر الدّهر .

و لكنّ العرب في الحجاز و سائر أقطار الجزيرة كانوا في سذاجة من العيش و بساطة من الفهم لا يستطيعون تحمّل دقائق القوانين و تفاصيل النظم ممّا يتعلّق بشتّى أنواع المعاش من الزراعة و التجارة و القضاوة وغيرذلك ، لعدم الأنس بها في حياتهم وعدم ممارسة شئونها .

فدعاهم الاسلام في بادىء الأمر على أبسط تعاليمها في العقيدة و الأخلاق ، و أزكى شئون الانسانيّة من الاعتقاد بالصانع و عبادته و ملازمة الأمور الخيريّة من البرّ بالوالدين و صلة الأرحام وترك الفحشاء والكذب وغيرذلك ، و لمّا نشر الاسلام إلى بلاد فارس وجد قوماً عريقاً في المدنيّة وأليفاً بالنظم الاجتماعيّة ففسح أمامه مجالاً لبسط تعاليمه الجذريّة .

كما أنّه إذا نشر الاسلام في مصر وجد أمامه قوم من الأقباط و بقايا الفلاسفة والبطالسة مارسوا الحياة المدنيّة أكثر و أدقّ و لمّا وقعت في حوزة حكومة عليّ عليه السلام قام فيها بتعاليم هامّة وعامّة منها صدور هذا العهد ، و إن كان عليّ عليه السلام يتفرّس بعدم توفيق مالك نفسه لإجرائه .

وقد نفصّله على خمسة عشر فصلاً يمتاز بعضها عن بعض بما تضمّنها من الشئون المختلفة والآداب الممتازة في كلّ شأن من الشئون .

الفصل الاول

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

هٰذا ما أَمَرَ بِهِ عَبْدُاللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مالِكَ بْنَ الْحارِثِ الْأَشْتَرَ في عَهْدِهِ إِلَيْهِ ، حِينَ وَلّاهُ مِصْرَ : جِبايَةَ خَراجِها ، وَ جِهادَ عَدُوِّها ، وَ اسْتِصْلاحَ أَهْلِها ، وَ عِمارَةَ بِلادِها .

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ ، وَ إِيثارِ طاعَتِهِ ، وَ اتِّباعِ ما أَمَرَ بِهِ في كِتابِهِ: مِنْ فَرائِضِهِ وَ سُنَنِهِ ، الَّتي لا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلّا بِاتِّباعِها ، وَ لا يَشْقى إِلا مَعَ جُحُودِها وَ إِضاعَتِها ، وَ أَنْ يَنْصُرَاللهَ سُبْحانَهُ بِقَلْبِهِ وَ يَدِهِ وَ لِسانِهِ ، فَإِنَّهُ ـ جَلَّ اسْمُهُ ـ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ ، وَ إِعْزازِ مَنْ أَعَزَّهُ .

وَ أَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَواتِ ، وَ يَنْزَعَها [يَزَعَها] عِنْدَ الْجَمَحاتِ فَإِنَّ النَّفْسَ أَمّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلّا ما رَحِمَ اللهُ .

ثُمَّ اعْلَمْ ، يا مالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلى بِلادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْها دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَ جَوْرٍ ، وَ أَنَّ النّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ في مِثْلِ ما كُنْتَ تَنْظُرُ فيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاةِ قَبْلَكَ ، وَ يَقُولُونَ فيكَ ما كُنْتَ

تَقُولُ فِيهِمْ ، وَ إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ ، فَلْيَكُنْ أَحَبُّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فَامْلِكْ هَوَاكَ ، وَ شُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ .

اللغة

(الجباية) : جبا الخراج : جمعه ، (يزعها) : يكفّها ، (جمح الفرس) : تغلّب على راكبه وذهب به لا ينثنى ـ المنجد ـ .

الاعراب

حين ولاّه مصر : ظرف أُضيف إلى جملة فعليّة متعلّق بقوله: عهده .

المعنى

قد عقد لمالك ولاية عامّة على كلّ أُمور مصر وجمعها في أربع :

١ـ الأُمور الماليّة والاقتصاديّة الّتي تتركّز في ذلك العصر في جمع الخراج فانّ مصر من الأراضي المفتوحة عنوة انتقل أراضيها العامرة إلى المسلمين فقرّروا فيها الخراج .

٢ـ في الأُمور العسكريّة فأثبت له القيادة العامّة على القوى المسلّحة و الجامع لها جهاد الأعداء .

٣ـ الأُمور الاجتماعية والنظم الحقوقيّة الراجعة إلى كلّ فرد فعبّر عنها بقوله : (واستصلاح أهلها) .

٤ ـ عمران البلاد بالزّراعة والغرس وسائر ما يثمر للناس في معاشهم .

ثمّ ابتدء بما يلزم عليه في نفسه من التأديب و الحزم ليقدر على إجراء أمره عليه السلام وحصرها في أُمور :

١ـ تقوى الله وإيثار طاعته .

٢ـ اتباع ما أمر الله في كتابه من الفرائض والسنن .

٣ـ نصرة الله بالقلب واليد واللسان .

قال الشارح المعتزلي : نصرة الله باليد : الجهاد بالسّيف ، وبالقلب الاعتقاد للحقّ ، وباللسان : قول الحق .

أقول : لا ينحصر نصرة الله باليد على الجهاد بالسّيف فانها تحقق في كلّ أعمال الجوارح المرضية لله تعالى ، ومنها الجهاد بالسّيف إذا حان وقته وحضر شرطه.

ثمّ وصّاه بحفظ نفسه عن التغلّب عليه في اُموره وأمر بكسر شهواته وميوله نحو اللذائذ المادّية وحذره منها أشدّ الحذر .

ثمّ خاطبه باسمه فقال : (ثمّ اعلم يامالك اني قد وجّهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور) فقد أثبت عليه السلام لمصر في تاريخها الماضي دول وحكومات ووصفها بانّها عدل وجور، فلابدّ من الفحص عن هذه الدّول والفحص عن ماهي عادلة أو جائرة .

فهل المقصود من هذه الدّول هي العمّال الاسلاميين بعد فتح مصر ، و هل يصحّ التعبير عنهم بأنها دول عدل ولو باعتبار شمول السلطة الإسلاميّة من أواخر خلافة أبي بكر إلى أيّام عمر وعثمان فالدّول الجارية دولة عمر وعثمان مثلاً ، أو حكومة عمرو بن عاص فاتح مصر ومن وليه من امثال ابن أبي السّرح ، وهل توصف واحدة منها بأنها عادلة ؟ أو المراد من الدول الجارية المتتالية في مصر الدّول قبل الإسلام في قرون كثيرة وأشكال شتّى فلابدّ من بيان إجمالي لهذه الدّول ، وهل يمكن تعرف دولة عادلة فيها أم لا .

فنقول : نتوجّه إلى دول مصر في ضوء القرآن الكريم فانه قد تعرّض لشرح بعض دولها إجمالاً فيما يأتي .

١ ـ دولة مصر المعاصر ليوسف النبيّ صلوات الله عليه المعبّر عنها بدولة عزيز مصر .

ففي سورة يوسف الآية ٣٠ « وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتيها

عن نفسه قد شغفها حبّاً إنّا لنريها في ضلال مبين » .

والظاهر أنّ عزيز مصر هو حاكمها ورئيسها في هذا العصر المعبّر عنه بفرعون وقد قيل: إنّ عزيز مصر غير فرعون مصر بل هو رئيس جندها أو أحد أركان دولتها ولكن سياق الآيات الواردة يأباها ، فانظر إلى آية ٤٢ في بيان رؤيا الملك :

« وقال الملك إنّي أرى سبع بقرات سمان يأكلهنّ سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأُخر يابسات - إلى آية ٥٠ - وقال الملك ائتوني به فلمّا جاءه الرّسول قال ارجع إلى ربّك فسئله ما بال النّسوة اللاّتي قطّعن أيديهنّ إنّ ربّي بكيدهنّ عليم - ٥١ - قال ما خطبكنّ إذ راودتنّ يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحقّ أنا راودته عن نفسه و إنّه لمن الصّادقين - إلى آية - ٥٤ - وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي فلمّا كلّمه قال إنّك اليوم لدينا مكين أمين » .

فسياق هذه الآيات يشهد بوضوح أنّ زوج زليخا وعزيز مصر رجل واحد وهو حاكم مطلق على أُمور مصر وليس فوقه أحد ، ويستفاد من نصّ الآيات الأخيرة من سورة يوسف أنّ عزيز مصر لمّا اطلع على مقام يوسف وطهارته وعصمته ونبوته تنزل عن عرش مصر و فوّض إليه أُمور مصر كافّة فصار يوسف عزيز مصر ، كما في آية ٧٨ « يا أيّها العزيز إنّ له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنّا نريك من المحسنين - إلى آية ٨٨ - قالوا يا أيّها العزيز مسّنا وأهلنا الضّر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا إنّ الله يجزي المتصدّقين » .

فعزيز مصر وهو زوج زليخا وإن لم يتنزل عن العرش رسماً بحيث تتحوّل الحكومة من بيت إلى بيت لكنه آمن بيوسف وانقاد له وفوّض إليه أُموره ، كما يستفاد من الآية ٣٤ - المؤمن - عن قول مؤمن آل فرعون موسى « ولقد جائكم يوسف من قبل بالبيّنات فما زلتم في شكّ ممّا جائكم به حتّى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً » .

و هذا الّذي ذكرناه و إن كان مخالفاً لما اثبته التوراة في تاريخ يوسف

وتبعها التواريخ ولكن الالتزام بتحريف التوراة والتاريخ ليس بعيداً عن الصواب بعد ظهور القرآن المستند إلى الوحى ، وبهذه الجهة قال الله تعالى في آية ١٠٢ : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك » ويتعارض القرآن مع التوراة في موارد شتى من قصة يوسف أشرنا إليها في تفسيرنا لسورة يوسف « كانون عفت قرآن » من أراد الاطلاع فليرجع إليه .

فعلى ضوء هذا التفسير كان دولة عزيز مصر في زمن يوسف عليه السلام دولة عادلة ودولة فرعون مصر المعاصر لموسى بن عمران دولة جائرة من كل النواحي منكراً لله تعالى ولعبادته ومنادياً على رؤوس الأشهاد « أنا ربكم الأعلى » و ظالماً لبني إسرائيل إلى حيث يذبح أبنائهم ويستحيى نسائهم ويجر عليهم بلاء عظيماً ليستأصلهم عن شافتهم حتى صارت من الأمثال السائرة العالمية في الجور والظلم والعدوان .

هذا بالنظر إلى مجمل التاريخ المنعكس في الكتب السماوية .

و قد انتهت حكومة مصر قبل الإسلام إلى بطالسة يونان فأثروا في بسط الفلسفة اليونانية فيها وأسسوا دوراً لتعليم الفلسفة و مكتبة عامة بقيت إلى عصر الفتح الإسلامي وكان حاكم مصر ووالياً في ذلك العصر مقوقس الذي كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وآله كتاباً يدعوه إلى قبول الإسلام مع الكتب التي بعثها إلى غير واحد من رؤساء وملوك ذلك العصر ، ففي سيرة ابن هشام « ص ٣٩٢ ج٢ ط مصر » .

قال ابن هشام : حدثني من أثق به عن أبي بكر الهذلي قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التي صد عنها يوم الحديبية فقال: أيها الناس إن الله قد بعثني رحمة وكافة فلا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ، فقال أصحابه : و كيف اختلف الحواريون يارسول الله ؟ فقال: دعاهم إلى الذي دعوتكم إليه فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضي وسلم ، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل وشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتثاقلون و كل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التي بعث إليها ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله رسلاً من أصحابه و كتب معهم كتاباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام ، فبعث دحية بن خليفة

الكلبي إلى قيصر ملك الرّوم ، و بعث عبدالله بن حذافة السّهمي إلى كسرى ملك فارس ، و بعث عمرو بن اُميّة الضّمري إلى النجاشي ملك الحبشة ، وبعث حاطب ابن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الاسكندرية ـ الخ .

و مقوقس هذا رجل يوناني يحكم على مصر عقب ملوك بطالسة و كان تحت حماية ملوك الرّوم البيزانطية في ذلك العصر ، فلمّا جائه رسول رسول الله ﷺ و سلّم إليه الكتاب لقيه ببشر واحترام وردّه إلى رسول الله ﷺ مصحوباً بهدايا منها المارية القبطيّة الّتي قبلها رسول الله ﷺ بقبول حسن وسرّيها واتّخذها لفراشه وأولدها فولدت له إبراهيم ابن النّبي ونالت حظوة عند رسول الله ﷺ .

وقد دخل مصر في حوزة الإسلام سنة العشرين من الهجرة وأقدم على فتحها عمرو بن العاص بعد ما استتب للمسلمين فتح سوريّة وتسلّطوا عليها وفرّ هرقل ملك الرّوم الشرقيّة إلى قسطنطينيّة .

فلما سافر عمر إلى الشّام للنظر في أمر معاوية وما بلغه من سرفه لقيه عمرو بن العاص في قرية يقال لها : جابية قرب دمشق وأخلى به وعرض عليه زحفه إلى مصر بجيش من المسلمين معلّلا بأنّ فتح مصر يضاعف شوكة الإسلام ، فمنعه عمر معلّلا بخوفه من جموع الرّوم السّاكنين في مصر للدفاع عنها على حيش الإسلام ، فأقام عمرو بن العاص في دمشق حتّى استقرّ سلطة الإسلام على جميع بلاد الشّام و رجع بعد فتح النوبة إلى فلسطين بأمر من عمر ، ويممّه فتح مصر دائماً حتّى تهيأ جيشاً وقصد مصر من دون تحصيل رخصة من عمر ، وبلغ خبره إلى عمر فلم يرتضه و كتب إليه : « من عمر بن الخطّاب إلى العاصي بن العاصي أمّا بعد فانك سرت إلى مصر ومن معك وبها جموع الرّوم ، وإنّما معك نفر يسير ولعمري لو ثكلت أمّك وما سرت بهم فإن لم يكن بلغت مصر فارجع بهم » .

وأمر عقبة بن عامر الجهني بايصال هذا الكتاب إلى عمرو بن عاص معجّلاً فأسرع لإيصال المكتوب حتّى أدركه في رفح ، و هي مرحلة في طريق مصر منها إلى عسقلان يومان ، فلمّا رآه عمرو بن العاص تفرّس أنه قاصد من عمر ليرجع

فماطل في أخذ كتابه حتّى بلغ عريش وكانت هي بلدة من مصر في ساحل بحر الرّوم ونهاية أرض الشّام ، فطلب عقبة وأخذ منه كتاب عمر وقرأه على النّاس وقال : هذا العريش الّذي نحن فيه من أيّ البلاد ؟ قالوا : من بلاد مصر ، فقال : لا ينبغي لنا أن نرجع لأنّ الخليفة شرط لرجوعنا عدم دخول مصر ، فرحل في تخوم مصر حتّى بلغ جيل [الحلال] .

ووصل الخبر إلى مقوقس ملك مصر ، فأرسل قائداً له يسمّى مذقور الأعيرج بجيش لدفع المسلمين وتلاقى الفريقان في أرض فرما ، واشتدّ الحرب بينهما وقتل من الفريقين جمع كثير فهزم جمع الرّوم وتقدّم عمرو بن العاص إلى قواصر ورحل إلى أمّ دنين و نزل فيها بقرب القاهرة ، و هي بلدة في جنب فسطاط بينهما سور ، وهي كانت دار الملك لمصر كما أنّها عاصمة مصر في هذا العصر ، ثمّ رجع أعيرج إلى الحرب مع عمرو بن عاص فتلاقيا في أمّ دنين و قتل خلق كثير من الجانبين ودامت الحرب مدّة شهر كامل ولم يتيسّر فتح مصر ، و كتب عمرو بن عاص إلى عمر واستمدّ منه ، فأرسل عمر أربعة من أبطال المسلمين وهم زبير بن العوام والمقداد ابن الأسود وعبادة بن صامت ومسلمة بن المخلّد في اثنى عشر ألفاً لمددهم فأسرعوا في السير ولحقوا بعمرو بن العاص فقوى جيش الإسلام ووهن أمر أعيرج وتحصّن في قصر له وحوله خندق يتخلّله معابر إلى القصر ملاها بقطعات حادّة من الحديد لا يقدر العبور عليها الراكب والرّاجل ، وجهد المسلمون في فتح الحصن ، وبلغ الخبر إلى مقوقس ، فزحف بجيوش لحرب المسلمين ودام الحرب سبعة أشهر .

فقال الزبير : أضحّي بنفسي في سبيل الله عسى أن يفتح هذا الحصن للمسلمين فصنع عدّة مراقي و نصبها على الحصن فقال : إذا سمعتم تكبيري من فوق السّور فارفعوا أصواتكم جميعاً معي بالتّكبير ، فصعد الحصن بجمع من رجاله وهبط وفتح الباب فعرض مقوقس على المسلمين الصلح لما رأى من جهودهم في فتح الحصن وشرط لهم دينارين من الذّهب كلّ سنة عن كلّ شخص في مصر ، فطلبوا هذه الجزية من الرّوم السّاكنين في أرض مصر وعرض على هرقل فلم يرض بذلك ، وأمر مقوقس بالحرب

مع المسلمين ولكن مقوقس لم ينكث عهده ولحق القبط بالمسلمين ، و لمّا استقرّ المسلمون في مصر صلحاً أو عنوة على قول بعضهم وفتحوا الاسكندريّة ودخلها عمرو ابن العاص فتن بها وأراد الإقامة فيها كمركز لجيوش الإسلام ، فاستجاز من عمر في ضمن مكتوب أفصح فيه عن فتوحاته فأجابه بما يلي :

لا تجعلوا بيني و بينكم ماء حتّى إذا ما أردت أركب اليكم راحلتي حتّى أقدم عليكم قدمت .

فلمّا قرأ مكتوب عمر رحل من اسكندريّة إلى الفسطاط فسكنها و جعلها معسكر المسلمين فتنازع الجيش في مسكنهم حول فسطاط فأمر عمرو أربعة من أمراء الجيش فخطّوا لهم وعينوا حدود مساكنهم ، وقد اشترك من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في حرب مصر أربعة عشر من المهاجرين يرأسهم زبير بن العوّام ، وستة عشر من الأنصار يرأسهم عبادة بن صامت الأنصاري .

ولمّا تمّ فتح مصر صار عمرو بن عاص والياً عليها و هو أوّل من صار والياً على مصر من المسلمين وهو قرشيّ من سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لويّ ، و كان يسافر إلى مصر تاجراً في أيّام الجاهليّة ، و فتح مصر أيّام عمر يوم الجمعة غرّة محرّم سنة العشرين من الهجرة ، وبقي فيها والياً أربع سنين وشهوراً ، زار عمر خلالها مرّتين .

كان في إسكندريّة مصر رجل يسمّى يحيى النّحوي من أساقفة إسكندريّة فهداه الله إلى الإسلام فكبر على الأساقفة فاجتمعوا حوله وناظروه فأجابهم و دام على إسلامه ، فلمّا فتح عمرو بن العاص المصر دخل عليه فاستقبله باكرام لما سمع من فضله و مجاوبته للنّصارى في إثبات حقانيّة الإسلام واتّخذه نديماً له يكتسب من فضله وحكمته .

فقال يوماً لعمرو : قد حزت ما في الإسكندريّة من الأموال والخزائن ولا كلام لأحد معك في ذلك لكن هنا شيء لا يفيدكم ونحتاج إليه فاعفُ عنه ودعه لنا ، فقال عمرو : ما هو ؟ قال : كتب الحكمة الّتي جمعها ملوك إسكندريّة طيلة

قرون خاصّة يوناطيس الّذي يدعوه أهل أوروپا فيلادِلفس و كان محبّاً للحكمة ، فأمر رجلاً يسمّى زهيرة بجمع الكتب ونصبه ضابطاً لمكتبته ، فاشترى الكتب من التجار بأثمان غالية حتّى اجتمع في مكتبته أكثر من أربعة وخمسين ألف كتاباً ، وقلّده ملوك البطالسة في جمع الكتب إلى ما خرج عن الاحصاء .

فعجب عمروبن العاص من كلامه ، وقال : لابدّ من أن أكتب ذلك لعمر بن الخطّاب وآخذ منه الجواب فكتب إليه ، فأجابه : إن كان ما في هذه الكتب ما يوافق كتاب الله لا حاجة لنا بها وإن كان مخالفاً له لا نرتضيها فأعدمها وامح أثرها فقسّمها عمرو على حمّامات إسكندريّة ليصرفوها فيها بدلاً من الوقود فأوقدوها خلال ستّة أشهر حتّى أفنوها .

و قد استنكر بعض المورّخين الجدد من أهل مصر صدور الأمر من عمر باحراق كتب مكتبة إسكندريّة لما صدر في الإسلام من الأمر بالفحص والبحث عن الحقائق وتحصيل العلم ولو بالصّين .

أقول : و قد عرفت ممّا ذكرنا من ملخّص تاريخ فتح مصر بيد المسلمين أنّه لم يحكم في مصر إلى أيّام أمير المؤمنين عليه السلام وإلى حين صدور هذا العهد التاريخي للأشتر النخعي إلاّ عمروبن العاص وعبدالله بن سرح بن أبي سرح الّذي ولاّه عثمان على مصر بعد عزل فاتحه عمروبن العاص فثار عليه الرّومان ، فاستعان عثمان بعمرو فسار إلى مصر وأخمد ثورة الرّومان و أخرجهم من مصر ولكن لم يرض عثمان بعزل عبدالله فاشتركا في إدارة اُمور مصر وتنازعا ورجّح عثمان عبدالله بن سرح عليه فرجع إلى المدينة ناقماً على عثمان معيناً لأعدائه ومحرّضاً للقيام عليه حتّى قتل وهما واليان على مصر .

و لا يصدق على حكومتهما باعتبار أنهما عاملان للخليفة لفظ الدّولة و لا يمتازان بالعدل والجور بل كلاهما من نسيج واحد ومن أهل النفاق و من أعداء أهل البيت والمخالفين لولاية أمير المؤمنين عليه السلام ومن الحكّام الجائرين فانّ عمرو ابن العاص توجّه في مصر إلى جمع المال والادّخاد حتّى بلغ ثروته إلى حيث

ظهر للملأ اغتصابه لأموال المسلمين وأخذه من بيت المال فوق حقه وسهمه حتى بلغ خبره إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه معاتباً له :

أمّا بعد ، فقد ظهر لي من مالك ما لم يكن في رزقك ولا كان لك مال قبل أن أستعملك ، فأنّى لك هذا ؟ فوالله لولم يهمّني في ذات الله إلاّ من اختان في مال الله لكثر همّي وانتشر أمري ، ولقدكان عندي من المهاجرين الأوّلين من هوخير منك ولكنّي قلّدتك رجاء غنائك فاكتب إليّ من أين لك هذا المال ؟ و عجّل .

فأجابه عمرو بن العاص :

أمّابعد ، فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين فأمّا ما ظهر لي من مال فإنّا قدمنا بلاداً رخيصة الأسعار و كثيرة الغزو ، فجعلنا ما أصابنا في الفضول التي اتّصل بأمير المؤمنين نبأها والله لو كانت خيانتك حلالاً ماخنتك وقد ائتمنتني فانّ لنا أحساباً إذا رجعنا إليها أغنتنا عن خيانتك ، و ذكرت أنّ عندك من المهاجرين الأوّلين من هوخيرٌ منيّ فإذا كان ذاك فوالله ما دققت لك يا أمير المؤمنين باباً ولا فتحت لك قفلاً .

فلمّا وصل جوابه إلى عمر كتب إليه ثانياً :

أمّا بعد فإني لستُ من تسطيرك الكتاب وتثقيفك الكلام في شيء ، ولكنكم معشر الأمراء قعدتم على عيون الأموال ولن تقدّموا عذراً ، وإنّما تأكلون النّار وتتعجّلون العار ، وقد وجّهت إليك محمّد بن مسلمة فسلّم إليه شطر مالك .

فأعطى الكتاب محمّد بن مسلمة وبعثه إلى مصر ، فلمّا وصل إلى مصر و حضر عند عمرو بن العاص أحضر له طعاماً ، فقال محمّد : لو دعوتني إلى الضّيافة وأحضرت لي طعاماً لأكلته ولكن هذا الطّعام مقدّمة للشرّ فنحّه عنّي واحضر شطر مالك ، و لا مناص لعمرو بن العاص من إطاعة أمر عمر ، فأمر باحضار شطر من ماله من المواشي والذّهب والفضّة وأثاث الدّار وغيرها ، فلمّا نظر إليها رأى خزانة جزيلة فقال تأسّفاً :

لعن الله زماناً صرت فيه عاملاً لعمر ، والله لقد رأيت عمر وأباه على كلّ واحد

منهم عباءة قطوانية لا تجاوز ما يض ركبتيه وعلى عنقه حزمة (١) حطب والعاص بن وائل في مزرّدات الديباج .

و كان محمد بن مسلمة من شجعان الأنصار والمخلصين لحكومة عمر فاختاره من عمّال غضبه و يبعثه إلى كبار الرجال لإجراء أوامره الرّهيبة الشاقة فهو الّذي أجرى أمره في تشطير أموال خالد بن الوليد في الشّام وعزله من إمارة جيش الإسلام وتأديبه في محضر الأنام .

وهو الّذي أجرى أمر عمر في سعد بن وقاص باحراق قصره الّذي بناه في الكوفة ونصب فيه بابين من أبواب قصر مدائن .

و هو الّذي فتك بكعب بن أشرف وقتله في عصر النبيّ ﷺ كما قال ابن هشام في سيرته .

فنقول : إنّ الدول الّتي وقع في صدر هذا العهد ووصفها عليه السلام بأنّ فيها عادل وجائر لا يصحّ أن تكون حكومة عمرو عاص وخلفه على مصر لأنّها ليست دولة إلاّ بتكلّف ولا يطلق عليها دول بلفظ الجمع مع أنهما جائران لاتباعهما عمرو عثمان وحالهما معلومة مع أنهما عريقان في النفاق وعداوة أهل البيت وخصوصاً الثاني منهما.

فلابدّ أن يكون المقصود من هذه الدّول الحاكمة على مصر قبل الإسلام ممّا بقيت آثارها وأخبارها وعرفها خلق مصر ولو بالنّقل عن الأسلاف أو بسبب ثبت أخبارها في كتب التاريخ ، فوجّه عليه السلام مالكاً إلى هذا التاريخ العميق العريق في القدم وملأ عهده هذا من القوانين السائدة في مصر القديمة ومن بعض سير ملوكها العدول.

ولا ينافي توصيف بعض دول مصر بالعدالة مع كونهم وثنيّين ، لأنّ عدالة الدّولة بالنسبة إلى رعاياها وحفظ النظم والحقوق لا يرتبط بمذهبها ، ويمكن أن يعدّ ذلك من كراماته عليه السلام وإحاطته بالعلوم والأخبار .

ثمّ نبّهه عليه السلام إلى أنّ سيرة الحاكم والوالي بمالها من التعلّق إلى عموم

---

(١) كساء قطواني موضع بالكوفة ، المايض : باطن الركبة من كل شيء ، حزمة : كومة من حطب .

النّاس تنعكس في التّاريخ وتلهج بها الألسن وكما أنّك تقضي في أعمال الولاة قبلك يقضي عليك من يقوم مقامك ، بعدك ودليل الصّلحاء مايجرى على لسان العباد باذن الله فلا تتوجّه إلى ادّخاد الأموال كما هوعادة طلاّب الدّنيا المفتونين بها بل ليكن أحبّ الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح ، و العمل الصالح للوالي و عامله ما يوجب راحة رعيته واجراء العدل فيمابينهم ، ولذا أمر بمنع الهوى عن التأثير في أعماله ومنع النفس عمّا لا يحلّ له .

الترجمة

بنام خداوند بخشندهٔ مهربان .

اين فرمان بندهٔ خدا أمير مؤمنانست بمالك بن حارث الأشتر كه بايد آنرا درعهدهٔ خود بشناسد ، و اين فرمان هنگامى شرف صدور يافته كه اورا والى بر كشور مصر نموده تا خراج آن را بگيرد وبا دشمن آن بجنگد و ملّت آنرا اصلاح كند وبلاد آنرا آباد نمايد .

١ـ تقوا ازخدارا شعارخود كند وطاعتش را غنيمت شمارد وازآنچه در كتابش از فرائض و سنن دستور داده پيروى نمايد ، زيرا هيچكس بسعادت نرسيده مگر با پيروى از آنها ، وكسى بدبخت نگردد مگر بانكار وترك عمل بدانها .

٢ـ خداوند سبحان را بادست ودل وزبان يارى كند ، زيرا خداى جلّ اسمه ضامن يارى وعزت كسانيستكه اورا يارى كنند وعزيز شمارند .

٣ـ خودرا از شهوترانى و سر كشى نفس باز دارد ، زيرا نفس بطبع خود بدخواه است مگر خدا رحم كند .

اى مالك من تو را بكشورى فرستادم كه پيش ازتو دولتهاى عادل وظالمى بخود ديده ، مردم بهمان چشم تورا بينند كه تو واليان پيش ازخودرا بينى ، ودر بارهٔ توهمان را ميگويند كه در بارهٔ آنهاميگوئى ، خداوند مردمان نيك وشايسته را بزبان بندگان خود معرفى ميكند ، بايد محبوبترين ذخيره درنظر توپس انداز كردن عمل صالح باشد ، هواى نفس خودرا داشته باش ونسبت بخود ازآنچه برتو

حلال نيست دريغ كن ، زيرا دريغ كردن بخويشتن رعايت انصاف با او است در آنچه دوست دارى يا بد دارى .

الفصل الثاني من عهده عليه السلام للاشتر النخعي

وَ أَشْعِرْ قَلْبَكَ ٱلرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَ ٱلْمَحَبَّةَ لَهُمْ ، وَ ٱللُّطْفَ بِهِمْ ، وَ لاٰ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ صِنْفانِ : إِمّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ ، وَ إِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي ٱلْخَلْقِ ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ ، وَ تَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ ، وَ يُؤْتىٰ عَلىٰ أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَ الْخَطاءِ ، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَ صَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ ٱللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَ صَفْحِهِ ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ، وَ وَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ، وَ اللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاّكَ ، وَ قَدْ ٱسْتَكْفاكَ أَمْرَهُمْ ، وَ ٱبْتَلاكَ بِهِمْ ، وَ لاٰ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ ٱللهِ ، فَإِنَّهُ لاٰ يَدَىٰ لَكَ بِنِقْمَتِهِ ، وَ لاٰ غِنىً بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَ رَحْمَتِهِ ، وَ لاٰ تَنْدَمَنَّ عَلىٰ عَفْوٍ ، وَ لاٰ تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ ، وَ لاٰ تُسْرِعَنَّ إِلىٰ بادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهٰا مَنْدُوحَةً ، وَ لاٰ تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطاعُ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ إِدْغالٌ فِي ٱلْقَلْبِ ، وَ مَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ ، وَ تَقَرُّبٌ مِنَ ٱلْغِيَرِ ، وَ إِذٰا أَحْدَثَ لَكَ مٰا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطٰانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً فَٱنْظُرْ إِلىٰ عِظَمِ مُلْكِ ٱللهِ فَوْقَكَ وَ قُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلىٰ مٰا لاٰ تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ

يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ ، وَ يَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ ، وَ يَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ .

إِيَّاكَ وَ مُسَامَاةَ اللهِ فِي عَظَمَتِهِ ، وَ التَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ ، فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ ، وَ يُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ .

أَنْصِفِ اللهَ وَ أَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَ مِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَ مَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ ، وَ مَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَ مَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ ، وَ كَانَ لِلهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ وَ يَتُوبَ ، وَ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَ تَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ ، فَإِنَّ اللهَ يَسْمَعُ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ ، وَ هُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ .

وَ لْيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطَهَا فِي الْحَقِّ ، وَ أَعَمَّهَا فِي الْعَدْلِ وَ أَجْمَعَهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ ، وَ إِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ ، وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ وَ أَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ ، وَ أَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ ، وَ أَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ ، وَ أَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الْإِعْطَاءِ وَ أَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ ، وَ أَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ

مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَ إِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَ جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَ الْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صَغْوُكَ لَهُمْ، وَ مَيْلُكَ مَعَهُمْ.

وَ لْيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَ أَشْنَؤُهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبَهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ [مِنْهَا] لَكَ، وَ اللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ، يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ، أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وَ اقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ، وَ تَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَصِحُّ لَكَ، وَ لَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَ إِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

وَ لَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَ يَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَ لَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَ لَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَ الْجُبْنَ وَ الْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ.

إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَ مَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ،

وَ إِخْوَانُ الظَّلَمَةِ، وَ أَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَ نَفَاذِهِمْ، وَ لَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَىٰ ظُلْمِهِ وَ لَا آثِماً عَلَىٰ إِثْمِهِ، أُولَٰئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَ أَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَ أَحْنَىٰ عَلَيْكَ عَطْفاً، وَ أَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً، فَاتَّخِذْ أُولَٰئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَ حَفَلَاتِكَ، ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ، وَ أَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَاقِعاً ذَٰلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَ الْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَ الصِّدْقِ ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَىٰ أَنْ لَا يُطْرُوكَ، وَ لَا يَبْجَحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وَ تُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ.

وَ لَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَ الْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَٰلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْاِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ، وَ تَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ وَ أَلْزِمْ كُلّاً مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ. وَ اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَىٰ إِلَىٰ حُسْنِ ظَنِّ وَالٍ [رَاعٍ] بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَ تَخْفِيفِهِ الْمَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَ تَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَىٰ مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذَٰلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ

الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً ، وَ إِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاؤُكَ عِنْدَهُ ، وَ إِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاؤُكَ عِنْدَهُ .

وَ لاَ تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ ، وَ اجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ ، وَ صَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ ، وَ لاَ تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا ، وَ الْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا .

وَ أَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ ، وَ مُنَاقَشَةَ [مُنَاقَفَةَ] الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلاَدِكَ ، وَ إِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ .

اللغة

(الضارى) : المعتاد للصّيد ، الجرىء عليه ، (الصفح) : الإعراض عن الذنب و غفرانه ، (البجح) بسكون الجيم : الفرح والسرور ، (البادرة) : الحدّة ، (المندوحة) : السّعة في الأمر و عدم الضيق والإضطرار ، (الإدغال) : إدخال الفساد في الأمر ، (المنهكة) : الضعف ، (الابّهة) و(المخيلة) : الكبر ، (يطامن) : يسكّن ، (طماح) النفس : جماحها عن المشتهيات ، طمح البصر : ارتفع ، (عزب) الفرس حدته وأول جريه ، (المساماة) : مفاعلة من السموّ ، (الجبروت) : عظيم الكبر ، (أدحض حجته) : أبطلها ، (ينزع) : يرجع ، (اجحف) به : ذهب به ، (الالحاف) : شدّة السؤال والاصرار فيه ، (ملمّات الدّهر) : ما يلم وينزل من خطوبه و بلاياه ، (جماع المسلمين) : جمعهم و عامّتهم (الصغو) : الميل ،

(أشنأهم) : أبغضهم ، (الوتر) : الحقد ، (التغابي) : التجاهل والتغافل ، (بطانة) الرّجل : خاصّته الملاصقون به ، (الأصار) جمع إصر : الأثام ، (حفلاتك) : جلساتك في المجالس والمحافل ، (الاطراء) : المبالغة في المدح والثناء ، (الزّهو) : الكبر ، (التدريب) : التّعويد ، (المناقشة) : المحادثة والبحث .

الاعراب

تغتنم أكلهم : جملة حالية عن اسم لاتكونن ، مثل الّذي تحبّ ، صفة موصوف محذوف أى عفواً وصفحاً مثل الّذي تحبّ ، ووالى الأمر مبتدء وفوقك ظرف مستقر خبر له والجملة حالية ، لا يدى ، نافية للجنس ويدى مبنى على علامة النصب وهو الياء وحذف النّون على التوسع والتشبيه بالمضاف .

إيّاك ومساماة الله ، منصوب على التحذير ، تغاب : أمر من تغابى يتغابى تغابياً للأشرار قبلك ، قبلك ظرف مستقر حال عن الأشرار .

المعنى

قد تعرّض عليه السلام هذا في الفصل من عهده للأشتر لبيان روابطه مع رعيته والمسوسين له من العامّة والخاصّة في ثلاثة مراحل :

الاولى : رابطته باعتبار أنه وال على النّاس وبيده القدرة والأمر والنهى مع كلّ أحد ، وبيّنها في أمور :

١ـ أن يكون ملؤ قلبه المحبّة واللطف والرّحمة لكافّة الرعيّة .

٢ـ عدم سوء الاستفادة عن قدرته عليهم فيصير ذئباً وقع على غنم يأكلهم لأنّ رعاياه ، إمّا إخوانه في الدّين ككافة المسلمين ، و إمّا إخوانه في الإنسانية كالذّمّي والمعاهد .

٣ـ الصفح عن خطاياهم والعفو عن ذنوبهم لنقصان التربية ، ونبّهه على انّ نسبتهم إليه كنسبته إلى الوالي الأمر عليه و فوقه أيضاً هوالله ، فينبغي الصفح

عنهم ، كما أنّه يرجو الصفح عنه من الوالي الأمر وفوقه من الله القادر ، وبيّن أنّ تعذيب عباد الله بمنزلة الحرب مع الله الّذي لا قدرة تجاه عقوبته ، و لا غنى عن عفوه و رحمته .

٤ ـ عدم النّدامة على عفو المجرم مهما كان .

٥ ـ عدم السرور والانشراح لعقوبة المجرم إذا اقتضاها الضرورة .

٦ ـ ملازمة الحلم والاجتناب عن بادرة الغضب .

٧ـ لا تفسد قلبك بحديث الرياسة والسلطة .

٨ ـ وإذا أحدث السلطان فيه أبهة وطغياناً فلينظر إلى عظم ملك الله حتّى يخضع قلبه ويدرك عجز نفسه ويكف عن جريه في سبيل الأمارة ، ويجد عقله الزائل في سكر الرياسة .

٩ ـ حذّره عن اغتراره باحتفاف النّاس حوله و انقيادهم له فتطغى نفسه كفرعون و يبارز الله في عظمته وجبروته ، فانه يذلّه الله ويهينه كفرعون ويأخذه بنكال الأخرة والأولى ويصير عبرة لمن يخشى .

١٠ـ أمره برعاية الانصاف مع الله وخلقه ، سواء بالنسبة إلى نفسه أو أهله أومن يهواه من رعيّته ، فلا يهضم حقّ الله وحقّ أحد من عباده لرعاية هؤلاء فانه ظلم والله خصم للظالم ، و من خاصمه الله أدحض حجّته وكان لله حرباً حتّى يتوب والظلم يوجب تغيير النعم وسلب الأمارة والحكم .

١١ـ أمره برعاية ما هوالأفضل في أداء الحقّ وما هو أعمّ لجميع الرّعيّة في اجراء العدل وما هو أجمع لرضا الرعية في تمشية الأمور وإن كان يوجب سخط الخاصّة من أرباب النفوذ وأصحاب المقامات السّامية ، وعلّل ذلك بأنّ غضب عامّة الرعيّة و عدم رضاهم عن وضعهم يوجب الثورة والبلوى ولا يقدر الخاصّة مهما كانوا مخلصين للحكومة و جادين في نصرته المقاومة تجاه سيول الثائرين وأهل البلوى كما حدث في زمان عثمان حيث إنّ سوء سياسته وعدم تأديته الحقوق العموميّة صار

سبباً لنقمة عامّة الجيش الإسلامي ، فانحازوا من مصر و كوفة واجتمعوا في المدينة و حصروا عثمان ولم يقدر خاصّته كمروان بن حكم وسائر رجال بني اُميّة مع كمال نفوذهم و دهائهم أن يصدّوا سيل الثائرين والمهاجمين حتّى قتل عثمان في داره واُلقي بجسده إلى البقيع وتبعه ما تبعه من الحوادث الهامّة ، ولكن إذا كان العموم راضياً و موافقاً مع الوالي فسخط بعض الخواص لا يؤثر شيئاً ، لأنّ الفرد والأفراد القليلين لا يقدرون على مقاومة الوالي إذا لاتساعدهم العموم .

ثمّ وصف الخاصّة الملاصقة بالوالي مع كمال أدبهم وتواضعهم بما يلى :

الف ـ هم أثقل النّاس على الوالي من جهة المؤونة وما يتوقّعون من معاش اشرافي يصاحب الخدم و الحشم و الغلمان والمماليك ، كما كان في حال الرّخاء و العافية .

ب ـ هم أقلّ النّاس معونة عند حلول البلاء وضيق الحال .

ج ـ هم أكره النّاس للعدل والانصاف لأنّ وضعهم يقتضي التجاوز والتعدّى بحقوق غيرهم .

د ـ هم أصرّ النّاس على السؤال و تقديم التقاضا لحوائجهم حقاً كانت أم باطلة .

ه ـ هم أقلّ النّاس شكراً للعطايا وأبطأ لقبول الاعتذار عندالمنع .

و ـ هم أضعف صبراً في النوائب وتجاه الحوادث فيفرّون عن صفّ الجهاد عند شدّة البأس ، ثمّ وصف العامة من النّاس بمايلى :

هم عماد الدّين و حفاظه ، و يتشكّل منهم جامعة المسلمين والسّواد الأعظم وهم العدّة في الدّفاع عن الأعداء .

١٢ ـ ثمّ وصف أهل النمامة وطلاّب عيوب الناس وأمره بابعاده وشنئانه ونبّه أنّ من مصلحة الوالي الستر على عيوب النّاس وعدم التفتيش عنها حقّ لا يوجب نفورهم عنه وخوفهم منه .

١٣ ـ أمره بقطع كلّ ما يوجب حقد النّاس وتمكن البغضاء في صدورهم .

١٤- التجاهل عن اُمورٍ لايصحّ للوالي الدخول فيها من أحوال النـاس الخصوصيّة ممّا لايصح و يظهر له .

١٥- التوقّف في تصديق من يسعى لديه عن غيره حتّى يتفحّص و يتحقّق ووصف الساعي بأنّه غاش في صورة ناصح .

١٦- النهى عن المشورة مع البخيل .

١٧- النهى عن المشورة مع الجبان .

١٨- النهى عن المشورة مع الحريص .

وقد أشار إلى أنّ المشورة مع هؤلاء لاتهتدي إلى رأي صالح مصيب باعتبار ما ركز في طبع هؤلاء من مساوى الأخلاق الّتي تؤثّر في رأيهم وتكدّره ، فالبخيل يمنع عن الإيثار والبذل لكلّ أحدٍ كما أنّ الجبان لايرى الحرب والجهاد مع الأعداء مصلحة في حال من الأحوال ، لأنّ جبنه يدعوه إلى حفظ النفس والإخفاء عن العدوّ كما أنّ الحريص الجامع للدنيا يدعو إلى الشّره .

ثمّ نبّه إلى أنّ هذه الذمائم ترجع إلى مبدءٍ واحدٍ و هو سوء الظنّ بالله تعالى وقلّة معرفته .

واعلم أنّ الوزير هو المعاون و الظهير كما قال الله تعالى حكايةً عن موسى ابن عمران « ربّ اشرح لي صدري و يسّر لي أمري واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي اشدد به أزري ٢٥—٢٨ سورة طه » وقد خصّص هذا العنوان بمن يعاون الرؤساء و الملوك حتّى يتبادر من لفظ وزير فلان أنّه سلطان ، و والي مصر باعتبار سعة ميدان نفوذه يساوي ملكاً من الملوك وقد كان لكلّ فرعون من فراعنة مصر و كلّ ملك من ملوكه و كلّ والٍ من ولاته الاسلاميّين وزراء ومعاونون وهم أهيأ الناس للالتصاق بالوالي الجديد و كسب الجاه عنده و إشغال مقام الوزارة لديه وتقديم الهدايا و تحسين الثناء وبذل العون له بما لهم من التجربة و الاطّلاع على مجارى الاُمور ، وقلّما يقدر والٍ جديدٍ أو ملك جديد من التخلّص عن أمثال هؤلاء ، ولكنّه صلوات الله عليه بيّن حال تلك العصابة

المتمرّنة على الظلم فقال : إذا كان الوزير وزيراً للوالي الشرير فقد شركه في الآثام و المظالم و لا يجوز الاعتماد عليه و اتّخاذه بطانةً في اُمور الحكومة فانّهم أعوان الأثمة و إخوان الظلمة .

ثمّ هداه إلى رجال آخرين يفضّلون على أمثال هؤلاء من وجوه :

١ـ لهم مثل آرائهم و نفاذهم في الاُمور مبرّؤون من الآصار والأوزار لعدم المعاونة على الظلم والاثم فيكون آرائهم أصقل ونفاذهم أكثر .

٢ـ اولئك أخفّ مؤونة لانّهم أهل صلاح وسداد ولم يعتادوا الاسراف في المعيشة وادّخار الأموال .

٣ـ معونتهم للوالي أكثر من الوزراء السابقين لعدم اعتيادهم بالمسامحة في الاُمور .

٤ـ لم يغيّر صفاء قلوبهم المطامع والمكائد فكان حبّهم للوالي خالصاً وعطفهم عليه عن صميم القلب .

٥ـ لم يألفوا مع اُناس آخرين هم أتباع و أعوان الأشرار الماضين فألفتهم مع غير الوالي قليل .

ثمّ أمره بالانتخاب من اولئك الوزراء الصالحين فقال عليه السلام :

(ثمّ ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحقّ لك) على خلاف عادة الولاة الظلمة الطالبين لمن يؤيّدهم على أهوائهم الباطلة ، و قد ذكر الشارح المعتزلي هنا قصّة لطيفة كما يلي :

اتي الوليد بن عبدالملك برجل من الخوارج ، فقال له : ماتقول في الحجّاج ؟ قال : وما عسيت أن أقول فيه ، هل هو إلاّ خطيئة من خطاياك ، وشرر من نارك ، فلعنك الله ولعن الحجّاج معك وأقبل يشتمهما . فالتفت الوليد إلى عمر بن عبدالعزيز فقال : ماتقول في هذا ؟ قال : ما أقول فيه هذا رجل يشتمكم ، فإمّا أن تشتموه كما شتمكم ، و إمّا أن تعفوا عنه ، فغضب الوليد و قال لعمر : ما أظنّك إلاّ خارجياً ، فقال عمر : وما أظنّك إلاّ مجنوناً ، وقام فخرج مغضباً ، ولحقه خالد

ابن الرّيان صاحب شرطة الوليد ، فقال له : ما دعاك إلى ما كلّمت به أمير المؤمنين ؟ لقد ضربت بيدي إلى قائم سيفي أنتظر متى يأمرني بضرب عنقك ، قال : أو كنت فاعلاً لو أمرك ؟ قال : نعم ، فلمّا استخلف عمر جاء خالد بن الرّيان فوقف على رأسه متقلّداً سيفه ، فنظر إليه وقال : ياخالد ضع سيفك ، فانّك مطيعنا في كلّ أمر نأمرك به ، وكان بين يديه كاتب كان للوليد ، فقال له : ضع أنت قلمك فانّك كنت تضرّ به وتنفع ، اللهمّ إنّي قد وضعتهما فلاترفعهما ، قال : فوالله ما زالا وضيعين مهينين حتّى ماتا .

أقول : عمر بن عبد العزيز لمّا تصدّى للخلافة يعلم أنّ مظالم بني اُميّة شاعت في الأقطار الاسلاميّة وتلاطمت فكاد عرش الخلافة يسقط فدبّر أحسن تدبير لتعليل تلك المظالم وقطع أيادى المولعين بها بكلّ وجه ممكن ، ومن أهمّ ما نفّذه إسقاط سبّ أهل البيت من الخطب وردّ فدك إلى بني فاطمة كما ذكرناه في مقامه ولم يأل جهداً في إصلاح الاجتماع ولكن لم يتركوه على سرير الخلافة إلاّ ممّا يقرب ثلاث سنين .

ثمّ أمره عليه السلام بالتقرّب بأهل الورع و الصّدق وتركهم على حالهم حرّاً لئلاّ ينحرفوا عن طريق الورع والصدق فيطروه بالثناء و يمدحوه بما لا يستحقّ فانّ الاطراء يفسدهم و يؤثر في الوالي فيكسبه زهواً وغروراً فيفسد هو أيضاً .

ثمّ أمره برعاية العدالة والحقّ بينهم وليس معناه أن ينظر إلى جميعهم بنظرة واحدة ويكون المحسن والمسيء سواءاً فانّه يوجب تزهيد أهل الاحسان في الاحسان وتدريب أهل الاسائة بالاسائة .

ثمّ نبّهه على أنّ ألزم مايكون يتوجّه إليه الوالى جلب حسن ظنّ الرعيّة وجلب عطفه وأدعى شيء إلى ذلك أمران :

١ـ الاحسان بالرعايا ببذل ما يحتاجون من المؤونة و الحوائج .

٢ـ تخفيف ما يطلب منهم من الخراج و المؤونات و ترك استكراههم على ما ليس في عهدتهم لجلب حسن ظنّهم واعتمادهم على الوالي فحسن الظنّ بالوالي إذا عمّ الرعايا يسهّل الأمر عليه فى إرادتهم و لا يحتاج إلى بثّ العيون و المحافظين

عليهم ، وحسن الظنّ لابدّ و أن يكون أثر التجربة والامتحان .

ثمّ وصّاه برعاية السنن الصالحة الّتي عمل بها صدور الأمّة الاسلاميّة وشاعت بين المسلمين و ألفوا بها فلايصحّ نقض هذه السنن وتبديلها بالبدع أو تركها رأساً و المقصود منها السنن الحسنة الّتي عمل بها المسلمون اقتداءاً بالنبيّ صلى الله عليه وآله أو عملوها في مشهد من النبيّ فأقرّهم عليها فصارت من السنن الاسلاميّة الثابتة .

الترجمة

١ـ دلت را نسبت برعيّت پراز مهرومحبّت ولطف كن ، نسبت بآنها چون درندهٔ آزار كننده‌ای مباش كه خوردن آنان را غنيمت شماری ، زيرا از دو كس بيرون نيستند يا برادر دينی تو هستند يا همنوع تو محسوبند و در معرض لغزش وخطا قراردارند وازروی عمد ويا خطا گاهی تجاوز می كنند ، بأندازه‌ای دربارهٔ آنها گذشت وعفو منظوردار كه خود ازخداوند توقّع گذشت و عفو گناه خود را داری ، تو بالادست آنهائی ووالی تو بالادست تواست وخداوند بالادست كسی‌است كه تورا والی كرده وكار آنها را بتو وانهاده و بوسيلهٔ آنها تورا در معرض امتحان قرارداده است .

٢ـ هرگز بجنگ وستيز باخدا برمخيز زيرا تاب انتقام اورا نداری و از عفو ورحمتش بی‌نياز نيستی .

٣ـ هرگز ازعفو خلافكار پشيمان مباش .

٤ـ هرگز برشكنجه وعقوبت مبال .

٥ـ تا راه گريز داری بتندی و تحكّم مشتاب ، مگو من فرماندهم و فرمانم اجراء می‌شود ، زيرا اين‌خود فساد دردل وسستی دردين پديد می كند ودگرگونی وآشوب ببار می آورد .

٦ـ چون از ملاحظهٔ حكومت ومقاومت تكبّر و سرافرازی بتو دست داد ، نگاهی بملك بزرگ خدا كن كه بالادست تو است و توجّه كن كه خداوند بر تو قدرت دارد وتو دربرابر او برخود هم قدرت نداری زيرا اين توجّه سركشی ترا

فرونشاند وتندی ترا بازدارد و عقلی که بر اثر خود بینی از سرت بدررفته به تو بـاز گردد .

۷ـ مبادا با خداوند دربزرگی وجبروت سرهمسری و همانندی داشته باشی زیرا خداوند هرجبّاری را خوار وهر بالنده‌ای را زبون می کند .

۸ـ نسبت بخداوند و مردم از طرف خودت و خاندانت و دوستانت انصاف وعدالت را مراعات کن ، اگر نکنی ستم ورزیده‌ای (وهر کس ببندگان خدا ستم کند خدا ازطرف بندگانش خصم اوست وچون خدا با کسی خصومت کند دلیلش را باطل نماید وبا او بجنگد تا بر گردد وتوبه کند) ، هیچ چیز از ادامهٔ ستمکاری مؤثّرتر در زوال نعمت خداوند و تعجیل انتقـام او نیست ، زیرا خدا نفرین ستمکشان را خوب می‌شنود ودر کمین ستمکاران است .

۹ـ کارهائی را بیشتردوست دار که باحقیقت تر وعادلانه تر ورضایت عمومی رعایا را بهتر جلب می کند ، زیرا خشم ملّت رضایت مخصوصان دولت را پایمـال می کند ولی خشم مخصوصان دولت باوجود رضایت عمومی ملّت جبران ودر گذشت می‌شود ، مخصوصان واطرافیان والی درهنگام صلح وآسایش هزینه بسیارسنگینی براو تحمیل می کنند ودرهنگام گرفتاری کمتر باو کمك می‌دهند ، ازعدالت بیشتر بدشان می آید و پرروتر درخواست عطا و مقام می کنند ، چون بآنها چیزی داده شود کمترشکرمی کنند واگر دریغ شود دیرترعذر می پذیرند ، ودر پیشآمدهای ناگوار روزگار ناشکیباترند .

همانا ستون دیانت وجامعه مسلمانان وذخیرهٔ دفن دشمنان تودهٔ عمومی ملّت باشند ، باید گوشت بسخن آنها ودلت باآنها باشد .

۱۰ـ هر کس از رعایا نسبت بمردم عیب جوتر است او را از خود دور کن ودشمن‌تر بدار ، زیرا طبعاً درمردم عیبهائی هست که بایست والي بیشترازدیگران آنهـا را بپوشد . درمقام مباش که عیب آنهـا را بدانی زیرا هرچه را بدانی باید آنرا اصلاح کنی ولی آنچه از تو پنهانست خدا در بارهٔ آن حکم می کند ، تـا

می‌توانی بدیها را بپوش تا خدا عیب ترا ازرعیّت بپوشد .

۱۱ـ بامردم بهیچوجه کینه‌توزی مکن وخونی‌از آنها برعهده مگیرواز آنچه برتو روشن نیست تغافل بورز .

۱۲ـ در تصدیق راپورتچیان سخن‌چین شتاب مکن ، زیرا آنان در لباس خیرخواه آب بشیرمی کنند .

۱۳ـ چند طایفه را هم شور خود مکن .

الف ـ بخیل ، زیرا تورا از فضل و احسان منصرف می کند و از تهی‌دستی بیم می‌دهد .

ب ـ ترسو ، زیرا تورا درهر کاری بسستی و ضعف می کشاند .

ج ـ حریص و آزمند ، زیرا دست اندازی برخلاف حق را درنظرتو نمایش می‌دهد، بخل وترس‌وحرص‌چندخصلت‌بدند که ریشه‌همه آنهابدگمانی‌بخدااست .

۱٤ـ بدترین وزیران تو کسانی‌اند که وزیروالیان بدکار پیش ازتوبوده‌اند وبا آنها در گناهان همکاری کرده‌اند ، مبادا اینان طرفداران ومخصوصان تو باشند زیرا که یار گنهکاران و برادر ستمگرانند ، تو می‌توانی بجای آنها بهتر از آنها را بیابی ، کسانی که نظریّات ونفوذ آنهارا دارند ولي وزروویال آنهارا ندارند و با ستمکاران و گنهکاران همکاری نکرده‌اند ، این مردان پاکدامن هزینه کمتری بر تو تحمیل می کنند و نسبت بتو مهربانترند وبا بیگانه ها کم الفت ترند ، آنها را مخصوصان جلسه‌های سرّی و انجمنهای علنی خود قرارده سپس برگزیده تر آنها پیش تو کسی باشد که حق را بی پرده برابر تو بگوید ودر مخالف خواست حق برای دوستانش ترا کمتر مساعدت کند چه دلخواه تو باشد چه نباشد .

۱۵ـ به پاکدامنان وراستگویان بپیوند وآنهارا چنان بارآور و بپرور که تملق ترا نگویند و بکارهائی که نکرده‌اي بیهوده ستایش وخوشامد ترا نگویند ، زیرا مدح خودپسندی آورد و بغرور کشاند .

۱٦ـ مردمان درست وخوشرفتار ونادرست وبدکاررا بیك‌چشم منگر وبرابر

مدان ، زیرا دراینصورت مردان درست وخوشرفتار بخدمت کردن ودرستی بی‌رغبت می‌شوند ومردان بدکار ونادرست ببد کرداری تشویق ووادار می گردند ، هریك‌از ایندورا بپاداش کارشان که خود برای خود خواسته‌اند برسان .

۱۷ـ باید رعیّت را بخود خوشبین وامیدوار کنی وبهترین راهش اینست که بآنها احسان کنی و بار هزینه و مخارج آنها را تا می‌توانی سبك کنی وآنها را به چیزی که درعهدهٔ آنها نیست بزور وادار نکنی ، دراین زمینه طبعاً تو هم برعیّت خوشبین خواهی شد وخوشبینی تو بآنها رنج و اندوه فراوان و دنباله داری را از دوشت برمی‌دارد .

۱۸ـ نسبت بهر کس پیش‌تو آزمایش‌خوب داده باید خوشبین باشی وهر کس آزمایش بد داده باو بدبین باش .

۱۹ـ روش نیکی که پیشروان ورهبران نخست این امّت بکارزده‌اند وبا آن توده را بهم پیوسته‌اند وکاررعیّت را اصلاح کرده‌اند نقض مکن وروش تازه وبدی که باین دستورات نیك گذشته لطمه می‌زند پدید میاور تاآنانکه روشهای نیك را گذاشته اجربرند وتو وبال نقض آنرا بگردن بگیری .

۲۰ـ در بارهٔ دستورات اصلاحی کشور و ادارهٔ کارهای مردم که پیش از تو بوده‌است بـا دانشمندان مطّلع بسیار گفتگو کن و با فرزانگان خیرخواه بسیار انجمن نما .

الفصل الثالث من عهده عليه السلام

وَ اَعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاٰ يَصْلُحُ بَعْضُهٰا إِلاّٰ بِبَعْضٍ ، وَ لاٰ غِنىٰ بِبَعْضِهٰا عَنْ بَعْضٍ ، فَمِنْهٰا جُنُودُ اَللّٰهِ ، وَ مِنْهٰا كُتّٰابُ اَلْعٰامَّةِ وَ اَلْخٰاصَّةِ وَ مِنْهٰا قُضٰاةُ اَلْعَدْلِ ، وَ مِنْهٰا عُمّٰالُ اَلْإِنْصٰافِ وَ اَلرِّفْقِ ، وَ مِنْهٰا أَهْلُ اَلْجِزْيَةِ وَ اَلْخَرٰاجِ مِنْ أَهْلِ اَلذِّمَّةِ وَ مُسْلِمَةِ اَلنّٰاسِ ، وَ مِنْهَا اَلتُّجّٰارُ وَ أَهْلُ

ٱلصِّنَاعَاتِ ، وَ مِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَىٰ مِنْ ذَوِي ٱلْحَاجَةِ وَ ٱلْمَسْكَنَةِ ، وَ كُلٌّ قَدْ سَمَّى ٱللهُ لَهُ سَهْمَهُ ، وَ وَضَعَ عَلَىٰ حَدِّهِ فَرِيضَتَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ - صلى الله عليه وآله - عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً .

فَٱلْجُنُودُ بِإِذْنِ ٱللهِ حُصُونُ ٱلرَّعِيَّةِ ، وَ زَيْنُ ٱلْوُلَاةِ ، وَ عِزُّ الدِّينِ وَ سُبُلُ ٱلْأَمْنِ ، وَ لَيْسَ تَقُومُ ٱلرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ ، ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ ٱللهُ لَهُمْ مِنَ ٱلْخَرَاجِ ٱلَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ عَلَىٰ جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ، وَ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ وَ يَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ ، ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهٰذَيْنِ ٱلصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِٱلصِّنْفِ ٱلثَّالِثِ مِنَ ٱلْقُضَاةِ وَ ٱلْعُمَّالِ وَ ٱلْكُتَّابِ لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ ٱلْمَعَاقِدِ ، وَ يَجْمَعُونَ مِنَ ٱلْمَنَافِعِ ، وَ يُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ ٱلْأُمُورِ وَ عَوَامِّهَا ، وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلَّا بِٱلتُّجَّارِ وَ ذَوِي ٱلصِّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ ، وَ يُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ ، وَ يَكْفُونَهُمْ مِنَ ٱلتَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مِمَّا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ ، ثُمَّ ٱلطَّبَقَةُ ٱلسُّفْلَىٰ مِنْ أَهْلِ ٱلْحَاجَةِ وَ ٱلْمَسْكَنَةِ ٱلَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَ مَعُونَتُهُمْ ، وَ فِي ٱللهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ ، وَ لِكُلٍّ عَلَى ٱلْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ .

وَ لَيْسَ يَخْرُجُ ٱلْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا بِٱلْإِهْتِمَامِ وَ ٱلْإِسْتِعَانَةِ بِٱللهِ ، وَ تَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَىٰ لُزُومِ ٱلْحَقِّ وَ الصَّبْرِ

عَلَيْهِ فيما خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ .

اللغة

(الرَّعية) : الماشية الراعية ، الماشية المرعية ، (الطبقة) : المرتبة ومن ذلك قولهم : الطبقة الاجتماعية وطبقة العمّال ونحوها ، (الجند) : جمع أجناد وجنود والواحد جندي : العسكر ، (الكاتب) ج : كتاب : العالم ومن عمله الكتابة ـ المنجد .

(الجزية) : الخراج المعروف المجعول على رأس الذمّي يأخذه الامام في كلّ عام ، قال تعالى : « حتّى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون » قيل : سمّيت بذلك لأنها قضاية منهم لما عليهم ، وقيل : لأنها يجتزى بها ويكتفى بها منهم (الحصن) : واحد الحصون : و هو المكان المرتفع لا يقدر عليه لارتفاعه ومنه : الفقهاء حصون الاسلام كحصن سور المدينة ـ مجمع البحرين .

(المعاقد) جمع معقد : وهو العقد والقرار في المعاملات ويطلق على الأوراق المتضمّنة للمعاهدات .

الاعراب

لا يصلح بعضها إلاّ ببعض ، جملة فعلية صفة لقوله طبقات ، لا غنى ببعضها لاء المشبهة بليس و غنى اسمها ، منها جنود الله جملة اسميّة قدّم خبرها لكونه ظرفاً ، وهكذا ما عطف عليها من سائر الجمل ، أوسنّة نبيّه عطف على قوله فريضة عهداً منه منصوب على التميز الرافع للابهام عن النسبة من قوله : قد سمّى الله سهمه ويحتمل أن يكون حالاً ، لاقوام للجنود : لاء نافية للجنس والخبر محذوف أى لا قوام متحقّق للجنود ، ما لا يبلغه : لفظة ما اسميّة : أى شيئاً لا يبلغه ، وفي الله لكلّ سعة : سعة مبتدء مؤخّر ، وفي الله ظرف مستقرّ خبر له ولكلّ جار ومجرور متعلّق بقوله سعة .

المعنى

قد تعرّض عليه السلام في هذا الفصل من عهده المبارك لبيان طبقات النّاس

والرّعيّة وأثبت للرّعيّة طبقات سبعة وليس المقصود من ذلك إثبات نظام الطبقات و تأييده فان نظام الطبقات مخالف للعدل والديمقراطية الحاكمة بتساوى الرّعيّة في الحقوق .

فالبشر في تحوّله الاجتماعي شرع من النظام القبلية والاسرة المبني على أنّ الحكم المطلق ثابت لرئيس القبيلة وأبى الاسرة يحكم على الأفراد بماشاء يعزّ من شاء و يذلّ من شاء ، فلا حياة للفرد إلاّ في ضمن القبيلة و يشترك معها في الخيرات و الشرور على ما يراه صاحب الاسرة ورئيس القبيلة ، و هذا أدنى نظام اجتماعي وصل إليه البشر في تكامله الاجتماعي وانتقاله من الغاب إلى الصّحراء ، وقد ظلّ البشر في هذا النظام آلافاً من السّنين يسكن في ظلّ بيوت من الشعر أو الجلد وينتقل من كور إلى كور ، وقد أشار الله تعالى إلى هذا الدور في قوله :

« والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفّونها يوم ظعنكم و يوم إقامتكم و من أصوافها و أوبارها و أشعارها أثاثاً و متاعاً إلى حين ـ النحل الآية ٨٠ » .

و قد تحولت اُمم من هذا النظام إلى نظام مدنى أرقى قبل آلاف من السنين فقد ذكر بعضهم اكتشاف آثار المدنيّة في مصر من قبل خمسة عشر ألف عام وفي الصّين إلى ما قبل ذلك بآلاف من القرون ، ثمّ ازدهرت المدنية في بين النّهرين وضواحي ايران وفارس وظلّ قبائل اروبا وأفريقا برابرة يعيشون تحت الخيام إلى هذه العصور الأخيرة إلاّ ما ظهرت من المدنية في يونان و بعض ضواحى البحر الأبيض وجزرها .

فنظام الطبقات يحصل للاُمم بعد التحوّل من النظام القبلي ومرجعه إلى اعتبار الامتيازات بين الأفراد والأصناف ويبتنى على التبعيض في الحقوق العامّة ، كما شاع الآن في ايفريقيا الجنوبية حيث إنّ الجنس الأبيض وهم الاسرة الحاكمة في البلاد يمتازون عن السودان وهم أكثر سكان البلاد الأصليين بحقوق واسعة ، فنظام الطبقات

يخالف التساوي والتآخي بين الأفراد والتساوي في الحقوق كما نادى به الإسلام في القرآن الشريف حيث يقول : « يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عندالله أتقيكم إنّ الله عليم خبير - ١٣ - الحجرات » وقد تعلّق العرب على النظام الطبقاتي واعتبار الامتياز من وجوه شتّى : منها عدم تزويج بناتهم مع غير العرب وعدم تزويج القبائل بعضها مع بعض باعتبار علوّ شأنه ، وقد اهتمّ النبي ﷺ بمحو النظام الطبقاتي وإلقاء هذه الامتيازات المتوهّمة بكلّ جهده .

ومقصوده عليه السلام من قوله (واعلم أنّ للرّعيّة طبقات) ليس اثبات الطبقات بهذا المعنى بل بيان اختلاف الرّعيّة في ما تتصدّيه من شئون الحياة البشريّة حيث إنّ الانسان مدني بالطبع يحتاج إلى حوائج كثيرة في معاشه من المأكل والملبس و المسكن ولا يقدر فرد واحد بل أفراد على إدارة كلّ هذه الأمور فلابدّ و أن ينقسم الرّعيّة بحسب مشاغله إلى طبقات ويتصدّى كلّ طبقة شأناً من الشئون وشغلاً من المشاغل ، ثمّ يتبادل حاصل أعماله بعضهم مع بعض حتّى يتم أمر معيشتهم ويكمل حوائج حياتهم وجعل الرّعية سبع طبقات :

١ ـ الجنود المحافظون للحدود والثغور والمدافعون عن هجوم الأعداء .

٢ ـ كتّاب العامّة المتصدّون لكتابة العقود و المعاهدات و الحقوق وغيرها من المراسلات .

٣ ـ قضاة العدل و رؤساء المحاكم المتصدّون للترافع بين النّاس والنظر في الدّعاوى واثبات الحق عن غيره بحسب الموازين القضائية المقرّرة .

٤ ـ عمال الأمور الحسبيّة المحافظون على الانصاف والرّفق بين النّاس وهم الّذين يجرون الأحكام القضائية وينفذونها ويتعلّق هذه الوظيفة في هذه العصور بادارة الشرطة العامّة وما يتبعها من المخافر .

٥ ـ أهل الجزية و الخراج من أهل الذمّة ومسلمة النّاس ، قال ابن ميثم و قوله من أهل الذمّة ومسلمة النّاس تفصيل للأهل الأوّل ، فأهل الذمّة تفسير لأهل الجزية و مسلمة الناس تفسير لأهل الخراج ، و يجوز أن يكون

تفسيراً لأهل الجزية و الخراج لأنّ للامام أن يقبّل أرض الخراج من سائر المسلمين وأهل الذمّة .

أقول : لا إشكال في اختصاص أهل الجزية بالذمّيين ، وأمّاأهل الخراج أيضاً كان أكثرهم في صدرالإسلام ذمّيّاً لأنّ المسلمين مشتغلون بأمور الدّين وتجهيز الجيوش و لا فرصة لهم في الاشتغال بزرع الأرض وحرسها فكلّ أرض يملكها المسلمون يكون في أيدى أهل الذمّة يعملون فيها ويؤدّون خراجها، ولكن ظهر في أهل الخراج من المسلمين وزادوا تدريجاً بوجهين :

الف ـ أنّ كثيراً من أهل الذمّة التابعين للإسلام أسلموا فيمابعدلما ظهر لهم من دلائل صدق الاسلام وحسن سلوكه .

ب ـ أنه بعد ماشاع الاسلام في كثيرمن المعمورة وانتشر في البلدان النائية العامرة كمصر و الشّام فقد تصدّى جمع من المسلمين لأمر الزراعة و الحرث وصاروا من أهل الخراج .

٦ ـ التجار وأهل الصناعات والحرف الكثيرة الّتي عليها مدار حياة البشر وادارة شتّى شئونها من التجارة والبناية والعمارة وغيرها .

٧ ـ الطبقة السّفلى من ذوى الحاجة والمسكنة ، و التعبير عن هذه الطبقة بالسفلى باعتبار أنها لا تقدّم عملاً نافعاً في الاجتماع تتبادل به مع أعمال الطبقات الأخر فلابدّ وأن تعيش من عمل الطبقات الأخر .

و قد بيّن عليه السلام في نظم طبقات الرّعيّة أنه لا محلّ للعاطل ومن لا يعمل عملاً يفيد الاجتماع في المجتمع الحيّ البشري ، فماترى بين الأمّة من جماعات لا يتصدّون لهذه المشاغل و يعيشون ربما أرغد عيش بين الرّعيّة فهم كاللّصوص و المغيرين .

فمنهم أرباب رؤوس المال الّذين يتحصّلون الأرباح من رأس مالهم ويعاملون بالرّبا ، و قد قال الله تعالى « وذروا مابقي من الرّبوا إن كنتم مؤمنين ۞ فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ـ ٢٧٨ ـ البقرة » .

و قد شاع هذه الطبقة في هذه العصور يسكنون القصور و يعيشون بالهناء

و السرور من دون أن يعملوا عملاً للاجتماع .

و منهم أرباب الحيل و المخاديع ممّن يدّعى السحر و النيرنجات والرّمل و أمثال ذلك فيتوجّه إليهم البسطاء من الناس ويبذلون في سبيل دعاويهم الباطلة الغالي والرخيص من أموالهم .

و منهم أصحاب التعاويذ والدراويش ومن حذاحذوهم ممّن يحصلون أموال البسطاء والغافلين بأنواع المكائد والحيل .

ومنهم من يسأل بكفّه ويدور في الأسواق والدّور ويستغيث بالنّاس لتحصيل المعاش والرزق بالتكدّي .

ولوعدّ في مثل هذه العصور طبقات النّاس في بلد إسلامي يوجد فيها طبقات كثيرة لا تدخل في هذه السبعة .

ثمّ بيّن عليه السلام الموقع الاجتماعي لكلّ من هذه الطبقات واحتياج بعضها إلى بعض في إدارة شئون الحياة وإدامتها فوصف الجنود بأنّهم :

١ ـ حصون الرّعية و وسيلة الأمن والرّاحة لهم بحيث لا حفاظ ولا دفاع تجاه الأعداء المهاجمين أواللصوص السالبين إلاّ بوجودهم .

٢ ـ زينة و أبّهة للولاة تجاه العدوّ الخارجي والمخالف الدّاخلي فلولا وجود الجند لا يمكن للوالي تمشية الأمور وتدبيها .

٣ ـ الجنود الاسلاميّة الّذين يقومون في ميادين الجهاد بنصرة الحقّ عزّ للدّين تجاه الأعداء الكافرين .

٤ ـ الجنود سبل للأمن من وجوه شتّى فلا يجترىء اللّص أن يسلب أموال النّاس خوفاً من الجنود و لا يجترىء العدوّ أن يهاجم على المسلمين و يسلبهم أموالهم خوفاً من الجنود .

و لابدّ لمعاش الجندي و سدّ حوائجه من وجوه كافية يصل إليه دوماً وهو الخراج الّذي يتحصّل من الأراضي الخراجيّة وقد يكون أجناساً صالحة للمعيشة كحصّة من حنطة الأرض الخراجية ، و قد يكون درهماً و ديناراً يصرف في رفع

الحوائج ، فوجود الجند إنّما يقوم على الخراج المقرّر له فانّه لولا هذا الخراج يحتاج إلى التخلّي عن شغله و السعي وراء طلب المعيشة فلا يبقى جندياً فانّ الجنود لابدّ و أن يكونوا معدّين للجهاد و مقاومة العدوّ في كلّ حين و تحصيل الخراج و ايصاله إلى الجند يحتاج إلى الصنف الثالث من القضاة والعمّال و الكتّاب ، فانّ الخراج إنّما يؤخذ على طبق معاهدة بين عمّال الأرض و الوالي فلا بدّ من تنظيم أسناد ثمّ لابدّ من عمّال يحصّلون الخراج من عمال الأرض طبق المعاقدة المرضيّة وربما ينشأ هناك خلافات بين عمّال الوالي وعمّال الأراضي أو بعضهم مع بعض فلابدّ من الرجوع إلى القاضي في حلّ هذه الخلافات، وهذه الجامعة المركّبة من القوّة الدفاعيّة والماليّة و القضائيّة و الكتّاب لا يقدرون على المعيشة إلاّ مع ما يقضي حوائج المعيشة من اللباس و الغذاء و أنواع الأثاث و الرياش الّتي يحتاج وجودها إلى من يصنعها ويهيّؤها وإلى من ينقلها من بلدٍ إلى بلد ، و هم التجّار و ذوى الصناعات فأهل الصنعة بفنونها و شعوبها منتشرة في شرق الأرض و غربها و يتخصّص أهل كلّ بلدٍ بصنعة خاصّة بهم و الواسطة في حمل هذه المصنوعات من بلدٍ إلى بلد هم التجّار الّذين يتعرّفون وجود كلّ صنعة في أيّ بلدٍ ويتحمّلون المشاقّ في نقلها إلى أسواق أخرى حيث يضعونها في منال أيدى الطالبين ، فالتجّار و ذووا الصنعة ركن في الاجتماع المدني لما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من أسواقهم و يكفونه من الترفّق بأيديهم ما لايبلغه رفق غيرهم .

ثمّ بعد ذلك لا يخلو الاجتماع مهما كان صحيحاً و منظّماً و عادلاً من وجود ذوى العاهات والعجزة و الأشياخ الّذين لايقدرون على العمل، فهذه الطبقة كالقشر من الشجرة فكما أنّه لايمكن وجود شجرة سالمة مثمرة من دون قشر ، لا يمكن وجود اجتماعٍ خالٍ من هذه الطبقة السفلى ، فمنهم من أدّى خدمته أيّام شبابه ودوران صحّته ثمّ عرضه الهرم أواعترضه السقم فتعذّر له العمل ، فلابدّ من رعايته بتحمّل مؤونته ، و منهم من حرم من القوّة لعاهة عرضته فلا بدّ من حفظ حرمته ورعاية كرامته ، و هم الّذين يحقّ رفدهم ومعونتهم و تهيّة وسائل معيشتهم و يسع

رحمة الله كلّ هذه الطبقات السبعة ولكلّ منهم على الوالي حقّ الرعاية و المحافظة بقدر ما يصلحه .

الترجمة

ای مالك ، بدانکه ملّت از طبقه های چندی تشکیل می شود که باید هر کدام را با دیگری اصلاح کرد وهمه با هم پیوسته ومرتبط وبهم نیازمندند .

الف ـ جنود الله ، آرتشی که درراه خدا وبرای خدا می‌جنگد .

ب ـ نویسندگان عامّه و خاصّه ، دفترداران عمومي و منشیان مخصوص که برای رجال و بزرگان نامه های خصوصي والي و کارگزاران عالیرتبهٔ اورا تنظیم می‌نمایند .

ج ـ قاضیان وداد گران عادل ، دادستان ها وقاضیان محاکم .

د ـ کارمندان إنصاف ورفق : تشکیلات کلّ شهربانی وشهرداری ، إدارهٔ أمر بمعروف ونهی أزمنکر .

ه ـ أهل جزیه وخراج از کفّار ذمّي و مسلمانان ، بدهکاران مالیات سري ومالیات زمینهائی که خالصهٔ دولت اسلامي است و متصرّفین آن باید سهم درآمد زمین را بدولت بپردازند .

و ـ بازرگانان و پیشه وران وصنعتگران .

ز ـ بیچارگان و زبونان که نیازمندند ودست طلب دراز دارند : مردمان بیچاره که سرمایه ای وکار وشغلی ندارند و یا نمی‌توانند کار کنند و بازنشسته اند وبرای قوت خود محتاجند .

خداوند درکتاب خود قرآن مجید وسنّت پیغمبرش برای هر کدام از این طبقات بخشی ازثروت که درکشور است نام برده ودرخور استحقاقش قرارمعیّنی نهاده ، این دستور بودجه وپخش آن بما سپرده‌است ونزد ما مصون ومحفوظ‌است .

لشکریان باذن خدا پناه رعیّت وزینت والیان وعزّت دین ووسیلهٔ أمنیّت راهها می‌باشند ، رعیّت بی‌وجود آنها برسرپا نمی‌ماند وآنها برسرپا نمی‌مانند مگر

بوسیلهٔ دریافت حقوق خود که خدا از خراج و مالیات برای آنها معین کرده و بپشتگرمی آن در جنگ با دشمنان نیرومند می‌شوند و زندگی خود را اصلاح می‌نمایند و رفع نیاز می کنند .

این دودسته لشکریان وخراجگزاران را دسته سومی باید إداره کند که عبارتنداز قاضیان (دستگاه دادگستری) وکارمندان دولت (استانداران وفرمانداران و بخشداران) و نویسندگان (متصدّیان اُمور دفتری) برای آنکه معاملات ومعاهدات را منعقد می کنند وعوائد را جمع آوری می کنند وکارهای کلّي وجزئي بآنها سپرده است .

زندگی همه اینها إداره نمی‌شود مگر بوسیلهٔ بازرگانان و صنعتگران که وسائل زندگی را جمع آوری می کنند و بازار داد وستد بوجود می آورند وبا دست خود أبزار های زندگانی را جمع آوری می کنند ومی‌سازند که دیگران نمیتوانند بسازند ، سپس آن دسته پائین و بیچاره اند که نیازمند ومسکینند ، کسانی که باید بآنها بخشش کرد وبرای خدا بدانها کمك نمود ، هر کدام آنهارا نزد والي جائی است وبراو لازم است باندازه‌ای که زندگی آنها اصلاح شود بآنها کمك دهد .

والي از عهدهٔ این خدمتی که خدا بر او لازم کرده برنیاید مگر بکوشش واستعانت از خداوند و وادار کردن خود بردرستکاری و صبر بر آن سبك باشد بر او یا سنگین .

الفصل الرابع من عهده عليه السلام

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلّٰهِ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِإِمَامِكَ ، وَ أَنْقَاهُمْ جَيْباً ، وَ أَفْضَلَهُمْ حِلْماً ، مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ ، وَ يَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ ، وَ يَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ ، وَ يَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ ، وَ مِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ ، وَ لَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ .

ثُمَّ ٱلصَقْ بِذَوِي ٱلْأَحْسابِ ، وَ أَهْلِ ٱلْبُيُوتاتِ الصّالِحَةِ وَ السَّوابِقِ ٱلْحَسَنَةِ ، ثُمَّ أَهْلِ النجْدَةِ وَ الشَّجاعَةِ وَ السَّخاءِ وَ السَّماحَةِ ، فَإِنَّهُمْ جِماعٌ مِنَ ٱلْكَرَمِ ، وَ شُعَبٌ مِنَ ٱلْعُرْفِ ، ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ ما يَتَفَقَّدُ الْوالِدانِ مِنْ وَلَدِهِما ، وَ لا يَتَفاقَمَنَّ في نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ ، وَ لا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعاهَدْتَهُمْ بِهِ وَ إِنْ قَلَّ ، فَإِنَّهُ داعِيَةٌ لَهُمْ إِلى بَذْلِ النَّصيحَةِ لَكَ وَ حُسْنِ ٱلظَّنِّ بِكَ ، وَ لا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطيفِ أُمُورِهِمِ ٱتِّكالاً عَلى جَسيمِها ، فَإِنَّ لِلْيَسيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ ، وَ لِلْجَسيمِ مَوْقِعاً لا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ .

وَ لْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ واساهُمْ في مَعُونَتِهِ ، وَ أَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ ، بِما يَسَعُهُمْ وَ يَسَعُ مَنْ وَراءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ ، حَتّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً واحِداً في جِهادِ ٱلْعَدُوِّ ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ .

اللغة

(جنود) جمع جند و الواحد جندي : العسكر ، (أنقاهم جيباً) : أطهرهم في القلب والنفس و ألزمهم للتقوى ، (بطؤ) يبطىء : ضدّ أسرع ، (رؤف) رأفةً : رحمه أشدّ رحمة فهورؤوف ، (نبا) ينبو : تجافى وتباعد ، (أثاره) هيّجه ، (العنف) : الشدّة والقساوة ، (قعد به) : أعجزه ، (النجدة) : الرفعة ، (السماحة) : البذل ، (جماع الشيء) : جمعه ، يقال : الخمر جماع الاثم أى جامعة لكلّ أصنافه ، (فقم)

فقماً الأمر : عظم ، تفاقم الأمر: عظم ولم يجر على استواء ـ المنجد ، (الخلوف) : المتخلّفون جمع خلَف بالفتح .

الاعراب

أنصحهم في نفسك : في نفسك متعلّق بقوله أنصحهم ، جيباً : تميز لقوله أنقاهم رافع للابهام عن النسبة و كذلك حلماً منصوب على التميز، من قوله أفضلهم عن الغضب : متعلّق بقوله يبطىء ويفيد المجاوزة أى يبطىء متجاوزاً عن الغضب ، على الأقوياء : يفيد الاستعلاء ، لايقعد به الضعف : الباء للتعدية ، ثمّ الصق : يفيد التراخي أى ولّ من جنودك في الدرجة الثانية من ذوى الأحساب ، ثمّ أهل النجدة : تراخ ثان ، جماع : خبر إن أى مجمع الكرامة و شعب من الأعمال الحسنة ، لايتفاقمن : نهي مؤكّد ، اتّكالاً : مفعول له لقوله لاتدع ، لليسير من لطفك : ظرف مستقرّ خبر إن قدّم على اسمها و هو مرفوع موضعاً ، ينتفعون به : جملة فعليّة صفة لقوله موضعاً ، آثر: أفعل التفضيل من الاثرة يعني أحبّهم وأخصّهم إليك ، جدَته : اسم مصدر من الوجدان مثل عدة من الوعد : أى ممّا تمكّن منه . ورائهم : ظرف مستقرّ صلة لقوله من ، من خلوف : بيان لقوله من ورائهم .

المعنى

قد تعرّض عليه السلام في هذا الفصل لبيان ما يلزم أن يتّصف به الجنديّ من الأوصاف حتّى يستحقّ لمقام الولاية على السائرين و هذا هومن أهمّ أمور النظام العسكري و قد انشأ في هذه العصور معاهد و مدارس لتعليم النظام و تربية الضبّاط والأمراء في الجيوش و تتضمّن هذه التعليمات تمرينات وتدريبات عسكريّة شاقّة في دورات متعدّدة ينتهي كل منها إلى امتحانات صعبة ربما قلّ الناجحون منها .

و لكنّ الاسلام يتوجّه إلى روحيّة الجندي أكثر ممّا يتوجّه إلى تدريبه العملي ، فانّ الجنديّ إنّما يواجه العدوّ ويدافع عنه بروحه وايمانه وقوّة عقيدته أكثر ممّا يعتمد على قوّة جسمه وأعماله ، فقدكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجمع المسلمين في صفوف صلاة الجماعة يعلّمهم آي القرآن و يبين لهم طريق عبادة الرحمن و يؤيّد

اعتقادهم بالله ورسوله بالتمرين والتدريب على الأُصول التعليميّة للاسلام ويتخرّج من بينهم رجال كأكبر قوّاد الجيوش في العالم يبارزون الأبطال المدرّبين في كلّيّات العسكريّة الرومانية و الفارسية فيقهرونهم و يغلبون عليهم حتّى اشتهروا في هذه العصور بالبطولة و الشجاعة يقع الخوف في قلوب الأعداء من ذكر أسمائهم ، وقد افتخر النبيّ ﷺ بقوله : « ونصرت بالرعب مسيرة شهر » .

وهذه البطولة الفائقة تعتمد على قوّة الروح و الايمان في القوّاد الاسلاميّين أكثر ممّا تعتمد على قوّة الجسم والتدريبات العمليّة ، وقد وصف ﷺ من يستحقّ مقام الولاية على الجند وينبغي أن يكون أميراً بسبعة أوصاف :

١ـ أن يكون أنصح و أطوع لله و رسوله و للامام المفترض الطاعة من سائر الأفراد ، فلا يألوا جهداً في تحصيل رضا الله ورسوله ورضا إمامه مهما كلّفه من الجهد و المشقّة ، و قد قدّم هذا الاخلاص و النصح لرسول الله ﷺ سعد بن معاذ رئيس الأوس في قضيّة بدر حين عرض ﷺ على الأنصار الزحف لمقاتلة قريش في بدر فجمع أصحابه و عرض عليهم ما أراده ، قال ابن هشام في سيرته « ص ٣٧٤ ج ١ ط مصر » :

ثمّ نزل و أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار الناس فأخبرهم عن قريش ـ إلى أن قال : ثمّ قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله إمض لما أراك الله فنحن معك والله لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى « اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا هيهنا قاعدون » و لكن اذهب انت وربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون ، فوالّذي بعثك بالحقّ لوسرت بنا إلى برك الغماد ـ موضع بعيد مخوف ـ لجالدنا معك من دونه حتّى تبلغه ، فقال له رسول الله : خيراً و دعا له به .

ثمّ قال رسول الله ﷺ : أشيروا عليّ أيّها الناس و إنّما يريد الأنصار وذلك أنّهم عدد الناس و أنّهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله إنّا برءاء من ذمامك حتّى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمّتنا نمنعك ممّا نمنع أبنائنا ونسائنا ، فكان رسول الله ﷺ يتخوّف أن لاتكون الأنصار ترى عليها نصره

إلاّ ممّن دهمه بالمدينة من عدوّه وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوّ من بلادهم .

فلمّا قال ذلك رسول الله ﷺ ، قال له سعد بن معاذ : والله لكأنّك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل قال : فقد آمنّا بك ، وصدّقناك ، و شهدنا أنّ ما جئت به هو الحقّ ، و أعطيناك على ذلك عهودنا و مواثيقنا على السمع و الطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فو الّذي بعثك بالحقّ لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلّف منّا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً إنّا لصبر في الحرب صدق في اللقاء لعلّ الله يريك منّا ما تقرّ به عينك فسر بنا على بركة الله .

٢ـ أن يكون أطهر أفراد الجيش قلباً و سريرة و تجنّباً عن الفواحش و المنكرات .

٣ـ أن يكون أثبتهم حلماً و تسلّطاً على نفسه تجاه ما يثير الغضب حتّى لا يسوقه جبروت امارته على ارتكاب الشدّة بالنسبة إلى من وقعوا تحت امرته بارتكاب ما يخالف هواه كما هو مقتضى طمع الأمراء و أصحاب القوّة و بسط اليد و النفوذ .

٤ ـ كان ممّن يقبل الاعتذار عمّن ارتكب خلافاً و يتّصف بالعفو و الصفح عن المذنب .

٥ ـ حين ما يكون جندياً موصوفاً بشدّة الشكيمة تجاه الأعداء مهيباً عند السائرين لإنفاذ أوامره ، يكون رقيق القلب يرأف بالضعفاء ، كما وصف الله المؤمنين بقوله عزّ من قائل « أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم ٢٩ ـ الفتح » .

٦ـ كان مقاوماً للأقوياء المعتادين لإعمال النفوذ في الدولة لإحراز منافعهم و مقاصدهم وتحميل مظالمهم على الضعفاء .

٧ـ كان حليماً و صبوراً تجاه الشدائد و مفكّراً في حلّ ما ينوبه من العقد و العقائد فلا يؤثّر فيه العنف و شدّة النائبة و صعوبة الحادثة فيثيره و يجذبه إلى ارتكاب ما لا يليق به أو يجد في نفسه ضعفاً فيتكاسل ويقعد عن العمل وتدبير الأمر

والخطب الّذي به حل .

هذا ، و إحراز هذه الصفات الكريمة في الأفراد يحتاج إلى درس كامل عن أحوالهم و إلى تجارب وامتحانات متتالية و متطاولة ربما لايتيسّر بالنسبة إلى ما يحتاج إليه من الأفراد فقرّر عليه السلام ضابطتين تكونان كالأمارة والدليل على وجود هذه الصفات العالية النفسانية .

الاول ضابطة الأسرة و البيت و هى فصيلة من القبيلة تبقى دوراً طويلاً بعد التحوّل من النظام القبلي إلى النظام الدولي فكانت العرب تظلّ في النظام القبلي منذُ قرونٍ كثيرةٍ حتّى جاء نظام الاسلام فحوّل العرب إلى نظامٍ حكومي أعلى ليس الحاكم فيه إرادة رئيس القبيلة ومقرّراتها بل الحاكم فيه قانون الاسلام والدستورات النبوية ، و لكنّ الملّة بقيت تحت تربية الأسرة و البيت فهى الّتي تكفّل تربية الفرد وتعليمه بلاواسطة أو بوسيلة المكاتب أوالمعلّمين المخصوصين ، فذوى الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة هم المؤدّبون والمربّون تربية صحيحة .

فاذا تمّ النظام الحكومي في الشعب و أكمل فيه وسائل التربية و التثقيف بانشاء دور التعليمات الابتدائيّة و المتوسّطة والعالية و تشمل جميع الأفراد كما في الدول الراقية والشعوب المترقّية فينفصل الفرد عن البيت والأسرة وينتقل إلى تربية النظام الحكومي فيطالب بالشهادات المدرسيّة في كلّ دور و يعتمد في تعهّده لأيّ شغل ومقام إلى ما في يده من الشهادات المدرسيّة والكلّيّات والمعاهد العلمية ولاينظر إلى بيته وأسرته وإلى أبيه وأمّه لأنّ جهوده الّذى بذله في سبيل التحصيل المنعكس في شهاداته المدرسيّة وأوراق دورعلمه يثبت جوهر شخصيّته وما يستحقّه من الرتب والدرجات في النظام وسائر الشئون .

و لكنّ الحكومة الاسلامية الفنية في عصره عليه السلام لم تبلغ إلى حدّ يتكفّل تربية الأفراد ، وكان الاعتماد في صلاحيّة الأفراد إلى البيت و الأسرة ، فالانتساب إلى بيت صالح وأسرة معروفة يقوم مقام الشهادة الصادرة من كلّيّة علمية أو معهد رسمي كما كانت حكومة الفرس في أدوارها الطويلة قائمةً على نظام الأسرة

والبيوتات في تربية الأفراد وتأديبهم و إن بلغت من السعة والنفوذ إلى ما يوجب العجب والتحسين ، و قد بيّن تلك الحكمة الاجتماعية الفيلسوف اليوناني الشهير أرسطوطاليس فيما أجاب به الإسكندر الفاتح الشهير ننقله من الشرح المعتزلي بعينه ، قال :

رسالة الاسكندر الى أرسطو ورد أرسطو عليه

و ينبغي أن نذكر في هذا الموضع رسالة أرسطو إلى الأسكندر في معنى المحافظة على أهل البيوتات وذوي الأحساب ، وأن يخصّهم بالرياسة والامرة ، ولا يعدل عنهم إلى العامّة و السّفلة ، فانّ في ذلك تشييداً لكلام أمير المؤمنين عليه السلام و وصيّته .

لمّا ملك الاسكندر إيرانشهر وهو العراق مملكة الأكاسرة و قتل دارا بن دارا كتب إلى أرسطو وهو ببلاد يونان :

عليك أيّها الحكيم منّا السلام ، أمّا بعد ، فانّ الأفلاك الدائرة ، و العلل السمائيّة وإن كانت أسعدتنا بالأمور الّتي أصبح الناس بها دائبين ، فانّا جدّ واجدين لمسّ الاضطرار إلى حكمتك ، غير جاحدين لفضلك والاقرار بمنزلتك والاستنامة (١) إلى مشورتك والاقتداء برأيك ، و الاعتماد لأمرك ونهيك لما بلونا من جدا ذلك علينا ، و ذقنا من جنا منفعته ، حتّى صار ذلك بنجوعه فينا و ترسّخه في أذهاننا و عقولنا كالغذاء لنا ، فما ننفكّ نعوّل عليه ونستمدّ منه استمداد الجداول من البحور ، وتعويل الفروع على الأصول ، وقوّة الأشكال بالأشكال ، و قدكان ممّا سبق إلينا من النصر والفلح ، و أتيح لنا من الظفر ، و بلغنا في العدوّ من النكاية و البطش ما يعجز العقول عن وصفه ، و يقصر شكر المنعم عن موقع الانعام به ، وكان من ذلك أنّا جاوزنا أرض سوريّة والجزيرة ، إلى بابل وأرض فارس ، فلمّا حللنا بعقوة أهلها - العقوة ما حول الدار - و ساحة بلادهم ، لم يكن إلاّ ريثما

(١) كذا ، واستنام الى الامر : سكن اليه .

تلقّنا برأس ملكهم هدّية إلينا ، و طلباً للحظوة عندنا ، فأمرنا بصلب من جاء به ، و شهرته لسوء بلائه ، وقلّة ارعوائه و وفائه ثمّ أمرنا بجمع من كان هناك من أولاد ملوكهم وأحرارهم وذوي الشّرف منهم ، فرأينا رجالاً عظيمة أجسامهم وأحلامهم ، حاضرة ألبابهم وأذهانهم ، رائعة مناظرهم و مناطقهم ، دليلاً على أنّ ما يظهر من روائهم و منطقهم أنّ وراءه من قوّة أيديهم ، و شدّة نجدتهم و بأسهم ما لم يكن ليكون لناسبيل إلى غلبتهم ، وإعطائهم بأيديهم ، لولا أنّ القضاء أدالنا منهم ، وأظفرنا بهم ، وأظهرنا عليهم ، ولم نر بعيداً من الرّأى في أمرهم أن نستأصل شافتهم ، ونجتثّ أصلهم ، و نلحقهم بمن مضى من أسلافهم ، لتكون القلوب بذلك إلى الأمن من جرائرهم وبوائقهم ، فرأينا أن لا نعجل باسعاف بادىء الرّأى في قتلهم دون الاستظهار عليهم بمشورتك فيهم ، فارفع إلينا رأيك ، فيما استشرناك فيه بعد صحّته عندك ، وتقليبك إياه بجلىّ نظرك ، وسلام على أهل السّلام فليكن علينا وعليك .

فكتب اليه أرسطو

لملك الملوك و عظيم العظماء ، الأسكندر المؤيّد بالنّصر على الأعداء ، المهدي له الظّفر بالملوك ، من أصغر عبيده وأقلّ خوله ، ارسطوطاليس البخوع بالسّجود ، والتذلّل في السّلام ، والأذعان في الطاعة .

أمّا بعد ، فانّه لا قوّة بالمنطق و إن احتشد الناطق فيه ، واجتهد في تثقيف معانيه وتأليف حروفه ومبانيه على الاحاطة بأقلّ ماتناله القدرة من بسط علوّ الملك وسموّ ارتفاعه عن كلّ قول ، وإبرازه على كلّ وصف ، واغترافه بكل إطناب ، وقد كان تقرّر عندي من مقدّمات إعلام فضل الملك في صهلة سبقه ، وبروز شأوه ، ويمن نقيبته مذأدّت إلىّ حاسّة بصري صورة شخصه ، و اضطرب في حسّ سمعي صوت لفظه ، ووقع وهمي على تعقيب نجاح رأيه ، أيّام كنت أودي إليه من تكلّف تعليمي إيّاه ما أصبحت قاضياً على نفسي بالحاجة إلى تعلّمه منه ، ومهما يكن منّي إليه في ذلك ، فانّما هو عقل مردود إلى عقله ، مستنبطة أو اليه وتواليه من علمه

وحكمته ، وقد جلا إليّ كتاب الملك ومخاطبته إيّاى ومسألته لي عمّا لايتخالجني الشك في لقاح ذلك و إنتاجه من عنده ، فعنه صدر وعليه ورد ، وأنا فيما أُشير إليه على الملك ـ وإن اجتهدت فيه واحتشدت له ، وتجاوزت حدّ الوسع والطاقة منّي في استنطاقه واستقصائه ـ كالعدم مع الوجود ، بل كما لا يتجزأ في جنب معظم الأشياء ولكنّي غير ممتنع من اجابة الملك إلى ماسأل ، مع علمي ويقيني بعظم غناه عنّي وشدّة فاقتى إليه ، و أنا رادّ إلى الملك ما اكتسبته منه ، ومشير عليه بما أخذته عنه ، فقائل له :

إنّ لكلّ تربة لا محالة قسماً من الفضائل ، وإنّ لفارس قسمها من النّجدة و القوّة و إنّك إن تقتل أشرافهم تخلّف الوضعاء على أعقابهم ، و تورث سفلتهم على منازل عليّتهم ، و تغلّب أدنيائهم على مراتب ذوي أخطارهم ، و لم يبتل الملوك قطّ ببلاء هو أعظم عليهم وأشدّ توهيناً لسلطانهم من غلبة السفلة ، و ذلّ الوجوه فاحذر الحذر كلّه من أن تمكّن تلك الطبقة من الغلبة و الحركة ، فإنّه إن نجم بعد اليوم على جندك و أهل بلادك ناجم دهمهم منه مالا رويّة فيه و لا بقيّة معه ، فانصرف عن هذا الرّأي إلى غيره و اعمد إلى من قبلك من أُولئك العظماء والأحرار ، فوزّع بينهم مملكتهم ، وألزم اسم الملك كلّ من ولّيته منهم ناحيته واعقد التاج على رأسه ، وإن صغر ملكه ، فإن المتسمّى بالملك لازم لاسمه ، والمعقود التاج على رأسه لايخضع لغيره ، فليس ينشب ذلك أن يوقع كلّ ملك منهم بينه و بين صاحبه تدابراً وتقاطعاً وتغالباً على الملك ، و تفاخراً بالمال و الجند حتّى ينسوا بذلك أضغانهم عليك وأوتارهم فيك ، ويعود حربهم لك حرباً بينهم ، وحنقهم عليك حنقاً منهم على أنفسهم ، ثمّ لايزدادون ذلك بصيرة إلاّ أحدثوا لك بها استقامة ، و إن دنوت منهم دانوا لك ، و إن نأيت عنهم تعزّزوا بك ، حتّى يثب من ملك منهم على جاره باسمك ، ويسترهبه بجندك ، وفي ذلك شاغل لهم عنك وأمان لاحداثهم بعدك ، وإن كان لا أمان للدّهر ، ولا ثقة بالأيّام .

قد أدّيت إلى الملك ما رأيته لي حظّاً ، و عليّ حقّاً من إجابتي إيّاه إلى

ماسألني عنه ، ومحضته النصيحة فيه ، والملك أعلى عيناً ، وأنفذ رويّة ، وأفضل رأياً و أبعد همّة فيما استعان بي عليه ، وكلّفني بتبيينه والمشورة عليه فيه ، لازال الملك متعرّفاً من عوائد النّعم ، و عواقب الصّنع ، وتوطيد الملك ، و تنفيس الأجل ، و درك الأمل ، ما تأتي فيه قدرته على غاية قصوى ما تناله قدرة البشر ، والسّلام الّذي لا انقضاء له ، ولا انتهاء ، ولا فناء ، فليكن على الملك .

قالوا: فعمل الملك برأيه ، واستخلف على إيران شهر أبناء الملوك والعظماء من أهل فارس فهم ملوك الطّوائف الّذين بقوا بعده والمملكة موزّعة بينهم إلى أن جاء أردشير بن بابك فانتزع الملك منهم .

وينبغي أن يلفت النظر إلى مكاتبة إسكندر وأرسطو هذه من وجوه :

١ـ ما يستفاد من كتاب إسكندر من إعجابه بالاسرة المالكة في إيران أيّام داريوش حيث اعجب بهم وهابهم و خاف منهم بعد الغلبة عليهم حتّى همّ بقتلهم واستيصال شافتهم ليأمن بوائقهم على ملكه فيما بعد، هابهم وهم أذلاّء وأسراء تحت يديه ، هابهم من قوّة منطقهم ووفور تعقلهم وبسالتهم وشجاعتهم واعترف بأنّ الغلبة عليهم كان قضاءً مقدراً لا أمراً بشرياً ميسّراً، ويستفاد من ذلك أنّه كان في الأسرة المالكة تربية وتثقيف لا يوجد مثلها حتّى في يونان مركز الفلسفة في هذه العصور.

٢ـ إنّ هذه التربية والثقافة كانت مقصورة على الاسرة المالكة لا تتعدّاهم ، وكانت عامّة النّاس في هذه المملكة الواسعة الأطراف فاقدين لكلّ شيء لا يمسّون من شئون الحياة إلاّ العمل تحت إرادة الحكّام ونيل أدنى المعيشة مما يناله البهائم و الأنعام ، فهم في الحقيقة كالغنم يرعاهم الاسرة المالكة تأكل منهم مايشاء وتبقي ما يشاء ، و هذا هو السرّ في إمكان الحكومة على هذه الشعوب الكثيرة في بلاد شاسعة الأطراف ، و من هذه الجهة لا تهتمّ عامّة الشعوب في الدفاع عن الوطن و لا تدخل لهم في هذا الأمر السّياسي إلاّ ما يؤمرون به من جهة الأمراء ، فاذا ضعف الحكومة في ناحية أوشعب يهاجم عليها العدوّ ويتسلّط عليها بلا منازع ومدافع وبقي هذا التلاشي بين الحكومة والشعب في إيران إلى أيّام الفتح العربي ، فهاجم مايقلّ

عن أربعين ألف جندي بدوي وغلب على الامبراطورية الممدودة من نواحي سورية والشام إلى ثغور الهند والصين .

٣ـ يستحق العجب من تدبير الحكيم أرسطو لرد إسكندر الفاتح المغرور عن عزمه بقتل الاسرة المالكه في إيران ، فقد أظهر في جوابه عن كتاب إسكندر كل خضوع و انقياد تجاه هذا الجبار العنيد ليستميله إلى إصغاء ما يملي عليه من سوء عاقبة هذا العزم الخبيث ودلل عليه بأن قتل الأسرة المالكة المدبرة في إيران ـ الذين يحكمون ويديرون شئون أمم شتى يزدادون على ملائين من البشر الذين لا يمسون من شئون الحياة إلا كالأنعام والأغنام ـ يوجب تلاشي الأمة البشرية وفنائهم ويولد منه الهرج والمرج المفني لجماعات من البشر ، فان البشر الغير المثقف الوحشي إذا كسب قوة ومنعة يعيث في الأرض فساداً وخراباً ودماراً كما ارتكبه آتيلا الأمر على القبائل الوحشية في اوروبا ، وچنگيز الأمر على قبائل وحشية في صين .

و نعود فنقول : إنه عليه السلام أشار في كلامه هذا إلى أن الاعتماد على الفرد يكتسب من ملاحظة أسرته وبيته الذي تولد ونشأ فيه .

الضابطة الثانية ما يستفاد من حال الفرد نفسه ، فانه دخل في جماعة المسلمين في هذه الأيام خلق كثير من سائر الشعوب لا يعرف لهم أسرة و بيت ويعبرون عنهم بالموالي فكان الاعتماد عليهم يرجع إلى ما يستفاد من أخلاقهم فبين لذلك أربعة أوصاف :

١ـ النجدة ، وهي صفة تنبىء عن علو الهمة وتمنع الرجولية .

٢ـ الشجاعة ، وهي صفة تنبىء عن الغيرة و سرعة الاقدام في الدفاع عما يجب حفظه .

٣ـ السخاء ، وهي صفة تنبىء عن بسط اليد وعدم حب المال والادخار وحب الإيثار على الأغيار .

٤ ـ السماحة ، وهي صفة تنبىء عن الاقتدار على جمع الناس وتأليفهم حوله

والتسلّط عليهم بحسن الخلق وبسط الجود .

فهذه صفات شخصية إذا اجتمعت في فرد تؤهلها للامرة وتوجب الاعتماد عليه في إعطاء الولاية على الجند .

ثمّ أشار في آخر هذا الفصل إلى أنّ أفضل رؤساء الجند وأمراء الجيوش من يواسيهم في المعونة ويوفّر عليهم فيما يجده من المؤونة ولا يقتصر على خصوص رواتبهم المقرّرة المحدودة بحيث يغنيهم لما يحتاجون إليه من مؤونة أنفسهم ومؤونة أهلهم المتخلّفين ورائهم ينتظرون عونهم في كلّ حين فيكون حينئذ همّهم هماً واحداً في جهاد العدوّ والدّفاع عن حوزة الإسلام .

الترجمة

آنكس را از لشكريان خود برقشون فرمانده كن كه داراى خصائل زير باشد :

١ـ در پيش خود از همه نسبت بخدا و رسول خدا ﷺ ونسبت به امام ورهبر تو با اخلاص تر وخيرخواه‌تر باشد .

٢ـ از همه پاكدامنتر وپارساتر باشد .

٣ـ ازهمه درحلم وبردبارى بيشتر باشد واز كسانى باشد كه خشم اورا فرا نگيرد وبزودى ازجاى خود بدر نرود .

٤ ـ عذر پذير باشد .

٥ ـ نسبت به بينوايان وضعفاء رؤوف ومهربان باشد .

٦ـ نسبت به افراد نيرومند وبا نفوذ تأثير ناپذير وخود دار باشد .

٧ـ از كسانى باشد كه سختى ودشوارى كارها اورا از جاى بدر نبرد و از خود بيخود وبيچاره نسازد وناتوانى وسستى اورا زمين گير نگرداند .

سپس خودرا بمردمان خانواده دار وآبرومند ومنسوبان بخانواده‌هاى خوش سابقه وخوب نزديك كن وفرماندهان خودرا ازميان آنها انتخاب كن .

و از آن پس مردمان راد مرد ودلیر را که باسخاوت ومردم دارند در نظر بگیر زیرا آنان جامع اوصاف کرامتند وهمه خوبیها در وجود آنها هست .

سپس ازهمه کارهاشان وارسی کن و آنهارا تحت نظر بگیر چنانچه پدر ومادر از فرزند خود دلجوئی میکنند وهیچ تقویت ونیرو بخشی بدانها درنظر تو مشکل و گره دارجلوه نکند وهیچ لطف ودلجوئی نسبت بدانها در چشمت خرد و کوچك نیاید و گرچه اندك و ناچیز باشد ، زیرا این خود برای آنها باعث خیر خواهی و اخلاصمندی و خوشبینی بتومیگردد ، از وارسی وتفقد کارهای ریز وچشم نارس آنها صرف نظر نکن باعتماد اینکه کارهای عمده وچشم گیر آنها را بازرسی کردی ، زیرا لطف ودلجوئی تودرکارهای خرد و کوچك موقعیتی دارد که از آن بهره مند شوند ودرکارهای مهم هم درجای خود از بازرسی تومستغنی نباشند .

باید بر گزیده‌ترین فرماندهان قشونت در نزد تو کسانی باشند که با افراد دیگر قشون همدردی دارند و بدانها کمك مینمایند و از آنچه دردسترس دارند بدانها بذل میکنند تا آنجا که وسیلهٔ وسعت زندگی خود آنها و افراد خانوادهٔ آنها باشد که درپشت سرخود بجا نهاده اند وچشم انتظار مخارج ازآنها هستند تا اینکه یکدل ویکجهت درجهاد با دشمن بکوشند وپریشان خاطر نباشند راستی که مهربانی ومهروزی تو باآنها مایه این می‌شود که از دل با تومهرورزند ومخلص تو باشند .

ويجدر بنا هنا أن نترجم مكاتبة إسكندر مع أرسطو في هذا المقام طلباً لمزيد النفع للقرّاء الكرام .

نامهٔ اسکندر بارسطو وپاسخ أرسطو بنامهٔ او

چون اسکندرایران‌شهر که کشور عراق ومملکت خسروان پارس‌بود بچنگ آورد ودارا بن دارا را کشت بارسطو که دریونان بود این نامه را نوشت :

ای حکیم ازطرف مابرتودرود باد أمّابعد، براستیکه چرخهای گردان وعلل

آسمان گرچه ما را باموری سعادتمند کرده که زبانزد همه مردم است ولی باز ما با کمال جد و کوشش به حکمت وفرزانگی تو خودرا نیازمند میدانیم ، فضلیت تورا انکار نتوانیم و بمقام والای تواقرار داریم و بمشورت تو دلگرم هستیم وپیروی از رأی تورا لازم شمرده و بامر ونهی تو اعتماد داریم ، چون سود آن را آزموده ونفع آن را چشیدیم تا آنجا که در ما ریشه کرده و در اذهان ما رسوخ نموده وغذای خرد ما گردیده وهمیشه بنظر تو اعتماد توانیم وچون نهری از آن دریای دانش بهره مند میشویم وچون شاخه‌ای هستیم از تنه تنومند وبنظرهای تونیرومند میشویم ، چنان پیروزی وپیشتازی بما سبقت جست وظفرمندی مارا نصیب آمد و در سر کوبی و غلبه بردشمن بدانجا رسیدیم که وصفش بگفت درنیاید و شکر این نعمت از دست ما برنیاید و از این جمله است که ما از سرزمین سوریه و جزیره در گذشتیم تا به‌بابل وسر زمین فارس تاختیم وچون در بن خانه وعرصه بلاد آنها جای گزین شدیم دیری نگذشت که چندتن ازخود آنان سر پادشاهشان را بدست خودشان برای ما پیشکش آوردند تادرنزد ما بهره‌مند گردند وبمقامی‌رسند ، فرمان دادیم آنانکه سررا آوردند بدار آویخته شدند زیرا سزای بد رفتاری وبیوفائی آنها همین بود ، سپس فرماندادیم تا همه شاهزادگان ورادمردانیکه در آن کشور بود گرد آوردند ، مردمی دیدیم تنومند وپهلوان وسر بزرگ وخردمند وآزموده ، خوش منظر وخوش گفتار ، واین خود دلیل‌است که عقل ومنطق نیرومندی درخود دارند وپهلوان وراد مرد وجنگجو هستند تا آنجا که ما را راهی برای غلبه و پیروزی برآنها وجود نداشته جز اینکه قضا وقدر بسود ما چرخیده و ما را برآنها پیروز کرده وبرآنها مسلط نموده .

وبنظرخود این‌را دورنمیدانیم که همه را از بن بر کنیم واز ریشه براندازیم وبگذشته هایشان ملحق سازیم تا از دست درازی وانتقامجوئی آنان آسوده خاطر ودل نهاده باشیم ، و در نظر آوردیم که در کشتار آنان شتاب نکنیم تا رأی شمارا دراین باره ندانیم و باشما مشورت نکنیم ، شما رأی خودرا در این باره برای ما

روشن سازید ، وزیرو روی این مطلب را بسنجید ، وهمهٔ درود درود گویان برما و شما باد .

ارسطو در پاسخ اوچنین نوشت

بسوی شاه شاهان و بزرگ بزرگان ، اسکندر که در پیروزی بردشمنان تأیید یافته و ظفر برپادشاهان هدیه پیشگاه اوشده ، از طرف خردترین بنده ها و کمترین وابسته های او ارسطوطالیس که درپیشگاهش پیشانی ساید ، ودرود وتذلل وفرمانبری وانقیاد ویرا گردن نهاده .

أمّا بعد ، گفت را هرچه گویا درآن مهارت بخرج دهد ودرسنجش معانی وتألیف حروف ومبانیش بکوشد ، احاطه بکمترین درجه قدرت وبسط علوّ سلطنت وفرازمندی رفعت تو نتواند ، زیرا ازهر گفتاری وتوصیفی وتفصیلی برتراست .

از مقدّمات اعلامیه فضیلت آن پادشاه درمیدان مسابقت وبروز مرتبة ویمن مقدم برمن مقرر گردیده‌است چنان درجه‌ای که حسّ دیده‌ام پیکر اورا وراندار کرده و گوشم آوازهٔ اورا شنیده وکامبخشی رای او در وهمم صورت بسته ، ازهمان دورانیکه من بظاهر مکلف بآموزش او بودم خودرا نیازمند آموختن حکمت او میدانستم ، وهرآنچه ازمن بوی القاء میشد همانی بود که از پرتو عقل او در من منعکس میگردید ، واستنباطی بود که بهم نظری با او از علم وحکمتش رد وبدل میکردم ، از نامهٔ پادشاه وخطاب وی با من وپرسش از من روشن است که شکی ندارم نظر خودرا درفکر من بیدار کرده واز رأی روشن خود درمن نتیجه خواسته هم از او بمن نظری صادر شود وهم از او دریافت گردد وباو بر گردد آنچه من بحضرت پادشاه اشاره کنم باهمه کوشش وتلاشی که درآن نمایم وازحد وسع وطاقت درآن بگذرم ودر بازرسی و نکته سنجی آن بکوشم بازهم در برابر رأی منیرش چون عدم استٔ نسبت بوجود وچون جزء لا یتجزّی دربرابر معظم أشیاء ، ولی درهرحال من ازاجابت پادشاه سر برنتابم وپرسش ویرا بی‌پاسخ نگذارم ، بااینکه میدانم که حضرتش از رأی من بینیاز است ومن بدو بسیار نیازمند ومحتاج ، من

خود همان را که از آن پادشاه بدست آورده واستفاده کردم بوی باز گردانم ، وهمان را که ازحکمتش دریافت نمودم بوی اشارت کنم وبحضرتش گویم .

بناچار هرخاکی وهر سرزمینی را بهره‌ایست ازفضائل ، وراستیکه سرزمین پارس‌را بهره‌ایست‌ازبزرگواری ونیرومندی، وبراستیکه اگرتومردم شرافتمندآن سرزمین را بکشی مردمی پست را جایگزین آنها میسازی و خانمان و کشور بزرگانشانرا بدست أوباش میسپاری ، و زبونانرا برآبرومندانشان چیره میکنی وپادشاهان هرگز گرفتار بلائی‌نشوند که بزرگتر ودردناکتر وبیشتر مایهٔ توهین سلطنت آنان باشد ازغلبهٔ أوباش وبی‌آبرویان ، باید بسختی برحذر باشی ازاینکه طائفهٔ أوباش را صاحب قدرت وحرکت درأمر کشور سازی ، زیرا چنانچه ازاین أوباش شورشی برعلیه لشکر تو وأهل کشور تو رخ دهد بلائی بدانها رسد که نتوان پیش بینی کرد و کسی را باقی نخواهند گذاشت ، از این نظر برگرد ونظر بهتری پیش گیر ، وهرآنکس از این بزرگان وشاهزادگان که دردسترس توأند بخواه وبنواز و کشورشان را میان آنها تقسیم کن ، وهرکدام را فرمانروای سرزمین کردی نام پادشاه براو بنه وتاجی برسراو بگذار واگرچه قلمرو فرمان او کوچك باشد ، زیرا هرکس را پادشاه خواندند بدین نام بچسبد وبرسر هرکه تاج نهند زیربارفرمان دیگری نرود ، واین تدبیر سبب گردد که میان آنها ستیزه وتفرقه ونزاع برسرملك وسلطنت درگیرد وبایکدیگر ازنظرمال وقشون مفاخرت آغازند تا آنکه کینه‌های تورا فراموش کنند ، وخونها که ازآنها ریختی بدست فراموشی سپارند ، وجنگی که باید باتو بنمایند بمیان خودشان برگردد ، وکینهٔ برتو که بایست در سینه ها پرورند بکینه میانه خودشان مبدّل گردد ، و سپس هرچه دراین زمینه بیناتر گردند وبمقام خود دل بسته‌ترشوند نسبت بتوخوش‌بین‌تر وراست کردارتر گردند ، اگر بدانها نزدیك شوی وازهریك آنها دلجوئی کنی نسبت بتواظهار اطاعت وانقیاد کنند ، واگرازآنها دوری گزینی ازتو عزّت وآبرو خواستار شوند تا آنکه هرکدام بنام و باعتبار پشتیبانی تو برهمسایه خود بشورد

وبوسیله لشکرتو اورا بترساند ودراین کشمکش وستیز ازتو صرفنظر کنند و باتو درمقام ستیزه درنیایند وتو از گزند آنها درآسایش باشی ، گرچه دراین روزگار آسایشی وجود ندارد واعتمادی بگذشت زمانه نیست .

من آنچه را بهره دانش وفکرت خود می‌دانستم بپیشگاه پادشاه عرضه داشتم این حقّی بود برعهدهٔ من که مخلصانه در پاسخ آنحضرت نگاشتم و اندرز بی‌شائبه خودرا بعرض رسانیدم ، ودرعین حال آن پادشاه از من بیناتراست واندیشه نافذتر و رأیی بهتر و همّتی والاتر نسبت بدانچه در باره آن از من کمك خواسته و مرا بتوضیح وشور در آن واداشته دارد .

همیشه پادشاه ازنعمتهای واصله و احسانهای بی‌دریغ برخوردار باد وملکش پاینده وعمرش دراز وآرزویش رسا باد تا آنجا که نیرویش بنهایت آنچه قدرت بشر رسا است برآید ، درودی بی‌انتها وپیوسته و بی‌نهایت وفناناپذیر برپادشاه باد .

مورّخان گفته اند : پادشاه برأی ارسطو عمل کرد ونظر او را بکار بست و شاهزادگان و آزادگان پارس را برسراسر کشور ایران جایگزین و فرمانروا ساخت ، وآنان همان پادشاهان ملوك الطوائف بودند که پس از او بجای ماندند وکشور ایران میان آنان تقسیم بود تا اردشیر بن بابك آمد وکشوررا ازآنها گرفت ومملکت را متّحد ساخت .

الفصل الخامس من عهده عليه السلام

وَ إِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ اَلْوُلاٰةِ اَسْتِقَامَةُ اَلْعَدْلِ فِي اَلْبِلاٰدِ ، وَ ظُهُورُ مَوَدَّةِ اَلرَّعِيَّةِ ، وَ أَنَّهُ لاٰ تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلاّٰ بِسَلاٰمَةِ صُدُورِهِمْ ، وَ لا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلاّٰ بِحِيطَتِهِمْ عَلىٰ وُلاٰةِ [اَلْأُمُورِ] أُمُورِهِمْ ، وَ قِلَّةِ اَسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ وَ تَرْكِ اَسْتِبْطاءِ اَنْقِطاعِ مُدَّتِهِمْ ، فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ ، وَ وَاصِلْ فِي

حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَ تَعْدِيدِ مَا أَبْلَىٰ ذَوُو ٱلْبَلَاءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ ٱلشُّجَاعَ ، وَ تُحَرِّضُ ٱلنَّاكِلَ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ .

ثُمَّ ٱعْرِفْ لِكُلِّ ٱمْرِىءٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَىٰ ، وَلَا تُضِيفَنَّ بَلَاءَ ٱمْرِىءٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ ، وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ ٱمْرِىءٍ إِلَىٰ أَنْ تُعَظِّمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً ، وَ لَا ضَعَةُ ٱمْرِىءٍ إِلَىٰ أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً .

وَ ٱرْدُدْ إِلَىٰ اللهِ وَ رَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ ٱلْخُطُوبِ وَ يَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْامُورِ ، فَقَدْ قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ :

« يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللهِ وَ الرَّسُولِ ٥٩ ـ النساء »

فَالرَّدُّ إِلَىٰ اللهِ : الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ ، وَ الرَّدُّ إِلَىٰ الرَّسُولِ : الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ ٱلْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ .

اللغة

(قرّة عين) لي وَلك : أى فرح وسرور لي ولك ، (الحيطة) على وزن الشيمة مصدر حاطه يحوطه حَوطاً وحياطةً وحيطةً : أى كلاه ورعاه ، (استثقال) استفعال من الثقل : تحمّل الشدّة والاستنكار بالقلب ، (بطؤ) بالضمّ ككرم بطاء ككتاب وأبطأ ضدّ أسرع ومنه الخبر : من بطأ به عمله لم ينفعه نسبه ، أى من أخره عمله السيىء وتفريطه في العمل الصالح لم ينفعه في الأخرة شرف النسب ، (فسحت) له

في المجلس فسحاً من باب نفع : فرجت له عن مكان يسعه و فسح المكان بالضمّ ، و أفسح لغة .

(تهزّ الشجاع) : يقال هزّه وهزّ به إذا حرّكه، (وتحرّض الناكل) : قوله تعالى : وحرّض المؤمنين على القتال ، أي حثّهم والتحريض الحثّ و الاحماء عليه ، (أبلى) : أي أظهر الاخلاص في الجهاد ، (لاتضيفنّ) : صيغة نهي مؤكّدة بالثقيلة من أضاف يضيف : لاتنسبنّ ، (ضعة) : اسم مصدر من وضع يضع أي خسّة مقامه وحسبه ، (ما يضلعك) : يقال ضلع بالفتح يضلع ضلعاً بالتسكين أي مال عن الحقّ وحمل مضلع أي مثقل ، (الخطوب) : وهذا خطب جليل أي أمر عظيم .

الاعراب

استقامة العدل : خبر قوله أفضل ، إلاّ بسلامة صدورهم : مستثنى مفرّغ ، ذووا : جمع ذا بمعنى صاحب : أي أصحاب الاخلاص في الجهاد ، ما أبلى : يحتمل أن يكون لفظة ما مصدريّة أي ابتلائه ويحتمل أن يكون موصولة بحذف العائد أي ما أبلا فيه ، دون : ظرف مضاف إلى قوله : غاية بلائه ، ولاضعة : عطف على قوله: شرف امرىء أي لايدعونّك ضعة امرىء ، من الخطوب : لفظة من بيانية ، غير المفرقة : صفة ثانية لقوله بسنّته .

المعنى

قد تعرّض عليه السلام في ضمن هذاالفصل المتعلّق بالجند و أمرائه للعدالة فقال : (وإنّ أفضل قرّة عين الولاة استقامة العدل في البلاد) وذلك لارتباط إجراء العدل في البلاد بالجند من وجوه شتّى نذكرها بعد التنبيه على نكتة مهمّة في المقام ، وهى أنّ الجند بمعناه العامّ هو المالك و القائم بالسيف في الرعيّة بحيث يكون القوّة و القدرة على إجراء الأمور بيده ، و قد تفرّع من الجند في النظامات العصرية ما يلي :

١ـ إدارة الشرطة العامّة الّتي تنظر إلى إجراء الأمن في البلاد بحراسة الأسواق و الطرق وطرد اللصوص وأخذهم ومعاقبتهم وطرد كلّ من يريد الاستفادة من الناس

من غير طريقها القانوني و المحافظ على الأمن من جهة المنع عن النزاع و المضاربة والمقاتلة و ارتكاب الجنايات بأنواعها .

٢ـ إدارة حفظ الانتظامات العامّة السائدة على إدارة الشرطة .

٣ـ إدارة الجيش الحافظ للأمن في البلاد تجاه هجوم الأعداء من الخارج .

و يرتبط العدل بالجند وفروعه من نواحٍ شتّى :

الف ـ من حيث أنّ كلّ سرقة أو جناية أو جنحة وقعت بين الناس فتعرض على إدارة الشرطة وهي الّتي تتصدّى لدفعها و تتعرّض لرفعها بعد وقوعها و تنظم أوراق الاعترافات وتشريح القضايا للعرض على المحاكمات فيكون مفتاح العدل بيد إدارة الشرطة من حيث انضباطها و حراستها للشعب حتّى لا توجد فرصة للّصوص فيسرقون متاع الناس وفرصة للنزاع والقتال فيحدث الجنايات بأنواعها ، فهذا مبدأ إجراء العدل في البلاد و من حيث رعاية الحقّ و الحقيقة في تنظيم أوراق الاعترافات والشهادات وتشريح القضايا وضبطها على حقيقتها للعرض على المحاكم و إحقاق حقّ المظلوم عن الظالم ، فلو كان الجند غير معتنين بحراسة الناس ونظارة الطرق والأسواق والدّور ليلاً ونهاراً لكثُر السرقة و الجناية واختلّ العدل والنظام ، ولو كان الجندي غير ديّن و غير أمين فيأخذ الرشوة ويقع تحت نفوذ ذوي القدرة فلا يضبط الاعترافات و أوراق الشهادات على ما تحكي عن الواقع و يدسّسها و يلطّخها بالرشوة أو غير ذلك فيختلّ الأمن و العدل ويكثر المظالم بين الشعب .

ب ـ من حيث أنّ الظلم وثلم سياج العدل ينشأ غالباً من القدرة فالمقتدر هو الّذي يطمع في أموال الضعفاء و أعراضهم ويتعرّض للعدوان والتجاوز ، فلمّا كان السيف و القدرة في يد الجندي فهو الّذي يتعرّض للظلم على أفراد الشعب . و قد ملىء كتب التواريخ من ارتكاب الأمراء والجنود الظلم على الناس من وجوه شتّى وأكثر من يقع منهم الظلم ويختلّ بهم العدل في كلّ عصر هم الّذين بيدهم السيف و السوط فيطمعون في أموال الناس و أعراضهم ويتجاوزون على حقوق غيرهم سيّما إذا كان الوالي نفسه ظالماً ومتجاوزاً فقد قال شاعر فارسي ما معناه :

لو أنّ الملك أكل تفّاحة من الرعيّة ظلماً و عدواناً يستأصل عبيده ألفاًمن شجرات التفّاح ظلماً وعدواناً .

ولوأخذالملك من الرعيّة خمس بيضات ظلماً يشوي جنده وعبيده ألف دجاجة من أموال الرعيّة ظلماً وعدواناً .

ج ـ من حيث أنّ اُمراء الجنود كثيراًما يطمحون إلى تحصيل مراتب أعلى ومناصب أغلى فيثيرون الفتن ويثوردون على الولاة فتقع هناك حروب وثورات تجرّ إلى القتل و النهب والأسر و يشتعل نار الفتنة فتعمّ الأبرياء و الضعفاء من النساء و الولدان و المرضى و من لاحرج عليهم ، و أكثر الفتن في التاريخ نشأت من مطامح و مطامع اُمراء الجيوش حتّى في صدر الاسلام و في حكومة النبي ﷺ ، فهذا خالد بن الوليد أمّره النبيّ ﷺ بعد فتح مكّة فعدا على بني جذيمة وقتل منهم رجالاً أبرياء فوصل الخبر إلى النبي ﷺ فنادى : اللهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا فعل خالد ، وبعث مولانا عليّ بن أبي طالب لتلافي خطأ خالد .

قال في سيرة ابن هشام « ص ٢٨٣ ج٢ ط مصر » : بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد حين افتتح مكّة داعياً و لم يبعثه مقاتلاً و معه قبائل من العرب : سليم بن منصور و مدلج بن مرّة فوطئوا بني جذيمة بن عامر بن كنانة ، فلمّا رآه القوم أخذوا سلاحهم ، فقال خالد : ضعوا السلاح فانّ الناس قد أسلموا ، قال ابن إسحاق : فحدّثني بعض أصحابنا من أهل العلم من بني جذيمة ـ إلى أن قال ـ فلمّا وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك فكتّفوا ثمّ عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم فلمّا انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ رفع يديه إلى السماء ثمّ قال: اللهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا صنع خالد بن الوليد .

قال ابن هشام : حدّثني بعض أهل العلم أنّه حدّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودي قال: قال رسول الله ﷺ : رأيت أنّي لقمت لقمة من حَيس(١) فالتذذت

(١) في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه و آله حين تزويج ميمونة اطعم الناس الحيس وهو بفتح المهملة والتحتانية تمر تنزع نواه ويدق مع القط ويعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد وربما جعل معه سويق ـ مجمع البحرين .

طعمها فاعترض في حلقي منها شيء حين ابتلعتها فأدخل عليّ يده فنزعه ، فقال أبوبكر الصديق « رض » : يا رسول الله ، هذه سرّية من سراياك تبعثها فيأتيك بها بعض ماتحبّ ويكون في بعضها اعتراض فتبعث علياً فيسهله .

قال ابن هشام : و حدّثني أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فقال رسول الله ﷺ : هل أنكر عليه أحد ؟ قال : نعم أنكر عليه رجل أبيض ربعة فنهمه خالد فسكت عنه ، و أنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فراجعه فاشتدّت مراجعتهما ، فقال عمر بن الخطّاب : أمّا الأوّل يا رسول الله ، فابنى عبدالله وأمّا الآخر فسالم مولى أبي حذيفة - إلى أن قال - ثمّ دعا رسول الله صلّى الله عليه و سلّم عليّ بن أبيطالب رضوان الله عليه فقال : يا علي اخرج إلى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم وأمر الجاهليّة تحت قدميك ، فخرج عليّ حتّى جائهم ومعه مال قد بعث به رسول الله فودي لهم الدماء وما أُصيب لهم من الأموال حتّى أنّه ليدى لهم ميلغة الكلب حتّى إذا لم يبق شيء من دمٍ و لا مالٍ إلاّ وداه ، بقيت معه بقيّة من المال فقال لهم عليٌّ حين فرغ منهم : هل بقي لكم بقيّة من دمٍ أو مالٍ لم يوديكم ؟ قالوا : لا ، قال : فانّي أُعطيكم هذه البقيّة من هذا المال احتياطاً لرسول الله ﷺ ممّا لايعلم و لاتعلمون ...

و قد ارتكب خالد هذا في صدر حكومة أبي بكر قتل مالك بن نويرة و أسر أهله وقبيله على وجه وضيع وفضيح ممّا فتّ في عضد العدل الاسلامي بما لم يتدارك بعد ، وإذا تصفّحت تاريخ أيّ شعب من الشعوب وتأمّلت في أحوالهم وجدت أكثر الفتن و المظالم والجنايات ناشئة من قبل الأمراء و رؤوس الجيوش ، وتمدّ إلى هذا العصر المضيء بالقوانين و النظامات الدولية العامّة الحائزة للأمم المتّحدة المحافظة على السلم و السلام في جميع الشعوب الملجأ لدفع المظالم عن الأبرياء و الضعفاء ومع ذلك لا تمضي سنة بل وأشهر حتّى تسمع ثورة عسكريّة ناشئة من أمراء الجيش هنا وهناك تتضمّن مقاتل ومظالم لاتحصى .

وقد نادى عليه السلام في هذا الفصل الّذي عقده في عهده التاريخي الّذي لامثيل له

بحفظ العدالة و نبّه على أنّ العدالة قرّة عين الولاة مشيراً إلى أنّ استقامة العدل في البلاد مرتبطة بالجند من نواحٍ كثيرة كما بيّناه .

ثمّ توجّه عليه السلام في هذا المقام إلى أهمّ ما يجب في نظام الدولة العادلة ، وهو أن يكون الحكومة حكومة الشعب و أن يرى الشعب الحكومة ناشئة منه و حافظة لمصالحه فيودّها و يحبّها عن ظهر قلبه ، فشرّح رابطة الأمّة و الشعب في حكومة كهذه في خمسة أمور جذرية:

١- ظهور مودّة الرعيّة و إظهارهم الحبّ لها .

٢- سلامة صدورهم بالنسبة إلى الحكومة و عدم الحقد و الخصومة بالنسبة إليها .

٣- إحاطتهم على ولاة الأمور إحاطةَ الولدان بالوالدِ مع إظهار الإخلاص و النصيحة لها

٤ - عدم استثقال إدامة الحكم و الدولة نفوراً عن مظالمها .

٥ - ترك تمنّي انقطاع مدّة غلبة الحكومة بزوالها رجاءاً للخلاص عن ظلمها وعدوانها .

وهذه هي امارات حكومة شعبيّة قائمة على درك الشعب ونيله لحقوقه السياسية المعبّر عنه بحكومة الشعب على الشعب المبني على الديموقراطيّة الأصيلة الصحيحة و إمارة حكومة كهذه هو حسن رابطة الجند مع الشعب والرعيّة بحيث يدرك الشعب أنّ الجند منه و له يحرس منافعه و يدفع عنه هجوم عدوّه و يحفظ على العدل والمساواة بين أفراده .

و ممّا لاشكّ أنّ أكثر الحكومات قامت على القهر والاضطهاد بالنسبة على الأمّة و الرعيّة خصوصاً في مبادىء تأسيسها في العصور القديمة و بقي في التاريخ أعلام حكومات نمرودية و فرعونية كسمات لرجال جبّار ظلاّم لايتوقّع منهم إلاّ الارهاب والنهب وربما يرتعد الفرائص من سماع أسمائهم بعد دفنهم في عمق التاريخ من زمن بعيد ، و إنّما يظهر قهر الحكومات الجبّارة واضطهادها للرعيّة على أيدي

الجند المأمورين لقهر الناس وقتلهم وأسرهم ، فكان الناس من زمن بعيد وفي أكثر الشعوب و الأمم يواجهون الجندي كعدوّ ظالم لاينتظر منه إلاّ الايلام و الارهاب فوصّى عليه السلام في ضمن عهده هذا إلى السعي لقلب هذه الرابطة بين الشعب والجند وتحويلها إلى رابطة ودّيّة أخويّة أسّس الاسلام حكومته عليها ، فانّه جعل وظائف الجند من الأمور العامّة ، و كلّف بها جميع الأمّة ففي عصر النبي صلى الله عليه وآله كلّ المسلمين جنود وجنود الاسلام كلّ مسلم بالغ عاقل ، فالجند الاسلامي ناشٍ عن صميم الأمّة فلم يكن هناك جند وشعب متمايزون حتّى يرهب الشعب من الجند و يتجاوز الجند على الشعب ، ولمّا توسّع الأمّة الاسلاميّة بالفتوحات المتواصلة المتوالية ودخل في ظلّ الاسلام شعوب شتّى لم يتّسم كلّها بسمة الجند الاسلامي وصّى عليه السلام في عهده هذا بحفظ الرابطة الودّيّة بين الجند وسائر أفراد الشعب بحيث لايدرك الشعب أنّ الجند صنف ممتاز عنه قاهر عليه وحاكم على أمره .

وصيته عليه السلام باحياء الفضيلة وحفظ الحقوق

ثمّ أمر عليه السلام بعدم التضييق على أمراء الجنود و حصرهم في درجة واحدة ، بل التوسيع عليهم في الارتقاء إلى درجات أعلى بحسب ما لهم من الاستعداد واللياقة لها فقال عليه السلام (فافسح في آمالهم) .

و هذا كما جرى في التاريخ من أمر طارق بن زياد في ما بعد فانّه أحد الأمراء و القوّاد الأمجاد الأفذاذ في تاريخ الفتوحات الاسلاميّة بلغته همّته إلى فتح الأندلس بعد استيلاء الجنود الاسلامية على سواحل البحر الأبيض من سوريّة ومصر إلى المغرب الأقصى إلى المراكش ، و يوجب ذلك عبر مضيق جبل الطارق و الزحف على بلاد العدوّ وراء البحر ولايرخص موسى بن نصير القائد العامّ للجنود الاسلاميّة في ذلك العصر لقصور همّته أو غبطته على فتحٍ كهذا من أحد قوّاده ، و لكنّ طارق عزم على ذلك و عبر مضيق البحر في سبعة آلاف جندي و فتح مملكة أندلس ، و أتى بآية كبيرة من الرجوليّة وعلوّ الهمّة في تاريخ الفتوحات العسكرية فصار أندلس مملكة إسلاميّة غنيّة بالتمدّن و العلم منذ ثمانية قرون بقيت آثارها

إلى عصرنا هذا ، و أمر عليه السلام بحسن الثناء على رجال كهذا و ضبط ما لهم من المآثر في الجهاد إحياءاً للفضيلة وترغيباً لسائر الأفراد القاصري الهمّ و الهمّة .

وصيته عليه السلام بالمساواة وترك التبعيض

المساواة والتآخي أصل إسلامي مال إليه كلّ الشعوب في هذه العصور الأخيرة المنيرة بالتفكير والاختراع ، وأُدرج في برنامج الحقوق العامّة البشريّة ، ولكن المقصود منه ليس تساوي الأفراد في النيل من شئون الحياة : الصالح منهم و الطالح والجادّ منهم والكسلان على نهج سواء ، بل المقصود منه نيل كلّ ذي حقّ حقّه من حظّ الحياة على حسب رتبته العلمية و جدّه في العمل ، فهذا الأصل يبتني على تعيين الحقوق ، وقد شرّح عليه السلام في هذا الفصل من كلامه هذا الأصل فقال (اعرف لكلّ امرىء منهم ما أبلى) فأمر بايصال حقّ الجهد والاخلاص إلى صاحبه و عرفان هذا الحقّ بما يوجبه من الرتبة والامتياز وفسّر التبعيض البغيض في أُمور :

١ـ إضافة جهد رجل إلى غيره واحتسابه لغير صاحبه .

٢ـ عدم استيفاء حقّ المجاهد الجادّ و التقصير في رعاية حقّه على ما يستحقّه .

٣ـ احتساب العمل الصغير من رجل شريف كبيراً رعايةً لشرفه .

٤ ـ استصغار عمل كبير من رجل وضيع بحساب ضعته .

فهذه هي التبعيضات الممنوعة الّتي توجب سلب الحقوق عن ذوي الحقوق .

توصيته عليه السلام برعاية القانون و تبيين معناه و التثبت عند الترديد و الاشتباه

فالقانون في الحكومة الاسلاميّة هو نصّ القرآن الصريح و سنّة الرسول الثابت الصحيح ، فكثيراً ما يعرض أُمور على الوالي يشكل عليه حكمها و يشتبه عليه أمرها من جهة العرض على القانون فيختلف في حكمها الآراء ويتولّد النزاع وقد بيّن الله حكمه بعد الأمر باطاعة القانون من وجوب إطاعة الله وإطاعة رسوله و إطاعة أُولى الأمر الحافظ للقانون بعد الرسول صلى الله عليه وآله فقال « و إن تنازعتم في

شيء فردّوه إلى الله والرسول » .

و ينبغي البحث في مفاد هذه الآية من وجهين :

الأول أنّ هذا التنازع الّذي يوجب في رفعه الرجوع إلى الله ورسوله هوما يقع بين أفراد الأمّة الاسلاميّة غير أولى الأمر الّذي أوجب طاعتهم في رديف طاعة الله و طاعة رسوله ، فيكون النزاع المردود إلى الله و رسوله تارة بين فردين من الأمّة ، و أخرى بين فرد أو جمع من الأمّة مع أولى الأمر ، أو مخصوص بالنزاع بين الأمّة غير أولى الأمر ، و لا بدّ من القول بأنّ هذا النزاع لايشمل أولى الأمر ، لأنّ أولى الأمر عدلوا واجب الطاعة كالله والرسول ولامعنى لوجوب طاعة أولى الأمر وتصوير النزاع معهم بحيث يردّ في رفعه إلى الله والرسول ، فأولوا الأمر مندرج في الرسول ولابدّ من كونهم معصومين ومصونين عن الخطاء و الاشتباه ولايجتمع وجوب طاعة أولى الأمر على الاطلاق مع كونهم طرفاً في النزاع .

الثاني أنّ هذا التنازع المبحوث عنه في الآية لابدّ وأن يكون في الشبهة الحكميّة و في العلم بكبرى كلّيّة للحكم الشرعي الّتي هو نصّ القانون المرجوع إليه ، كاختلاف الصحابة في وجوب الغسل من الدّخول بلا إنزال ، فأنكره جمع قائلين بأنّ الماء من الماء حتّى رجعوا إلى عموم قوله تعالى « أو لامستم النساء » الشامل للدّخول بلا إنزال ، و كالنزاع في حكم المجوس من حيث إنّهم أهل الكتاب فيشملهم حكم الجزية أم ملحقون بالكافر الحربي حتّى رجعوا بدلالة مولانا امير المؤمنين عليه السلام إلى أنّهم أهل كتاب لقوله تعالى « و أصحاب الرّس » ، و كالنزاع في أمر حلي الكعبة في زمان حكومة عمر ، فقال قوم بجواز بيعها وصرفها في تجهيز الجنود الاسلاميّة لتقوية عساكر الاسلام حتّى أرجعهم مولانا أمير المؤمنين إلى ما نزل في القرآن من أحكام الأموال و ما عمل به النبيّ صلى الله عليه وآله في حلي الكعبة من عدم التعرّض لها .

وأمّا في الشبهات الموضوعيّة فقد ينازع الأمّة مع النبي صلى الله عليه وآله نفسه كما وقع في موارد :

منها في الخروج من الحصون للحرب مع المشركين في أحد ، فرأى النبي أوّلاً التحصّن فردّ رأيَه أكثرُ الصحابة فرجع إلى قولهم و أفضى إلى هزيمة المسلمين وقتل مايزيد على سبعين من كبارالصحابة منهم حمزة بن عبدالمطلب ، وقد شرّع الشورى بين النبيّ والمسلمين بهذاالاعتبار فقال الله تعالى « وشاورهم في الأمر ـ ١٥٩ آل عمران » .

وقد أمر عليه السلام لرفع التنازع بالرجوع إلى محكم الكتاب فقال « فالردّ إلى الله : الأخذ بمحكم الكتاب » و الظاهر منه أنّ المرجع عند النزاع أوّلاً هو الرجوع إلى الآيات المحكمة من القرآن الّتي وصفها الله تعالى بأنّها أمّ الكتاب ، فقال تعالى : « هوالّذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكماتٌ هنّ أمّ الكتاب و أُخَرُ متشابهات ٧ ـ آل عمران » .

فما هي الاية المحكمة ؟

الآية المحكمة هي الّتي لها دلالة واضحة على المعنى يتوافق عرف اللسان الّذي نزل عليه القرآن على فهمه منها ، و المحكم بحسب الاصطلاح هو الجامع بين النصّ و الظاهر الّذي يتوافق عرف اللسان على فهمه من الكلام ، قال الشيخ البهائي في زبدته في مبحث الدلالات : اللفظ إن لم يحتمل غير ما يفهم منه لغةً فنصٌّ ، و إلاّ فالراجح ظاهر و المرجوح مأوّل و الجامع بين الأوّلين محكم وبين الأخيرين متشابه .

فالمحكم هو الظاهر الدلالة على المعنى المقصود مضافاً إلى كون معناه أمراً مفهوماً للعموم لتضمّنها حكماً عملياً أو أصلاً اعتقادياً كآيات الأحكام و ما يدلّ على التوحيد وصفات الله الجلاليّة والجماليّة .

فان لم تكن الآية ظاهرة الدلالة على المقصود كالحروف المقطّعة الواقعة في أوائل غير واحد من السور ، أو تدلّ على معنى مبهم غامض يحتاج إلى البيان والتوضيح كقوله تعالى « و يحمل عرش ربّك فوقهم يومئذٍ ثمانية ـ ١٧ ـ الحاقّة » فليست من الآيات المحكمة الّتي يرجع إليها عند الاختلاف .

فان لم تكن هناك آية محكمة ترفع النزاع فترجع إلى السنّة الجامعة الغير المفرقة و هى قول أو تقرير صادر عن النبيّ صلى الله عليه وآله مجمع عليها بين أصحابه و ثابت عند الأمّة ، و لم تكن النصوص و القضايا الصادرة عنه صلى الله عليه وآله المجمع عليها بين الأصحاب بقليل في ذلك العصر الّذي صدر هذا العهد الشريف .

ونختم هذا الفصل بنقل تفسير هذه الآية الشريفة عن « مجمع البيان » :

« يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا الله » أى ألزموا طاعة الله في ما أمركم به و نهاكم عنه « و أطيعوا الرسول » أى و ألزموا طاعة رسوله أيضاً ، و إنّما أفرد الأمر بطاعة الرسول و إن كانت طاعته مقترنة بطاعة الله ، مبالغةً في البيان و قطعاً لتوهّم من توهّم أنّه لا يجب لزوم ما ليس في القرآن من الأوامر - إلى أن قال - « و أُولى الأمر منكم » للمفسّرين فيه قولان : أحدهما أنّه الأُمراء عن أبي هريرة و ابن عبّاس في إحدى الروايتين و ميمون بن مهران و السّدي و اختاره الجبّائي و البلخي و الطبري ، و الآخر أنّهم العلماء عن جابر بن عبد الله و ابن عبّاس في الرواية الأُخرى ومجاهد و الحسن و عطا وجماعة ، وقال بعضهم : لأنّهم الّذين يرجع إليهم في الأحكام ويجب الرّجوع إليهم عند التنازع دون الولاة .

و أمّا أصحابنا فانّهم رووا عن الباقر والصادق عليهما السلام أنّ أُولى الأمر الأئمّة من آل محمّد صلى الله عليه وآله أوجب الله طاعتهم بالاطلاق كما أوجب طاعته و طاعة رسوله و لا يجوز أن يوجب الله طاعة أحد على الاطلاق إلاّ من ثبت عصمته و علم أنّ باطنه كظاهره وأمن منه الغلط ، و إلاّ يلزم الأمر بالقبيح وليس ذلك بحاصل في الأُمراء و لا العلماء سواهم ، جلّ الله أن يأمر بطاعة من يعصيه أو بالانقياد للمختلفين في القول والفعل ، لأنّه محال أن يطاع المختلفون كما أنّه محال أن يجتمع ما اختلفوا فيه ، وممّا يدلّ على ذلك أيضاً أنّ الله قرن طاعة أُولى الأمر بطاعة رسوله كما قرن طاعة رسوله بطاعته و أُولوا الأمر فوق الخلق جميعاً كما أنّ الرسول فوق أُولى الأمر وفوق سائر الخلق ، وهذه صفة أئمّة الهدى من آل محمّد الّذين ثبت إمامتهم وعصمتهم و اتّفقت الأمّة على علوّ رتبتهم و عدالتهم ، انتهى ما نقلناه عن التفسير.

الترجمة

وبراستی بهترین چیزی که باعث شادمانی ورضایت والیان‌است پابرجاشدن عدل وداد است دربلاد وظهور دوستداری رعیّت است نسبت بآنان ، و براستی که این گنجینهٔ دوستی ومهرورزی را از گنجدان دل آنان نتوان برآورد مگر باینکه

۱ـ سینه هاشان از کینه پاك باشد .

۲ـ خیرخواهی و اخلاص آنان نسبت بوالیان محقّق نشود مگر باینکه دوستانه وبا اطمینان خاطر گرد والیان برآیند وآن را بسود خود بدانند وسلطنت وتسلّط والي را برخود سنگین ونا روا نشمارند و برای زوال دولت و حکومت او روز شماره نکنند وبقاء حکومت اورا برخود ستم ندانند .

بـاید میدان آرزوی فرماندهان قشون را توسعه بخشی و راه ترقّي را در برابر آنها باز گزاری و از آنها ستایش کنی و خدمات ارزنده‌ای که انجام داده‌اند همیشه برشماری ودرنظر آری زیرا هرچه بیشتر خدمات خوب آنهارا یادآورشوی دلیران را بهتر برانگیزد و کناره گیران را تشویق بکار وخدمت باشد .

باید برای هر کدام حقّ خدمت او را منظور داری و خدمت یکی را بپای دیگری بحساب نیاوری و کمتر از آنچه هست نشماری ، شرافت و مقام هیچکس باعث نشود که خدمت اندك اورا بزرگ بحساب آوری وزبونی وبینوائی هیچکس سبب نشود که خدمت بزرگ اورا بکم گیری .

اگر تو را در احکام خدا و قانون شرع هدی مشکلی پیش آید و شبهه‌ای در حکمی بدلت شود خداوند خودش مردم را دراین‌باره ارشاد کرده وفرموده :

« أیا کسانی که گرویدید فرمان خدا را ببرید و فرمان رسول خدا را ببرید واز اولی الأمر را واگردربارهٔ حکمی میان شما اختلاف ونزاعی رخ داد آن را ازخدا ورسولش جویا شوید » ردّ حکم بخدا عبارت از عمل بآیات روشن قرآن است ، و ردّحکم و جویا شدنش از رسول خدا بمعنی رجوع بسنّت و روش مقرّر وثابت ومورد اتّفاق آنحضرت است که مورد اختلاف نباشد .

الفصل السادس من عهده عليه السلام

ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لاَ تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ ، وَ لا تَمْحَكُهُ الْخُصُومُ ، وَ لاَ يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ ، وَ لاَ يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ ، وَ لاَ تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ وَ لاَ يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ ، وَ أَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَ آخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ ، وَ أَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ ، وَ أَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الْأُمُورِ ، وَ أَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ مِمَّنْ لاَ يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ وَ لاَ يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ ، وَ أُولَئِكَ قَلِيلٌ ، ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ ، وَ افْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ ، وَ تَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ ، وَ أَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لاَ يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ ، لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ ، فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَراً بَلِيغاً ، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ ، يَعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى ، وَ تُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا .

اللغة

(الحكم) مصدر حكم يحكم وجاء منه حكّم تحكيماً و تحكّم تحكّماً وحاكم وتحاكم وهو إنشاء نفساني يتعلّق بالنسبة بين الموضوع و المحمول ايجاباً أو سلباً فيسمّى تصديقاً و خبراً إذا حكى عمّا ورائه ، ويحتمل الصدق ، والكذب وإنشاءاً

إذا لم يحك بأقسامه من الأمر و النهي و القسم و الدعاء و غير ذلك ، و ينسب إلى الشرع فيقال : الحكم الشرعي ، و هو طلب الشارع الفعل أو تركه مع استحقاق الذمّ بمخالفته أو بدونه أو تسويته و يتولّد منه الحكم الوضعي بأقسامه أو هو إنشاء مستقلّ في بعض صوره ، و الحكم الشرعي عند الأشاعرة خطاب الله المتعلّق بأفعال المكلّفين ، و هذا التفسير أعمّ و أتمّ ، و الحكم القضائي إنشاء إثبات حقّ لأحد المترافعين كما إذا أُقيم البيّنة أواعترف المدّعى عليه أو نفيه كما إذا أنكر و حلف ، (محك) الرجل : لجّ و ماحك زيدٌ عمراً : لاجّه ، (الزلّة) : موضع الخطر والمزلّة ، المزلق ، (الصرم) : القطع ، (لايزدهيه) : افتعال من الزهو وهو الكبر ، (الاطراء) : كثرة المدح ، (الاغتيال) : الأخذ على غرّة .

الاعراب

في نفسك : ظرف متعلّق بقوله أفضل ، ممّن : لفظة من للتبعيض و الظرف مستقرّ و حال من فاعل أفضل ، و أوقفهم : عطف على قوله أفضل ، قليل : خبر اولئك يستعمل في المفرد و الجمع ، ما يزيل علّته : لفظة ما اسميّة موصوفة بما بعدهاأى شيئاً أوبذلاً يزيل علّته ، له عندك : ظرفان متعلّقان بقوله اغتيال الرجال .

المعنى

يحتاج إدارة شئون الاجتماع إلى قانون كلّي يتضمّن تعيين الحقوق والحدود بين الأفراد على الوجه الكلّي ، و إلى قانون يتضمّن رفع الاختلاف بينهم عند النزاع و الخصومة في الحقوق الّتي يتضمّنها القوانين العامّة ، وإلى قوّة لإجراء هذه القوانين ، و من هنا يقسّمون قوى المجتمع الحاكمة على الشعب و الأمّة إلى القوّة المقنّنة و القوّة القضائيّة والقوّة المجرية ، و هذه القوى الثلاثة هى أركان إدارة شعب و أمّة متمدّنة مترقّية و لابدّ من استقلال كلّ هذه القوى في شئونها و عدم مداخلة أيّ منها في الشئون المتعلّقة بالقوّة الأخرى حتّى يستقيم الأمور و تتحقّق العدالة في المجتمع ويصل كلّ ذي حقّ إلى حقّه .

و قد تعرّض عليه السلام في هذا الفصل من عهده للأشتر عليه الرحمة حين ولاّه مصر إلى القوّة القضائيّة و ما يلزم في القاضي من الأوصاف و الألقاب ليكون أهلاً لتصدّي منصب القضاء و الحكم بين الناس فقال (ثمّ اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك) فقد أدرج عليه السلام في هذه الجملة استقلال القوّة القضائيّة حيث إنّ المتصدّي للقضاء لابدّ و أن يكون من أفضل أفراد الأمّة ، و إذا كان من أفضل أفراد الأمّة فيكون مستقلاً في أمره و لا يتسلّط عليه غيره لأنّ المفضول لايحكم على الفاضل والأفضل ، مضافاً إلى ما أكّد ذلك الاستقلال بما ذكره عليه السلام في آخر الفصل من قوله (و أعطه من المنزلة لديك ما لايطمع فيه غيره من خاصّتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك) .

ثمّ فسّر عليه السلام الأفضل بمن يحوز ألقاباً ستّة :

١ـ لا تضيق به الأمور لقلّة الاحاطة بوجوه تدبيرها و عدم قوّة التحليل و التجزية للقضايا الواردة عليه فيحار فيها و يعرضه الشكّ و الترديد في حلّها وفصلها .

٢ـ ولاتمحكه الخصوم ، قال في الشرح المعتزلي: جعله ماحكاً أى لجوجاً ، وقال ابن ميثم : أى يغلبه على الحقّ باللّجاج ، و قيل : ذلك كناية عن كونه ممّن يرتضيه الخصوم فلا تلاجّه ويقبل بأوّل قوله .

أقول : يمكن أن يكون كناية عن كونه بشدّة صلابته في أمره وهيبة ايمانه و تمسّكه بالحقّ بحيث لايطمع الخصوم في جعله محكاً يمتحنونه هل يقبل الرشوة أم لا وهل يؤثّر فيه التطميع و التهديد أم لا ؟

٣ـ و لا يتمادي في الزّلّة ، حيث إنّ القاضي في معرض الاشتباه دائماً من جهة تحيّل المترافعين و تشبّث كلّ واحد منهما فى جلب نظر القاضي إلى الاعتماد بكون الحقّ له فاذا عرض له رأى ثمّ كشف له أنّه خلاف الحقّ لايتمادي في الزّلّة ولايصعب عليه الرجوع إلى الحقّ .

٤ ـ لا يحصر من الرجوع إلي الحقّ إذا عرفه ، قال الشارح المعتزلي :

هو المعنى الأوّل بعينه ، إلاّ أنّ ها هنا زيادة ، و هو أنّه لا يحصر أى لايعيا في المنطق ، لأنّ من الناس من إذا زلّ حصر عن أن يرجع وأصابه كالفهاهة و العيّ و أضاف ابن ميثم أنّه لا يأبى للرجوع إلى الحقّ حفظاً لجاهه و خوفاً من الشنائة كما يفعله قضاة السوء .

٥ ـ أن لا يحدّث نفسه بالطمع في الاستفادة من المترافعين فيتوجّه إلى إلى الأوفر منهم ثروة أو جاهاً ليستفيد من ماله أو جاهه ، ثمّ يجرّه ذلك إلى أخذ الرشوة و الميل عن الحقّ و الحكم بخلاف الحقّ .

٦ـ أن يكون دقيقاً في كشف القضيّة المعروضة عليه محقّقاً لفهم الحقيقة ولايكتفي بالنظر السطحي في فهم صدق المتداعيين و كذبهم ، بل يكتنه القضيّة عن طرق كشف الجرم وعن طرق كشف الحقيقة وهى كثيرة غير محصورة جداً ، وقدظهر منه عليه السلام في قضاياه الكثيرة ما يقضي منه العجب .

فممّا ذكر من ذلك أنّه سافر عبد مع مولاً له شابّ فادّعى العبد أثناء السفر أنّه هو المالك لسيّده وأنّه عبده وعامل معه معاملة المسترقّ فدخلا كوفة و ترافعا عند عليّ عليه السلام و لم يكن هناك بيّنة لأحدهما ولم يعترف العبد المتجاوز للحقيقة بوجه من الوجوه ، فأحضرهما يوماً و أمر بحفر ثقبتين في جدار متعاكساً وأمرهما باخراج رأسهما من تلك الثقبتين ، ثمّ نادى بصوت عال ياقنبر اضرب عنق العبد ، فلمّا سمع العبد ذلك هابه وأخرج رأسه من الثقبة فوراً فصار ذلك اعترافاً له بالحقيقة ، و قد قرّر في محاكم هذه العصور طرائق هائلة في كشف الحقيقة و كشف الجرائم .

فهذه هى الصفات الّتي توجب فضيلة الفرد و تشكّل له شخصيّة رهيبة تؤهّله لتصدّي منصب القضاوة ، ولم يكتف عليه السلام بهذه الصفات حتّى أكملها بستّة أخرى فقال :

١ـ أوقف الرعيّة عند عروض الشبهة ، فلا يأخذ بأحد طرفي الشبهة حتّى يفحص و يبيّن له الحقّ بدليل علمي يوجب الاطمينان .

٢ـ آخذهم بالحجج ، فلايقصّر في جمع الدلائل والأمارات على فهم الحقيقة من أيّ طريق كان .

٣ـ و أقلّ الناس تضجّراً وقلقاً من مراجعة الخصوم ، فلاينهرهم و لا يصيح في وجوههم ليسع لهم بيان الحال و المآل فينكشف له الحقّ ولايضيع حقّ الخصوم قال الشارح المعتزلي: وهذه الخصلة من محاسن ماشرطه عليه السلام ، فانّ القلق والضجر والتبرّم قبيح و أقبح ما يكون من القاضي .

٤ـ أن يكون أصبر الناس على كشف حقيقة الأمور بالبحث و جمع الدلائل .

٥ـ أن يحكم عند وضوح الحقّ صريحاً و قاطعاً و لايؤخّر صدور الحكم .

٦ـ أن لا يؤثّر فيه المدح والثناء من المتداعيين أو غيرهما فيصير متكبّراً ولايؤثّر فيه تحريض الغير فيجلب نظره إلى أحد الخصمين .

وقد أعلن عليه السلام بعد بيان هذه الأوصاف بأنّ الواجدين لها قليل .

واعلم أنّ القضاوة من شئون النبوّة كما قال الله تعالى « فلاوربّك لايؤمنون حتّى يحكّموك فيما شجر بينهم ثمّ لايجدوا في أنفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليماً ٦٥ ـ النساء » فهي من شئون الرياسة العامّة على الدّين و الدّنيا الثابتة للنبيّ بالرسالة وللوصيّ بحكم الوصاية ، وقد ورد في الحديث أنّ مسند القضاوة مجلس لايجلسه إلاّ نبيّ أو وصيّ أوشقيّ ، فلابدّ من كسب هذا المنصب من النبيّ والوصيّ ، فلايجوز تصدّي القضاوة لأحد من عند نفسه وإن كان مجتهداً و واجداً لأوصاف القاضي .

قال في « الرياض » بعد ذكر شرائط القاضي : واعلم أنّه لابدّ مع اجتماع هذه الشرائط من إذن الامام بالقضاء لمستجمعها خصوصاً أوعموماً ، ولايكفي مجرّد اجتماعها فيه إجماعاً لما مضى من اتّفاق النصّ و الفتوى على اختصاصه عليه السلام بمنصب القضاء ، فلا يجوز لأحد التصرّف فيه إلاّ باذنه قطعاً و منه ينقدح الوجه في ماتّفقوا عليه من أنّه لاينعقد القضاء بنصب العوامّ له ، أي المستجمع للشرائط

أو غيره بالطريق الأولى بينهم قاضياً ، انتهى .

ثمّ استثنى بعد ذلك بقوله : نعم لو تراضى اثنان بواحد من الرعيّة فحكم بينهما لزم حكمه في حقّهما في المشهور بين أصحابنا بل لم ينقلوا فيه خلافاً أصلاً مستندين إلى وقوع ذلك في زمن الصحابة ولم ينكر أحد منهم ذلك ، انتهى .

أقول : لو تمّ الدليل على ذلك كان من موارد صدور الاذن على وجه العموم فكان قاضي التراضي قاضياً منصوباً بالأدلّة العامّة .

إلى أن قال : و مع عدم الامام ينفذ قضاء الفقيه من فقهاء أهل البيت عليهم السلام الجامع للصفات المشترطة في الفتوى لقول أبي عبدالله عليه السلام : فاجعلوه قاضياً فقد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه .

و قد نقل عن الشهيد الثاني في المسالك ما لفظه : ما تقدّم من اشتراط نصب القاضي و إن كان فقيهاً ومجتهداً وعدم نفوذ حكمه إلاّ مع التراضي به مختصّ بحال حضور الإمام وتمكّنه من نصب القضاة ، و أمّا مع عدم ذلك إمّا لغيبته أو لعدم بسط يده فيسقط هذا الشرط من جملة الشروط وهو نصب الامام ، انتهى .

ثمّ قال : و ينفذ عندنا قضاء الفقيه العدل الامامي الجامع لباقي الشروط وإن لم يتراض الخصمان بقوله لقول أبي عبدالله عليه السلام لأبي خديجة : إيّاكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم قاضياً فإنّي قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه ـ إلى أن قال : وقريب منها رواية عمر بن حنظلة ، قال : سألت أباعبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أ يحلّ ذلك ؟ فقال عليه السلام من تحاكم إلى الطاغوت فحكم له فانّما يأخذه سحقاً و إن كان حقّه ثابتاً لأنّه أخذ بحكم الطاغوت وقد أمر الله تعالى أن يكفر به ، قلت : كيف يصنعان ؟ قال : انظروا إلى من كان منكم روى حديثنا ونظر في حلالنا و حرامنا وعرف أحكامنا فارضوا به حكماً فانّي قد جعلته عليكم حاكماً ـ الخ .

أقول : يستفاد من الحديثين أنّ الامام نصب الفقيه الجامع للشرائط قاضياً

على وجه العموم فليس هناك استثناء عن اشتراط القضاء باذن الامام ، وظاهر الفقهاء أنّ القاضي يلزم أن يكون مجتهداً مطلقاً فلايجوز للمتجزّي تصدّي القضاء و إن كان استفادة ذلك من المحدثين مشكل .

و اعلم أنّه قد ذكر الفقهاء للقاضي شرائط كما يلي :

قال في الرياض : و اعلم أنّ الصفات المشترطة فيه ستّة : التكليف بالبلوغ و كمال العقل ، والايمان بالمعنى الأخصّ أي الاعتقاد بالأصول الخمسة ، والعدالة و طهارة المولد عن الزنا ، و العلم و لو بالمعنى الشامل للظنّ الاجتهادي بالحكم الشرعي القائم مقامه بالدليل القطعي فانّه في الحقيقة علم ولو بوسيلة الظنّ فانّه في طريق الحكم لا نفسه ، و الذكورة ، بلا خلاف في شيء من ذلك أجده بيننا بل عليه الاجماع في عبائر جماعة كالمسالك وغيره في الجميع - إلى أن قال : ولابدّ أن يكون ضابطاً فلو غلبه النسيان لم ينعقد له القضاء ، و هل يشترط علمه بالكتابة ؟ الأشبه نعم - إلى أن قال : و لا ينعقد القضاء للمرأة و في انعقاده للأعمى تردّد إلى أن قال : و الأقرب الأشهر أنّه لا ينعقد له القضاء - انتهى .

أقول : لاينطبق ماذكره الفقهاء من شرائط القاضي على ما ذكره عليه السلام في هذا الفصل من الصفات الاثنتى عشر للقاضي فانّ كلامه عليه السلام يخلو من كثير من هذه الشرائط كشرط الايمان بالمعنى الأخصّ ، كيف وقد نصب شريحاً قاضياً فى أيّام حكومته ولم يكن مؤمناً بالمعنى الأخصّ كما أنّ كلامه خالٍ عن اشتراط الذكورة و طهارة المولد ، إلاّ أن يقال إنّ هذه الشرائط يستفاد من فحوى كلامه فانّها دون ما ذكره عليه السلام من الشرائط للقاضي بكثير مع التوجّه إلى قوله عليه السلام (و أولئك قليل) .

وهل يشترط هذه الشرائط الّتي عدّدها عليه السلام في القاضي على وجه الوجوب فلايجوز نصب القاضي الفاقد لأحد هذه الشروط مطلقاً أو عند وجود واجد هذه الشرائط ؟ ظاهر كلام الفقهاء عدم وجوب رعاية وجود كلّ هذه الشرائط في القاضي وقد ذكروا بعضها من صفات مستحبّة له .

قال في الرياض : النظر الثاني في الآداب وهي قسمان : مستحبّة ومكروهة و لم يرد بكثير منها نصٌّ و لا رواية و لكن ذكرها الأصحاب فلا بأس بمتابعتهم مسامحة في أدلّة السنن و الكراهة ، فالمستحبّ إشعار رعيّته و أخبارهم بوصوله إن إن لم يشتهر خبره ، و الجلوس في قضائه في موضع بارز مثل رحبة أو فضاء يسهل الوصول إليه ، ويكون مستقبل القبلة في جلوسه لتحصيل الفضيلة على قول والأكثر على استحبابه ، مستدبر القبلة ليكون وجوه الناس إليها نظراً إلى عموم المصلحة و أن يأخذ مبتدءاً ما في يد الحاكم المعزول من حجج الناس و ودائعهم - إلى أن قال : و السؤال بعد ذلك عن أهل السجون و إثبات أسمائهم و البحث عن موجب اعتقالهم وحبسهم ليطلق من يجب إطلاقه ، و يستحبّ تفريق الشهود عند الإقامة ، فإنّه أوثق خصوصاً في موضع الريبة عدا ذوي البصائر و الشأن من العلماء والصلحاء الأعيان فلايستحبّ تفريقهم بل يكره وربّما يحرم لما يتضمّن تفريقهم من الغضاضة و المهانة بهم بل ربما يحصل في ذلك كسر قلوبهم ، و أن يستحضر من أهل العلم و الاجتهاد من يعاونه في المسائل المشتبهة .

و المكروهات : الاحتجاب أي اتّخاذ الحاجب وقت القضاء ، للنبوي : من ولي شيئاً من أمور الناس فاحتجب دون حاجتهم و فاقتهم احتجب الله تعالى دون حاجته وفاقته وفقره - إلى أن قال : و أن يقضي مع ما يشغل النفس كالغضب لغير الله تعالى والجوع و العطش و المرض و غلبة النعاس و مدافعة الأخبثين ونحو ذلك من المشغلات كما يستفاد من الأخبار ففي النبوي : لايقضي وهو غضبان ، وفي آخر : لايقضي إلاّ و هو شبعان - إلى أن قال : و أن يرتّب و يعيّن قوماً للشهادة دون غيرهم لما يترتّب عليه من التضييق على الناس و الغضاضة من العدل الغير المرتّب ، ونقل قول بتحريمه نظراً إلى أنّ ذلك موجب لإبطال شهادة مقبولي الشهادة فانّه ربما يتحمّل الشهادة غيرهم فاذا لم تقبل شهادتهم ضاع الحقّ عن أهله و قد قال سبحانه « و أشهدوا ذوي عدل منكم » فأطلق ، انتهى .

وقال في مبحث وظائف الحكم و آدابه : وهي أربع : الأولى يجب على القاضي

التسوية بين الخصوم في السلام عليهما وردّه إذا سلّما عليه ، والكلام معهما و المكان لهما فيجلسهما بين يديه معاً ، و النظر إليهما و الإنصات والإستماع لكلامهما ، و العدل في الحكم بينهما و غيرذلك من أنواع الإكرام كالاذن في الدخول و طلاقة الوجه للنصوص المستفيضة - إلى أن قال : من جملته قول علي عليه السلام لشريح : ثمّ واس بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك حتّى لايطمع قريبك في حيفك ، ولا ييأس عدوّك من عدلك ، انتهى .

وقد ذكر الشارح المعتزلي في هذا الشأن حديثاً كما يلي :

واستعدى رجل على علي بن أبي طالب عليه السلام عمر بن الخطاب وعليٌّ جالس ، فالتفت عمر إليه ، فقال : قم يا أبا الحسن فاجلس مع خصمك ، فقام فجلس معه و تناظرا ثمّ انصرف الرجل ورجع علي عليه السلام إلى محلّه ، فتبيّن عمر التغيّر في وجهه ، فقال: يا أباالحسن ، مالي أراك متغيّراً ، أكرهت ماكان ؟ قال : نعم ، قال : وما ذاك ؟ قال : كنّيتني بحضرة خصمي ، هلاّ قلت : قم يا عليّ فاجلس مع خصمك ، فاعتنق عمر علياً ، وجعل يقبّل وجهه ، وقال : بأبي أنتم بكم هدا نا الله و بكم أخرجنا من الظلمة إلى النور .

ونذكر في آخر هذا الفصل ما ذكره الشارح المعتزلي في آداب القاضي نقلاً عن الفقهاء :

قال : وقد ذكر الفقهاء في آداب القاضي اُموراً ، قالوا :

لا يجوز أن يقبل هديّة في أيّام القضاء ، و لا يجوز قبولها في أيّام القضاء ممّن له حكومة وخصومة و إن كان ممّن له عادة قديمة ، و كذلك إن كانت الهديّة أنفس و أرفع ممّا كانت قبل أيّام القضاء لايجوز قبولها ، ويجوز أن يحضر القاضي الولائم و لا يحضر عند قوم دون قوم لأنّ التخصيص يُشعر بالمَيل ، و يجوز أن يعود المرضى ، و يشهد الجنائز ، و يأتي مقدم الغائب ، و يكره له مباشرة البيع و الشراء ، و لايجوز أن يقضي و هو غضبان ، و لا جائع و لا عطشان ، ولا في حال الحزن الشديد ، ولا الفرح الشديد ، و لايقضي و النعاس يعانيه ، و المرض يقلقه ،

و لا هو يدافع الأخبثين ، و لا في حرّ مزعج ، و لا في برد مزعج ، و ينبغي أن يجلس للحكم في موضع بارز يصل إليه كلّ أحد ، و لا يحتجب إلاّ لعذر ، و يستحبّ أن يكون مجلسه فسيحاً لا يتأذّى بذلك هو أيضاً ، ويكره الجلوس في المساجد للقضاء ، فان احتاج إلى وكلاء جاز أن يتّخذهم ويوصيهم بالرفق بالخصوم ويستحبّ أن يكون له حبس ، وأن يتّخذ كاتباً إن احتاج إليه ومن شرط كاتبه أن يكون عارفاً بما يكتب به عن القضاء ، و اختلف في جواز كونه ذمّياً ، و الأظهر أنّه لايجوز ، ولايجوز أن يكون كاتبه فاسقاً ، ولايجوز أن يكون الشهود عنده قوماً معيّنين بل الشهادة عامّة في من استكمل شروطها .

و اعلم أنّه من المقرّر في القوانين القضائيّة في هذا العصر أنّ الحكم الصادر في قضيّة واحدة يقبل النقض مرّتين ، فقسّموا الدائرة القضائيّة إلى ثلاث مراتب :

المحكمة الابتدائيّة الّتي يعرض عليها القضيّة أوّل مرّة فاذا صدر حكم من قاضي هذه المحكمة يكون لمن صدر الحكم عليه أن يعرضه على محكمة الاستيناف ويطلب تجديد النظر فيه ، ويجوز لقاضي محكمة الاستيناف نقض الحكم إن رأى فيه خللاً من حيث القوانين القضائيّة ، فان أبرمه فلمن هو عليه أن يعرضه مرّة ثالثة إلى محكمة أعلى وهي محكمة التميز ، فلها أن ينقضه إن رأت فيه خللاً فان أبرمته يصير قطعياً باتاً لا يقبل النقض ، و قد أشار عليه السلام إلى هذه المراتب الثلاثة في ضمن هذا الفصل ، فقوله عليه السلام (و لا يحصر من الفيء إلى الحقّ إذا عرفه) إشارة إلى الحكم الاستيناني ، فإنّ الرجوع إلى الحقّ إنّما يكون بعد صدور حكم ابتدائي في القضيّة المعروضة على محكمة القضاء ، ثمّ أشار إلى الدرجة الثالثة بقوله (و أكثر تعاهد قضائه) فإنّ تعاهد القضاء و الفحص عنها من قبل الوالي يشمل الأحكام الصادرة في القضايا المعروضة ، وفائدة الفحص والتعاهد عنها إنّما يكون في نقضها إذا رأى الوالي فيها خللاً .

ثمّ أوصى للقضاة بوفور البذل لهم بحيث يكفي لمؤونتهم و سدّ حاجاتهم ،

فلا يؤدّيهم ضيق المعيشة إلى أخذ الرشوة والميل عن الحق .

ثمّ أوصى بحفظ جانبهم و إعطاء المنزلة العالية لهم عند الوالي بحيث لا يجترىء أحد على انتقادهم لدى الوالي و حطّ رتبتهم ليكون ذلك مظنّة لتهديدهم من قبل ذوي النفوذ بالسعي في عزلهم إذا لم يوافقوا لما أرادوا منهم من الميل عن الحق بنفعهم و المقصود من هذه الجملة حفظ استقلال القوّة القضائية عن القوّة المقنّنة و القوّة المجرية و عدم تدخّل أحد فيها حتّى يطمئنّ القاضي بنفسه و يعتقد أنّه لا يحول بينه و بين تشخيص الحق في القضيّة المعروضة عليه أحد ، فيفحص عن الحق و يميّزه و يحكم به من دون خوف ولا وجل .

الترجمة

سپس برگزين براى قضاوت ميان مردم در اختلافات آنها بهترين رعاياى خود را در نظرخودت از كسانى كه داراى اين صفات باشند :

١ـ كارها بر آنها مشكل نگردند و در حلّ و فصل آنها درنمانند .

٢ـ اهل دعوى آنها را به لجبازى نكشند و در معرض امتحان نياورند .

٣ـ اگر بلغزش و خطائى دچار شدند دنبال آن نروند و بمحض اينكه فهميدند بحق برگردند .

٤ـ رجوع و برگشت بحق پس از فهميدن آن بر آنها دشوار و ناهموار نباشد .

٥ـ خود را در پرتگاه طمع نكشند و پيرامون آن نگردند .

٦ـ بفهم سطحي و ابتدائي در قضايا اكتفاء نكنند ودنبال فهم نهائي وتحقيق كافي باشند .

با اين حال ، از همه مردم در مورد شبهه و ابهام حق محتاط‌تر باشند ، واز همه بيشتر دنبال دليل وحجّت براى روشن شدن حق بگردند ، واز مراجعت أهل دعوى دلگيروتنگ‌خلق نشوند ، و از همه كس براى كشف حقيقت بردبارتر باشند وچون حق را روشن و گويا فهميدند درصدورحكم قاطع باشند .

از کسانی باشند که ستایش آنها را فریفته و خود بین نسازد وتشویق وترغیب در آنها مؤثر نگردد ودل آنها را نبرد ، اینان کمیابند .

سپس بسیار ازقضاوت آنها بازرسی کن و بجریان کار آنها مطّلع باش وبرای قاضي بخشش فراوان کن وحقوق مکفي مقرّردار بأندازه‌ای که رفع نیاز او را بکند وحاجت وی را بمردم دیگر بحدّ أقل برساند .

برای او درنزد خود مقامی بس منیع مقرّردار که هیچکدام ازخواص کار ـ گزاران تو بدان مقام طمع نورزند تا بدینوسیله ازدستبرد مردان دیگردرپیشگاه تو نسبت بخود مصون باشند ، دراین باره نظری رسا داشته باش زیرا این‌دین بدست مردمی بد اسیر بوده‌است ، وبهوی وهوس درآن‌عمل می‌شده وآنرا وسیله برآوردن آرزوهای شیطاني کردند وبوسیله آن دنیاطلبی نمودند .

الفصل السابع من عهده عليه السلام

ثُمَّ انْظُرْ في أُمورِ عُمّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِباراً ، وَ لا تُوَلِّهِمْ مُحاباةً وَ أَثَرَةً ، فَإِنَّهُمْ [فَإِنَّهُما] جِماعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيانَةِ ، وَ تَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَ الْحَياءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتاتِ الصّالِحَةِ ، وَ الْقَدَمِ في الْإِسْلامِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاقاً ، وَ أَصَحُّ أَعْراضاً وَ أَقَلُّ في الْمَطامِعِ إِشْرافاً ، وَ أَبْلَغُ في عَواقِبِ الْامورِ نَظَراً ، ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزاقَ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلاحِ أَنْفُسِهِمْ ، وَ غِنىً لَهُمْ عَنْ تَناوُلِ ما تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ، وَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خالَفُوا أَمْرَكَ ، أَوْ ثَلَمُوا أَمانَتَكَ ، ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمالَهُمْ ، وَ ابْعَثِ الْعُيُونَ

مِنْ أَهْلِ ٱلصِّدْقِ وَ ٱلْوَفاءِ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ تَعاهُدَكَ فِي ٱلسِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى ٱسْتِعْمالِ ٱلْأَمانَةِ ، وَ ٱلرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ ، وَ تَحَفَّظْ مِنَ ٱلْأَعْوانِ ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلى خِيانَةٍ ٱجْتَمَعَتْ بِها عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبارُ عُيُونِكَ ٱكْتَفَيْتَ بِذٰلِكَ شاهِداً ، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ ٱلْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ ، وَ أَخَذْتَهُ بِما أَصابَ مِنْ عَمَلِهِ ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقامِ ٱلْمَذَلَّةِ ، وَ وَسَمْتَهُ بِٱلْخِيانَةِ ، وَ قَلَّدْتَهُ عارَ ٱلتُّهَمَةِ .

وَ تَفَقَّدْ أَمْرَ ٱلْخَراجِ بِما يُصْلِحُ أَهْلَهُ ، فَإِنَّ فِي صَلاحِهِ وَ صَلاحِهِمْ صَلاحاً لِمَنْ سِواهُمْ ، وَ لا صَلاحَ لِمَنْ سِواهُمْ إِلّا بِهِمْ ، لِأَنَّ ٱلنّاسَ كُلَّهُمْ عِيالٌ عَلَى ٱلْخَراجِ وَ أَهْلِهِ ، وَ لْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمارَةِ ٱلْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي ٱسْتِجْلابِ ٱلْخَراجِ ، لِأَنَّ ذٰلِكَ لا يُدْرَكُ إِلّا بِٱلْعِمارَةِ ، وَ مَنْ طَلَبَ ٱلْخَراجَ بِغَيْرِ عِمارَةٍ أَخْرَبَ ٱلْبِلادَ ، وَ أَهْلَكَ ٱلْعِبادَ ، وَ لَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلّا قَلِيلاً ، فَإِنْ شَكَوْا ثِقْلاً أَوْ عِلَّةً أَوِ ٱنْقِطاعَ شِرْبٍ أَوْ بالَّةٍ أَوْ إِحالَةَ أَرْضٍ ٱغْتَمَرَها غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِها عَطَشٌ خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِما تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ ، وَ لا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ ٱلْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ ، فَإِنَّهُ

ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ ، وَ تَزْيِينِ وِلَايَتِكَ ، مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ ، وَ تَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ ، مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ ، وَ الثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَ رِفْقِكَ بِهِمْ ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ ، فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ ، وَ إِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا ، وَ إِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ ، وَ سُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ ، وَ قِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ .

اللغة

(المحاباة) : المعاطاة و العطاء بلاعوض ، (الاثرة) : الاستبداد و الانعام للحبّ و المودّة ، (الجماع) : الجمع ، (التوخّي) : التقصّد ، ثلمت الاناء من باب ضرب : كسرته من حافته ، الثلمة كبرمة : الخلل الواقع في الحائط و غيره ، (الحدوة) : الحثّ ، (وسمه) وسماً و سمة : أثّر فيه بسمة و كيّ ، والميسم بكسر الميم اسم الآلة الّتي يكوى بها ، يقال (ثقل) الشيء بالضمّ ثقلاً وزان عنب ويسكن للتخفيف فهو ثقيل ، (الشرب) : النصيب من الماء ، (البالّة) : القليل من الماء يبلّ به الأرض ، والظاهر أنّه في الأراضي الّتي يسقيه الأمطار فحسبُ ، فاذا قلّت الأمطار يقال : أصيب بالبالّة ، (أحالت) الأرض : تغيرت عمّا عليه من الاستواء فلم ينجب زرعها ولا أثمر نخلها ، وذلك يكون على أثر السيول والأمطار الغزيرة (البجح) : الفرح ، يقال : بجح بالشيء بالكسر وبالفتح لغة ضعيفة و بجحته فتبجّح : أى فرحته ففرح و في حديث : أهل الجنّة في خيراتها يتبجّحون ، (معتمداً) : قاصداً ، (الاجام) : الاراحة ، (الاعواز) : الفقر .

الاعراب

اختباراً : مفعول له لقوله فاستعملهم ، محاباةً : مفعول له لقوله لاتولّهم ، توخّ : أمر من توخّى يتوخّى ، و أهل التجربة مفعوله ، المتقدّمة : صفة لقوله البيوتات ، أخلاقاً : منصوب على التميز من النسبة في قوله أكرم ، ما تحت أيديهم : ما موصولة و تحت أيديهم ظرف مستقرّ صلة و العائد محذوف أو مستتر في الظرف باعتبار متعلّقه المقدّر و يحتمل أن تكون موصوفة و مابعدها صفتها أى شيئاً تحت أيديهم ، فان أحد منهم : أحد فاعل فعل مضمر يفسّره قوله : بسط يده إلى خيانة اكتفيت بذلك شاهداً : جملة فعليّة حاليّة وقوله فبسطت عليه العقوبة جزاءالشرط ، بما يصلح أهله : ما موصولة و ما بعدها صلتها ، سواهم : ظرف مستقرّ صلة لقوله من في لمن ، إلّا بهم : استثناء مفرّغ ، خفّفت عنهم : جزاءشرط لقوله فان شكوا ، معتمداً : حال عن المخاطب ، من بعدُ : بضمّ بعد مبنيّاً لكون المضاف إليه المحذوف منوياً أى بعد ذلك الارفاق ، طيّبةً : حال ، من إعواز : من هنا للتعليل .

المعنى

قد انبسط النظم السياسي للبلاد في هذه العصور فيتشكّل الحكومة من رئيس أو ملك يعيّن وزراء عديدة لكلّ شأن من شئون البلد ، فوزير للحرب ، و وزير للماليّة ، و وزير للأمور الداخليّة ، ووزير للأمور الخارجيّة ، ووزير للعلوم ، ووزير للاشغال العامّة ، وهكذا ، و ربما يزيد الوزراء على عشرين وزيراً و يتشكّل كلّ وزارة من مديريّات و إدارات كثيرة يشتغل في أمورها خلق كثير ، و لكنّ النظم السياسي في صدر حكومة الاسلام كان بسيطاً جداً ، و هذا هو العلّة الرئيسيّة لتقدّم الاسلام ونفوذه في الأمم والشعوب ، فكان ينبعث من قبل الخليفة لكلّ ناحية عامل ، و الشغل الرئيسي لهذا العامل مهما كان مدار عمله وسيعاً أمران :

١ـ إقامة الصلاة للناس بامامته فكان حضور الجماعة و الصلاة خلف العامل واجباً على كلّ المكلّفين فيحضرون المسجد كلّ يوم في مواقيت الصلوات الخمسة و يصطفّون وراء العامل فيصلّي بهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمة في صلاته ويلقّنهم

العقائد الاسلاميّة ويدرّبهم للاصطفاف تجاه العدوّ في ميادين الجهاد ، فكانت جامعة الصلاة مدرسة للمعارف و تعليم النظامات العسكريّة لكلّ مسلم ، و لايشغل منه إلاّ مقدار ساعتين في كلّ يوم وليلة ، و يكون له الفرصة الكافية أن يذهب وراء مشاغله وحرفه المعتادة .

٢ـ جمع الخراج من الدهاقين والزارعين ويدخل في ضمنه الجزية المفروضة على أهل الكتاب الداخلين في ذمّة الاسلام من اليهود و النصارى و المجوس ، و هم الأكثرون عدداً في هذا العصر المشتغلون بأمر الزراعة و العمران في شتّى نواحي البلاد الاسلاميّة الممتدّة من إفريقيا إلى حدود الصين ، فكان شخصيّة الوالي هي النقطة الرئيسيّة في استقامة نظم البلاد الاسلاميّة و صحّة مسير الاسلام نحو التقدّم و الازدهار و نحو هدفه الاساسي الّذي هو هداية الناس كافّة كما قال الله تعالى : « و ما أرسلناك إلاّ كافّة للناس بشيراً و نذيراً ، ٢٨ ـ السبأ » و لا يوصل إلى هذا الهدف الرئيسي إلاّ برعاية القوانين الاسلاميّة و بثّ العدل الاسلامي و رعاية نوع البشر و إزائة طريق سعادته بالسيرة و العمل ، فكان وظيفة العامل ثقيلة و دقيقة ، ومن هذه الجهة أوصى لانتخاب العمّال بقوله (فاستعملهم اختباراً) .

قال في الشرح المعتزلي « ج١٧ص٢٩ طمصر »: وهم عمّال السواد والصدقات والوقوف و المصالح و غيرها ، فأمره أن يستعملهم بعد اختبارهم و تجربتهم و أن لايولّيهم محاباة لهم و لمن يشفع فيهم ولا إثرة ولا إنعاماً عليهم .

أقول : لاوجه لاختصاص كلامه بصنف من العمّال ، بل المقصود منه مطلق العمّال ومن يلي أمر ناحية من البلاد ، والاثرة هو إظهار المحبّة لأحد أو التعطّف له لتودّده أو حاجته أو غير ذلك من الدواعي الخصوصيّة ، و في نسخة ابن ميثم : « فانّهم جماع من الجور و الخيانة » .

فالمقصود أنّ العمّال الشاغلين للأعمال في زمان عثمان و من تقدّمه كانوا جمعاً من شعب الجور و الخيانة ، فإنّ الخلفاء الّذين تقمّصوا الخلافة بغير حقّ و يخافون على مقامهم من ثورة طلاّب الحقّ و يستعملون في أعمالهم من يوافقهم

في نفاقهم و يعينهم على جورهم وشقاقهم ممّن ينحرف عن الحقّ و يميل إلى الباطل لضعف عقيدته ورقّة ديانته و أيمانه .

فانظر إلى أبي بكر المتحفّظ على الظاهر و المتظاهر بحفظ السيرة النبويّة قداختار خالد بن وليد المنحرف عن أهل بيت النبوّة والحاسد الحاقد على مركز الولاية عليّ بن أبي طالب أمير الأمراء في حكومته وفوّض إليه قوّة السيف الاسلامي و لقّبه سيف الله و سيف شهره رسول الله مع وجود مآت من الأبطال في الأصحاب ممّن لهم القدمة في الاسلام والاخلاص والنصيحة . فارتكب خالد جنايات وفضائح في العالم الاسلامي يقشعرّ الأبدان من سماعها .

وهذا عمر استعمل على الكوفة و هي أحد الثغور الاسلاميّة الرئيسيّة بما لها من الوسعة الشاملة من حدود نجد إلى تخوم خراسان مغيرة بن شعبة أحد أعداء أمير المؤمنين الألدّاء ، و هو رجل الجناية و الخيانة من عصره الجاهلي قد التجأ بالاسلام على أثر جناية و خيانة فضيحة ارتكبها كما في سيرة ابن هشام « ص ٢١٣ ج ٢ ط مصر » قال الزهري في حديثه : ثمّ بعثوا إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي - إلى أن قال : ثمّ جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ و هو يكلّمه قال : و المغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ في الحديد قال : فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ و يقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لاتصل إليك « أى المقرعة » قال : و يقول عروة : ويحك ما أفظّك و أغلظك ؟! قال : فتبسّم رسول الله ﷺ فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ، قال : أى غدر ، و هل غسلت سوأتك إلاّ بالأمس ، قال ابن هشام : أراد عروة بقوله هذا أنّ المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلاً من بنى مالك من ثقيف فتهايج الحيّان من ثقيف بنو مالك رهط المقتولين و الأحلاف رهط المغيرة فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية و أصلح ذلك الأمر ، انتهى .

أقول : و كان قتلهم غدراً لأخذ هداياهم الّتي أعطاهم ملك اليمن فأخذها

و فرّ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلم و عرضها على رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يقبلها ، فارتكب في أيّام عمله في الكوفة فضيحة الزنا و هو محصن مع اُمّ جميل امرأة ذات بعل على ضوء النهار فاطّلع على زناه أربعة من الصحابة و التابعين العاملين في دار الحكومة منهم زياد بن أبيه فعرضوا أمره إلى عمر فطلبه و الشهود إلى المدينة و حاكمه بنفسه و أدّى ثلاثة من الشهود شهادة تامّة على ارتكابه الزنا ، و لكن لمّا ورد زياد لأداء الشهادة قال له عمر : أرى وجه رجل لايفتضح به أحد كبار أصحاب رسول الله ، فلقّنه بهذا الكلام ما أراد أن يلقّنه ، فقال زياد : رأيت مغيرة نائماً مع اُمّ جميل على فراش واحد وهو راكب على بطن اُمّ جميل وسكت عن رؤيته دخوله فيها كالميل في المكحلة و نقص شهادته و لم يرَ عمر شهادته كافية فأمر بضرب سائر الشهود حدّ القذف و برّأ مغيرة ، و أيّ فضيحة في الاسلام أفضح من هذه ؟.

و أمّا عمّال عثمان فلا يحتاج جورهم و خيانتهم إلى توضيح فانّه كالعيان المغني عن البيان ، فقال عليه السلام : إنّ العمّال السابقين كانوا جماعاً من شعب الجور والخيانة .

و لكن في نسخة المعتزلي « فانّهما جماع من شعب الجور و الخيانة » و قال في شرحه : فانّهما - يعني استعمال المحاباة والاثرة - جماع من شعب الجور والخيانة وقد تقدّم شرح مثل هذه اللفظة ، والمعنى أنّ ذلك يجمع ضروباً من الجور والخيانة أمّا الجور فانّه يكون قد عدل عن المستحقّ إلى غير المستحقّ ففي ذلك جور على المستحقّ ، وأمّا الخيانة فلأنّ الأمانة تقتضي تقليد الأكفاء ، فمن لم يعتمد ذلك فقد خان من ولاّه .

و اغترّ ابن ميثم بهذا التفسير فقال : فلايولّيهم محاباة و إثرة ، كأن يعطونه شيئاً على الولاية فيولّيهم و يستأثر بذلك دون مشاورة فيه ، فانّهما أى المحاباة والاثرة - كما هو مصرّح به في بعض النسخ عوض الضمير - جماع من شعب الجور و الخيانة ، أمّا الجور فللخروج بهما عن واجب العدل المأمور به شرعاً ، و أمّا الخيانة فلأنّ التحرّي في اختيارهم من الدين و هو أمانة في يد الناصب لهم ،

فكان نصبهم من دون ذلك بمجرّد المحاباة والاثرة خروجاً عن الأمانة و نوعاً من الخيانة .

أقول : لايخفى ما في ماذكره الشارحان من تطبيق جملة: جماع من شعب الجور و الخيانة على الانتخاب بالمحاباة و الاثرة من التكلّف و التعسّف ، نعم لا إشكال في أنّ هذا الانتخاب جور و خيانة و لكن لا ينطبق عليه أنّه جماع من شعب الجور و الخيانة إلاّ بالتكلّف ، فالأظهر أنّ هذه الجملة راجعة إلى العمّال الشاغلين للأعمال قبل حكومته عليه السلام .

ثمّ أمر عليه السلام بانتخاب العمّال من أهل البيوتات الصالحة و المتقدّمة في الاسلام لما ذكرنا سابقاً من أنّ كفيل تربية الأفراد في ذلك العصر هى الاسرة و البيت ، ولم تكن هناك شهادة على صلاحيّة الفرد غير النظر في البيت و الأسرة الّتي ربّى فيها ونشأ في ظلّها ، فقد وصف هؤلاء المربّين في البيوت الصالحة بأنّهم موصوفون بمايلزم للعامل من كرم الأخلاق ومصونيّة العرض وقلّة الطمع والنظر في عواقب الأمور .

ثمّ أوصى بوفور الأرزاق و الرواتب عليهم ، لئلاّ يضطرّوا إلى الاختلاس ممّا في أيديهم من أموال الخراج و يتمّ الحجّة عليهم إن خانوا .

ثمّ أوصى بتفقّد أعمالهم وبثّ العيون عليهم لحثّهم على حفظ الأمانة والرفق بالرعيّة .

ثمّ شرّع عقوبة الخائن الّذي ثبت خيانته باتّفاق أخبار العيون والمتفقّدين في البدن بعرضهم على السياط وعزلهم عن العمل وإعلام خيانتهم للعموم وتقليدهم بعار التهمة و أثر ذلك انفصالهم عن شغلهم أبداً .

ثمّ توجّه إلى أمر الخراج و هو المصدر الوحيد في هذا العصر لخزانة الحكومة و ما يلزمها من المصارف في شتّى حوائجها من أرزاق الجند و رواتب العمّال و الخدم ، و نبّه على أنّ المبدأ الوحيد للخراج هو عمران البلاد بالزرع و الغرس و ما يتحصّل منه عوائد جديدة و بيّن أنّ التوليدات المثمرة إنّما هى

من الزراعة و تربية المواشي ، وكليهما يتّفقان على عمران البلاد وقدرة الزرّاع و الدهاقين الماليّة على العمل في الانتاج و التوليد و أنّ طلب الخراج مع قطع النظر عن العمران موجب للخراب و الاستيصال .

و من واجب العمران التوجّه إلى الآفات الطارئة في المحاصيل الزراعيّة و الحيوانيّة ، فقال عليه السلام « فان شكوا ثقلاً ـ أي جوراً ـ في ضرب مقدار الخراج المضروب عليهم أو جور العمّال في أخذه أو علّة نحو أن يصيب الغلّة آفة كالجراد و البرق و البرد و غيرها .

أو انقطاع شرب ـ بأن ينقص الماء في النهر أوطمّ القنوات في أثر السيول أو الزلازل و نحوها .

أو بالة ـ يعني قلّة الأمطار في مايسقى بماء المطر أو كثرة الأمطار الموجبة للسيول الجارفة للزرع و الشجر .

أوإحالة أرض اغتمرها غرق ـ يعني أنّ الأرض قد تحوّلت في أثر السيول أو تكرار الزرع فلم يحصل منها زرع لأنّ الغرق غمرها و أفسد زرعها .

أو أجحف بها عطش فأتلفها .

فلابدّ من سماع الشكوى والتحقيق عنها والتخفيف على الزراع و الدهاقين و بذل المساعدة لهم بحيث يصلح أمرهم و يتمكّنوا من الاشتغال بالعمران و نبّه على أنّ هذا التخفيف و المساعدة لم يذهب هدراً ، لأنّه :

١ـ ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك .

٢ـ زينة و افتخار لولايتك فانّ زينة الوالي عمران البلاد و راحة العباد .

٣ـ تكتسب حسن ثنائهم عليك و تسرّ باستفاضة العدل فيهم مع اعتمادك على فضل قوّتهم بما ذخرت عندهم من توجّهك عليهم و توجّههم عليك بالوثوق بك و الاعتماد بعدلك و رفقك .

٤ـ فربما حدث عليك حادث و تحتاج إلى الاقتراض منهم أو طلب المعونة منهم أو مساعدتهم لك بنفوسهم فيجيبونك و يساعدونك بطيب أنفسهم .

ثمّ انتج من ذلك ضابطتين عامّتين هامّتين :

١- العمران محتمل ما حمّلته .

٢- يؤتى خراب الأرض من فقر أهلها وإعوازهم مصارف عمرانها .

ثمّ نبّه على أنّ إعواز أهل الأرض ناش عن الولاة السّوء الّذي لاهمّ لهم إلاّ جمع المال والأخذ من الرّعايا بكلّ حال ، لسوء ظنّهم ببقائهم على العمل وخوفهم من العزل وعدم انتفاعهم بالعبر واعتقادهم بالعقوبة من الله في الأخرة .

و قد نقل الشارح المعتزلي هنا ما يؤيّد كلام مولانا لا بأس بنقله قال :

عهد سابور بن اردشير لابنه

وقد وجدت في عهد سابور بن أردشير إلى ابنه كلاماً يشابه كلام أمير المؤمنين عليه السّلام في هذا العهد وهو قوله :

واعلم أنّ قوام أمرك بدُرور الخراج ، ودرور الخراج بعمارة البلاد ، وبلوغ الغاية في ذلك استصلاح أهله بالعدل عليهم ، والمعونة لهم ، فإنّ بعض الأمور لبعض سبب ، وعوامّ النّاس لخواصّهم عُدّة ، وبكلّ صنف منهم إلى الأخر حاجة ، فاختر لذلك أفضل من تقدر عليه من كتّابك ، وليكونوا من أهل البصر والعفاف والكفاية ، واسترسل إلى كُلّ أحد منهم شخصاً يضطلع به ، ويمكنه تعجيل الفراغ منه ، فان اطّلعت على أنّ أحداً منهم خان أو تعدّى ، فنكّل به ، وبالغ في عقوبته ، واحذر أن تستعمل على الأرض الكثير خراجها إلاّ البعيد الصّوت ، العظيم شرف المنزلة و لا تولّين أحداً من قوّاد جندك الّذين هم عُدّة للحرب ، و جنّة من الأعداء شيئاً من أمر الخراج ، فلعلّك تهجم من بعضهم على خيانة في المال ، أو تضييع للعمل فان سوّغته المال ، وأغضيت له على التّضييع كان ذلك هلاكاً وإضراراً بك وبرعيّتك وداعية إلى فساد غيره ، و إن أنت كافأته فقد استفسدته ، وأضقت صدره ، و هذا أمر توقّيه حزم ، والإقدام عليه حُزق ، والتّقصير فيه عجز .

واعلم أنّ من أهل الخراج من يلجيء بعض أرضه وضياعه إلى خاصّة الملك

وبطانته لأحد أمرين ، أنت حريّ بكراهتهما ، إمّا لامتناع من جور العمّال وظلم الولاة ، و تلك منزلة يظهر بها سوء أثر العمّال وضعف الملك وإخلاله بما تحت يده ، و إمّا للدّفع عمّا يلزم من الحقّ والتيسّر له ، وهذه خلّة تفسد بها آداب الرّعية ، وتنقص بها أموال الملك ، فاحذر ذلك ، وعاقب الملتجئين والملجأ إليهم.

الترجمة

سپس در كارهای كارمندان و عمّال خود بنگر و ازروی امتحان و آزمايش آنان را بكاربگمار و بمحض دلخوشی واحسان بآنها يا خويش واظهار خصوصيّت باآنهاكارگزارشان مكن ، زيراآنها مجموعه‌ای از تيره‌های جوروستم وخيانتند .

از ميان آنان اهل تجربه و مردم آبرومند را انتخاب كن ، كسانی كه از خانواده‌های خوب وپيشقدم دراسلام هستند و پيشروبودند ، زيرا كه آنان :

١ ـ اخلاقی گرامی‌تروا صيل‌تر دارند .

٢ ـ آبروی آنها نيالوده ومحفوظ وبآبروی خود علاقه دارند .

٣ ـ كمتر پيرامون طمع وجلب منافع می گردند .

٤ ـ درعواقب امور و دنباله كارها نظری رساتر وعميق‌تر دارند و ملاحظه عاقبت كارخودرا بهترمی كنند .

سپس حقوق وارزاق مكفي بدانها بده زيرا وفورمعيشت مايه اصلاح نفوس آنها است وسبب بی‌نيازی آنان از تصرّف دراموالی كه زيردست آنها است می‌شود ووسيله اتمام حجّت برآنها می گردد درصورتيكه ازدستورتو سرپيچند ودرامانتت خيانت ورزند .

سپس كارهای آنان را زيرنظر بگير وديده بان های درست ووفادار برآنها بگمار ، زيرا بازرسی پنهانی‌توازكارهای آنان موجب تشويق آنهااست براما نتداری وخوشرفتاری بارعيّت ، معاونان خودرا خوب‌بپا واگر ازآنها كسی دست بخيانت گشود و مورداتّفاق نظرخبر گزاران وديده بانان گرديد و گواهی آنانرا دربارهٔ

اثبات جرمش کافي دانستی اورا زیرتازیانه مجازات بکش و مسئول کارخودش بشناس ودرمعرض خواری درآور وداغ خیانت برپیشانی او بنه وجامه ننگین تهمت را در بر او کن .

ازوضع خراج ودرآمداملاك بازرسی کن بوجهیکه مایه بهبود خراجگزاران باشد، زیرا دربهبودامرخراج وبهبود حال خراجگزاران بهبود حال دیگران نهفته است ودیگران را جز بدانها بهبودی حال میسّر نیست ، زیرا همه مردم نانخوران خراجند وخراج گزاران ، وبایدتوجّه توبآبادی زمین بیشترباشد ازتوجّه بجلب خراج ، زیرا خراج جزاززمین آبادبدست نیاید وهرکس آبادنکرده خراج خواهد شهرستانهارا ویران وبندگان خدارانابود سازد وجزاندك زمانی کارش درست نیاید .

اگر زارعان و دهقانان شکایت کردند از فزونی و گرانی مقدار خراج یا ازآفت در زراعت یا قطع آب یا کمی باران یا دگرگونی وفساد زمین زراعت ودرخت بواسطه آنکه سیل آنرا غرق کرده یا تشنگی بدان زیان رسانیده خراج آنهارا تا حدیکه مایه بهبود حالشان باشد تخفیف بده واین تخفیف که مایه کمك بدانها است برتو گران نیاید زیرا :

۱ـ این ذخیره وپس اندازیست در ملك که بوسیلهٔ آباد کردن بلاد تو بتو برمیگردد .

۲ـ سبب زیور وآرایش حکمرانی تواست .

۳ـ مایه جلب ستایش آنان و شادمانی تو بانتشار عدالت در باره آنها است در حالیکه بفزونی نیروی آنها اعتماد داری بدانچه برای آنها ذخیره کردی وفراهم آوردی وجلب اعتماد آنها را بخود نمودی بوسیله آنکه آنها را بعدالت گستری خود معتاد ساختی وبا نرمش با آنها معامله کردی .

بعلاوه بسا باشد که برای تو پیشامدی رخ دهد و گرفتاری پیش آید وچون تو باآنها احسان کردی وخوشرفتاری نمودی واعتماد آنهارا جلب کردی دردنبال آن هر تقاضارا باطیب خاطر پذیرا شوند وبتو هر گونه کمك ومساعدت را ازروی

رضا ورغبت تقديم دارند .

بآبادانی هرچه بار نهی بار میکشد وهمانا ویرانی سرزمینها زائیدهٔ نداری و بی وسیله ای أهل آن سر زمین است آیا نداری و بیچارگی مردم از کجا ناشی می‌شود ؟

ازتوجّه کارگزاران بجمع مال دنیا وربودن دسترنج مردمان برای بدبینی آن‌کارگزاران نسبت به‌بقاء آنان برسرکار خود وبواسطه کم عبرت گرفتن آنها از آنچه برای مردم با ایمان وبا بصیرت مایهٔ عبرتست .

الفصل الثامن من عهده عليه السلام

ثُمَّ ٱنْظُرْ فِي حالِ كُتّابِكَ فَوَلِّ عَلىٰ أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ ، وَ ٱخْصُصْ رَسائِلَكَ ٱلَّتي تُدْخِلُ فيها مَكائِدَكَ وَ أَسْرارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صالِحِ ٱلْأَخْلاقِ مِمَّنْ لا تُبْطِرُهُ ٱلْكَرامَةُ فَيَجْتَرِىءَ بِها عَلَيْكَ في خِلافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَإٍ ، وَ لا تَقْصُرُ بِهِ ٱلْغَفْلَةُ عَنْ إِيرادِ مُكاتَباتِ عُمّالِكَ عَلَيْكَ ، وَ إِصْدارِ جَوابِاتِها عَلَى الصَّوابِ عَنْكَ فيما يَأْخُذُ لَكَ وَ يُعْطي مِنْكَ ، وَ لا يُضْعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ ، وَ لا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلاقِ ما عُقِدَ عَلَيْكَ ، وَ لا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ في الْامورِ ، فَإِنَّ ٱلْجاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ ، ثُمَّ لا يَكُنِ ٱخْتِيارُكَ إِيّاهُمْ عَلىٰ فِراسَتِكَ وَ ٱسْتِنامَتِكَ وَ حُسْنِ ٱلظَّنِّ مِنْكَ ، فَإِنَّ ٱلرِّجالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِراساتِ الْوُلاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَ حُسْنِ خِدْمَتِهِمْ [حَديثِهِمْ] وَ لَيْسَ وَراءَ ذٰلِكَ مِنَ النَّصيحَةِ

وَ الْأَمَانَةِ شَيْءٌ ، وَ لٰكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمٰا وُلُوا لِلصّٰالِحِينَ قَبْلَكَ ، فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعٰامَّةِ أَثَراً ، وَ أَعْرَفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهاً ، فَإِنَّ ذٰلِكَ دَلِيلٌ عَلىٰ نَصِيحَتِكَ لِلّٰهِ وَ لِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ ، وَ اجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ لاٰ يَقْهَرُهُ كَبِيرُهٰا ، وَلاٰ يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهٰا ، وَ مَهْمٰا كَانَ فِي كُتّٰابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغٰابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ .

اللغة

(كتّاب) جمع كاتب : من يتولّي ديوان المكاتبات ، (مكائد) : جمع مكيدة : تدبير سرّي تجاه العدوّ ، (لا تبطره) : و قد تكرّر في الحديث ذكر البطر وهو كما قيل: سوء احتمال الغنى والطغيان عند النّعمة ويقال : هوالتجبّر وشدّة النشاط ، وقد بطر بالكسر يبطر بالفتح - مجمع البحرين - .

(الملأ) : قيل: الملأ جماعة من النّاس يملؤن العين والقلب هيبةً ، وقيل: هم أشراف الناس ورؤساؤهم الّذين يرجع إلى قولهم ، (العقد) : المعاهدة في أمر بين اثنين ، (الفراسة) بالكسر الاسم من قولك تفرّست فيه خيراً ، و هي نوعان أحدهما ما يوقعه الله في قلوب أوليائه فيعلمون بعض أحوال النّاس بنوع من الكرامات و إصابة الحدس والظنّ و هوما دلّ عليه ظاهر الحديث : اتّقوا فراسة المؤمن فانّه ينظر بنورالله ، وثانيهما نوع يعلم بالدّلائل والتجارب ، (استنام) إلى كذا : سكن إليه ، (تغابيت) عنه : تغافلت عنه .

الاعراب

ممّن لا تبطره : من للتبعيض ، بحضرة ملأ : متعلّق بقوله فيجترىء ، فيما يأخذ : لفظة ما موصولة وما بعدها صلتها والعائد محذوف ، وراء ذلك ، ظرف

مستقرّ خبر ليس قدّم على اسمها وهو شيء ، بما ولّوا : يجوز أن تكون ما مصدريّة: أي بالولاية الّتي ولّوها والعائد محذوف على أيّ تقدير ، كان في العامّة : اسم كان مقدر فيه وفي العامّة ظرف مستقرّ خبر له ، وأثراً تميز من قوله عليه السلام لأحسنهم ألزمته : جزاء قوله عليه السلام : مهما كان .

المعنى

من أهمّ النظامات الرّئيسية في الدّول الرّاقية والمتمدّنة نظام الديوان والكتّاب ، فقد اهتمّ به الملوك والرّؤساء من عهد قديم وتمثّل في النظام الاسلامي في عهد النّبي صلى الله عليه وآله في كتابة آى القرآن ، و قد دار حول النّبي في هذا العصر مع ندرة الكاتب في الأمّة العربية الامّيين اثنى عشر كاتباً يوصفون بكتّاب الوحى يرأسهم مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وقد اهتمّ النّبي صلى الله عليه وآله بتوفير الكتّاب في الجامعة الإسلاميّة حتّى جعل فداء أسرى الحروب الكاتبين تعليم الكتابة لعشر نفر من المسلمين ، وكان عليّ عليه السلام هو الكاتب المخصوص للنّبي صلى الله عليه وآله يتولّى كتابة العهود والموائيق بينه وبين النّاس في مواقف كثيرة على الأكثر :

منها كتابه عهد الصّلح بين المسلمين وقبائل اليهود الساكنين حول المدينة في صدر الهجرة ، كما في سيرة ابن هشام « ص ٣٠١ ج١ ط مصر » .

قال ابن إسحاق : و كتب رسول الله صلى الله عليه وآله كتاباً بين المهاجرين والأنصار ووادع فيه يهود وعاهدهم وأقرّهم على دينهم وأموالهم وشرط عليهم واشترط لهم .

بسم الله الرّحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمّد النبيّ صلى الله عليه وآله بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم «و» فلحق بهم وجاهد معهم إنّهم أمّة واحدة من دون النّاس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى و كلّ طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى و كلّ طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين

المؤمنين وبنو النجّار على ربعتهم - إلى أن قال : وأنّه من تبعنا من يهود فإنّ له النّصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم - الخ .

وهو عهد تاريخيّ غزير اللّفظ والمعنى ، ولم يصرّح في السيرة باسم الكاتب ولكنّ الظاهر أنه عليّ بن أبي طالب عليه السلام - فتدبّر .

ومنها العهد التاريخي المنعقد بينه صلى الله عليه وآله مع قريش في واقعة الحديبيّة حيث منع قبائل قريش مكّة عن دخول المسلمين مكّة المكرّمة لأداء العمرة وصدّوهم في وادي حديبيّة وعرّضوهم للحرب ، فامتنع النبيّ صلى الله عليه وآله عن إثارة حرب في هذه الواقعة وتردّد بينه وبين قريش عدّة من الرّجال حتّى تمكّن سهيل بن عمرو من عقد صلح بين النبيّ صلى الله عليه وآله مع قريش في ضمن شروط هامّة ثقيلة على المسلمين وتولّى عليّ عليه السلام كتابة هذا العهد ، كما في سيرة ابن هشام « ص٢١٦ ج٢ ط مصر » :

قال: ثمّ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه فقال: اكتب :

بسم الله الرّحمن الرّحيم ، فقال سهيل : لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللّهمّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : اكتب باسمك اللّهمّ ، فكتبها ، ثمّ قال : اكتب هذا ما صالح عليه محمّد رسول الله سهيل بن عمرو قال : فقال سهيل : لو شهدت أنّك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اكتب هذا ما صالح عليه محمّد بن عبدالله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن النّاس عشر سنين يأمن فيهنّ النّاس ويكفّ بعضهم عن بعض على أنّه من أتى محمّداً من قريش بغير إذن وليّه ردّه عليهم ومن جاء قريشاً ممّن مع محمّد لم يردّوه عليه وأنّ بيننا عيبة مكفوفة وأنّه لا إسلال ولا إغلال وأنّه من أحب أن يدخل في عقد محمّد و عهده دخل فيه و من أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمّد وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدهم وأنّك ترجع عنّا عامك هذا فلا تدخل علينا مكّة وأنّه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فأقمت بها ثلاثاً معك سلاح الرّاكب السّيوف في القرب لا تدخلها بغيرها - إلى أن قال : في بيان شهود الكتاب :

وعليّ بن أبي طالب وكتب وكان هو كاتب الصحيفة .

وقد بيّن عليه السلام في هذا الفصل نظام الديوان وألقاب الكتّاب اللائقين الأنجاب ونظّم أمر الديوان والكتّاب في مباحث قيّمة .

١ـ في شخصيّة الكاتب من الوجهة الأخلاقيّة ورعاية الأمانة والصداقة ولم يتعرض عليه السلام لما يلزم في الكاتب من الوجهة الفنيّه و ما يجب عليه من تعلم الخطّ وتحصيل درجات علميّة ليتمكّن من الاشتغال بكتابة الديوان العالي لأنّه معلوم بالضرورة لمن يعرّض نفسه لهذا المنصب العالي فشغل الكتابة في ديوان رسمي يحتاج في عصرنا هذا إلى شهادة إتمام تحصيلات الدورة المتوسّطة مضافاً إلى ما يلزم له من التعلّم الخصوصي لفنّ الكتابة والفوز بجودة الخطّ .

و قد لخّص الوصف العام للكاتب بقوله عليه السلام (فولّ على أمورك خيرهم) قال ابن ميثم : وتفسير الخير هنا هو من كان تقياً قيّماً بما يراد منه من مصالح العمل.

أقول : كأنه غفل عن معنى التفضيل المصرّح به في قوله عليه السلام : خيرهم .

قال في الشرح المعتزلي :

فصل في الكتّاب وما يلزمهم من الآداب

واعلم أنّ الكاتب الّذي يشير أمير المؤمنين عليه السلام إليه هو الّذي يسمّى الآن في الاصطلاح العرفي وزيراً ، لأنّه صاحب تدبير حضرة الأمير ، و النّائب عنه في أموره وإليه تصل مكتوبات العمّال وعنه تصدر الأجوبة ، وإليه العرض على الأمير ، و هو المستدرك على العمّال ، والمهيمن عليهم ، وهو على الحقيقة كاتب الكتّاب ، ولهذا يسمّونه الكاتب المطلق .

أقول : الوزارة منصب ممتاز عن الكتابة في عصرنا هذا وأظنّ أنه كان ممتازاً في العصور السابقة ، و إن كان الوزير يشتغل بالكتابة وإنشاء ما يهمّ من الكتب في بعض الأزمان ، وفي بعض الأحيان إلاّ أنّه لا يدلّ على كون الكاتب هو الوزير ، فقد كان في عهد هارون ومأمون يصدر التوقيعات الهامّة في الأمور

العامّة المرتبطة بدار الخلافة بقلم يحيى بن خالد البرمكي وابنه جعفر و فضل ولهم مقام الوزارة في ديوان الخلافة إلاّ أنّه لم يعهد توصيفهم بالكاتب في كتب السّير والتواريخ .

قال: وكان يقال للكاتب على الملك ثلث : رفع الحجاب عنه ، واتّهام الوشاة عليه ، وإفشاء السرّ لديه .

٢- في تقسيم الكتّاب إلى درجات وطبقات :

فمنهم كاتب السرّ ، فأوصى فيه بأن يكون أجمع الكتّاب للأخلاق الصّالحة و لا يكون خفيف المزاج فيسوء فيه أثر خلواته مع الوالي و توديعه أسراره لديه فيعتريه البطر والطغيان على الوالي فيجترىء عليه بإظهار الخلاف والأنانيّة في المحضر الحافل بالأشراف والرّؤساء والأمراء فيهون الوالي بجرئته عليه ويضعف قدره عند الملأ .

ومنهم كاتب الدّيوان العام الّذي يرد عليه مكاتبات العمّال ويتكلّف جوابها فيوصي عليه السلام فيه أن يكون حافظاً يقظاً لايسامح في اصدار جواب هذه الكتب على وجه الصواب سواء فيما يتعلّق بأخذ الخراج والعوائد أو ما يتعلّق باعطاء الرواتب والمصارف ، فيضبط ذلك كلّه ليتمكّن الوالى من النظر في الواردات والصّادرات .

و أن يكون فطناً ليقاً في تنظيم موادّ العهود والعقود بين الوالي وغيره من أصناف الرّعايا أوالأجانب، وهذا أمر يحتاج إلى بصيرة فائقة وفطنة وقّادة يقتدر صاحبها إلى تنظيم موادّ المعاهدة محكمة غير مبهمة بحيث لا يمكن لطرف المعاهدة أن يجعل بعض جملها مبهمة ويفسّرها على ما يريد كما أنّه يحتاج التخلّص عن المسؤلية تجاه مقررات العهود إلى بصيرة وحسن تعبير عبّر عليه السلام بقوله (ولايعجز عن إطلاق ما عقد عليك) .

و اشترط في الكاتب أن يعرف قدره ويقف عند حدّه في إعمال النفوذ لدى الوالي و لا يغترّ بصحبته مع الوالي و مجالسته معه لأداء ما يجب عليه من شغله في إنهاء الرّسائل إليه وأخذالإمضاء منه في جوابها فلايحسب هذا الحضور والمجالسة

الّتي يقتضيها شغله دلالاً على الوالي فيطير فوق قدره .

ثمّ نبّه على أنّ انتخاب الكتّاب وانتصابهم في هذا الشّغل الهامّ لابدّ وأن يكون معتمداً على اختبار كامل في صلاحيّتهم ولا يكتفى في إثبات لياقتهم بمجرّد الحدس والفراسة وحسن الظنّ النّاشي عن التظاهر بالإخلاص وتقديم الخدمة لأنّ الرّجال أهل تصنّع و تظاهر ربّما يغترّ الوالي بهما و هم خلو من الاخلاص في الباطن .

وبيّن عليه السلام أنّ الدّليل على صلاحيتهم سابقتهم في تولّي الكتابة للصالحين قبل ذلك مع حسن أثرهم في نظر العامّة وعرفان أمانتهم عند النّاس .

ثمّ أشار إلى تفنّن أمر الكتابة ووجوهها المختلفة فأمر بأن يجعل لكلّ من الأمور رئيساً لائقاً من الكتّاب الماهرين في هذا الفنّ بحيث لا يقهره مشكل ورد عليه ولا يعجز عن الإدارة إذا تكثرت الواردات عليه ، ونبّه على أنّه من الواجب الفحص عن صحّة عمل الكتّاب وعدم الغفلة عنهم فلوغفل عنهم وتضرّر النّاس منهم كان تبعته على الوالي وهو مسؤل عنه .

و نذكر هنا وصيّة صدرت من ابروين إلى كاتبه نقلاً عن الشرح المعتزلي « ص ٨١ ج ١٧ ط مصر » .

و قال أبرويز لكاتبه : اكتم السرّ ، واصدق الحديث ، واجتهد في النّصيحة وعليك بالحَذَر ، فانّ لك عليّ أن لا أعجّل عليك حتّى أستأني لك ، ولا أقبل فيك قولاً حتّى أستيقن ، ولاأطمع فيك أحداً فنغتال ، واعلم أنّك بمنجاة رفعة فلاتحطّنها وفي ظلّ مملكة فلا تستزيلنّه ، قارب النّاس مجاملة من نفسك ، و باعدهم مسامحة عن عدوّك ، و اقصد إلى الجميل ازدراعاً لغدك و تنزّه بالعفاف صوناً لمروءتك ، و تحسّن عندي بما قدرت عليه ، احذر لا تسرعنّ الألسنة عليك ، و لا تقبحنّ الأحدوثة عنك ، وصن نفسك صون الدّرة الصّافية ، وأخلصها خلاص الفضّة البيضاء وعاتبها معاتبة الحذر المشفق ، وحصّنها تحصين المدينة المنيعة ، لا تدعنّ أن ترفع إليّ الصغير فانّه يدلّ على الكبير ، و لا تكتمنّ عنّي الكبير فإنّه ليس بشاغل

عن الصغير ، هذّب اُمورك ، ثمّ القنى بها ، واحكم أمرك ، ثمّ راجعنى فيه ، ولا تجترئنّ علىّ فامتعض ، ولا تنقبضنّ منّي فأتّهم ، ولا تمرضنّ ما تلقاني به و لا تخدجنّه ، و إذا أفكرت فلا تعجل ، وإذا كتبت فلا تعذر ، ولا تستعن بالفضول فانّها علاوة على الكفاية ، و لا تقصرنّ عن التحقيق فانّها هجنة بالمقالة ، و لا تلبّس كلاماً بكلام ، و لا تبعدن معنىً عن معنى ، واكرم لي كتابك عن ثلاث : خضوع يستخفّه ، و انتشاريهجنه ، ومعان تعقد به ، و اجمع الكثير مما تريد في القليل ممّا تقول ، وليكن بسطة كلامك على كلام السّوقة كبسطة الملك الّذي تحدّثه على الملوك ، فاجعله عاليا كعلوّه ، وفائقا كتفوّقه ، فانما جماع الكلام كلّه خصال أربع : سؤالك الشيء ، وسؤالك عن الشيء ، وأمرك بالشيء ، وخبرك عن الشيء ، فهذه الخصال دعائم المقالات ، إن التمس إليها خامس لم يوجد ، وإن نقص منها واحد لم يتمّ ، فاذا أمرت فأحكم ، وإذا سألت فأوضح ، وإذا طلبت فأسمح وإذا أخبرت فحقّق ، فانّك إذا فعلت ذلك أخذت بجراثيم القول كلّه ، فلم يشتبه عليك واردة ، و لم تعجزك صادرة ، أثبت في دواوينك ما أخذت ، احص فيها ما أخرجت ، وتيقّظ لما تعطى ، وتجرّد لما تأخذ ، ولا يغلبنّك النسيان عن الاحصاء ولا الاناة عن التقدّم ، و لا تخرجنّ وزن قيراط في غير حقّ ، ولا تعظمنّ إخراج الألوف الكثيرة في الحقّ ، وليكن ذلك كلّه عن مؤامرتي .

الترجمة

سپس در حال كاتبان آستانت نظر كن وكار هايت را به بهترين آنان بسپار ونامه‌هاى محرمانه وحاوى تدبيرات خودرا مخصوص كسى كن كه :

١ـ بيشتر از همه واجد اخلاق شايسته ونيك باشد .

٢ـ احترام و مقام مخصوص نزد تو اورا مست وبيخود نسازد تا در حضور بزرگان وسروران با تو اظهار مخالفت كند ونسبت بتو گستاخى ودليرى كند .

٣ـ غفلت ومسامحه كارى مايه كوتاه آمدن او ازعرض نامه‌هاى عمّال تو

برتو وصدور پاسخهای درست آنها نگردد چه دربارهٔ آنچه برای تو دریافت میشود وچه درباره آنچه ازطرف تو پرداخت میگردد .

٤ ـ عهد نامه ایکه برای تو تنظیم میکند سست وشکننده نباشد ، واز آزاد کردن تو ازقید مقررات عهدنامه‌ها بوسیله تفسیرهای پذیرفته عاجز نماند .

٥ ـ باندازه خود و حدود مداخله او درکارها نادان و نفهمیده نباشد زیرا کسیکه اندازه خودرا نداند باندازه وقدر ومرتبه دیگران نادانتر باشد .

سپس باید انتخاب و انتصاب آنان در مقام منیع کاتبان متکی بخوشبینی ودلباختگی وخوش گمانی‌تو نباشد زیرا مردان زرنگ راه جلب فراست وخوشبینی والیانرا بوسیلهٔ ظاهر سازی وتظاهر بخوش خدمتی خوب میشناشند ، درصورتیکه درپس این ظاهرسازی هیچ اخلاص وحقیقتی وجودندارد ولیکن باید آنهارا بوسیله تصدی‌کارهای مربوطه‌برای نیکان پیش‌ازخود بیازمائی، وهر کدام نزد عموم مردم خوش سابقه تر و بأمانت داری معروفترند برگزینی که این خود دلیل است براینکه نسبت به‌پروردگارخود بکسی که ازجانب اومتصدّی ولایت وفرمانگزاری شدی خیر اندیشی کردی .

و باید برای هر نوعی از کارهای خود رئیسی برای دفتر مربوطه انتخاب کنی که کارهای مهم اورا مقهور ودرمانده نسازند و کارهای بسیار اورا پریشان نکنند ، و باید بدانی هر عیبی در کاتبان تو باشد و مایه زیان گردد تو خود مسؤل آنی .

الفصل التاسع من عهده عليه السلام

ثُمَّ ٱسْتَوْصِ بِالتُّجّارِ وَ ذَوِي الصِّنَاعاتِ وَ أَوْصِ بِهِمْ خَيْراً ، ٱلْمُقِيمِ مِنْهُمْ وَ ٱلْمُضْطَرِبِ بِمالِهِ ، وَ ٱلْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ [بِيَدَيْهِ] ، فَإِنَّهُمْ

مَوادُّ ٱلْمَنافِعِ ، وَ أَسْبابُ ٱلْمَرافِقِ ، وَجُلاّبُها مِنَ ٱلْمَباعِدِ وَ ٱلْمَطارِحِ في بَرِّكَ وَ بَحْرِكَ ، وَ سَهْلِكَ وَ جَبَلِكَ ، [وَ] حَيْثُ لاٰ يَلْتَئِمُ ٱلنّاسُ لِمَواضِعِها ، وَلاٰ يَجْتَرِؤُنَ عَلَيْها ، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لاٰ تُخافُ بائِقَتُهُ ، وَ صُلْحٌ لاٰ تُخْشىٰ غائِلَتُهُ ، وَ تَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَ في حَواشي بِلاٰدِكَ وَ ٱعْلَمْ - مَعَ ذٰلِكَ - أَنَّ في كَثيرٍ مِنْهُمْ ضيقاً فاحِشاً ، وَ شُحّاً قَبيحاً ، وَ ٱحْتِكاراً لِلْمَنافِعِ ، وَ تَحَكُّماً في ٱلْبِيٰاعاتِ ، وَ ذٰلِكَ بابُ مَضَرَّةٍ لِلْعامَّةِ ، وَ عَيْبٌ عَلَى الْوُلاٰةِ ، فَامْنَعْ مِنَ ٱلإِحْتِكارِ ، فَإِنَّ رَسُولَ ٱللّٰهِ - صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ - مَنَعَ مِنْهُ ، وَ لْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً : بِمَوازِينِ عَدْلٍ ، وَ أَسْعارٍ لاٰ تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبائِعِ وَ الْمُبْتاعِ ، فَمَنْ قارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيّاهُ فَنَكِّلْ بِهِ ، وَ عاقِبْهُ في غَيْرِ إِسْرافٍ .

اللغة

(المضطرب بماله) : التاجر الّذي يدور بماله من بلد إلى بلد للكسب ، (جلاّب) جمع جالب ، (المطارح) جمع مطرح : الأرض البعيدة ، (البائقة) : الدّاهية ، (الغائلة) : الشرّ ، (حواشي البلاد) ، أطرافها ، (الشحّ) ، البخل مع حرص فهو أشدّ من البخل لأنّ البخل في المال وهو في مال ومعروف تقول : شحّ يشحّ من باب قتل وفي لغة من باب ضرب وتعب فهوشحيح - مجمع البحرين .

(الاحتكار) : حبس المنافع عن النّاس عند الحاجة إليها ، (التحكم في

البياعات) : التطفيف في الوزن والزيادة في السّعر ، (السّمحة) بفتح فسكون أى السهلة الّتي لا ضيق فيها ولاحرج وسمح به يسمح بفتحتين سموحاً وسماحاً وسماحة أي جاد ، (قارف) : قارف الذّنب و غيره إذا داناه ولا صقه وإن شئت إذا أتاه و فعله ـ مجمع البحرين .

الاعراب

استوص بالتجّار : مفعوله محذوف : أى أوص نفسك بذلك ، أوص بهم خيراً حذف مفعوله : أى أوص عمّالك ،المقيم: بدل أوعطف بيان للضمير في بهم والمضطرب عطف عليه، المترفق ببدنه ، بيان لقوله ذوالصّناعات ، فانّهم سلمٌ : أى أولوسلم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه للمبالغة والضمير في بائقته يرجع إلى السلم باعتبار أولى السّلم ، وهكذا الكلام في قوله صلح ـ الخ .

في كثير منهم ظرف مستقر خبر إن ، البياعات جمع بياع مصدر بايع أي المبايعات ، عيب على الولاة عطف على قوله باب مضرّة ، بيعاً مفعول مطلق نوعي بموازين عدل : جار و مجرور متعلق بقوله بيعاً ، وأسعار عطف على قوله موازين ، من البائع من بيانيّة .

المعنى

انتقل عليه السلام بعد تنظيم الحكومة إلى الاجتماع وما يصلح به أمر الأمّة وركنه التجارة والصّناعة ، والتجارة شغل شريف حثّ عليها في الشرع الاسلامي لكونها وسيلة لتبادل الحاصلات الأوّليّة والتوليدات الصّناعيّة، وهذا التبادل ركن الحياة الاجتماعية و نظام الحيويّة المدنيّة ، و قد ورد أخبار كثيرة في مدح التجارة و الترغيب إليها ففي الخبر أنّه تسعة أعشار الرزق في التجارة وواحدة في سائر المكاسب .

قال في الوسائل في مقدمات كتاب التجارة: وبإسناده عن روح عن أبي عبدالله عليه السلام

قال : تسعة اعشار الرّزق في التّجارة .

و روى بسنده عن عبد المؤمن الأنصاوي عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : البركة عشرة أجزاء : تسعة أعشارها في التجارة والعشر الباقي في الجلود . قال الصّدوق : يعني بالجلود الغنم .

وبإسناده عن عليّ عليه السلام في حديث الأربعمأة قال : تعرّضوا للتجارات فإنّ لكم فيها غنى عمّا في أيدى النّاس ، وإنّ الله عزّوجلّ يحبّ المحترف الأمين المغبون غير محمود ولامأجور .

و بإسناده عن محمّد بن يعقوب ، عن عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن محمّد الزعفراني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من طلب التّجارة استغنى عن النّاس ، قلت : وإن كان معيلاً ؟ قال : وإن كان معيلاً إنّ تسعة أعشار الرزق في التجارة .

و بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : التجّارة تزيد في العقل .

و بالإسناد عن عليّ بن الحكم ، عن أسباط بن سالم ، قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فسألنا عن عمر بن مسلم ما فعل ؟ فقلت : صالح ولكنّه قد ترك التجّارة ، فقال أبوعبدالله عليه السلام : عمل الشيطان - ثلاثاً - أما علم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله اشترى عيراً أتت من الشام فاستفضل فيها ماقضى دينه وقسّم في مراتبه ، يقول الله عزّ وجلّ « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - إلى آخر الآية ٣٧ - النور » يقول القصّاص : إنّ القوم لم يكونوا يتّجرون ، كذبوا ولكنّهم لم يكونوا يدعون الصّلاة في ميقاتها وهم أفضل ممّن حضر الصّلاة ولم يتّجر .

والأخبار في هذا الموضوع كثيرة مستفيضة ، وكفى في فضل التّجارة أنها كانت شغل النبيّ صلى الله عليه وآله قبل أن يبعث نبيّاً ، وقد سافر إلى الشّام في التجارة مع عمّه أبي طالب وهوغلام لم يبلغ الحلم ، ثمّ صارعاملاً لخديجة بنت خويلد وسافر إلى الشّام للتجارة مرّة اُخرى ، وقد أعجبت خديجة أمانته وكفايته فطلبت منه أن يزوّجها .

و الظاهر من حديث أسباط بن سالم الآنف الذكر أنه لم يدع الاشتغال بها بعد البعثة و تحمّل أعباء النبوّة ، كما يستفاد ذلك من تعيير قريش له بقولهم : « ما لهذا الرّسول يأكل الطّعام و يمشي في الأسواق ـ كما في الآية ٧ من سورة الفرقان » .

وقد وصف عليه السلام التجّار بما لا مزيد عليه من خدمتهم في الاجتماع الانساني وحمايتهم المدنية البشريّة فقال :

١ـ (و المضطرب بماله) أى من يجعل ماله متاعاً يدوربه في البلاد البعيدة يقطع المفاوز ويعرّض نفسه للأخطار ليصل حوائج كلّ بلد إليه .

٢ـ فانهم موادّ المنافع وأسباب المرافق .

قد اهتمّ الدّول الراقية و الشعوب المتقدّمة في هذه العصور بأمر التّجارة و أدركوا حقيقة ما أفاده عليه السلام في هذه الجملة القصيرة قبل قرون طويلة من أنّ التّجارة موادّ المنافع ، و قد أبلغ عليه السلام في إفادة ما للتّجارة من الأهمّية في أمر الاقتصاد حيث جاء بكلمة الموادّ جمعاً مضافاً مفيداً للعموم ، وبكلمة المنافع جمعاً معرّفاً باللاّم مفيداً للاستغراق ، فأفاد أنّ كلّ مادة لكلّ منفعة مندرج في أمر التّجارة ، فالتّجارة تحتاج إلى ما يتّجر به من الأمتعة و إلى سوق تباع تلك الأمتعة ، ثمّ يؤخذ بدلها متاعاً آخر ويبدّل بمتاع آخر فيستفاد من هذه المبادلات كلّها أرباحاً .

و قد بلغ أهمّية التّجارة في هذه القرون المعاصرة إلى حيث صارت محوراً للسّياسة العامّة للدّول العظمى فكانوا يبحثون عن الأراضي الّتي يحصل منها موادّ نافعة كالمعادن الغزيرة من النفط والذّهب والفضّة والمحاصيل الزراعيّة التي تصرف في صناعة النسج و غيرها ، ثمّ ينقلونها إلى بلادهم و يصنعون منها أنواع الأمتعة الّتي يحتاج إليها كلّ شعب من الشّعوب ، ويبحثون عن الأسواق الّتي يصرف منها هذه المصنوعات ، فصارت هذه المنافع التجاريّة أساساً لسياسة الدّول ومثاراً للحروب الهائلة ومداراً للمعاملة مع الشّعوب ، تحيّلت الدّول العظمى في الحيلولة

بين الشعوب المتأخرة ذات المواد الصالحة للصنعة كالنفط وأنواع المعادن والمحاصيل الزراعية المتحولة إلى المنسوجات ، و بين الرقي والتقدم في أمر الصنعة و العلم بادارة المكائن الصناعية .

وقد ابتلت أمة ايران وشعبها بهذه العرقلة السياسية والمكيدة الحيالة منذ قرون وسلطت على معادنها ومنافعها وأسواقها دول حيالة عظمى دبرت تأخرها في أمر الصناعة منذ قرون ، وقد غفلت أمة ايران وشعبها بل الأمم الاسلامية كلهم من هذه الجملة من كلام مولانا أمير المؤمنين في أمر التجار (فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق) .

وقد كان التجارة العالمية في القرون المزدهرة الاسلامية أيام الخلفاء العباسيين الأول في يد المسلمين ، فكانوا يجوبون البحار و البراري شرقاً و غرباً في جميع القارات بوسيلة السفن الأرياحية الخطيرة ويحملون أنواع الأمتعة إلى تلك البلاد البعيدة و الجزر النائية و يبدلونها بما في هذه البلاد و الجزر البحرية من أنواع المحاصيل والنقود ويزرعون العقائد الإسلامية في قلوب أهاليها ، فنحن نعلم الآن في رسوخ الإسلام إلى بلاد نائية وقارات متنائية كإفريقيا وجزائر أندونوسيا وأبعد منها ، وكان المبلغون الأولون للاسلام في هذه البلاد البعيدة حتى الصين واليابان هم تجار المسلمين الأبطال في القرون الزاهية الاسلامية ، فكانوا يدخلون تلك البلاد ويخالطون أهلها تجاراً سالمين ويحببون إليهم الإسلام بأعمالهم الإسلامية النيرة الجاذبة ، فيعمل الإسلام فيهم كجهاز حي نشيط يتوسع و ينمو حتى بلغ أهل الإسلام في جميع الأصقاع مآة ملايين ، وهذا أهم المنافع التجارية التي نالها المسلمون في عصور نشاطهم وتقدمهم ، وهذا أحد الأسرار المخزونة في قوله عليه السلام : فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق .

وقد نبه عليه السلام إلى أن الروابط التجارية تفيد الشعوب وعامة البشرية من جهة أنها سبب استقرار السلم و الصلح بين أفراد الأمة وبين الشعوب فقال عليه السلام (فانهم سلم لا تخاف بائقته و صلح لا تخشى غائلته) فيالها من جملة ذهبية حية

في هذه القرون المعاصرة ، و في القرن العشرين العطشان لاستقرار الصلح العالمي والسلم العام بين الشعوب .

فالرابطة التجارية المبنية على تبادل المنافع والحوائج تكون ودية وأخوية دائماً و هذا هو أساس الوداد العقلاني الصادق الثابت فإن المتبادلين للحوائج والمنافع يحب كل منهما الآخر لأن حب أحدهما للآخر يرجع إلى حب الذات الذى هو الحب الثابت للانسان ، فان الانسان يحب ذاته قبل كل شيء فحبه لذاته ذاتي ويحب كل شيء لحبه بذاته حباً عرضياً بواسطة في الثبوت أو العروض، فالرابطة التجارية سواء كانت بين فردين أوشعبين أو شعوب شتى رابطة ودية سلمية نافرة للحرب و التنازع ، فالشعوب المحبة للسلام ساعون لبسط التجارة الحرة الداعية إلى الود و التفاهم المتبادل ، فإن كل أحد يحب من يقضى حاجته وينفعه ، والحب الزواجي الذي هو أساس تزويج ثابت لابد وأن يرجع إلى هذا المعنى ويدرك كل من الزوجين أن الآخر يتبادل معه قضاء الحوائج وتبادل المنافع.

و أما الحب الغريزي القائم بين الأم و ولدها فلا يصح أن يكون مبدءاً للمعاهدات والعقود ، وهو الذي يعبر عنه بالعشق في لسان الأدب والشعر ، و هو حب كاذب خارج عن تحت الارادة و الادارة وأحسن ما عبر عنه ما نقل عن الشيخ الرئيس أبوعلي بن سينا في تعريف العشق من أنه : مرض سوداوى يزول بالجماع والسفر ويزيد بالفكر والنظر .

والشعوب المحبة للسلام في عالم البشرية يسعون وراء عقد روابط تجارية حرة مع الشعوب الأخرى مبنية على تبادل المنافع و الحوائج و يسعون وراء التجارة بالتهاتر أى تبادل الحاجيات بنوع آخر منها و لا تقيدون بيوعهم بأخذ النقود ، فالتجارة الحرة تكون أساساً للسلم بين الشعوب كما أشار إليه عليه السلام بقوله (فإنهم سلم لاتخاف بائقته وصلح لاتخشى غائلته) وقد فسر البائقة بالداهية فيفيد أن التجارة الحرة ليس فيها دهاء ومكر وقصد سوء من قبيل الاستعمار والتسلط وصلح ليس ورائه مضرة وهلاك .

وأمر عليه السلام بتفقد أحوال التجار والنظارة عليهم تكميلاً لتوصيته لهم بالخير

و الحماية لرؤوس أموالهم عن التّلف و السّرقة بأيدى اللّصوص ، وهذه توصية بإقرار الأمن في البلاد وفي طرق التّجارة بحراً وبرّاً ، وقد التفت الأمم الرّاقية إلى ذلك فاهتمّوا باستقرار الأمن في البلاد والطّرق ، وفي حفظ رؤوس الأموال التجّاريّة عن المكائد والدسائس المذهبة لها ، فقال عليه السلام : (تفقّد أمورهم بحضرتك) أى في البلد ، (وفي حواشي بلادك) أي في الطّرق والأماكن البعيدة .

ثمّ نبّه عليه السلام إلى خطر في أمر التجارة يتوجّه إلى عامّة النّاس المحتاجين في معاشهم إلى شراء الأمتعة من الأسواق ، و هو خلق الشح و طلب الادّخار والاستكثار من المال الكامن في طبع الكثير من التجّار ، فانّه يؤول إلى الاستعمار و التسلّط على أجور الزراع والعمّال إلى حيث يؤخذون عبيداً وأسرى لأصحاب رؤوس الأموال فوصفهم بقوله عليه السلام : (أن في كثير منهم) :

١ـ (ضيقاً فاحشاً) أى حبّاً بالغاً في جلب المنافع و ازدياد رقم الأموال المختصّة به ربما يبلغ إلى الجنون ولا يقف بالملايين والمليارات .

٢ـ (وشحّاً قبيحاً) يمنع من السّماح على سائر الأفراد بما يزيد على حاجته بل بما لا يقدر على حفظه وحصره .

٣ـ (و احتكاراً للمنافع) بلا حدّ ولا حساب حتّى ينقلب إلى جهنّم كلما قيل لها : هل امتلئت ؟ يجيب : هل من مزيد ؟

٤ ـ (وتحكّماً في البياعات) أى يؤول ذلك الحرص الجهنّمي إلى تشكيل الشركات و الانحصارات الجبّارة فيجمعون حوائج النّاس بمكائدهم وقوّة رؤوس أموالهم ويبيعونها بأىّ سعر أرادوا وبأىّ شروط خبيثة تحفظ مزيد منافعهم وتقهر النّاس و تشدّد سلاسل مطامعهم و مظالمهم على أكتافهم واستنتج عليه السلام من ذلك مفسدتين مهلكتين :

ألف ـ (باب مضرّة للعامّة) و أىّ مضرّة أعظم من الأسر الاقتصادي في أيدي ثعابين رؤوس الأموال .

ب ـ (و عيب على الولاة) و أيّ عيب أشنأ من تسليم الأمّة إلى هذا الأسر المهلك .

فشرّع عليه السلام لسدّ هذه المفاسد ، المنع من الاحتكار للمنافع ، فنلفت نظر القراء الكرام إلى أنّ الاحتكار على وجهين .

١ـ احتكار الأجناس وهو موضوع بحث الفقهاء في باب البيع حيث حكموا بحرمة الاحتكار أو كراهته على خلاف بين الفقهاء ، فقد عدّه المحقق في المختصر النافع في المكروهات فقال بعد عدّ جملة منها : والاحتكار ، وقال صاحب الرّياض في شرحه : وهو حبس الطّعام ، كما عن الجوهري أو مطلق الأقوات يتربّص به الغلاء للنّهي عنه في المستفيضة .

منها الصّحيح ، إيّاك أن تحتكر ، المعتبر بوجود فضالة المجمع على تصحيح رواياته في سنده فلا يضرّ اشتراك راويه بين الثقة والضّعيف ، وعلى تقدير تعيّنه فقد ادّعى الطّوسي الإجماع على قبول روايته ، ولذا عدّ موثقاً وربّما قيل بوثاقته ، وفيه : لا يحتكر الطّعام إلاّ خاطىء ، ولذا قيل : يحرم ، كما عن المقنع والمرتضى والحلّي وأحد قولي الحلبيّ والمنتهى وبه قال في المسالك والرّوضة ، ولا يخلو عن قوّة ـ إلى أن قال : و إنّما يكون الاحتكار الممنوع منه في خمسة : الحنطة ، و الشّعير ، والتّمر ، والزبيب ، والسّمن ، على الأشهر ـ إلى أن قال : وقيل : كما عن المبسوط وابن حمزة أنّه يكون في الملح أيضاً ، وقوّاه في القواعد والمسالك وأفتى به صريحاً في الرّوضة تبعاً للمعتبه ، ولعلّه لفحوى الأخبار المتقدّمة لأنّ احتياج النّاس إليه أشدّ مع توقف أغلب المآكل عليه ـ إلى أن قال : وإنّما يتحقّق الكراهة إذا اشتراه واستبقاه لزيادة الثمن مع فقده في البلد واحتياج النّاس إليه و لا يوجد بايع و لا باذل مطلقاً غيره ، فلو لم يشتره بل كان غلّته لم يكره كما عن النهاية للصّحيح : الحكرة أن يشترى طعاماً ليس في المصر غيره ، ونحوه الخبر المتقدّم عن المجالس لكنّه ضعيف السند ، ومع ذلك الشرط فيه كالأوّل يحتمل وروده مورد الغالب فالتعميم أجود ، وفاقاً للمسالك عملاً بالاطلاق والتفاتاً

إلى مفهوم التعليل في الصحيح المتقدم : يكره أن يحتكر والناس ليس لهم طعام - إلى أن قال : ويشترط زيادة على مامر أن يستبقيه في زمان الرخص أربعين يوماً وفي الغلاء ثلاثة أيام ، فلا حكرة قبل الزمانين في الموضعين لرواية ضعيفة عن المقاومة لما مر وتقييده قاصرة ، ويجبر الحاكم المحتكر على البيع مع الحاجة إجماعاً ، كما في ب وقيح و كلام جماعة و هو الحجة مضافاً إلى الخبرين في أحدهما أنه مر بالمحتكرين فأمر بحكرتهم إلى أن يخرج في بطون الأسواق وحيث ينطلق الناس إليها .

وهل يسعر الحاكم السعر عليه حينئذ الأصح الأشهر لا ، مطلقاً وفاقاً للطوسي والرضي والحلي والشهيد الثاني للأصل وعموم السلطنة في المال ، وخصوص الخبر : لو قومت عليهم ، فغضب ﷺ حتى عرف الغضب من وجهه فقال : أنا أقوم عليهم إنما السعر إلى الله تعالى يرفعه إذا شاء ويضعه إذا شاء .

خلافاً للمفيد و الديلمي فيسعر عليه بما يراه الحاكم من المصلحة لانتفاء فائدة الإجبار لا معه لجواز الاجحاف في القيمة ، و فيه منع انحصار الفائدة فيما ذكره مع اندفاع الاجحاف بما يأتي .

ولابن حمزة والفاضل واللمعة فالتفصيل بين اجحاف المالك فالثاني ، وعدمه فالأول ، تحصيلاً لفائدة الإجبار ودفعاً لضرر الاجحاف ، وفيهما نظر فقد يحصلان بالأمر بالنزول عن المجحف وهو وإن كان في معنى التسعر إلا أنه لا ينحصر على قدر خاص .

هذا خلاصة ما ذكره الفقهاء في باب الاحتكار نقلناه عن الرياض مزدوجاً شرحه مع متن المختصر النافع للمحقق رحمه الله .

٢ـ احتكار المنافع ، كما عبر في كلامه ﷺ والظاهر أن احتكار المنافع التي عنونه ﷺ غير الاحتكار المعنون في الفقه ، والمقصود منه الحرص على أخذ الأرباح والمنافع من التجارات زائداً عن المقدار المشروع على الوجه المشروع بحيث يؤدي هذا الحرص والولع إلى تشكيل الشركات وضرب الانحصارات التي شاع في هذه العصور

ومال إليه أرباب رؤوس الأموال الهامّة في الشركات النفطية والانحصارات المعدنية ويدلّ على ذلك أمور:

١ـ أنّه عليه السلام جعل ثمرة الضّيق الفاحش والشحّ القبيح احتكار المنافع، و الاحتكار المعنون في الفقه هو احتكار الأجناس و الحبوبات المعيّنة، و الفرق بينهما ظاهر.

٢ـ أنّه عليه السلام عطف على قوله «احتكاراً للمنافع» قوله «وتحكّماً في البياعات» و البياعات جمع معرّف بالألف واللاّم يفيد العموم، والاحتكار الفقهي لا ينتج هذا المعنى بل التحكّم في البياعات والتسلّط على الأسواق معنى آخر ناش عن الانحصارات التجاريّة الّتي توجدها أرباب رؤوس الأموال.

٣ـ ما رواه في الوسائل بسنده عن محمّد بن يعقوب، عن أبي علي الأشعري، عن محمّد بن عبدالجبّار، عن أحمد بن النّضر، عن أبي جعفر الفزاري قال: دعا أبوعبدالله عليه السلام مولى يقال له مصادف فأعطاه ألف دينار وقال له: تجهّز حتّى تخرج إلى مصر فإنّ عيالي قد كثروا، قال: فتجهّز بمتاع وخرج مع التجّار إلى مصر، فلمّا دنوا من مصر استقبلتهم قافلة خارجة من مصر فسألوهم عن المتاع الّذي معهم ما حاله في المدينة وكان متاع العامّة فأخبروهم أنّه ليس بمصر منه شيء فتحالفوا وتعاقدوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار ديناراً، فلمّا قبضوا أموالهم انصرفوا إلى المدينة فدخل مصادف على أبي عبدالله عليه السلام ومعه كيسان كلّ واحد ألف دينار فقال: جعلت فداك هذا رأس المال وهذا الآخر ربح، فقال: إنّ هذا الرّبح كثير ولكن ما صنعتم في المتاع؟ فحدّثه كيف صنعوا وتحالفوا، فقال: سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين أن لا تبيعوهم إلاّ بربح الدينار ديناراً، ثمّ أخذ أحد الكيسين وقال: هذا رأس مالي ولا حاجة لنا في هذا الرّبح، ثمّ قال: يا مصادف مجالدة السّيوف أهون من طلب الحلال. وقد رواه بسندين آخرين مع اختلاف يسير.

أقول: يستفاد من هذا الحديث أنّ التجّار أوجدوا في معاملتهم مع أهل مصر انحصاراً و هم محتاجون على المتاع فأخذوا منهم مائة في المائة من الرّبح

فلمّا اطّلع الإمام على عملهم لم يتصرّف في هذا الرّبح لأنّه مأخوذ من أرباب الحاجة إلى المتاع بالتّحالف وإيجاد الانحصار الموضعي، وهذا هوعين مايستعمله أصحاب الشركات والانحصارات فيهذا العصر وهو ما عبّر عنه عليٌّ عليه السلام « باحتكار المنافع والتحكّم في البياعات » فيستفاد من ذلك كلّه أنّ كبرى احتكار المنافع كبرى مستقلّة ، ومغايرة مع كبرى الاحتكارالمعنون في الفقه ، وأنّه تشريع علويٌّ كما أنّ المنع عن الاحتكار في الطّعام تشريع نبويّ .

فاحتكار المنافع في مورد تحالف الشركات والانحصارات على أسعار معينة في الأمتعة فيخرج وضع السّوق عن طبعه المبنيّ على مجرّد العرضة والتقاضا من دون مداخلة أمر آخر في ذلك ، وحينئذ لابدّ أن يداخل الحكومة وينظر في أمر الأسعار ويعين للأجناس سعراً عادلاً يوافق مقدرة الناس المحتاجين إلى هذه الأمتعة ويمنع التجّار الانحصاريّين عن الاجحاف بالناس في أسعارهم النّاشئة عن أهوائهم و ولعهم بجمع الأموال والإغارة على العمّال والزّراع في مصّ دمائهم وأخذ أجورهم .

وأمّا الاحتكار الفقهي المبني على مجرّد الامتناع عن بيع الأطعمة المدّخرة انتظاراً لارتفاع سعره فهو في مورد لا مداخلة لأرباب رؤوس الأموال في السّوق و كان السّوق على طبعه العادى و السعر حينئذ ينطبق على مقتضى تقاضا المبتاعين ومقدار عرضة البايعين و هو السّعر الّذي يلهمه الله في قلوب أهل السّوق فيتوافقون عليه كما في حديث الوسائل في أبواب الاحتكار بسنده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : رفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، أنّه مرّ بالمحتكرين فأمر بحكرتهم أن تخرج إلى بطون الأسواق وحيث تنظر الأبصار إليها فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله : لو قوّمت عليهم ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى عرف الغضب في وجهه فقال : أنا أقوّم عليهم ؟ إنّما السّعر إلى الله يرفعه إذا شاء ويخفضه إذا شاء .

فقوله عليه السلام « فامنع من الاحتكار » يرجع إلى المنع عن احتكار المنافع وإيجادالشركات الانحصاريّة وتعليله بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله منع الاحتكار يحتمل وجهين:

١ـ أنه أخذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله المنع عن الاحتكار المطلق بحيث يشمل احتكار المنافع واحتكار الأطعمة ، فنقله عنه دليلاً على ما أمر به من المنع عن احتكار المنافع .

٢ـ أنه ذكر منع رسول الله صلى الله عليه وآله عن احتكار الأطعمة تنظيراً وبياناً لحكمة التشريع مع أنه لا يحكم ولا يقول إلاّ ما علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقد تبيّن ممّا ذكرنا أنّ الحقّ في مسئلة حق تسعير الحاكم وعدمه ، هو التفصيل بين ما إذا كان وضع السّوق طبيعياً عادياً منزّهاً عن مداخلة أرباب رؤوس الأموال و أطماعهم فلا يجوز للحاكم تسعير الطعام أو المتاع الّذى اجبر مالكه على عرضه للبيع و يرجع في السّعر إلى طبع السّوق الملهم من طبع العرضة و التقاضا .

وأمّا إذا كان السّوق تحت نفوذ أرباب رؤوس المال ومطامعهم وحملوا عليه الانحصارات الرأسماليّة أو ما بحكمها فلابدّ للحاكم من تعيين السعر العادل ، كما قال عليه السلام « وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لاتجحف بالفريقين من البائع والمبتاع » .

الترجمة

سپس در بارهٔ بازرگانان و صنعتگران سفارش خواه باش ، ودر بارهٔ آنان بخوبی ورعایت حال سفارش کن ، چه بازرگانان صاحب بنگاه واقامتگاه درشهر وروستا وچه بازرگانان دوره گرد که سرمایهٔ خودرا بهمراه خود بهر شهر ودیار میگردانند وآن صنعتگرانی که با دسترنج خود وسیلهٔ آسایش دیگران را فراهم میسازند ، زیرا آنان مایه‌های سودهای کلان و وسائل آسایش هم نوعانند و هر کالا را ازسرزمینهای دور دست وپرتگاه‌ها بدست میآورند ، از بیابان تو واز دریای تو واز سرزمینهای هموارتو واز کوهستانهایت واز آنجائی که عموم مردم با آنها سروکاری ندارند ورفت وآمدی نمیکنند وجرئت رفتن بدان سرزمینها را ندارند .

زیرا که بازرگانان وصنعتگران مردمی سالمند وازنیرنگ وآهنگ شورش وجنگ آنان بیمی درمیان نیست ، مردمی صلح دوست وآرامش طلبند و از زیان آنان هراسی درمیان نیست .

و باید ازحال ووضع آنها بازرسی کنی چه آنکه در کنار تو ودرشهر ودیار تو باشند ویادر کناره‌های دور دست کشور ومحورحکمرانی تو .

و بدانکه با این حال بسیاری از آنها بسیار تنگ نظرند وگرفتار بخل ودریغی زشت وزننده و درپی انباشتن سودهای کلانند وتسلط برانجام همه گونه معاملات واین خود مایهٔ زیان عموم رعایا وننگ ونکوهش برحکمرانانست ، از احتکار غدقن کن ، زیرا رسولخدا صلی الله علیه وآله از آن غدقن کرده ، وباید فروش هرمتاع فروشی آزاد وروا وبوسیله‌ترازوهای درست ونرخهای عادلانه‌ای باشد که بهیچکدام ازطرفین معامله از فروشنده وخریدار ستمی نشود و هر کس پس ازغدقن تودستش باحتکار وانباشتن سود آلوده شد اورا شکنجه کن وعقوبت نما وازحد مگزران

الفصل العاشر من عهده عليه السلام

ثُمَّ اللهَ اللهَ في الطَّبَقَةِ السُّفْلىٰ مِنَ الذينَ لاٰ حيلَةَ لَهُمْ مِنَ الْمَسٰاكِينِ وَ الْمُحْتٰاجِينَ وَ أَهْلِ الْبُؤْسىٰ وَ الزَّمْنىٰ ، فَإِنَّ في هٰذِهِ الطَّبَقَةِ قٰانِعاً وَ مُعْتَرّاً ، وَ اْحفَظْ لِلّٰهِ مَا اْسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فيهِمْ ، وَ اْجعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مٰالِكَ ، وَ قِسْماً مِنْ غَلاّٰتِ صَوٰافي الْإِسْلاٰمِ في كُلِّ بَلَدٍ ، فَإِنَّ لِلْأَقْصىٰ مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذي لِلْأَدْنىٰ ، وَ كُلٌّ قَدِ اْسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ ، فَ [وَلاٰ] يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ ، فَإِنَّكَ لاٰ تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ [بِتَضْيِيعِ]

التَّافِهَ لِأَحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ، فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغْ لِأُولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ، وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ عَلَى الْوُلَاةِ ثَقِيلٌ «وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ» وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ.

اللغة

(البؤسى): هي البؤسى كالنعمى للنعيم بمعنى الشدة، (والزمنى): أولوا الزمانة والفلج، (القانع): الذي يسئل لحاجته (المعتر): الذي يتعرض للعطاء من غير سؤال، (الصوافي) جمع صافية: أرض الغنيمة، (التافه): الحقير، (أشخص همه): رفعه، (تصعير الخد): إمالته كبراً، (تقتحمه): تزدريه، (أعذر في الأمر): صار ذا عذر فيه.

الاعراب

الله مكرراً: منصوب على التحذير، من الذين: من بيانية، لله: اللام

للاختصاص وتفيد الاخلاص، وكلٌّ : المضاف إليه محذوف أي كلّهم .

المعنى

قد عبّر عليه السلام من الطبقة السّابعة بالطّبقة السّفلى نظراً إلى ظاهر حالهم عند النّاس حيث إنّهم عاجزون عن الحيلة والاكتساب وهم مساكين ومحتاجون والمبتلون بالبؤس والزّمانة ولكن سوّاهم مع سائر النّاس في الحقوق وأظهر بهم أشدّ العناية والاهتمام وقسّمهم إلى ثلاثة أقسام .

١ـ القانع ، و قد فسّر بمن يسأل لرفع حاجته ويعرض حاجته على مظانّ قضائه .

٢ـ المعترّ ، وهو السّيىء الحال الّذي لا يسأل الحاجة بلسانه ولكن يعرض نفسه في مظانّ التّرحم والتوجّه إليه فكان يسأل بلسان الحال .

٣ـ من اعتزل في زاوية بيته لايسأل بلسانه ولا يعرض نفسه على مظانّ قضاء حوائجه ، إمّا لرسوخ العفاف وعزّة النّفس فيه ، وإمّا لعدم قدرته على ذلك كالزّمنى وهم الّذين بيّن حالهم في قوله عليه السلام (وتفقّد اُمور من لا يصل إليك منهم ، ممّن تقتحمه العيون وتحقره الرّجال) وقد وصّى فيهم باُمور :

١ـ حفظ حقوقهم و العناية بهم طلباً لمرضاة الله و حذراً من نقمته لأنهم لا يقدرون على الانتقام ممن يهضم حقوقهم .

٢ ـ جعل لهم قسماً من بيت المال العام الّذي يجمع فيه الصّدقات الواجبة والمستحبّة وأموال الخراج الحاصل من الأراضي المفتوحة عنوة .

٣ـ جعل لهم قسماً من صوافي الاسلام في كلّ بلد ، قال في الشّرح المعتزلي: وهي الأرضون الّتي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وكانت صافية رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلمّا قبض صارت لفقراء المسلمين ، ولما يراه الامام من مصالح الاسلام .

٤ ـ أن لايصير الزهو بمقام الولاية موجباً لصرف النّظر عنهم وعدم التوجّه إليهم مغترّاً باشتغاله باُمور هامّة عامّة، فقال عليه السلام : أحكام الاُمور الهامّة الكثيرة لايصير

كفّارة لصرف النظر عن الأُمور الواجبة القصيرة .

٥ ـ الاهتمام بهم و عدم العبوس في وجوههم عند المحاضرة و المصاحبة لاظهار الحاجة .

ثمّ أوصى بالتفقّد عن القسم الثالث المعتزل بوسيلة رجال موثق من أهل الخشية والتواضع وخصّص طائفتين من العجزة بمزيد التّوصية والاهتمام .

الف ـ الأيتام الّذين فقدوا آبائهم وحرموا من محبّة والدهم الّذين يلمسونهم بالعطف والحنان دائماً.

ب ـ المعمّرون إلى أرذل العمر الّذين أنهكتهم الشّيبة واسقطت قواهم فلا يقدرون على انجاز حوائجهم بأنفسهم ، وأشار إلى أنّ رعاية هذه الطبقة على الولاة ثقيل بل الحقّ كلّه ثقيل .

الترجمة

سپس خدارا باش خدارا باش دربارهٔ آن طبقهٔ زيردستيكه بيچاره ومستمندند چون گدايان ونيازمندان وگرفتاران سختى در زندگى ومردم زمين گير واز كار افتاده ، زيرا در اين طبقه حاجت خواهان وترحم جويانند آنچه را از تو دربارهٔ حفظ حق آنان خواسته درنظردار ، وبهره‌اى ازبيت المال براى آنها مقرّر دار ، وبهره اى هم ازدرآمد خالصجات اسلامى درهر شهرستانى باشند ، حقّ بيگانه ها ودوردسهتاى اين طبقه همانند حق نزديكان آنها است ،

سرمستى مقام وجاه تورا ازآنها بازندارد ، زيرا أنجام كارهاى مهم وفراوان براى تقصير تودراين كارهاى كوچك ولازم عذر پذيرفته نيست ، دل ازآنان برمدار وچهره برآنها گره مساز ، از آن دسته اين مستمندان كه بحضور تو نميرسند ، ومردم بديدهٔ تحقير بدانها نگاه ميكنند بازرسى وتفقّد كن ، وبراى سرپرستى آنان كسان موثق ومورد اعتمادى كه خدا ترس وفروتن باشند بگمار تا وضع آنانرا بتو گزارش دهند .

با اینها چنان رفتار کن که در پیشگاه خداوند سبحان هنگام ملاقاتش روسفید ومعذور باشی ، زیرا اینان درمیان رعیت از دیگران بیشتر نیازمند انصاف وعدلند ودربارهٔ هر کدام به درگاه خدا از نظر پرداخت حقش عذرخواه باش ، یتیمان وپیران پشت خمیده را که بیچاره‌اند ونیروی سؤال ودرخواست ندارند بازرسی کن این کاریست که برای حکمرانان سنگین است ولي چه باید کرد ؟ هرحقّی سنگین است ، و خداوند آنرا برمردمی سبك نماید که عاقبت خوش بخواهند و خودرا بسیارشکیبا دارند ، وبراستی وعده‌های خداوند برایشان اطمینان وعقیده دارند .

الفصل الحادی عشر من عهده عليه السلام

وَ اْجعَلْ لِذَوِی اْلحَاجاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ ، وَ تَجلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَواضَعُ فِيهِ لِلّهِ اْلَّذي خَلَقَكَ ، وَ تُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَ أَعْوانَكَ مِنْ أَحْراسِكَ وَ شُرَطِكَ حَتّىٰ يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ ، فَإِنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ـ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ـ يَقُولُ في غَيْرِ مَوْطِنٍ : (لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيها حَقُّهُ مِنَ اْلقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ) ثُمَّ اْحتَمِلِ اْلخُرْقَ مِنْهُمْ وَ اْلعِيَّ ، وَ نَحِّ عَنْهُمُ اْلضِّيقَ وَ اْلأَنَفَ ، يَبْسُطِ اللّهُ عَلَيْكَ بِذٰلِكَ أَكْنافَ رَحْمَتِهِ ، وَ يُوجِبْ لَكَ ثَوابَ طاعَتِهِ ، وَ أَعْطِ ما أَعْطَيْتَ هَنِيئاً وَ اْمْنَعْ في إِجْمالٍ وَ إِعْذارٍ .

ثُمَّ أُمورٌ مِنْ أُمورِكَ لا بُدَّ لَكَ مِنْ مُباشِرَتِها : مِنْها إِجابَةُ

عُمّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتّابُكَ ، وَ مِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النّاسِ عِنْدَ [يَوْمَ] وُرُودِهَا عَلَيْكَ بِمَا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ ، وَ أَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ ، وَ اجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ ، وَ أَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ وَ إِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلهِ إِذَا صَلُحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ ، وَ سَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ .

وَ لْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلهِ دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً ، فَأَعْطِ اللهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَ نَهَارِكَ ، وَ وَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ وَ لاَ مَنْقُوصٍ بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ ، وَ إِذَا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ لِلنّاسِ فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَ لاَ مُضَيِّعاً ، فَإِنَّ فِي النّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَ لَهُ الْحَاجَةُ ، وَ قَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ - حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ ؟ فَقَالَ : « صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ ، وَ كُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً » .

اللغة

(الحرس) : حرس السّلطان وهم الحرّاس الواحد حرسي والحرس اسم مفرد بمعنى الحرّاس كالخدّام و الخدم ، (الشرط) : قوم من أعوان الحكومة يعلمون أنفسهم بعلامات الخدمة يعرفون بها ، (التعتعة) في الكلام : التردّد فيه

من حصر أو عيّ (الخرق) : ضدّ الرّفق ، (عيّ) : يقال : عيي من باب تعب عجزعنه ولم يهتد لوجه مراده ، العيّ بكسر العين وتشديد الياء : التحيّر في الكلام ، (الأنف) : الانفة وهي خصلة تلازم الكبر ، (الأكناف) : الجوانب ، (إجمال) : في الرّفق ، (يعيا) : يعجز (مثلوم) : ما فيه خلل .

الاعراب

مجلساً : مصدرميميّ فيكون مفعولاً مطلقاً أو اسم مكان فيكون مفعولاً فيه ، من أحراسك : لفظة من بيانيّة ، غير متتعتع حال ، يبسط الله : مجزوم في جواب الأمر ، ما اعطيت ،لفظة مامصدريّة زمانيّة أوموصولة والعائد محذوف، هنيئاً: تميز رافع للابهام عن النسبة ، في إجمال : لفظة في للظرفيّة المجازيّة ، اُمورمن اُمورك مبتدء لخبرمقدّم محذوف أى هنا اُمور من اُمورك ، ولذا صحّ الابتداء بالنكرة ما فيه : فيه ظرف مستقر صفة أوصلة لما ، إقامة فرائضه : اسم وليكن اُخر عن الخبر ، وهو جملة ظرفيّة .

المعنى

بعد مافرغ عليه السلام من تشريح النّظام العام وتقرير القوانين لتشكيلات الدّولة و تنظيم أمر طبقات الأمّة ، توجّه إلى بيان ما يرتبط بالوالي نفسه و بيّنه في شعب ثلاث :

الأولى : ما يلزم على الوالي بالنسبة إلى عموم من يرجع إليه في حاجة و يشكو إليه في مظلمة و وصّاه بأن يعين وقتاً من أوقاته لإجابة المراجعين إليه و شرط عليه :

١ـ أن يجلس لهم في مكان بلامانع يصلون إليه ويأذن للعموم من ذوى الحاجات في الدخول عليه .

٢ـ أن يتلقّاهم بتواضع وحسن خلق مستبشراً برجوعهم إليه في حوائجهم .

٣ـ أن يمنع جنده وأعوانه من التعرّض لهم وينحّي الحرس والشرط الّذين يرعب النّاس منهم عن هذه الجلسة ليقدر ذووالحاجة من بيان مقاصدهم و شرح مآربهم ومظالمهم بلا رعب وخوف وحصر في الكلام .

٤ـ أن يتحمّل من السّوقة والبدويّين خشونة آدابهم و كلامهم العاري عن كلّ ملاحة وأدب .

٥ ـ أن لا يضيّق عليهم في مجلسه ولا يفرض عليهم آداباً يصعب مراعاتها ولا يلقاهم بالكبر وأبهّة الولاية والرّياسة .

٦ـ أنه إن كان حاجاتهم معقولة ومستجابة فاعطاهم ما طلبوا لم يقرن عطائه بالمنّ والأذى والخشونة والتأمّر حتّى يكون هنيئاً وإن لم يقدرعلى إجابة ماطلبوا يردّهم ردّاً رفيقاً جميلاً ويعتذر عنهم في عدم إمكان إجابة طلبتهم .

الثاني : ما يلزم عليه فيما بينه وبين أعوانه وعمّاله المخصوصين به من الكتّاب والخدمة كما يلي :

١ـ يجيب عمّاله و كتّابه في حلّ ما عجزوا عنه من المشاكل الهامّة .

٢ـ يتولّى بنفسه اصدارالحوائج الّتي عرضت على أعوانه ويصعب عليهم انفاذها لمايعرض عليهم من التّرديد في تطبيق القوانين أوالخوف ممّا يترتّب على انفاذها من نواح شتّى .

٣ـ أن لا يتأخّر أيّ عمل عن يومه المقرّر ويتسامح في إمضاء الأمورفي أوقاتها المقرّرة .

الثالث : ما يلزم عليه فيما بينه و بين الله فوصّاه بأنّ الولاية بما فيها من المشاغل والمشاكل لاتحول بينه وبين ربّه وأداء مايجب عليه من العبادة والتوجّه إلى الله فقال عليه السلام :

اجعل أفضل أوقاتك و أجزل أقسام عمرك بينك وبين الله في التوجّه إليه والتضرّع والدعاء لديه وإن كان كلّ عمل من أعمالك عبادة لله مع النيّة الصالحة وإصلاح حال الرّعية .

و أمره بإقامة الفرائض المخصوصة ، و إن كانت شاقة ومتعبة لبدنه كالصوم في الأيام الحارة و الصلاة بمالها من المقدمات في شدة البرد و في الفيافي والأسفار الطائلة بحيث لا يقع خلل فيما يؤديه من الأعمال و لا منقصة فيه من التسامح والإهمال .

قال في الشرح المعتزلي في بيان قوله : (كاملاً غير مثلوم) أى لايحملنك شغل السلطان على أن تختصر الصلاة اختصاراً ، بل صلها بفرائضها وسننها وشعائرها في نهارك وليلك وإن أتعبك ذلك ونال من بدنك وقوتك .

أقول : الظاهر أن المقصود من قوله (غير مثلوم) هو النهى عن الاخلال بواجب في العبادة من شرط أوجزء بحيث يوجب البطلان، والمقصود من قوله (غير منقوص) النهي عن النقصان الغير المبطل كالاختصار والتعجيل في الأداء أو التأخير عن وقت الفضيلة .

قال ابن ميثم : الثامن أن يعطى الله من بدنه في ليله ونهاره : أي طاعة وعبادة فحذف المفعول الثاني للعلم به والقرينة كون الليل والنهار محلين للأفعال والقرينة ذكر البدن .

أقول : لا يخلو كلامه من تكلف و الظاهر أن قوله عليه السلام (من بدنك) ظرف مستقر مفعول ثان لقوله (فأعط) كما تقول أعط زيداً من البر ، و الجملة كناية عن رياضة بدنية في العبادة بحيث يصرف فيها جزء من البدن وقواه .

ثم استدرك من ذلك صلاته بالناس في الجماعة فأمره برعاية حال المأمومين و أدائها على وجه لا يشق على المعلولين و لا يضر بحوائج العمال والمحترفين فتصير الصلاة في الجماعة منفورة عندهم ولكن لا يؤديها على وجه يخل بواجباتها وآدابها المرعية بحيث يكون مضيعاً لأعمالها أو وقتها .

ونختم شرح هذا الفصل بذكر قصتين مناسبتين للمقام :

الأولى: حكي أنه استأذن بعض أعوان فتحعليشاه من المحقق القمي المعاصر له وهو مرجع ومفت للشيعة في أيامه ومعتمد لديه في إفطار الشاه صومه لطول

النهار و شدّة الحرّ معلّلاً بأنّ الصّوم يؤثر في حاله ويورث فيه الغضب الشّديد وخصوصاً في أوان العصر فربّما يحكم على المتّهمين بالعقوبة قبل التحقيق عن إثباته جرمه ، أوعلى المجرمين بتشديد العقوبة إلى أن يصل بالقتل والفتك بما يخرج عن حدّ العدالة ، فأجاب رحمه‌الله تعالى : بأنّ الشّاه يصوم ولا يغضب حتّى يرتكب الخلاف والظلم .

الثانية : ما ذكره الشارح المعتزلي في شرحه « ص ٨٧ ج ١٧ ط مصر » قال : كان بعض الأكاسرة يجلس للمظالم بنفسه ، ولا يثق إلى غيره ، ويقعد بحيث يسمع الصّوت ، فإذا سمعه أدخل المتظلّم ، فأصيب بصمم في سمعه ، فنادى مناديه : أنّ الملك يقول : أيّها الرّعيّة إني إن أصبت بصمم في سمعي فلم أصب في بصري ، كلّ ذي ظلامة فليلبس ثوباً أحمر ، وجلس لهم في مستشرف له .

الترجمة

برای مراجعان شخص خودت که بتو نیازی دارند وقتی مقرر دار که شخص خودت بدانها رسیدگی کنی ودرمجلس عمومی همه را بار دهی ، ودر آن متواضع باشی برای خدائیکه تورا آفریده بشرائط زیر :

لشکریان ویاوران خودرا ازقبیل گارد مخصوص پاسبانی وپاسبانان شهربانی خودرا ازمراجعان برکنارسازی تاهر کس بی‌لکنت زبان باتوسخن خودرا درمیان گذارد ، زیرا من ازرسول خدا ﷺ شنیدم که درچند جا فرمود : « مقدّس وپاك نباشند اُمّتی که درمیان آنها حق ناتوان ازتوانا بی‌لکنت زبان گرفته نشود » .

سپس بد برخوردی و کند زبانی آنانرا برخود هموار کن وفشار وتکبّر فرمانروائی خودرا ازآنان دوردار تاخداوند بدین وسیله رحمت همه جانبه خودرا بروی تو بگشاید وپاداش طاعتش را بتوارزانی دارد هرچه بهر کس میدهی بی‌منّت باشد تابراو گوارا بود واگر از أنجام درخواست کسی دریغ کردی بازبان خوش ومعذرت اورا روانه ساز .

سپس تودرا کارهائیست که بناچار خوبست باید أنجام دهی :

از آنجمله پذیرفتن مراجعه کارمندان تواست در آنچه دفترداران توازأنجام آن درمانند .

از آنجمله پاسخ گوئی به‌نیاز مندیهای مردم است که بتو مراجعه میشود درصورتیکه یاوران تواز پاسخ بدانها دچار نگرانی‌شوند .

کار هر روزی را درهمان روز انجام بده وبه فردا میفکن ، زیرا برای هر روزی است کارهای مربوط بدان روز .

برای‌خود میان خود وخدای تعالی بهترین أوقات وشایان‌ترین قسمت عمر خودرا مقرّردار و گرچه همه اوقات‌تو برای‌خدا مصرف میشود وعبادت محسوبست در صورتیکه نیت پاك باشد و کار رعیّت درست شود ، و باید در خصوص آنچه باخلاصمندی درکار دین‌خود برای خدا أنجام میدهی ، أنجام واجباتیکه برتواست ومخصوص خدا است منظور داری ، ازتن خود بخدا بده ، درشب خویش ودرروز خویش آنچه برای تقرّب بخدای سبحان میکنی (از نماز وروزه وغیره) کامل انجام بده‌بطوریکه خللی در آن نباشد وکاستی نداشته باشد ، بگزار هرچه بیشتر به‌تنت رنج عبادت رسد.

ولی هرگاه برای مردم نماز میخوانی و جماعت در پشت سر داری نباید باندازه‌ای طول بدهی که مایهٔ نفرت مردم ازنمازجماعت شود ونه‌چنان کوتاه آئی که مایهٔ تضییع نماز گردد ، مردمی که پشت سرتو نماز می‌خوانند برخی دچار بیماری و گرفتاری وحاجت هستند .

من خود از رسول خدا ﷺ هنگامی که برای سرپرستی مسلمانان بسوی یمنم گسیل داشت پرسیدم که : چگونه برای مردم نماز جماعت بخوانم ؟ درپاسخ فرمود : مانند نماز ناتوان‌ترین آنها ونسبت بمؤمنان مهربان باش .

الفصل الثاني عشر من عهده عليه السلام

[وَ] أَمَّا بَعْدَ [هٰذا] فَلاٰ تُطَوِّلَنَّ اِحْتِجاٰبَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ اِحْتِجاٰبَ الْوُلاٰةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَ قِلَّةُ عِلْمٍ بِالْاُمُورِ، وَ الْإِحْتِجاٰبُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا اُحْتُجِبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَ يَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَ يَقْبُحُ الْحَسَنُ، وَ يَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَ يُشاٰبُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، وَ إِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لاٰ يَعْرِفُ مَا تَوَارىٰ عَنْهُ النّاٰسُ بِهِ مِنَ الْاُمُورِ، وَ لَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمٰاتٌ تُعْرَفُ بِهٰا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكِذْبِ، وَ إِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِمَّا اِمْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَ اِحْتِجاٰبُكَ مِنْ وٰاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ؟ أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ؟ أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ؟ فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النّاٰسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذٰا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حٰاجٰاتِ النّاٰسِ إِلَيْكَ مِمّٰا لاٰ مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ، مِنْ شَكٰاةِ مَظْلَمَةٍ أَوْ طَلَبِ إِنْصٰافٍ فِي مُعٰامَلَةٍ.

اللغة

(الشّوب) بالفتح: الخلط يقال: شابه شوباً من باب قال خلطه، (الوري): ما توارى عنك واستتر، (سمات): جمع سمة كعدة وأصلها وسم وهي العلامات، (ضروب): أنواع، (سخت) من سخا يسخو: جادت، (الأسداء): الاعطاء.

المعنى

قد يتّخذ الوالي حاجباً على بابه يمنع عن ورود النّاس إليه إلاّ مع الاذن ، و قد يحتجب عن النّاس أي يكفّ نفسه عن الاختلاط بهم فيقطع عنه أخبارهم و أحوالهم ، وقد سعى الاسلام في رفع الحجاب بين الوالي و الرّعيّة إلى النّهاية ، فكان النّبيّ ﷺ يختلط مع النّاس كأحدهم فيجتمعون حوله للصّلاة في كلّ يوم خمس مرّات و لاستماع آي القرآن و الوعظ وعرض الحوائج في أيّ وقت حتّى يهجمون على أبواب دور نسائه ويدخلونها من دون استيذان .

فنزلت الآية « يا أيّها الّذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبيّ إلاّ أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إنيه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا و لا مستأنسين لحديث إنّ ذلكم كان يؤذي النبيّ فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحقّ و إذا سألتموهنّ متاعاً فسئلوهنّ من وراء حجاب » ٥٣ ـ الأحزاب .

وقد كانوا يصيحون عليه من وراء الباب ويستحضرونه حتّى نزلت الآية ٤و٥ الحجرات « إنّ الّذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ۞ ولو أنّهم صبروا حتّى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم » .

ولكن ورد الحجاب في الحكومة الاسلاميّة في أيّام عمر ، قال الشارح المعتزلي « ص ٩١ ج ١٧ ط مصر » حضر باب عمر جماعة من الأشراف منهم سهيل بن عمرو وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس فحجبوا ، ثمّ خرج الاذن فنادى ، أين عمّار أين سلمان ، أين صهيب وأدخلهم فتمعرت وجوه القوم ـ تغيّرت غيظاً وحنقاً ـ فقال سهيل ابن عمرو : لم تتمعّر وجوهكم ، دُعوا ودعينا ، فأسرعوا وأبطأنا ولئن حسدتموهم على باب عمر اليوم لأنتم غداً لهم أحسد .

و اشتدّ الحجاب في أيّام بني اُميّة فكان المراجعون يحجبون وراء الباب شهوراً وسنة ، قال الشارح المعتزلي « ص ٩٣ ج ١٧ ط مصر » أقام عبدالعزيز بن زرارة الكلابي على باب معاوية سنة في شملة من صوف لا يؤذن له .

و الظاهر أنّ موضوع كلامه عليه السلام هذا ليس الحجاب بهذا المعنى ، بل المقصود النّهي عن غيبة الوالي من بين النّاس و عدم الاختلاط معهم بحيث يعرف أحوالهم و أخبارهم فانتهز خواصّه هذه الفرصة فيموّهون عليه الحقائق ، كما يريدون ويعرضون عليه الأمور بخلاف ما هي عليه فيستصغر عنده الكبير و بالعكس ويقبح باضلالهم عنده الحسن و بالعكس ولا يتميّز عنده الحقّ من الباطل قال عليه السلام « إنّما الوالي بشر» لايعلم الغيب وما يخفيه عنه ذووالأغراض وليست للحقّ علائم محسوسة ليعلم الصّدق من الكذب .

ثمّ ردّ عليه السلام عذر الوالي في الاحتجاب من هجوم النّاس عليه وطلب الجوائز منه فقال : إن كان الوالي جواداً يبذل في الحق فلا وجه لاحتجابه ، و إن كان أهل المنع من العطاء فاذا لم يبذل للطّالبين أيسوا منه فلا يطلبون .

و نختم شرح هذا الفصل بنقل ما حكاه الشارح المعتزلي من وصايا أبرويز لحاجبه قال :

و قال أبرويز لحاجبه : لاتضعنّ شريفاً بصعوبة حجاب ، ولا ترفعنّ وضيعاً بسهولته ضع الرّجال مواضع أخطارهم فمن كان قديماً شرفه ثمّ ازدرعه « اثبته » ولم يهدمه بعد آبائه فقدّمه على شرفه الأوّل ، وحسن رأيه الأخر ، ومن كان له شرف متقدّم و لم يصن ذلك حياطة له ، ولم يزدرعه تثمير المغارسة ، فألحق بآبائه من رفعة حاله ما يقتضيه سابق شرفهم ، وألحق به في خاصّته ما ألحق بنفسه ، ولا تأذن له إلاّ دبرياً وإلاّ سراراً ، ولا تلحقه بطبقة الأوّلين ، وإذا ورد كتاب عامل من عمّالي فلا تحبسه عنّي طرفة عين إلاّ أن أكون على حال لا تستطيع الوصول إليّ فيها، وإذا أتاك من يدّعي النّصيحة لنافاكتبها سرّاً ، ثمّ أدخله بعد أن تستأذن له ، حتّى إذا كان منّي بحيث أراه فادفع إليّ كتابه فان أحمدت قبلت و إن كرهت رفضت . و إن أتاك عالم مشتهر بالعلم و الفضل يستأذن ، فأذن له ، فإنّ العلم شريف و شريف صاحبه ، و لا تحجبنّ عنّي أحداً من أفناء النّاس إذا أخذت مجلسي مجلس العامّة ، فإنّ الملك لا يحجب إلاّ عن ثلاث : عيّ يكره

أن يطّلع عليه منه ، أو بخل يكره أن يدخل عليه من يسأله ، أو ريبة هو مصرّ عليها فيشفق من إبدائها و وقوف الناس عليها ، ولابدّ أن يحيطوا بها علماً ، وإن اجتهد في سترها .

الترجمة

پس از همهٔ اينها خودرا مدتى طولانى از نظر رعيت محجوب بدار ، زيرا پرده گيرى كارگزاران از رعايا يك نوع فشار بر آنها است و كم اطلاعى از كارها پرده گيرى از رعيت مانع از دانستن حقايق است وبزرگ را درنظر كارگزار خرد جلوه ميدهد وخرد را بزرگ ، وزيبارا زشت جلوه ميدهد ، وزشت را زيبا ، وحق وباطل را بهم ميآميزد ، همانا كارگزار وحكمران يك آدمى است و آنچه را مردم ازاونهان دارند نخواهد دانست ، حق را نشانه هاى آشكار وديدنى نيست تا درست و نا درست بوسيلهٔ آنها شناخته شوند ، همانا تو كه حكمرانى يكى از دو كس خواهى بود :

يا مردى دست باز وبا سخاوتى در راه حق ، چرا پشت پرده ميروى براى پرداخت حقى كه بايد بدهى يا كارخوبى كه بايد بكنى .

يا مردى هستى گرفتار بخل وتنگ نظر در اينصورت هم مردم چه زود از حاجت خواستن ازتو صرف نظر كنند وقتى تورا بيازمايند از تو نوميد گردند ، با اينكه بيشتر حوائج مراجعان بتو خرجى ندارد ، از قبيل شكايت از مظلمه اى يادرخواست انصاف وعدالت درمعامله ودادستدى .

الفصل الثالث عشر من عهده عليه السلام

ثُمَّ إنَّ لِلْوُالِي خَاصَّةً وَ بِطَانَةً فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَ تَطَاوُلٌ ، وَ قِلَّةُ إنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ ، فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ

وَلاَ تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً ، وَلاَ يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ ، يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَكُنْ فِي ذَلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً ، وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ ، فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذَلِكَ مَحْمُودَةٌ .

وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ ، وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ ، وَإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ .

اللغة

(بطانة) الرّجل : دخلاؤه وأهل سرّه ممن يسكن إليهم ويثق بمودّتهم ، (الاستئثار) : طلب المنافع لنفسه خاصّة ، (التطاول) : وأطال الرّجل على الشيء مثل أشرف وزناً ومعني وتطاول علا وارتفع ، (الحسم) : قطع الدّم بالكي وحسمه حسماً من باب ضرب : قطعه ، (الحامّة) : القرابة ، (القطيعة) : محال ببغداد أقطعها المنصور ناساً من أعيان دولته ليعمّروها ويسكنوها ، ومنه حدثني شيخ من أهل قطيعة الرّبيع ، وأقطعته قطيعة أي طائفة من أرض الخراج والأقطاع إعطاء الإمام قطعة من الأرض وغيرها ويكون تمليكاً وغير تمليك . مجمع البحرين . .

(العقدة) : الضّيعة ، والعُقدة أيضاً : المكان الكثير الشّجر والنّخل ، اعتقد

الضيعة : اقتناها ، (المهنا) : مصدر هنأته كذا (المغبة) : العاقبة ، (الحيف) : الظلم والجور ، (وأصحرت) بكذا أي كشفته ، مأخوذ من الاصحار ، وهو الخروج إلى الصحراء .

الاعراب

استئثار : مبتدأ لقوله فيهم وهو ظرف مستقر قدّم على المبتدأ لكونه نكرة ، بقطع : الباء للسّببيه ، لايطمعن : فاعله مستترفيه راجع إلى قوله أحد ، يحملون مؤونته : جملة حالية ، واقعاًحال من قوله ذلك ، بما : الباء بمعنى مع ، بك حيفاً الجار والمجرور ظرف مستقرّ مفعول ثان لقوله : ظنّت قدم على حيفاً وهو المفعول الأوّل لكونه ظرفا ، فأصحر : ضمن معنى صرّح فعدى بالباء ، من تقويمهم لفظة من للتّعليل .

المعنى

من أصعب نواحي العدالة للولاة والحكّام والسّلاطين والزّعماء العدالة في خصوص الأولياء ، و الأحبّاء و الأقرباء و الأرحام من حيث منعهم عن الظلم بالرّعيّة اعتماداً على تقرّبهم بالحاكم ومن بيده الأمر والنّهى ، وقداهتمّ النبيّ صلى الله عليه وآله في ذلك فحرّم الصّدقات على ذوي قرباه لئلاّ يشتركوا مع النّاس في بيت المال فيأخذون أكثر من حقّهم ، ومنع بني عبدالمطّلب من تصدّي العمل في جمع الصّدقات لئلاّ يختلسوا منها شيئاً بتزلّفهم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله .

ففى الوسائل بسنده عن محمّد بن يعقوب ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمّد بن عبدالجبّار ، و عن محمّد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان جميعاً عن صفوان بن يحيى ، عن عيص بن القاسم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ اُناساً من بني هاشم أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه أن يستعملهم على صدقات المواشي وقالوا يكون لنا هذا السّهم الّذي جعل الله عزّوجلّ للعاملين عليها فنحن أولى به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يابني عبدالمطّلب [يابني هاشم - خ ب] إنّ الصّدقة لا تحلّ لي ولا لكم

ولكنّي قد وعدت الشّفاعة - إلى أن قال : أترونى مؤثراً عليكم غيركم ؟ .

و قد حفظ على هذه السيرة النبويّة المقدّسة في صدر الأسلام شيئاً ما حتّى وصلت النوبة إلى عثمان فحكّم ذوي قرابته من بني اُميّة على رقاب المسلمين وسلّطهم على أموالهم فكان يعطى العطايا الجزيلة لهم من بيت مال المسلمين و يقطع الأقطاع لهم من أراضي المسلمين و هتك حجاب العدل فأقطع مروان بن الحكم من فدك الّتي أخذها أبوبكر من فاطمة عليها السلام بحجّة مختلقة من أنه فيء لجميع المسلمين و صدقة مرجوعة إليهم ، ثمّ شاع أمر الأقطاع في حكّام الجور إلى أنّ المنصور العبّاسي أعطى جمعاً من بطانته قطايع من أراضي بغداد أكثرهم حظاً من ذلك الربيع الحاجب المتهالك في خدمته والفاتك بأعدائه وأهل ريبته كائناً من كان حتّى بالنسبة إلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام .

و قد أكثر حكّام بني اُميّة أيّام إمارتهم من أقطاع القطائع وغصب أراضي المسلمين إلى حيث ملأوا صدور المسلمين غيظاً و كرهاً على حكومتهم فخاف عمر ابن عبدالعزيز من ثورة تدكّ عرشهم فعزم بحزمه الفائق على سدّ هذا الخلل وتصدّى لردّ المظالم بكلّ صرامة وصراحة .

قال الشارح المعتزلي « ص٩٨ ج ١٧ ط مصر » : ردّ عمر بن عبدالعزيز المظالم الّتي احتقبها بنومروان فأبغضوه وذمّوه ، وقيل: إنّهم سمّوه فمات وفي « ص٩٩» : روى جويرية بن أسماء ، عن إسماعيل بن أبي حكيم ، قال : كنّا عند عمر بن عبدالعزيز ، فلمّا تفرّقنا نادى مناديه ، الصّلاة جامعةً ، فجئت إلى المسجد ، فإذا عمر على المنبر ، فحمدالله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أمّا بعد ، فانّ هؤلاء - يعني خلفاء بني اُميّة قبله - قد كانوا أعطوا عطايا ماكان ينبغي لنا أن نأخذها منهم ، وماكان ينبغي لهم أن يعطوناها ، و إنّي قد رأيت الآن أنّه ليس عليّ في ذلك دون الله حسيب ، وقد بدأت بنفسي والأقربين من أهل بيتي ، إقرء يامزاحم .

فجعل مزاحم يقرأ كتاباً فيه الأقطاعات بالضّياع والنّواحي ، ثمّ يأخذه عمر فيقصّه بالجلم « المقص » لم يزل كذلك حتّى نودي بالظهر .

و روى الأوزاعيّ ، أيضاً ، قال : قال عمر بن عبدالعزيز يوماً ، وقد بلغه عن بني اُميّة كلام أغضبه : إنّ لله في بني اُميّة يوماً ـ أوقال : ذبحاً ـ وأيم الله لئن كان ذلك الذبح ـ أوقال : ذلك اليوم ـ على يدي لأعذرنّ الله فيهم ، قال: فلما بلغهم ذلك كفّوا ، وكانوا يعلمون صرامته ، وأنّه إذا وقع في أمرمضى فيه .

أقول : ومن هذه الرّواية يعلم عمق سياسة عمر بن عبدالعزيز وحزمه وأنه تفرّس أنّ مظالم بني اُميّة تؤدي إلى ثورة عامّة عليهم تستأصلهم ، فصار بصدد العلاج من نواح كثيرة :

منها ـ يردّ الظّلامات والأقطاع ما أمكنه .

منها ـ التحبّب إلى أهل بيت النّبي صلى الله عليه وآله حتّى ردّ فدك إليهم خلافاً لسنّة أبي بكر الغاصبة و إلغاء سبّ ولعن عليّ عليه السلام من خطبة صلاة الجمعة الّذي سنّها وأمر بها معاوية .

وروى عمر بن عليّ بن مقدّم ، قال : قال ابن صغير لسليمان بن عبد الملك لمزاحم : إنّ لي حاجة إلى أمير المؤمنين عمر ، قال : فاستأذنت لـه ، فأدخله ، فقال : يا أمير المؤمنين لم أخنت قطيعتي ؟ قال : معاذ الله أن آخذ قطيعة ثبتت في الإسلام ، قال : فهذا كتابي بها ـ وأخرج كتاباً من كمّه ـ فقرأه عمر وقال : لمن كانت هذه الأرض ؟ قال : كانت للمسلمين ، قال : فالمسلمون أولى بها ، قال : فاردد إليّ كتابي ، قال : إنّك لولم تأتني به لم أسألكه ، فاذا جئتني به فلست أدعك تطلب به ماليس لك بحقّ ، فبكى ابن سليمان ، فقال مزاحم : ياأمير المؤمنين ، ابن سليمان تصنع به هذا ؟! قال: وذلك لأنّ سليمان عهد إلى عمر ، وقدّمه على إخوته فقال عمر : ويحك يا مزاحم ، إنّي لأجدله من اللّوط ـ في اللسان وقد لاط حبّه بقلبي أي لصق ـ ما أجد لولدي ، ولكنّها نفسي اُجادل عنها ـ انتهى .

أقول : هذا في أقطاع الأراضي ، وأمّا أقطاع المناصب ، فقد ابتدع من عصر أبي بكر حيث اتّخذ خالد بن الوليد بطانة وأعطاه لقب سيف الله وفوّض إليه إمارة جيوش الاسلام لما علم منه عداوة عليّ عليه السلام وفوّض إمارة الجيش الّذي بعثه إلى

الشام إلى يزيد بن أبي سفيان فاتخذ بني أمية بطانة لما عرف فيهم من المعاداة مع بني هاشم وأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله مع وجود من هو أشجع وأرسخ قدماً في الاسلام من كبار الصحابة العظام كأمثال مقداد والزبير وعمار بن ياسر .

وقد عرف عليه السلام ما لحق من الاضرار بالاسلام من استئثار خاصة الوالي وبطانته وأن فيهم تطاول وقلة انصاف ، فأمر الوالي بقطع مادة الفساد ونهاه مؤكداً عن أقطاع الأراضي لحاشيته وقرابته ، وأضاف إليه أن لا يسلطه على ما يمس بالرعية بواسطة عقد إجارة أو تقبل زراعة الأراضي ونحوهما لئلا يظلمهم في الشرب ويحملهم مؤونة لانتفاعه عنهم بالاعواض وأشار إلى أن ذلك صعب فأمره بالصبر وانتظار العاقبة المحمودة لاجراء هذه العدالة الشاقة عليه .

ثم توجه عليه السلام إلى أنه قد ينقم الرعية على الوالي في أمور يرونها ظلماً عليهم فيتهمونه بالمظالم و الجور فيتنفر عنه قلوبهم و يفكرون في الخلاص منه ، وربما كان ذلك من جهلهم بالحقيقة ، فلابد للوالي من التماس معهم و كشف الحقيقة لهم وإقناعهم وتنبيههم على جهلهم وحل العقدة التي تمكنت في قلوبهم ، وقد اتفق ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله في مواقف :

منها - ما اتفق في موقف تقسيم غنائم حنين حيث أسهم لرؤساء قريش كأبي سفيان مائة بعير ، وأسهم لرؤساء العشائر كعيينة بن حصن وأمثاله مائة بعير ، وأسهم للأنصار المجاهدين المخلصين مع سابقتهم وتفانيهم في نصرة الاسلام أربعة ، فدخل في صدورهم من الغيظ مالا يخفى فنقموا على رسول الله صلى الله عليه وآله واتهموه بالحيف في تقسيم الغنيمة فلما عرض ذلك عليه صلى الله عليه وآله جمع الأنصار وأصحر لهم بعذره وأزال غيظهم وأقنعهم قال ابن هشام في سيرته « ص ٣٢٠ ج٢ ط مصر » :

قال ابن إسحاق ، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وآله المؤلفة قلوبهم وكانوا أشرافاً من أشراف الناس يتألفهم و يتألف بهم قومهم ، فأعطى أباسفيان بن حرب مائة بعير ، و أعطى ابنه معاوية مائة بعير ، و أعطى حكيم بن حزام مائة بعير ، وأعطى الحارث ابن كلدة أخا بني عبدالدار مائة بعير - إلى أن قال : وأعطى العلاء بن جارية الثقفي

مائة بعير، وأعطى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر مائة بعير، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير ، وأعطى مالك بن عوف بن النصري مائة بعير ، وأعطى صفوان ابن أمية مائة بعير - إلى أن قال : جاء رجل من تميم يقال له : ذوالخويصرة فوقف عليه وهو يعطي الناس ، فقال : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : أجل فكيف رأيت ؟ قال : لم أرك عدلت - إلى أن قال : عن أبي سعيد الخدري قال : لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله ما أعطى من تلك العطايا في قريش و في قبائل العرب و لم يكن للأنصار منها شيء ، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم لقي والله رسول الله صلى الله عليه وآله قومه فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب و لم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء قال : فأين أنت من ذلك ياسعد ؟ قال: يارسول الله ما أنا إلا من قومي ، قال : فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة ، قال : فخرج سعد فجمع الأنصار ، في تلك الحظيرة - إلى أن قال : فلما اجتمعوا له أتاه سعد فقال: قد اجتمع هذا الحي من الأنصار فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم أصحر لهم عن عذره في ضمن خطبة بليغة قاطعة فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسماً وحظاً ، ثم انصرف رسول الله و تفرقوا فمن أراد الاطلاع فليرجع إلى محله .

و من أهمها ما وقع في صلح الحديبية مع مشركي مكة حيث قبل رسول الله صلى الله عليه وآله منهم الرجوع من حديبية ونقض العمرة التي أحرم بها مع أصحابه وشرط لقريش شروطاً يثقل قبولها على أصحابه .

قال ابن هشام في سيرته « ص ٢١٥ ج٢ ط مصر » قال الزهري : ثم بعث قريش سهيل بن عمرو أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا له : ائت محمداً فصالحه ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنه عامه هذا فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً ، فأتاه سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله

مقبلاً قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ، فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تكلم فأطال الكلام وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب فأتى أبابكر ، فقال : يا أبابكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلى م نعطى الدنية في ديننا ؟! قال أبوبكر : يا عمر إلزم غرزه - الغرز : العود المغروز بالأرض : أى إلزم رايته - فإني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : و أنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله ، فقال : يا رسول الله ألست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال: بلى ، قال: أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى، قال : فعلى م نعطى الدنية في ديننا ؟ ! قال : أنا عبدالله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني - انتهى .

و هذا الذي بينه عمر ما كان يختلج في صدور أكثر المسلمين لما أحسوا من ثقل شروط الصلح و اضطهادها المسلمين حتى دخل الشك في قلوب الناس ، وروى عن عمر انه قال : ماشككت في الإسلام قط كشكي يوم حديبية .

فأصحر رسول الله صلى الله عليه وآله عن عذره بأنه عبدالله ورسوله ، وقد أمره الله تعالى بعقد هذا الصلح ولا يستطيع مخالفة أمر الله .

ويظهر شكهم مما روي عن ابن عباس قال :حلق رجال يوم حديبية وقصر آخرون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يرحم الله المحلقين ، قالوا : والمقصرين يارسول الله ، قال : يرحم الله المحلقين ، قالوا : والمقصرين - إلى أن قال : فقالوا : يا رسول الله فلم ظاهرت الترحيم للمحلقين ؟ قال : لم يشكوا .

ومنها - ما رواه في الوسائل عن عنبسة بن مصعب ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : أتى النبي صلى الله عليه وآله بشيء يقسمه فلم يسع أهل الصفة جميعاً فخص به أناساً منهم فخاف رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون قد دخل قلوب الآخرين شيء ، فخرج إليهم ، فقال : معذرة إلى الله عز وجل وإليكم يا أهل الصفة إنا أوتينا بشيء فأردنا أن نقسمه بينكم فلم يسعكم فخصصت به أناساً منكم خشينا جزعهم وهلعهم - ذكره

في كتاب الزكاة في باب عدم وجوب استيعاب المستحقين بالإعطاء - .

و لعمري أنّ هذه المرحلة من أصعب ما يبتلي به الولاة والأمراء و رؤساء الشعوب والملل الغير الرّاقية والملل المتأخّرة ، حيث إنّ أعدل القوانين مما لا يرضى به كثير منهم لاستئثارهم بالمنافع وعدم التّوجه إلى غيرهم من الأفراد فقلّما وقع في تاريخ الدّول والملل أن يكون الشّعب راضياً من الحكومة غير ناقم عليه في كثير من قوانينها وإجراءآتها .

الترجمة

سپس راستی که برای والی مخصوصان ویاران نزدیکی است که خود خواه ودست درازند ودرمعامله بادیگران کمتر رعایت انصاف را مینمایند ، ریشه تجاوز وستم آنانرا باقطع وسائل ستم ازبن بر کن ، وبهیچکدام ازدورویها وخویشان خود تیولی از اراضی مسلمانان وامگذار وهرگز درتوطمع نبندند که قراردادی بنفع آنها منعقد کنی که مایه زیان مردم دیگر باشد در حقابه آب یاری یا در عمل مشترکی که مخارج آنرا بردیگران تحمیل کنند ، تا سود آنرا ببرند وگوارا بخورند وعیب ونکوهشش دردنیا وآخرت بگردن تو بماند .

حقرا دربارهٔ خویش وبیگانه بطورلزوم مراعات کن ، ودراین باره شکیبائی وخدا خواهی را منظور دار با هرچه فشار برخویشان ویارانت وارد شود ، گرانی این کاررا درسرانجام خوب آن تحمّل کن، زیرا سرانجامش پسندیده ودلنشین است .

واگر رعیّت تورا متهم به ستم وجوری کردند ، عذر خودرا دربارهٔ کاریکه منشأ اتهام و بدبینی آنها شده فاش کن وباکمال صراحت مطلب را بآنها بفهمان وبدبینی آنهارا بوسیله صراحت دربیان مطلب ازخود بگردان ، زیرا این خودبرای نفس تو ریاضت وپرورشی است ونسبت برعیت ارفاق وملاطفتی است ، و در نتیجه عذرخواهی مؤثریست که گره کارتورا میگشاید ورعیت را براه حق استوارمیدارد .

الفصل الرابع عشر من عهده عليه السلام

وَلاٰ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَ لِلّٰهِ فِيهِ رِضاً ، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ ، وَ رٰاحَةً مِنْ هُمُومِكَ ، وَ أَمْناً لِبِلاٰدِكَ ، وَ لٰكِنِ اَلْحَذَرَ كُلَّ اَلْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ ، فَإِنَّ اَلْعَدُوَّ رُبَّمٰا قٰارَبَ لِيَتَغَفَّلَ ، فَخُذْ بِالْحَزْمِ ، وَ اتَّهِمْ فِي ذٰلِكَ حُسْنَ اَلظَّنِّ ، وَ إِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفاءِ ، وَ اُرْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمٰانَةِ ، وَ اِجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مٰا أَعْطَيْتَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرٰائِضِ اَللّٰهِ شَيْءٌ اَلنّٰاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اِجْتِمٰاعاً مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوٰائِهِمْ وَ تَشَتُّتِ آرٰائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ اَلْوَفاءِ بِالْعُهُودِ ، وَ قَدْ لَزِمَ ذٰلِكَ اَلْمُشْرِكُونَ فِيمٰا بَيْنَهُمْ دُونَ اَلْمُسْلِمِينَ لِمٰا اِسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوٰاقِبِ اَلْغَدْرِ ، فَلاٰ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ ، وَ لاٰ تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ ، وَ لاٰ تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ ، فَإِنَّهُ لاٰ يَجْتَرِئُ عَلَى اَللّٰهِ إِلاّٰ جٰاهِلٌ شَقِيٌّ ، وَ قَدْ جَعَلَ اَللّٰهُ عَهْدَهُ وَ ذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضٰاهُ بَيْنَ اَلْعِبٰادِ بِرَحْمَتِهِ ، وَ حَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلىٰ مَنْعَتِهِ ، وَ يَسْتَفِيضُونَ إِلىٰ جِوٰارِهِ ، فَلاٰ إِدْغٰالَ وَ لاٰ مُدٰالَسَةَ وَ لاٰ خِدٰاعَ فِيهِ ، وَ لاٰ تَعْقِدْ عَقْداً تُجَوِّزُ فِيهِ اَلْعِلَلَ ، وَ لاٰ تُعَوِّلَنَّ عَلىٰ لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ اَلتَّأْكِيدِ وَ اَلتَّوْثِقَةِ ، وَ لاٰ يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اَللّٰهِ إِلىٰ طَلَبِ اِنْفِسٰاخِهِ بِغَيْرِ

الحق ، فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه و فضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته ، و أن تحيط بك من الله فيه طلبة فلا تستقبل فيها دنياك و لا آخرتك .

اللغة

(دعة) : مصدر ودع : الراحة ، (استوبلوا) استفعال من الوبال : أى ينتظرون وبال عاقبة الغدر والوبال: الوخم، يقال: استوبلت البلد : استوخمت فلم توافق ساكنها ، (خاس) بالعهد : نقضه ، (الختل) : الخداع والمكر (أفضاه) : بسطه ، استفاض الماء : سال ، (الدغل) : الفساد ، (المدالسة) : مفاعلة من التدليس في البيع وغيره كالمخادعة وهي إرائة الشيء وتعريفه بخلاف ما هو عليه ، (لحن القول) : كالتورية و التعريض و هي أداء المقصود بلفظ يحتمل غيره من المعنى ، (التوثقة) : مصدر من وثق .

الاعراب

لله فيه رضاً : رضا مبتدأ مؤخر مرفوع تقديرا ولله جار ومجرور متعلق برضاً وفيه ظرف مستقر خبر له ، والجملة حال عن قوله عليه السلام صلحاً ، الحذر: منصوب على التحذير بفعل مقدر و كل الحذر تأكيد ، عقدة مفعول عقدت و بينك ظرف متعلق بها ، ما اعطيت ، ما موصولة أو مصدرية والعائد محذوف .

فانه ليس من فرائض الله ـ إلى قوله : أشد عليه اجتماعاً ـ الخ ، قال الشارح المعتزلي في « ص ١٠٧ ج ١٧ طبع مصر » ، قال الراوندي : الناس مبتدأ وأشد مبتدأ ثان ومن تعظيم الوفاء خبره ، وهذا المبتدأ الثاني مع خبره خبر المبتدأ الأول ومحل الجملة نصب لأنها خبر ليس ومحل ليس مع اسمه وخبره رفع لأنه خبر فانه ، وشيء اسم ليس و من فرائض الله حال ولو تأخر لكان صفة لشيء والصواب أن شيء اسم ليس و جاز ذلك و إن كان نكرة لاعتماده على النفى و لأن الجار

والمجرور قبله في موضع الحال كالصفة ، فتخصص بذلك وقرب من المعرفة ، والناس مبتدأ وأشد خبره ، و هذه الجملة المركبة من مبتدء وخبر في موضع رفع لأنها صفة شيء وأمّا خبر المبتدء الذي هو « شيء » فمحذوف وتقديره « في الوجود » كما حذف الخبر في قولنا « لا إله إلا الله » أى في الوجود .

و ليس يصح ما قال الراوندي من أن « أشد » مبتدء ثان و « من تعظيم الوفاء » خبره لأن حرف الجر إذا كان خبرا لمبتدأ تعلق بمحذوف ، وهاهنا هو متعلق بأشد نفسه ، فكيف يكون خبراً عنه ، وأيضاً فانه لا يجوز أن يكون أشد من تعظيم الوفاء خبراً عن الناس ، كما زعم الراوندي ، لأن ذلك كلام غير مفيد ألا ترى أنك إذا أردت أن تخبر بهذا الكلام عن المبتدء الذي هو « الناس » لم يقم من ذلك صورة محصلة تفيدك شيئاً ، بل يكون كلاماً مضطرباً .

ويمكن أن يكون « من فرائض الله » في موضع رفع لأنه خبر المبتدء و قد قدم عليه ، ويكون موضع « الناس » وما بعده رفع لأنه خبرا لمبتدء الذي هو شيء ، كما قلناه أولاً ، وليس يمتنع أيضاً أن يكون « من فرائض الله » منصوب الموضع لأنه حال ويكون موضع « الناس أشد » رفعاً لاخبرا لمبتدأ الذي هو « شيء » .

أقول : الوجه الصحيح في إعراب هذه الجملة أن : من فرائض الله ظرف مستقر خبر ليس و « شيء » اسمه و كون الخبر ظرفاً ومقدماً من مصححات الابتداء بالنكرة ، و « الناس » مبتدأ و « أشد عليه اجتماعا » خبره و « من تعظيم الوفاء » مكمل قوله « أشد » فان أفعل التفضيل يكمل بالاضافة أو لفظة من ، والجملة في محل حال أوصفة لقوله « شيء » وما ذكره الراوندي والشارح المعتزلي من الوجوه تكلفات مستغنى عنها .

دون المسلمين : ظرف مستقر في موضع الحال عن المشركين ، لا تختلن ، نهى مؤكد من ختله يختله إذا خدعه وراوغه ، فلا ادغال ، لنفى الجنس والاسم مبني على الفتح و نفى جنس الادغال وما بعده كناية عن النهي المؤكد ، وفضل عاقبته : عطف على قوله : انفراجه ، وأن تحيط : فعل مضارع منصوب بأن المصدرية معطوف

على قوله عليه السلام غدر أي و من أحاطة لله بك فيه طلبة ، فلا تستقبل : الفاء فصيحة تفيد التفريع وهي الفاء الفصيحة .

المعنى

قد تعرّض عليه السلام في هذا الفصل في الرّوابط الحكوميّة الاسلاميّة الخارجيّة و حثّ على رعاية الصلح و قبول الدّعوة إليه ، و هذا الدّستور ناش من جوهر الاسلام الّذي كان شريعة الصّلح و السلام والأمن ، فانّه نهض بشعارين ذهبيّين وهوالإسلام والإيمان ، والإسلام مأخوذ من السّلم ، والإيمان مأخوذ من الأمن وهذان الشعاران اللّذان نهض الإسلام بهما اعلام بأنّ هذا الدّين داع إلى استقرار الصلح و الأمن بين كافّة البشر ، وقد نزلت في القرآن الشريف آيات محكمات تدعو إلى الصّلح واستتباب السّلام .

١ـ « يا أيّها الّذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبيّنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السّلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحيوة الدّنيا فعندالله مغانم كثيرة ـ ٩٤ ـ النساء » .

قال في مجمع البيان : وقرء في بعض الرّوايات عن عاصم السّلم بكسر السّين و سكون اللاّم و قرء الباقون السّلام بالألف ، وروى عن أبي جعفر القارىء عن بعض الطّرق « لست مؤمناً » بفتح الميم الثانية ، و حكى أبوالقاسم البلخي أنّه قراءة محمّد بن علي الباقر عليه السلام ـ انتهى .

فجمع هذين القرائتين يصير « و لا تقولوا لمن ألقى إليكم السّلم لست مؤمناً » فيكون صريحاً في المطلوب وموافقاً لقوله عليه السلام (ولا تدفعنّ صلحاً دعاك إليه عدوّك) .

٢ـ « لاخير في كثير من نجويهم إلاّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين النّاس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ١١٤ ـ النساء » .

٣ ـ « والصلح خير وأحضرت الأنفس الشحّ وإن تحسنوا وتتّقوا فانّ الله كان بما تعملون خبيراً ١٢٨ ـ النساء »

فقوله تعالى « و الصّلح خير » جملة صارمة ذهبية مال إليها كلّ الشعوب في هذه العصور و آمنوا بها من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون ، فقد صار حفظ الصّلح والسّلام ديناً للبشر كافّة أسّسوا لحفظه والدعوة إليه مؤسّسة الأمم المتّحدة .

٤ ـ « يا أيّها الّذين آمنوا ادخلوا في السّلم كافة ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين ٢٠٩ ـ البقرة » .

والسبب في ترغيب الإسلام في الصلح والسّلم أنّ الاسلام ، دين برهان وتفكير و شريعة تبيان و دليل و الاستفادة منها يحتاج إلى محيط سالم و طمأنينة و الحرب المثيرة للأحقاد والتعصّبات منافية للتوجّه إلى البرهان والتعقّل في أيّ بيان ، وقد نبّه عليه السلام إلى ما في الصّلح من الفوائد القيّمة فقال : (فانّ في الصّلح :

١ ـ دعة لجنودك) فالحرب متعبة للأبدان منهكة للقوى ، فيحتاج الجند إلى دعة واستراحة لتجديد القوى والاقتدار على مقاومة العدى .

٢ ـ (وراحة من همومك) فالحرب تحتاج إلى ترسيم خطّة صحيحة تؤدّي إلى الظّفر فاذا حمى الوطيس و احمرّ الموقف من دم الأبطال وارتج الفضاء من العويل و الويل لا يقدر القائد من التفكير وترسيم خطط ناجحة والصّلح يريحه من الهموم ويفتح أمامه فرصة الفكر وترسيم خطط للظفر بالعدوّ .

٣ ـ (و أمناً لبلادك) فالحرب تثير الضّغائن وتحرّض العدوّ على الاغارة في البلاد وسلب الأمن والرّاحة عن العباد .

ثمّ نهى عليه السلام و حذّر عن الغفلة بعد الصّلح و وصّى أن يكون المسلمون دائماً على أهبة فطنا يقظاً من كيد الأعداء ، لأنّ العدوّ إذا رأى النفوّق لعدوّه في الحرب و أيس من الغلبة عليه يلتجأ باقتراح الصّلح ، ثمّ لم يلبث أن يفكّر في الخديعة وطلب الظّفر بالمكر والدّهاء من شتّى النواحي ويقارب ليتمكن من درس نقاط الضعف وينتهز الفرصة للهجوم على عدوّه في موقع مقتض .

فالحرب خطة محيطة بالأخطار من شتّى النّواحي ، فلابدّ من ملاحظة أيّ احتمال يؤدّي إلى ظفر العدوّ وإن كان ضعيفاً والفكر في معالجته وسدّه ، كما أنه

لما اصطفّ المسلمون مع قريش في أُحد فكّر النّبي صلى الله عليه وآله في إمكان هجوم خيّالة قريش من وراء عسكر الإسلام ومحاصرتهم حتّى بعد انهزامهم، فوكّل عبدالله بن جبير في ستّين نفراً من رماة الإسلام على جبل الرّماة ووصّاهم بالمقام هناك وحفظ خلف صفوف المسلمين وأكّد لهم مزيد التأكيد ووعدهم بمزيد من سهم الغنيمة .

و لمّا انهزم المشركون في الهجوم الأوّل لجيش الإسلام وشرعوا بالفرار غرّ أصحاب عبدالله و لم يطيعوه وأخلّوا مقامهم ، فانتهز خالد بن وليد قائد خيّالة قريش هذه الفرصة ودار بالخيّالة وراء صفوف المسلمين وحاصرهم فوقع الانهزام في صفوف المسلمين وقتل أكثر من سبعين من أبطال الإسلام وأُصيب النبيّ صلى الله عليه وآله بجراحات عظيمة كاد أن يقضى عليه لولا نصر الله وتأييده .

والصّلح دورة ينضب شعلة الحرب تحت الرّماد فلابدّ من الحذر واليقظة التامّة من مكائد العدوّ الكاشر باسنانه الحاقد بقلبه .

و قد تقدّم الاسلام في أيام بني عثمان تقدّماً ظاهراً في اروبا حتّى حاصر جيش الأسلام بلدة وينه ولكن لما وقع عقد الصلح بين زعماء أروبا وبني عثمان كادوا ودبّروا حتى استولوا على متصرفاته وأرجعوا سلطة الإسلام الرّهيبة قهقرى وشرحوا في ترسيم خطط لإغفال المسلمين وتنويمهم بشتّى الوسائل حتّى غلبوا في القرن الثامن عشر و بعده على كافّة نواحي الإسلام و فتحوا بلاد الإسلام فتحاً اقتصادياً لانظير له من قبل وحازوا كلّ منابع ثروة المسلمين من المعادن ، وحوّلوا بلادهم إلى أسواق تجارية لهم و كبّلوهم برؤوس الأموال الهائلة و سخّروهم من حيث يشعرون ومن حيث لايشعرون ودام سلطتهم على أغلب المسلمين وأغلب بلادهم إلى عصرنا هذا ، فيالها من مصيبة سبّبت إغواء شباب الإسلام وانحرافهم عن الإسلام.

زعم العواذل أنّني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

فلابدّ من الأخذ بالحزم وطرد حسن الظنّ تجاه العدوّ سواء في حالة الحرب أو الصّلح ، والصّلح مع العدوّ غالباً ينتهي إلى عقد قرار بشروط معيّنة فتوجّه عليه السلام إلى ذلك ووصّى فيه بأمرين :

١ـ أمر بالوفاء بالعهد والذمّة وفاء كاملاً يحوط به من كلّ ناحية ورعاية الذمّة إلى حيث يضحّى بنفسه في سبيل الوفاء ورعاية الذمّة مع أنها تنعقد مع غير المسلم ، وأشار إلى أنّ الوفاء بالعهد فريضة إلهيّة يجب رعايتها والالتزام بها ووديعة بشريّة اتفقت الشعوب والملل راقيها ومتأخّرها على الالتزام بها حتّى المشركين المنكرين للدّين ، حيث أنهم يخافون من عاقبة الغدر ، فيقول عليه السلام : (فلا تغدرنّ بذمّتك ولا تخيسنّ بعهدك ، ولا تختلنّ عدوّك) لأنّ الغدر ونقض العهد والمخادعة بعد التعهّد ظلم ولو كان الطّرف كافراً ولا يرتكبه إلاّ جاهل شقيّ .

ونبّه على أن اتفاق بني الإنسان على رعاية العهود والذّمم نظم إلهي وإلهام فطري أوحى إليهم من حيث لا يشعرون لحفظ الأمن والنظام اللازم لبقاء البشر فهو رحمة الله الّتي فاضت في كافّة العباد كالرزق المقدر لهم ليسكنو إلى منعة حريمها وينتشروا في جوارها وراء مآربهم ومكاسبهم .

٢ـ أمره بالسّعي في صراحة ألفاظ المعاهدة ووضوح النّصوص المندرجة فيها بحيث لا تكون ألفاظها وجملها مبهمة و مجملة ، قابلة للترديد والتأويل ، و نهى عن التمسّك بخلاف ظاهر ألفاظ المعاهدة بعد التأكيد والتوثيق لنقضها إذا طرء الصّعوبة على إجرائها ، وقال عليه السلام (و لا يدعونّك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحقّ) وعلّله عليه السلام بأنّ الصّبر على الصّعوبة النّاشئة من الوفاء بالعهد متعقّب بالفرج و حسن العاقبة و هو خير من الغدر الّذي يخاف تبعته بانتقام من نقض عهده في الدّنيا وبعقوبة الله على نقض العهد المنهيّ عنه في غير آية من القرآن في الآخرة .

و ممّا ينبغي تذكّره هنا ما وقع لرسول الله صلى الله عليه وآله في معاهدة حديبيّة مع قريش ، قال ابن هشام في سيرته « ص ٢١٦ ج٢ ط مصر » .

فبينا رسول الله صلى الله عليه وآله يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو إذا جاء أبو جندل ابن سهيل بن عمرو يرسف في الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، و قد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حين خرجوا وهم لا يشكّون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله

صلّى الله عليه وسلّم ، فلمّا رأوا ما رأوا من الصّلح و الرّجوع وما تحمّل عليه رسول‌الله ﷺ في نفسه دخل على النّاس من ذلك أمر عظيم حتّى كادوا يهلكون ، فلمّا رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بتلبيبه ، ثمّ قال : يا محمّد قدلجّت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت فجعل ينتره بتلبيبه ويجرّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبوجندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أأردّ إلى المشركين يفتنونني في ديني فراد النّاس إلى ما بهم ، فقال رسول‌الله ﷺ يا أباجندل أصبر و احتسب فإنّ الله عاجل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً إنا قد عقدنا بيننا و بين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهدالله وإنا لا نغدر بهم ، قال : فوثب عمر بن الخطّاب ، انتهى .

وأنت ترى ما وقع فيه رسول‌الله ﷺ من الحرج والمشقّة في الوفاء بالعهد الّذي عقده مع قريش ولكن دام عليه حتّى فرّج الله عنه أحسن فرج .

الترجمة

محققاً صلحى كه ازدشمن بدان دعوت شدى رد مكن درصورتيكه خدا پسند باشد زيرا درصلح بادشمن آرامش خاطر لشكريان تو است ومايهٔ آسايش تو ازهمّ وهول است ووسيلهٔ آسايش شهرستانها است ، ولى بايد پس ازصلح بسيار از دشمن درحذر باشى ، زيرا بسا كه دشمن نزديك و دمخور ميشود تا دشمن را غافلگير كند ، دوراندیشى را پيشه كن وخوش بينى را كنار بگذار .

واگر ميان خود ودشمنت قراردادى بستى يا اورا درپناه خود گرفتى تعهد خودرا از همه جهت وفا كن ، و ذمّهٔ پناه بخشى خودرا رعايت نما وجان خود را سپر آن عهدى ساز كه سپردى ، زيرا درميان واجبات خداوند چيزى نيست كه همهٔ مردم با تفرقه در اهواء وتشتت در آراء سخت‌تر درآن اتفاق داشته باشند از تعظيم وبزرگ داشت وفا بتعهّدات .

تا آنجا كه مشركان وبت پرستان هم كه مسلمانى ندارند آنرا برخود لازم مى‌شمارند ، براى آنكه عواقب نقض تعهد را نكبت بار ميدانند ، بتعهد پناه بخشى

خود غدر مکن و عهد خود را مشکن و دشمن خودرا گول مزن ، زیرا دلیری و گستاخی برخدا را مرتکب نشود مگر نادان بدبخت .

خداوند تعهد وذمّه پناه بخشی را مایهٔ آسایش ساخته که میان بندگان خود از هر کیش وملّت پراکنده وآنرا بست ودژ محکمی مقرر کرده که درسایهٔ آن بیارامند ودر پناه آن بدنبال أنجام کارهای خود بگرایند ، دغلی وتدلیس وفریب وخدعه را در آن راهی نیست .

قرار دادی منعقد نکن که عبارات آن مبهم باشد وخلل در آن راه یابد و بکنایه واشاره درعقد قرارداد مؤکد و مورد وثوق اعتماد مکن ، واگر برای اجرای برخی مواد قرارداد درفشار افتادی امرخدا تورا باجرای آن ملزم ساخته درمقام برنیاکه بنا حق راه فسخ آنرا جستجو کنی ، زیرا شکیبائی تو بر تحمل فشاراجرای تعهد باامید باینکه دنبالش گشایش است وسرانجامش خوبست بهتراست از عهد شکنی که بیم از عواقب ناهنجارش داری وازاینکه ازجانب خداوند دربارهٔ آن مورد مسئولیت قراربگیری ، وخدا ازتو نگذرد نه دردنیا ونه درآخرت .

الفصل الخامس عشر من عهده عليه السلام

إِيَّاكَ وَ الدِّمَاءَ وَ سَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ ، وَ لاَ أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ ، وَ لاَ أَحْرَىٰ بِزَوَالِ نِعْمَةٍ ، وَ انْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا ، وَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَ يَنْقُلُهُ ، وَ لاَ عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَ لاَ عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ ، لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ ،

وَ إِنْ ٱبْتُليتَ بِخَطَإٍ وَ أَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَو يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي ٱلْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً فَلاَ تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَىٰ أَوْلِيَاءِ ٱلْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ .

وَ إِيَّاكَ وَ الْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ ، وَ الثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا ، وَ حُبَّ الْإِطْرَاءِ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ ٱلْمُحْسِنِينَ .

وَ إِيَّاكَ وَ ٱلْمَنَّ عَلَىٰ رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ ، فَإِنَّ ٱلْمَنَّ يُبْطِلُ ٱلْإِحْسَانَ ، وَ التَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ ٱلْحَقِّ ، وَ الْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ ٱللهِ وَ النَّاسِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : « كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ ـ ٣ الصف » .

وَ إِيَّاكَ وَ الْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا ، أَوِ التَّسَقُّطَ [ٱلتَّسَاقُطَ] فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا ، أَوِ ٱللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ ، أَوِ ٱلْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا ٱسْتَوْضَحَتْ ، فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ ، وَ أَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ .

وَ إِيَّاكَ وَ الْإِسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ ، وَ التَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَىٰ بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ ، وَ عَمَّا قَلِيلٍ

تَنْكَشِفِ عَنْكَ أَغْطِيَةُ ٱلْأُمُورِ ، وَ يُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ ٱمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ ، وَ سَوْرَةَ حَدِّكَ ، وَ سَطْوَةَ يَدِكَ ، و غَرْبَ لِسَانِكَ وَ ٱحْتَرِسْ مِن كُلِّ ذٰلِكَ بِكَفٍّ ٱلْبَادِرَةِ ، وَ تَأْخِيرِ السَّطْوَةِ ، حَتّىٰ يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ ٱلْإِخْتِيَارَ ، وَ لَنْ تَحْكُمَ ذٰلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتّىٰ تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ ٱلْمَعَادِ إِلىٰ رَبِّكَ .

وَ ٱلْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضىٰ لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا ـ صلى الله عليه وآله ـ أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ ٱللهِ ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا ، وَ تَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي ٱتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هٰذَا ، وَ ٱسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ ٱلْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلىٰ هَوَاهَا [فَلَنْ يَعْصِمَ مِنَ السُّوءِ وَلَا يُوَفِّقُ لِلْخَيْرِ إِلَّا ٱللهُ تَعَالىٰ وَ قَدْ كَانَ فِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ ٱللهِ ـ صلى الله عليه وآله ـ فِي وَصَايَاهُ تَحْضِيضٌ عَلَى الصَّلَاةِ وَ ٱلزَّكَاةِ وَ مَا مَلَكَتْهُ أَيْمَانُكُمْ ، فَبِذٰلِكَ أَخْتِمُ لَكَ بِمَا عَهِدْتُ ، وَ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللهِ ٱلْعَلِيِّ ٱلْعَظِيمِ] .

اللغة

(قود) القود بالتحريك : القصاص، يقال : أقدت القاتل بالقتيل: قتلته به

وبابه قال (الوكزة) : وكزه : ضربه ودفعه ، ويقال : وكزه أي ضربه بجمع يده على ذقنه ، وأصابه بوكزة أى بطعنة وضربة ، (نخوة) : في الحديث إنّ الله أذهب بالإسلام نخوة الجاهليّة بالفتح فالسّكون أى افتخارها وتعظّمها ، (الفرصة) : النوبة ، و الممكن من الأمر ، (يمحق) يقال : محقه محقاً من باب نفعه : نقصه و أذهب منه البركة ، و قيل : المحق ذهاب الشيء كلّه حتّى لا يرى له أثر ، (التزيّد) : تفعّل من الزيادة أى احتساب العمل أزيد مما يكون ، (المقت) : البغض، (لجّ) في الأمر لجاجة إذا لازم الشيء وواظبه من باب ضرب ، (الأسوة) : المساواة ، (التغابي) : التغافل، (سورة) الرّجل : سطوته وحدّة بأسه ، (غرب) اللسان : حدّته ، (البادرة) : سرعة السّطوة والعقوبة .

الاعراب

إيّاك منصوب على التحذير ، والدّماء منصوب على التحذير والتقدير اتّق نفسك واحذر الدّماء و سفكها ، ممّا يضعفه : من للتبعيض ، لا عذر لنفى الجنس والخبر محذوف ، في نفسه جار ومجرور متعلق بقوله : أوثق ، مقتا : منصوب على التميز ، بما الناس ، ما موصولة أو موصوفة ، و الجملة بعدها صفة أوصلة ، و فيه متعلّق بقوله أسوة ، بكفّ البادرة مصدر مضاف إلى المفعول من المبنى للمفعول .

المعنى

قد تعرّض عليه السلام في هذا الفصل للتّوصيات الأخلاقيّة بالنّسبة إلى الوالي نفسه ليكون أسوة لعمّاله أوّلاً ولكافّة الرّعيّة نتيجتاً ، فتوجّه إلى التّعليم الأخلاقي كطبيب روحاني ما أشدّه في حذقه ومهارته فانّه عليه السلام وضع إصبعه على أصعب الأمراض الأخلاقيّة والجنائية الّتي ابتلت بها الأمّة العربيّة في الجاهليّة العمياء الّتي ظلّت عليها قروناً وسعت في معالجتها و التحذير عنها وبيان مضارّها كدواء ناجع ناجح في معالجتها فشرع في ذلك الفصل بقوله عليه السلام .

(إيّاك والدّماء و سفكها) كانت العرب في الجاهليّة غريقة في الحروب والمشاحنات ، و عريقة في سفك الدّماء البريئات ، فكانت تحمل سلاحها وتخرج

من كمينها للصّيد فيهدف أيّ دابّة تلقاها وحشيّة كانت أم أهليّة بهيمة كانت أم نسمة ، تعيش بالصّيد و تشبع منها وتسدّ جوعتها ، و إذا كان صيدها إنساناً يزيده شغفاً و سروراً ، لأنه ينال بسلبه ومتاعه فا نقلبت إلى أمّة سفّاكة تلذّ من قتل النّفوس ويزيدها نشاطاً إذا كان المقتول رجلاً شريفاً وبطلاً فارساً فتفتخر بسفك دمه وتنظم عليه الأشعار الرّائقة المهيّجة وترنّمها وتغنّي بها في حفلاتها .

و جاء الإسلام مبشّراً بشعار الإيمان و الأمن ولكن ما لبث أن ابتلى بالهجومات الحادّة الّتي ألجأه إلى تشريع الجهاد ، فاشتغل العرب المسلمون بقتل النفوس في ميادين الجهاد حقاً في الجهاد المشروع وباطلاً في شتّى المناضلات الّتي أثارها المنافقون فيما بينهم بعض مع بعض أو مع الفئة الحقّة حتّى ظهر في الإسلام حروب دمويّة هائلة تعدّ القتلى فيها بعشرات الألوف كحرب جمل وصفّين .

فزاد المسلمون العرب السّادة في الجزيرة و ما فتحوه من البلاد الواسعة الألفة بمص الدّماء وسفكها حتّى سقط حرمة الإنسان في نظرهم وسهل عليهم أمر سفك الدّماء لا يفرّقون بين ذبح شاة وبين ذبح إنسان .

و هذا الدّاء العضال مهمّة للتعليمات الإسلاميّة من الوجهه الأخلاقيّة منذ بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله .

فنزلت في القرآن الشريف آيات محكمة صارمة في تحريم سفك الدّماء فبيّن الاعتراض عليه من لسان الملائكة العظام حين إعلام خلق آدم فقال عزّ من قائل « و إذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء ٣٠ ـ البقرة » وتلاها بنقل قصّة ابني آدم الّذي قتل أحدهما الآخر فأبلغ في تشنيع ارتكاب القتل إلى حدّ الاعجاز ، ثمّ صرّح بالمنع في قوله تعالى « و ما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلاّ خطأً ٩٢ ـ النساء » ، وفرض في ارتكاب قتل الخطاء كفّارة عظيمة ، فقال تعالى « ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله » ثمّ قرّر عقوبة لاتتحمّل في قتل المؤمن

عمداً فقال تعالى « و من يقتل مؤمناً متعمّداً فجزائه جهنّم خالداً فيها و غضب الله عليه و لعنه و أعدّ له عذاباً عظيماً ٩٤ ـ النساء » .

وأكّد النبيّ في المنع عن قتل الخطأ باشتراك العاقلة في هذا الجريمة المعفوّة عن العقوبة الأخروية لكونها غير اختيارية من حيث النيّة فحمّلهم الدية و أعلن أنّ حرمة المؤمن كحرمة الكعبة باعتبار أنّ حرمة الكعبة راسخة في قلوب العرب وعقيدتهم إلى النهاية .

و قد نبّه عليه السلام إلى تبعات سفك الدم بما يلي :

١ـ (فانّه ليس شيء أدعى لنقمة) في نظر أولياء المقتول و عامّة الناس و عند الله .

٢ـ (و لا أعظم لتبعة) في الدنيا بالانتقام من ذوي أرحام المقتول و أحبّائه و بالقصاص المقرّر في الاسلام .

٣ـ (و لا أحرى بزوال نعمة) و أهمّها زوال الطمأنينة عن وجدان القاتل و ابتلائه بالاضطراب الفكري و عذاب الوجدان .

٤ ـ (و انقطاع مدّة) سواء كان مدّة الشباب فيسرع المشيب إلى القاتل أو الرتبة الاجتماعيّة و المدنيّة فتسقط عند الناس و عند الأمراء ، أو العمر فيقصر عمر القاتل .

٥ ـ أنّه أوّل ما يقضي الله به يومَ القيامة ، فتحلّ أوّل عقوبة الأخرة بالقاتل .

٦ـ انتاجه عكس ما يروم القاتل من ارتكابه ، فيضعف سلطنته و يوهنها إن قصد به تقوية سلطانه بل يزيلها و ينقلها .

٧ـ إنّه لايقبل الاعتذار و الخلاص من عقوبته إن كان عمداً .

٨ـ ادّائه إلى القود المفني للبدن و المزيل للحياة .

ثمّ بيّن عليه السلام أنّه إن كان خطأً فلا بدّ من الانقياد لأولياء المقتول بأداء الدية من دون مسامحة و اعتزاز بمقام الولاية ، و نبّه إلى الاحتياط في الضرب

و الايلام و إلى كظم الغيظ عند المكاره فانّه ربما يصير الوكزة باليد سبباً للقتل .

قال في الشرح المعتزلي : في شرح قتل الخطأ «ص٢١٢ ج١٧ ط مصر» : وقد اختلف الفقهاء في هذه المسألة ، فقال أبوحنيفة و أصحابه : القتل على خمسة أوجه : عمد ، و شبه عمد ، و خطأ ، و ما أُجري مجرى الخطأ ، و قتل بسبب :

فالعمد ما يُتعمّد به ضرب الانسان بسلاح ، أو ما يجرى مجرى السلاح كالمحدّد من الخشب وليطة القصب « وهى قشر القصب اللازق به » و المروة « وهى الحجر الأبيض البرّاق » المحدّدة ، و النار ، و يوجب ذلك المأثم و القود إلاّ أن يعفو الأولياء ، و لا كفّارة فيه .

و شبه العمد أن يتعمّد الضرب بما ليس بسلاح و أُجرى مجرى السلاح كالحجر العظيم و الخشبة العظيمة ، و يوجب ذلك المأثم و الكفّارة ، و لا قود فيه ، و فيه الدية مغلّظة على العاقلة .

و الخطأ على وجهين : خطأ في القصد ، و هو أن يرمي شخصاً يظنّه صيداً ، فاذا هو آدمي ، و خطأ في الفعل ، و هو أن يرمي غرضاً فيصيب آدمياً ، و يوجب النوعان جميعاً الكفّارة و الدية على العاقلة ، ولامأثم فيه .

و ما أُجرى مجرى الخطأ ، مثل النائم يتقلّب على رجل فيقتله ، فحكمه حكم الخطأ .

و أمّا القتل بسبب ، فحافر البئر و واضع الحجر في غيرملكه ، و موجبه إذا تلف فيه إنسان الدية على العاقلة ، و لا كفّارة فيه .

فهذا قول أبي حنيفة و من تابعه ، و قد خالفه صاحباه أبويوسف و محمّد في شبه العمد ، و قالا : إذا ضربه بحجرعظيم ، أو خشبة غليظة فهوعمد ، قال : و شبه العمد أن يتعمّد ضربه بما لا يقتل به غالباً ، كالعصا الصغيرة ، و السوط ، و بهذا القول قال الشافعي .

و كلام أمير المؤمنين عليه السلام يدلّ على أنّ المؤدّب من الولاة إذا تلف تحت يده إنسان في التأديب فعليه الدية ، و قال لي قوم من فقهاء الاماميّة : إنّ مذهبنا

أن لا دية عليه ، و هو خلاف ما يقتضيه كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

أقول : ليس في كلامه عليه السلام أنّ الضرب كان للتأديب كما قيّده به في كلامه بل الظاهر خلافه و أنّه عليه السلام بيّن حكم العنوان الذاتي الأوّلي للضرب و لاينافي ذلك سقوطه بعنوانه الثانوي كما إذا كان للتأديب أو الدفاع .

و قال المحقّق ـ رحمه الله ـ في الشرائع : القتل إمّا عمد ، و إمّا شبيه العمد و إمّا خطأ محض ، فضابطة العمد أن يكون عامداً في فعله و قصده ، و شبه العمد أن يكون عامداً في فعله مخطئاً في قصده ، و الخطأ المحض أن يكون مخطئاً فيهما . انتهى .

قسّم القتل إلى هذه الأقسام الثلاثة ، ثمّ فرّع بعد ذلك فروعاً كثيرة في موجبات الضمان الملحق بقتل الخطأ أوشبه العمد ، ومع ملاحظة الفروع الّتي تعرّض فيها لأنواع الضمانات في هذا الباب لايظهر منها كثير خلاف مع ما ذكره الشارح المعتزلي من فقهاء العامّة ، و لايسع المقام تفصيل ذلك .

ثمّ حذّر عن الاعجاب بالنفس والاعتماد على مايصدرمنه من محاسن الأعمال في نظره ، والاعجاب بالنفس موجب للنخوة و الغرور الّتي كانت من أمراض العرب الجاهلي و أدّاه إلى الاعتقاد بالتبعيض العنصري و التمسّك بأنّ عنصره و جرثومته القبلي أشرف العناصر ، فالعرب مع ضيق معاشه و حرمانه عن أكثر شئون الحياة السعيدة و موجبات الرفاه في المعيشة و تقلّبه في رمال الصحراء و حرّ الرمضاء يرى نفسه أشرف البشر و أفضل من سلف و غبر ، فيأنف من الارتباط الأخوي مع بني نوعه و التبادل الانتفاعي بالزواج ، و قد يأنف من أخذ العطاء مع حاجته و فقره المدقع .

وقد تمكّن في عقيدته هذا الامتياز العنصري حتّى بالنسبة إلى بني قبائله العرب فضلاً عن غيرها ، كما حكى عن الأصمعي أنّه مرّ على شابّ عريان ، في رحلته بين القبائل العربيّة لاستقصاء اللغة و الأقاصيص العربيّة ، فاستنطقه فأجابه بأبيات فصيحة أعجبه فأعطاه دنانير ، فسأل منه الشابّ عن أيّ قبيلة هو ؟ فقال : من باهلة ،

فامتنع من أخذ العطاء لخسّة قبيلة باهلة عند العرب حتّى قيل في ذلك :

إذا باهليّ تحته حنظليّة له ولد منها ، فذاك المذرّع

أراد الشاعر أنّه إذا كانت الزوجة للزوج الباهلي حنظليّة يصير الولد مذرّعاً أي شريفة الأمّ و وضيع الأب .

ولمّا بعث الله نبيّه محمّداً ﷺ رحمةً للعالمين ، مهمّه هدفين هامّين في دعوته الاصلاحيّة :

١ـ بثّ التوحيد و هداية البشر إلى عبادة الله وحده تحت شعار « لا إله إلاّ الله » و ردعهم عن عبادة الأصنام و الأنداد الّذين لاينفعون و لايضرّون .

٢ـ إلفات البشر إلى أخويّة إنسانيّة و رفع التبعيض العنصري بأدقّ معانيه و محو الامتيازات الموهومة بوجه جذري ، فبثّ دعوة التوحيد بكلّ جهدٍ و جهود حتّى لبّى دعوته اُناس مخلصون ، و أيّده الله بنصرة قبائل عرب يثرب فهاجر إلى المدينة و أسّس حكومة الاسلام النيّرة ، فاتّبعه قبائل العرب واحدة بعد اُخرى و فتح مكّة المكرّمة و أخضع قبائل قريش الأشدّاء في العناد مع الاسلام ، و هم ذروة العرب و أشرف القبائل في عقيدة سائر العرب و في اعتقادهم ، نشأوا بهذه العقيدة منذ قرون حتّى رسخ في دماغهم و رسب في دمائهم و مصّوها من ضروع اُمّهاتهم .

ولمّا فتح مكّة على خطّة نبويّة أشبه بالإعجاز من دون سفك الدماء في الحرم و إيقاد الحرب المؤلمة وتبيّن سيادة الاسلام على أنحاء الجزيرة العربيّة و أجوائها الواسعة قام على كعبة المكرّمة ، و نادى بهذين الهدفين الهامّين بكلّ صراحة في خطبة ذهبيّة هاك نصّها عن سيرة ابن هشام :

قال ابن إسحاق : فحدّثني بعض أهل العلم أنّ رسول الله قام على باب الكعبة فقال : لاإله إلاّ الله وحده لاشريك له ، صدق وعده ، نصر عبده ، و هزم الأحزاب وحده ، ألا ! كلّ مأثرةٍ أو دمٍ أو مالٍ يدّعى فهو تحت قدميّ هاتين إلاّ سدانة البيت ، وسقاية الحاجّ ، و قتل الخطأ شبه العمد بالسوط و العصا ففيه الدية مغلّظة : مائة من الابل أربعون منها أولادها في بطونها ، يا معشر قريش : إنّ الله قد أذهب

عنكم نخوة الجاهليّة و تعظّمها بالآباء ، الناس من آدم و آدم من تراب ، ثمّ تلا هذه الآية « يا أيّها الناس إنّا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عندالله أتقاكم ـ الآية كلّها ١٣ ـ الحجرات » .

ثمّ قال : يا معشر قريش ، ما ترون إنّي عامل فيكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم و ابن أخ كريم ، قال : فاذهبوا فأنتم الطلقاء .

وفي بعض الروايات « وحده » ثلاث مرّات كما أنّه في بعضها بعد قوله « وآدم من تراب » ورد أنّه صلى الله عليه وآله قال : و ليس لعربي فضل على عجمي إلاّ بالتقوى .

ولكنّه لم يدُم هذه التربية النبويّة في العرب ولم يعتقد بها المنافقون فسكتوا حتّى توفّي صلّى الله عليه وآله وسلّم فرجعوا قهقرى وأحيوا تفاخر العرب بالآباء و تفضيل عنصرهم على سائر الناس و جدّ في ذلك عمر و اشتدّ في ترويجه بنوأُميّة طول حكومتهم الجبّارة الّتي دامت ألف شهر وقد توجّه صلى الله عليه وآله إلى حرّيّة التناكح و نصّ عليها في خطبة تاريخيّة هامّة ألقاها في حجّة الوداع .

و قد كان منشأ النخوة العربيّة الّتي روى فيها أنّها مهلكة للعرب هي العجب بالنفس و بما يأتي من الأعمال ، فحذّر عليه السلام من هذه الخصلة المهلكة أشدّ تحذير وبالتحذير من حبّ الاطراء الناشي منه ، وبيّن أنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان لإغواء الانسان و محق ما يفعله من الاحسان .

قال الشارح المعتزلي « ص ١١٤ ج ١٧ ط مصر » : ناظر المأمون محمّد بن القاسم النوشجاني المتكلم ، فجعل « المتكلم » يصدّقه و يطريه و يستحسن قوله ، « فقال المأمون : يا محمّد ، أراك تنقاد إلى ما تظنّ أنّه تسرّني قبل وجوب الحجّة لي عليك ، و تطريني بما لست أحبّ أن أطرى به ، وتستخذى لي في المقام الّذي ينبغي أن تكون فيه مقاوماً لي ، و محتجاً عليّ ، و لو شئت أن أفسّر الأمور بفضل بيان ، و طول لسان ، وأغتصب الحجّة بقوّة الخلافة ، وأبّهة الرياسة لصدّقت و إن كنت كاذباً ، وعدّلت وإن كنت جائراً ، و صوّبت و إن كنت مخطئاً ، لكنّي لا أرضى إلاّ بغلبة الحجّة ، و دفع الشبهة ، و إنّ أنقص الملوك عقلاً ، و أسخطهم

رأياً من رضي بقولهم : صدق الأمير » .

ثمّ نبّه عليه السلام بالنهي عن ثلاثة اُمور : المنّ على الرعيّة بالاحسان و التزيّد في الأعمال و الخلف في الوعد إلى التجنّب عن الافراط في حبّ النفس الّذي يكون غريزة للانسان بالذات ، فانّه أوّل ما يحسّ و يشعر يحسّ حبّ نفسه و حبّ النفس مبدأ الرضا و الغضب المحرّكين لأىّ حركة في الانسان ، و الافراط فيه موجب لرذائل كثيرة أشار عليه السلام إلى اُمّهاتها في هذه الجمل .

فمنها : المنّ على من يحسن إليه لأنّه إشعار بالانانيّة و تبجّح بالشخصيّة من فرط الحبّ بالذات ، قال الله تعالى « يا أيّها الّذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ و الأذى ٢٦٤ـ البقرة » ، قال الشارح المعتزلي « ص١١٥ ج ١٧ ط مصر » وكان يقال : المنّ محبّة للنفس ، مفسدة للصنع .

ومنها ، التزيّد في الفعل الناشي عن تعظيم نفسه ، فيرى حقير عمله كبيراً وقليله كثيراً فيذهب بنور الحقّ لكونه كذباً و زوراً ، قال الشارح المعتزلي في الصفحة الأنفة الذكر : مثل أن يسدى ثلاثة أجزاء من الجميل ، فيدّعي في المجالس و المحافل أنّه أسدى عشرة .

و منها ، نهيه عن خلف الوعد مع الرعايا ، فهو أيضاً ناشٍ عن إكبار نفسه و تحقير الرعايا حيث إنّه لم يعتنِ بانتظارهم و لم يحترم تعهّدهم و خلاف الوعد و إن كان قبيحاً و مذموماً على وجه العموم ولكنّه من الأمراء و الولاة بالنسبة إلى الرعيّة أقبح و أشنع ، لاشتماله على العجب و الكبر و تحقير طرف التعهّد ، و قد عدّ الله خلف الوعد من المقت عنده البالغ في النهي عنه حيث قال تعالى « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون ٣ـ الصف » فانّه مشتمل على تكبير خلف الوعد من وجوه ، قال الشارح المعتزلي « ص ١١٥ ج١٧ طمصر » : و أمّا أمير المؤمنين عليه السلام قال : « إنّه يوجب المقت » و استشهد عليه بالآية ، و المقت : البغض .

ثمّ حذّره عن العجلة في الاُمور ، فانّه ناشٍ عن الجهل وخفّة العقل كما ترى في الصبيان و غير المتثقفين من بنى الانسان ، و قد روى « انّ العجلة من الشيطان »

و العجلة من الغرائز الكامنة في البشر من ناحية طبعه الحيواني كما قال الله تعالى : « خلق الانسان من عجل ٢٧ـ الأنبياء » .

كما أنّه عليه السلام حذّر عن المسامحة و التساقط في الأمور إذا حان وقتها و تيسّرت و عن الاصرار في إنجاحها إذا صعبت و تنكّرت و لم يتيسّر، أو الاغماض عنها إذ كشفت حقيقتها و اتّضحت .

قال الشارح المعتزلي « ص١٦ ج ١٧ ط مصر» : و منها نهيه عن التساقط في الشيء الممكن عند حضوره ، و هذا عبارة عن النهي عن الحرص و الجشع ، و في كلامه ما لايخفى من النظر .

و من أسوء الأخلاق الحاكمة في وجودالانسان خلق الاستئثار ، وأثره أن يجلب كلّ شيء إلى نفسه و يخصّص كلّ ما يناله بنفسه فيتجاوز على حقوق إخوانه و يمنع الحقوق المتعلّقة بماله ، و الاستئثار طبيعي للانسان المحبّ لذاته بلانهاية و يؤيّده الجهل و الحاجة السائدين على العرب طيلة قرون الجاهليّة ، فنهى عليه السلام عنه فيما يشترك فيه الناس .

و نهاه عن الغفلة و التسامح فيما تهمّه و ترتبط به من نظم الأمور و بسط العدل حيث يقبح أمثاله في عيون الناس ، فانّ التسامح في أخذ حقّ المظلوم عن الظالم مأخوذ من الوالي بنفع غيره وهو الظالم ، قال الشارح المعتزلي في الصفحة الآنفة الذكر : و صورة ذلك أنّ الأمير يؤمي إليه أنّ فلاناً من خاصّته يفعل كذا و يفعل كذا من الأمور المنكرة ، و يرتكبها سرّاً فيتغابى عنه و يتغافل ، انتهى .

و نهاه عن الاستكبار و البطش اللذين من آثار الإمارة و السلطان ، فانّ السلطان بطبعه سريع الغضب و شديد الانتقام و الحكم على من أساء إليه فوصّاه بقوله عليه السلام (و لن تحكم دلك من نفسك حتّى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربّك) .

قال الشارح المعتزلي في « ص١١٧ ج١٧ ط مصر» : وكان لكسرى أنوشروان صاحب قد رتّبه و نصبه لهذا المعنى ، يقف على رأس الملك يوم جلوسه ، فاذا غضب

على إنسان و أمر به قرع سلسلة تاجه بقضيب فى يده و قال له : إنّما أنت بشر ، فارحم من في الأرض يرحمك من في السماء .

ثمّ بيّن له المرجع القانوني الّذى يجب عليه العمل به في حكومته ، كما يلي:

١ـ السيرة العمليّة للحاكم العادل الّذى كان قبله ، فانّها محترمة ومرضيّة عند الله و عند الناس .

٢ـ السنّة المأثورة الفاضلة الصادرة عن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم بنقل الجماعات أو الثقات .

٣ـ الفرائض المقرّرة في كتاب الله في محكم آياته ، و شرط عليه فى العمل بها بماشاهد من عمله و تطبيق القوانين على موضوعاتها ليأمن من الاشتباه في التفسير و فهم المقصود و من الخطأ في التطبيق ، و ها هنا بحثان :

١ـ كيف جعل عليه السلام سيرة الحكومة العادلة أصلاً في مقابل السيرة المأثورة عن النبي صلى الله عليه و آله و هو أشبه بأُصول العامّة .

٢ـ كيف قدّم سيرة الحكومة العادلة على السيرة المأثورة عن النبي صلى الله عليه و آله و قدّمهما على الفريضة المنصوصة في كتاب الله و الخوض فيهما يحتاج إلى إطالة لايسعها المقام .

الترجمة

از خون و خونريزى ناروا بپرهيز ، زيرا خون ناحق از همه چيز زودتر مورد انتقام مى‌شود و گناهش بزرگتر است ، و نعمت را زودتر از ميان مى‌برد ، و ريشهٔ عمر را قطع مى كند ، خداوند سبحان در روز قيامت محاكمهٔ گنهكاران را در باره خونريزى هاى ميان بندگان آغاز مى كند .

حكومت خود را بوسيله خون ناحق تقويت مكن ، زيرا خونريزى ناروا آنرا سست ومتزلزل مى‌سازد وسپس بنيادش‌را مى كند وبدست ديگرانش مى‌دهد ، در نزد خدا و در نزد من در قتل عمد راه عذر و اميد عفو ندارى ، زيرا كيفر

مقرر آن قصاص است .

و اگر گرفتار قتل خطا شدی ، و تازیانه یا شمشیر و یا دستت بدون قصد قتل زیاده روی کردند و کسی را کشتی « چون ممکن است بیك مشت محکم و بالاتر قتلی واقع شود » مبادا غرور سلطنت ترا باز دارد از اینکه حق أولیای مقتول را بپردازی و رضایت آنها را جلب کنی .

مبادا بخود ببالی ، و بسرافرازیهای خود اعتماد کنی .

مبادا تملّق وستایش را دوست بداری ، زیرا که آن درنزد شیطان مناسبترین فرصتی است برای پایمال کردن هر نتیجه‌ای از نیکی نیکوکاران .

مبادا باحسان خود نسبت برعایا بر سر آنها منّت بگذاری یا کار خود را بیش از آنچه که هست در حساب آنها آری یا بآنها وعده‌ای بدهی و تخلّف کنی ، زیرا منّت احسان را نابود می کند ، وبیشتر بحساب آوردن خدمتی نورحقیقت را می‌برد ، و خلف وعده نزد خداوند و مردم دشمنی ببار می‌آورد ، خداوند متعال (درسوره صف آیه ۳) می‌فرماید « دشمنی بزرگیست نزد خدا که بگوئید آنچه را عمل نمی کنید » .

مبادا درکارهای خود بی وقت شتاب کنی ، یا در وقت مناسب سستی و تنبلی کنی ، یا اگر متعذّر و دشوار شد دربارهٔ آن اصرار و لجبازی کنی ، ودرصورت روشنی زمینهٔ کاری درآن مسامحه روا داری ، هرکاری را بجای خود مقرر دار .

مبادا از آنچه همه مردم در آن برابر و شریکند برای خود امتیازی قائل شوی یا ازآنچه دربرابرچشم همه است صرف نظر کنی و درتخلّف وظائف دستگاه خود را به نفهمی بزنی ، زیرا مسئولیّت بر تو است و سود را دیگران می‌برند ، و بزودی پرده از کارها برداشته می‌شود و انتقام مظلوم از ظالم گرفته می‌شود .

باد بینی و شراره تندی و ضرب دست و تیزی زبان خود را مهار کن ، ودر جلوگیری از زبان خود و پس زدن سطوت و تندی بکوش تا خشمت فرونشیند واختیارخودرا بدست آری وقضاوتی مکن تا بسیاردتوجّه معاد وقیامت وپروردگار

خود نگردی و حق را رهنمون نسازی .

برتو لازم است که روش حکومتهای عدالت شعار پیش از خود را در نظر بگیری ، وروش نیك وأثری که از پیغمبر صلی الله علیه وآله باقی‌مانده منظورسازي وفریضه ای که در قرآن خدا مقرر شده پیش چشم گذاری ، و چنانچه بچشم خود دیدی ما آنرا مورد عمل و إجراء نموده‌ایم ازآن پیروی کنی .

باید برای خود بکوشی در پیروی این فرمانی که من برای تو صادر کردم و حجّت خود را درآن بتو تمام نمودم تا در صورتی که هوای نفس برتو چیره شد عذری نداشته باشی .

خاتمة عهده عليه السلام

وَ أنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ ، وَ عَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلىٰ إعْطاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ [رَغِيبَةٍ] أَنْ يُوَفِّقَنِي وَ إيّاكَ لِمَا فِيهِ رِضاهُ مِنَ الْإقامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْواضِحِ إلَيْهِ وَإلىٰ خَلْقِهِ ، مَعَ حُسْنِ الثَّناءِ فِي الْعِبادِ ، وَ جَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبِلادِ ، وَ تَمامِ النِّعْمَةِ ، وَ تَضْعِيفِ الْكَرامَةِ وَ أنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعادَةِ وَ الشَّهادَةِ ، إنّا إلَيْهِ راجِعُونَ [راغِبُونَ] ، وَ السَّلامُ عَلىٰ رَسُولِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطّاهِرِينَ [وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً] .

الاعراب

قال الشارح المعتزلي : فان قلت : فقوله « وتمام النعمة » على ماذا تعطفه ؟ قلت : هو معطوف على « ما » في قوله « لما فيه » كأنّه قال : أسأل الله توفيقي لذا و لتمام النعمة .

أقول : الأوضح عطفه على « الاقامة » في قوله « من الاقامة » لأنّ تمام

النعمة وما بعده ممّا فيه رضاه ، وأن يختم لي : عطف على قوله « أن يوفّقني » .

المعنى

قد نبّه عليه السلام أنّ للوالي مسئوليّة عند الله و مسئوليّة عند الناس ، و لابدّ له من الاجتهاد في الخروج عن كلتا المسئوليّتين حتّى يعذره الله و يعذره خلق الله ، و علامته حسن الثناء من العباد و جميل الأثر في البلاد ، من الجانب الخلقي ، و تمام النعمة وتضعيف الكرامة من جانب الله ، لأنّه أثر شكر نعمة الولاية الّذي أدّاه الوالي .

ثمّ سأل الله تعالى لنفسه و له نيل السعادة و فوز الشهادة ، و قد استجاب الله ذلك لهما .

الترجمة

من از خداوند خواستارم كه برحمت واسعه و عظمت قدرتش بر بخشش هر خواست مرا و ترا توفيق عطا فرمايد براى انجام آنچه رضاى او است از پايدارى برمعذرت‌خواهى روشن نزد خدا وخلق در بهمراه ستايش خوب در ميان بندگان و أثر نيك در آبادى و عمران شهرستانها و تمامى نعمت و دوچندانى كرامت از حضرت يزدان ، و از حضرتش خواستارم عمر من و تو را بپايان رساند با سعادت وتوفيق جانبازى و شهادت ، راستى كه ما همه را بدرگاه او گرايش ورغبت‌است .

درودفراوان برفرستادهٔ‌خداوند ، وصلوات براو وخاندان پاك و پاكيزه‌اش درودى هرچه بيشتر .

و قد أدرج الشارح المعتزلي في آخر شرح هذا العهد الشريف وصايا من العرب و أردفها بوصيّة من أردشير بن بابك مليئة بحكم مفيدة يؤيّد ما ذكره عليه السلام في هذا العهد فألتقط منها قصعاً ، قال في « ص ١٢٤ ج١٧ ط مصر » :

و من كتاب أردشير بن بابك إلى بنيه و الملوك من بعده :

رشاد الوالي خير للرعيّة من خصب الزمان ، الملك والدين توأمان ، لاقوام لأحدهما إلاّ بصاحبه ، فالدين أسّ الملك و عماده ، ثمّ صار الملك حارسَ الدين

فلابدّ للملك من أسّه ، و لا بدّ للدين من حارسه ، فأمّا ما لا حارس له فضائع ، و ما لا أسّ له فمهدوم . . . .

و اعلموا أنّه ليس ينبغي للملك أن يعرف للعبّاد و النسّاك بأن يكونوا أولى بالدين منه ، ولا أحدب عليه ، ولا أغضب له [ولاينبغي له] أن يخلّي النسّاك و العبّاد من الأمر والنهي في نسكهم ودينهم فانّ خروج النسّاك وغيرهم من الأمر و النهي عيب على الملوك و على المملكة ، و ثلمة بيّنة الضرر على الملك و على من بعده .

و اعلموا أنّه قد مضى قبلنا من أسلافنا ملوك كان الملك منهم يتعهّد الحماية بالتفتيش والجماعة بالتفضيل والفراغ بالاشغال ، كتعهّده جسده بقصّ فضول الشعر و الظفر ، و غسل الدرن و الغمر و مداواة ما ظهر من الأدواء و ما بطن ، و قد كان من اُولئك الملوك من صحّة ملكه أحبّ إليه من صحّة جسده ، فتتابعت تلك الاملاك بذلك كأنّهم ملك واحد ، و كأنّ أرواحهم روح واحدة ، يمكّن أوّلهم لآخرهم ، و يصدّق آخرهم أوّلهم ، يجتمع أبناء أسلافهم ، و مواريث آرائهم ، و عثرات عقولهم عند الباقي بعدهم ، و كأنّهم جلوس معه يحدّثونه و يشاورونه . حتّى كان على رأس دارا بن دارا ماكان من غلبة الاسكندر الرومي على ما غلب عليه من ملكه ، وكان إفساده أمرنا ، و تفرقته جماعتنا ، و تخريبه عمران مملكتنا أبلغ له فيما أراد من سفك دمائنا ، فلمّا أذن الله عزّ وجلّ في جمع مملكتنا ، و إعادة أمرنا كان من بعثه إيّانا ماكان ، و بالاعتبار يتّقى العثار ، و التجارب الماضية دستور يرجع إليه من الحوادث الآتية . . . .

و عند حسن الظنّ بالأيّام تحدث الغير ، و تزول النعم ، و قد كان من أسلافنا وقدماء ملوكنا من يذكّره عزّه الذلّ ، وأمنه الخوف ، وسروره الكآبة ، وقدرته المعجزة ، وذلك هو الرجل الكامل قد جمع بهجة الملوك ، وفكرة السوقة ، و لا كمال إلاّ في جمعها . . . .

و اعلموا أنّ بدء ذهاب الدّولة ينشأ من قبل إهمال الرعيّة بغير أشغال

معروفة ، ولأعمالٍ معلومة ، فاذا تولّد الفراغ تولّد منه النظر في الأُمور ، والفكر في الفروع و الأُصول ، فاذا نظروا في ذلك نظروا بطبائعَ مختلفة ، فتختلف بهم المذاهب ، فيتولّد من اختلاف مذاهبهم تعاديهم و تضاغنهم ، و هم مع اختلافهم هذا متّفقون و مجتمعون على بغض الملوك ، فكلّ صنفٍ منهم إنّما يجري إلى فجيعة الملك بملكه ، و لكنّهم لايجدون سلّماً إلى ذلك أوثق من الدين و الناموس ، ثمّ يتولّد من تعاديهم أنّ الملك لايستطيع جمعهم على هوىً واحد ، فان انفرد باختصاص بعضهم صار عدوّ بقيّتهم .

و من طبائع العامّة استثقال الولاة و ملالهم و النفاسة عليهم ، و الحسد لهم ، و في الرعيّة ، المحروم و المضروب والمقام عليه الحدود ، و يتولّد من كثرتهم مع عداوتهم أن يجبن الملك من الاقدام عليهم ، فانّ في إقدام الملك على الرعيّة كلّها كافّة تعزيراً بملكه - إلى أن قال - فمن أفضى إليه الملك بعدي فلايكوننّ باصلاح جسده أشدّ اهتماماً منه بهذه الحال ، و لايكوننّ بشيء من الأشياء أكره و أنكر لرأس صار ذنباً أو ذنب صار رأساً ، و يد مشغول صارت فارغة ، أو غنيّ صار فقيراً ، أو عامل مصروف ، أو أمير معزول ....

و اعلموا أنّكم لن تقدروا على أن تختموا أفواه الناس من الطعن و الازراء عليكم ، ولاقدرة لكم على أن تجعلوا القبيح من أفعالكم حسناً ، فاجتهدوا في أن تحسن أفعالكم كلّها ، و ألاّ تجعلوا للعامّة إلى الطعن عليكم سبيلا ....

و اعلموا أنّ لكلّ ملك بطانة ، و لكلّ رجل من بطانته بطانة ، ثمّ إنّ لكلّ امرىء من بطانة البطانة بطانة ، حتّى يجتمع من ذلك أهل المملكة ، فاذا أقام الملك بطانته على حال الصواب فيهم أقام كلّ امرىء منهم بطانته على مثل ذلك حتّى يجتمع على الصلاح عامّة الرعيّة ....

و اعلموا أنّ ابن الملك و أخاه و ابن عمّه يقول : كدت أن أكون ملكاً ، و بالحري ألاّ أموت حتّى أكون ملكاً ، فاذا قال ذلك قال ما لايسرّ الملك ، إن كتمه فالداء في كلّ مكتوم ، و إذا تمنّى ذلك جعل الفساد سلّماً إلى الصلاح ،

و لم يكن الفساد سلّماً إلى صلاح قطّ ، و قد رسمت لكم في ذلك مثالا :

اجعلوا الملك لا ينبغي إلاّ لأبناء الملوك من بنات عمومتهم ، ولا يصلح من أولاد بنات العمّ إلاّ كامل غير سخيف العقل ، ولا عازب الرّأي ، ولا ناقص الجوارح و لا مطعون عليه في الدّين ، فإنّكم إذا فعلتم ذلك قلّ طلاّب الملك ، وإذا قلّ طلاّبه استراح كلّ امرىء إلى مايليه ، ونزع إلى حدّيليه ، وعرف حاله ، ورضي معيشته ، واستطاب زمانه .

المختار الثالث والخمسون

ومن كتاب له عليه السلام الى طلحة والزبير ، مع عمران بن الحصين الخزاعي ، ذكره أبو جعفر الاسكافي في كتاب المقامات في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام

أَمّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَ إِنْ كَتَمْتُمَا أَنّي لَمْ أُرِدِ النّاسَ حَتّىٰ أَرَادُوني، وَ لَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتّىٰ بَايَعُوني، وَ إِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَني وَ بَايَعَني، وَ إِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْني لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ ، وَ لاَ لِعَرَضٍ حَاضِرٍ ، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَاني طَائِعَيْنِ فَارْجِعَا وَ تُوبَا إِلَى اللهِ مِنْ قَرِيبٍ ، وَ إِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَاني كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِ كُمَا الطّاعَةَ وَ إِسْرَارِ كُمَا الْمَعْصِيَةَ ، وَ لَعَمْري مَا كُنْتُمَا بِأَحَقِّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَ الْكِتْمَانِ ، وَ إِنَّ دَفْعَكُمَا هٰذَا الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلاَ فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِ كُمَا بِهِ .

وَ قَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ ، فَبَيْنِي وَ بَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَ عَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ امْرِىءٍ بِقَدْرِ مَا احْتَمَلَ ، فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا ، فَإِنَّ الْآنَ أَعْظَمَ أَمْرِكُمَا الْعَارُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعَ الْعَارُ وَ النَّارُ ، وَ السَّلَامُ .

الاعراب

إن كتمتما : لفظة إن وصليّة ، أنى لم أرد قائم مقام مفعولي علم ، و أنكما ممّن أرادني : عطف على أني لم أرد ، و كذلك قوله : وأنّ العامّة ، طائعين حال من ضمير في كنتما ، السّبيل مفعول أوّل لقوله جعلتما ولي ظرف مستقرّ وهومفعوله الثاني وعليكما متعلّق بقوله السّبيل ، باظهار كما الباء للسببيّة وإظهار مصدر مضاف إلى الفاعل ، بالتقية متعلّق بقوله : بأحق .

المعنى

قال ابن ميثم : خزاعة قبيلة من الأزد ، وقيل : الاسكاف منسوب إلى اسكاف رستاق كبير بين النهروان والبصرة ، و كتاب المقامات الّذي صنّفه الشّيخ المذكور في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام .

قال الشارح المعتزلي: عمران بن الحصين بن عبد بن خلف ، وسرد نسبه إلى كعب بن عمرو الخزاعي، يكنّى أبا بجيد بابنه بجيد بن عمران ، أسلم هووأبوهريرة عام خيبر ، وكان من فضلاء الصّحابة وفقهائهم . . . وقال محمّد بن سيرين : أفضل من في البصرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عمران بن الحصين . . .

و أمّا أبوجعفر الإسكافي - و هو شيخنا محمّد بن عبدالله الإسكافي - عدّه قاضي القضاة في الطّبقة السّابعة من طبقات المعتزلة - إلى أن قال : وقال : كان أبوجعفر فاضلاً عالماً ، وصنّف سبعين كتاباً في علم الكلام وهو الّذي نقض كتاب « العثمانيّة » على أبي عثمان الجاحظ في حياته - إلى أن قال : و كان أبوجعفر يقول بالتفضيل

على قاعدة معتزلة بغداد ، ويبالغ في ذلك ، و كان علوي الرأى ، محققاً مصنفاً قليل العصبية .

أقول : خزاعة من القبائل الساكنة حول مكة المكرمة الموالية لرسول الله صلى الله عليه و آله وسلم حتى قبل نشر الإسلام وقبل أن أسلموا ، وقد نصروه وأيدوه في مواقف هامة وسيدهم بديل بن ورقاء الخزاعي المشهور وهو أحد الممثلين لأهل مكة المشركين في قضية حديبية .

فمن تلك المواقف ورودهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله في معاهدة صلح الحديبية وقبولهم حمايته واعتمادهم به تجاه قريش .

ومنها ردعهم أباسفيان وجنده من الهجوم ثانياً إلى المدينة بعد الرحيل من أحد وإصابة المسلمين بأكثر من سبعين قتيلاً وجرحى كثيرة ، فقد روى أنه لما بلغ إلى الروحاء ندم من تركه الزحف بقية المسلمين في المدينة وعزم على الرجوع فلحقه عير خزاعة الراحلة من المدينة فاستخبرهم عن المسلمين فأجابوه بانه قد رحلوا ورائكم بجيش كثير سود الأرض يسرعون في اللقاء معكم واستيصالكم فخاف ولم يرجع .

والظاهر أن هذا الكتاب صدر منه عليه السلام في ضمن المراجعات والاحتجاجات المتبادلة بينه وبين طلحة والزبير في جبهة الجمل ، وكان أحد مجاهيده التي توسل بها لإخماد هذه الثورة الحادة قبل اشتغال الحرب الهائلة الهدامة

و نبه فيه على أن نفوذ الامامة وهي الرياسة العامة يحتاج إلى بيعة الأمة عن الرضا و طيب النفس فان الإمامة تحتاج إلى صلاحية روحية ومعنوية في نفس الإمام تعتمد على العصمة عند الإمامية ولا طريق إلى إثباتها إلا النص الصادر عن المعصوم نبياً كان أم إماماً منصوصاً فيعتمد على دلالة من الله إليها ، ولكن نفوذها في الأمة بحيث يتصدى الإمام لإجراء الأمور يحتاج إلى بيعتهم عن طيب النفس .

و هذا معنا التمكن الذي أشار إليه المحقق الطوسى في تجريده بقوله

« وجوده لطف و تصرّفه لطف آخر وعدمه منّا » أى عدم تمكّننا و بيعتنا مع الامام فوّت عنّا تصرّف الامام في الأمور و إجرائها كما ينبغي .

و أشار عليه السلام إلى ما يسقط اعتبار البيعة وهو أمران :

١ـ (و إنّ العامّة لم تبايعني لسلطان غالب) يعني أنّ البيعة الصادرة عن قهر الناس بارعابهم و تخويفهم لا تنعقد ، لأنّ الإكراه مبطل للمعاهدات عقداً كانت أم إيقاعاً و البيعة من أهمّ العقود بين الرعيّة والامام فلاتنعقد مع الاكراه .

٢ـ (ولا لعرض حاضر) قال الشارح المعتزلي « ص ١٢٣ ج١٧ ط مصر » : « أى مال موجود فرّقته بينهم » و هو المعبّر عنه بابتياع الرأي ، فالبيعة الحاصلة بابتياع آراء من بايع إلى حيث يخلّ بالأكثريّة اللازمة يسقط البيعة عن الاعتبار ، فأثبت عليه السلام صحّة بيعته بأنّها صادرة عن عامّة الناس بالرضا وطيب النفس فيلزم عليهما التسليم و الطاعة و الانقياد .

ثمّ أقام عليهما الحجّة بأنّهما بايعا معه فيلزم عليهما الوفاء بها و الرجوع عن الخلاف و التوبة إلى الله فوراً فانّها واجبة على العاصي فوراً ، فان زعما أنّهما كارهان لبيعته و لم تصدر عن الرضا و طيب النفس فاعترض عليهما بوجوه :

١ـ أنّ الكراهة غير مبطلة للعقود ، لأنّ مجرّد الكراهة الباطنيّة لا تضرّ بصحّة العقد الصادر عن الرضا الانشائي بداعي المنافع المقصودة منه كالمريض يشتري الدواء و هو كاره له بداعي معالجة مرضه ، و كالمضطرّ في شراء الحوائج فانّه كاره قلباً فالمبطل للعقد هو الاكراه الّذي يسلب قدرة المكره لا الكراهة الباطنيّة .

٢ـ أنّ ظاهر بيعتكما الرضا و طيب النفس ، فدعوى الكراهة مردودة لأنّها كالانكار بعد الإقرار ، فقال عليه السلام (فقد جعلتما لي عليكما السلطان بإظهار كما الطاعة) .

٣ـ أنّكما تعترفان بالنفاق ، و إظهار النفاق موجب للعقوبة و إن كان المستتر منه يحال إلى الله تعالى فيعاقب عليه في الآخرة ، وأشار إليه بقوله (وإسرار كما المعصية) .

ثمّ تعرّض لجواب ما يمكن أن يحتجّوا به في المقام وهو التقيّة فقال عليه السلام ليس المقام مقام التقيّة لأنّها في معرض الخوف من إظهار العقيدة و أنتما من المهاجرين الّذين لا يخافون في المقام مع أنّه عليه السلام لم يتعرّض لمن تخلّف عن بيعته بأدنى تعقيب و أذى كما أشار إليه بعد ذلك في قطع عذرهما و ما تمسّكا به من اتّهامه عليه السلام بقتل عثمان ، فقال :

(و قد زعمتما أنّي قتلت عثمان ، فبيني و بينكما من تخلّف عنّي و عنكما من أهل المدينة) أمثال : محمّد بن مسلمة و أسامة بن زيد ، و عبد الله بن عمر ، - فاتّخذهم شهوداً على من شرك في قتل عثمان و دعا إليه .

قال في الشرح المعتزلي : و أهل المدينة يعلمون أنّ طلحة كان هو الجملة و التفصيل في أمره و حصره و قتله ، وكان الزبير مساعداً له على ذلك و إن لم يكن مكاشفاً مكاشفة طلحة - انتهى .

و قد أشار في قوله (من قبل أن يجتمع العار والنار) إلى قتل طلحة والزبير في هذه الحرب ، و نلفت نظر القرّاء إلى أنّ طلحة و الزبير من أكابر الصحابة المهاجرين الّذين آمنوا في السنين الأولى من البعثة و في عصر غربة الاسلام بدعوة أبي بكر و هم عدّة ، كما في سيرة ابن هشام « ص ١٥٨ ج ١ ط مصر » : فلمّا أسلم أبو بكر « رض » أظهر إسلامه و دعا إليه - إلى أن قال - فأسلم بدعائه في ما بلغني عثمان بن عفّان « و سرد نسبه » و الزبير بن العوّام « و سرد نسبه » و عبد الرحمان ابن عوف « و سرد نسبه » و سعد بن أبي وقّاص « و سرد نسبه » و طلحة بن عبيد - الله « و سرد نسبه » - انتهى .

و كان أثر نفس أبي بكر نفث النفاق في هؤلاء فخرج كلّهم من أعداء عليّ أمير المؤمنين و من رؤوس أهل النفاق و الخلاف مع أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله و الدليل عليه إقبالهم على الدنيا و جمع الأموال الطائلة و النزة إلى الرياسة والجاه كما يظهر من الأخبار الصحيحة .

الترجمة

از يك نامه‌ای كه به طلحه و زبير نگاشته وبا عمران بن حصين گسيل داشته أبوجعفر إسكافي آنرا در كتاب مقامات خود كه در مناقب أميرالمؤمنين نوشته است يادآور شده .

أمّا بعد ، شما هردو بخوبی می‌دانيد ـ گرچه نهان می‌سازيد ـ كه من مردم را نخواستم تا مرا خواستند ، و دست بيعت بدانها دراز نكردم تا آنها دست برای بيعت من دراز كردند ، و شما هردو از كسانی هستيد كه مرا خواستيد و با من بيعت كرديد ، و راستش اين است كه عموم مردم بزور و قهر با من بيعت نكردند و برای طمع در عرض موجودی كه بآنها پرداخت شده باشد بيعت نكردند ، بلكه از روی رضا و رغبت دست بيعت بمن دادند .

اگر شما بدلخواه با من بيعت كرديد اكنون از خلاف خود بر گرديد و فوراً بدرگاه خدا توبه كنيد ، و اگر از روی بی‌ميلی و ناخواهی با من بيعت كرديد اين بيعت بگردن شما ثابت شده و خود دليل محكوميّت خود را به من سپرديد كه إظهار إطاعت كرديد و نافرمانی را در دل نهفتيد ، بجان خودم قسم شما از سائر مهاجران سزاوارتر به تقيّه و كتمان عقيده نبوديد ، كناره گيری شما از اين كار پيش از ورود در آن براستی برای شما رواتر بود از مخالفت با آن پس از اعتراف و إقرار بدان .

شما را گمان اين است كه من عثمان را كشتم ، همه آنها كه در مدينه از من و شما هردو طرف كناره گيری كردند و از حادثه قتل عثمان بخوبی آگاهند ميان من و شما حكم باشند تا هر كس باندازه‌ای كه متحمّل انجام اين حادثه شده است مسئول باشد ، ای دوتن پيرمرد كهنسال ورهبر اسلامی ازرأی ونظرخودبر گرديد وبسوی حق گرائيد ، زيرا اكنون بزرگترين نكوهشی كه برشمااست همان ننگ كناره گيری ازجبهه نبرداست ، و پيشگيری كنيد ازاينكه اين ننگ باشكنجهٔ دوزخ توأم گردد .

المختار الرابع والخمسون

و من كتاب له عليه السلام الى معاوية

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا ، وَ ابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا ، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ، وَ لَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا ، وَ لاَ بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا ، وَ إِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا ، وَ قَدِ ابْتَلاَنِي اللهُ بِكَ وَ ابْتَلاَكَ بِي، فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الآخَرِ، فَعَدَوْتَ [فَغَدَوْتَ] عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ وَ طَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَ لاَ لِسَانِي ، وَ عَصَبْتَهُ أَنْتَ وَ أَهْلُ الشَّامِ بِي وَ أَلَّبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُمْ وَ قَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ فَاتَّقِ اللهَ فِي نَفْسِكَ ، وَ نَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ وَ اصْرِفْ إِلَى الآخِرَةِ وَجْهَكَ ، فَهِيَ طَرِيقُنَا وَ طَرِيقُكَ ، وَ احْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ تَمَسُّ الأَصْلَ وَ تَقْطَعُ الدَّابِرَ [الدَّابِرَ] ، فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِاللهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ، لَئِنْ جَمَعَتْنِي وَ إِيَّاكَ جَوَامِعُ الأَقْدَارِ لاَ أَزَالُ بِبَاحَتِكَ [بِنَاحِيَتِكَ] [حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ] .

اللغة

(عصبه به) : علّقه به ، (التأليب) : التحريض ، (القيادة) : حبل تقاد به (القارعة) : الداهية ، (تمس الأصل) : تقطعه ، (الدابر) : المتأخّر من النسل (الألية) ، اليمين ، (باحة الدار) : وسطها ، ساحتها .

الاعراب

لما بعدها : لما موصولة أو موصوفة و الظرف مستقرّ مفعول ثانٍ لقوله جعل و بعدها : ظرف مستقرّ صلة أو صفة ، أيّهم أحسن عملا : جملة محكيّة عن القرآن قائمة مقام مفعولى يعلم، لم تجن: صيغة الجحد من الجناية، أنت: تأكيد للضمير المخاطب في عصبته لتصحيح العطف عليه ، أن يصيبك الله منه : قال الشارح المعتزلي : الضمير في « منه » راجع إلى الله تعالى و « من » لابتداء الغاية ، و قال الراوندي : « منه » أى من البهتان الّذي أتيته ، أى من أجله و « من » للتعليل ، وهذا بعيد وخلاف الظاهر ، بعاجل قارعة : من إضافة الصفة إلى الموصوف و كذا جوامع الأقدار و أثره التأكيد ، لا أزال : نفى من زال ، بباحتك : ظرف مستقرّ خبره ، غدوت على الدنيا : قال المعتزلي : على ها هنا متعلّق بمحذوف دلّ عليه الكلام تقديره : مثابراً على طلب الدنيا أو مصراً .

المعنى

بعث الله الأنبياء بطبقاتهم لهداية الناس و ردعهم عن الفساد و اتّباع الشهوات و أهمّ وسائلهم التذكير و الإنذار و التبشير و لم يؤمر من الأنبياء بطبقاتهم و هم آلاف مؤلّفة بالسيف والجهاد إلاّ نذر يسير ، و روي إلاّ أربعة أمروا بالسيف لدفع هجوم الأعداء الألدّاء ، منهم خاتمهم رسول الاسلام صلى الله عليه وآله ، و قد نزلت عدّة آيات كريمة في القرآن الشريف يصرّح بأنّه بشير و نذير و أنّه ليس بجبّار و لا وكيل عليهم .

منها : قوله تعالى : « إنّما أنت نذير و الله على كلّ شيء وكيل ـ سورة هود الآية ١٢ » .

منها : قوله تعالى : « وما أنت عليهم بجبّار فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد ٤٥ ـ ق »

منها : قوله تعالى : « يا أيّها النبيّ إنّا أرسلناك شاهداً و مبشّراً و نذيراً ، و داعياً إلى الله باذنه و سراجاً منيراً ـ ٤٥ و٤٦ الاحزاب » .

و قد قام أمير المؤمنين عليه السلام بعده بالتبشير و الإنذار للعصاة والبغاة ، ومن رؤوسهم معاوية الّذي لم يؤثّر فيه إنذار الرسول صلى الله عليه وآله طيلة دعوته بمكّة قبل الهجرة ، فدام على كفره و وثنيّته حتّى فتح رسول الله مكّة المكرّمة و وقع قريش مكّة الألدّاء في اسره ، فآمن هو و أبوه و أهله كرهاً و أسرّوا النفاق دهراً ، حتّى توفّي صلى الله عليه وآله فدبّروا و كادوا حتّى سادوا في الاسلام و سلّط معاوية على بلاد الشام فقام عليّ بإنذاره أداءاً لحقّ الوصاية و ذكّره بآي من القرآن منها قوله تعالى : « ليبلوكم أيّكم أحسن عملا - ٧ هود » .

و نبّهه على أنّ الدنيا دار مجاز و دار امتحان وابتلاء و الابتلاء على وجوه شتّى باعتبار أحوال الناس ، فجعل أحدنا حجّة على الآخر .

فأوّلت القرآن في طلب الدنيا ، قال الشارح المعتزلي : « و تأويل القرآن ماكان معاوية يموه به على أهل الشام فيقول لهم : أنا وليّ دم عثمان ، و قد قال الله تعالى : « و من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنّه كان منصوراً - ٣٣ الاسراء » .

و قال ابن ميثم : تأويل القرآن كقوله تعالى : « يا أيّها الّذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ١٧٨ - البقرة » و غيرها من الآيات الدالّة على وجوب القصاص ، فتأوّل بادخال نفسه فيها و طلب القصاص لعثمان و إنّما كان دخوله في ذلك بالتأويل ، لأنّ الخطاب خاصّ بمن قتل و قتل منه و معاوية بمعزل من ذلك إذ لم يكن من أولياء دم عثمان ففسّر الآية بالعموم ليدخل فيها .

و برّأ عليه السلام نفسه من الاشتراك في قتل عثمان يداً ولساناً وقد اتّهمه معاوية بذلك وجعله وسيلة لتحريض أهل الشام بالحرب معه عليه السلام و أمره بترك هذاالبهتان و الدفاع تجاه الشيطان بنزع قياده من الهوى و الشهوات و التوجّه إلى الآخرة وحذّره من العقوبة في الدنيا بحيث تصل إلى أصله و تقطع نسله كما وقع بعد ذلك من قطع نسل بنى اُميّة و محوهم عن الجامعة البشريّة .

الترجمة

أمّا بعد ، براستی که خداوند سبحان دنیا را مقدّمهٔ مابعدش مقرّر داشته ، وأهل‌دنیارا در آن دربوتهٔ آزمایش گذاشته تا معلوم شود کدامیك خوش کردارترند ما برای دنیا آفریده نشدیم و بکوشش در آن فرمان نداریم ، همانا ما در دنیا آمدیم تاامتحان‌شویم، خداوند مرابتو وترابمن‌درمعرض‌امتحان آورده وهر کدام را حجّت بردیگر ساخته ، تو برروی دنیا افتادی و تأویل قرآن را برخلاف حق وسیله آن ساختی و مرا بچیزی مسئول کردی که دست وزبانم بدان آلوده نشده .

خودت وأهل‌شام آنرادستاویز کرده‌اید وآنرا بمن چسبانده‌اید ودانشمندتان نادانها را ترغیب بدان می کنند و آنها که برسرکارند بیکاره ها را بدان تشویق می نمایند.

تو خود پرهیزکار باش و از خدا بترس و با شیطان در مهار کردنت ستیزه کن و خود را برهان و روی بآخرت که راه من و تو است بگردان ، و در حذر باش که خداوندت بیك بلای کوبنده در این دنیا دچار کند که بریشه‌ات بزند و دنباله‌ات را ببرد و نسلت را قطع کند .

براستی من برای توسوگندی یادکنم که تخلّف ندارد براینکه اگرخداوند مرا با تو در میدان نبرد فراهم آورد و پیشامد مقدرات مرا و تو را در پیکار با یکدیگر کشاند همیشه درخانه وکاشانه‌ات بمانم « تاخداوند میان ما حکم فرماید که او بهترین حکمها است » .

المختار الخامس و الخمسون

و من كلام له عليه السلام وصى بها شريح بن هانى ، لما جعله على مقدّمته الى الشام .

إِتَّقِ اللهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَ مَسَاءٍ ، وَخَفْ عَلَىٰ نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغَرُورَ ، وَلاَ تَأْمَنْهَا عَلَىٰ حَالٍ ، وَ اعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا

تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهٍ سَمَتْ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ ، فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً ، وَلِنَزْوَتِكَ [لِنَزَوَاتِكَ] عِنْدَ الْحَفِيظَةِ وَاقِماً قَامِعاً .

اللغة

(الغَرور) : فعول من الغُرور بمعنى الفاعل يستوي فيه المذكّر والمؤنّث (الردع) : المنع ، (سمت) : كدعت من سما يسمو أى رفعت بك ، (النزوة) : الوثبة الشهوانيّة و تستعمل لركوب الذكر على الأُنثى ، (الحفيظة) : الغضب ، (الواقم) : الّذي يردّ الشيء شديداً من وقمته أى رددته أقبح الردّ و قهرته ، (القمع) : القلع و الدقّ المهلك من الرأس .

الاعراب

الدنيا الغرور : مفعول خف ، يقال : خافه و خاف منه ، سمت بك : جزاء الشرط في قوله عليه السلام « إن لم تردع » ، بك: الباء للتعدية ، لنفسك : جار و مجرور متعلّق بقوله عليه السلام « مانعاً رادعاً » قدّم عليه ، عند الحفيظة : ظرف متعلّق بقوله « لنزوتك » .

المعنى

قال الشارح المعتزلي بعد سرد نسب شريح بن هاني إلى الحارث بن كعب المذحجي : كان هاني يكنّى في الجاهليّة أبا الحكم ، لأنّه كان يحكم بينهم ، فكنّاه رسول الله صلى الله عليه وآله بأبي شريح إذ وفد عليه ، وابنه شريح هذا من جلّة أصحاب عليّ عليه السلام ، شهد معه المشاهد كلّها ، و عاش حتّى قتل بسجستان في زمن الحجّاج .

و قال ابن ميثم : أنفذه مع زياد بن النضير على مقدّمته بالشام في اثنى عشر ألفاً .

أقول : مبالغته عليه السلام في وصيّة شريح بالتقوى و الحذر من الدنيا الغرور في كلّ حال وتحذيره من العواقب السوء لمتابعة هوى النفس من الميل للترفّع مع

أنّه من كبار أصحابه المخلصين إنّماكان لمايعلمه من مكائد معاوية و خداعه لجلب الرجال باعطاء المنصب و الرتبة و المال بتدليس و تلبيس يعجز عنه الأبالیس ، فانّه خدع أمثال أبي الدرداء و أبي هريرة و كثير من عبّاد و زهّاد أصحاب رسول الله ﷺ و استلحق زياداً بعشيرته بدعوى أنّه أخوه و كوّن من منيّ أبيه و غمر إلى لحيته في فضيحته ، فخاف عليه السلام من كيد معاوية لمقدّمته و استلحاقهم به قبل وصوله كما صنع مع مقدّمة الجيش الّذي بعثها ابنه الحسن المجتبى بعده لإكمال جهاد أبيه بقيادة أمثال عبد الله بن العبّاس من كبار أصحاب رسول الله ﷺ وأبيه و المتعلّمين في مكتبه و العالمين بحقيقته .

الترجمة

ازسخنانی که درسفارش بشریح بن هانی فرمود چون اورا بفرماندهی مقدّمة الجیش خود بشام فرستاد :

از خدا بپرهیز در هربام وشام ، و برخود بترس از دنیای پرفریب واز آن آسوده مباش درهرحال ، وبدانکه اگر نفس خودرا از بسیاری دوست داشتنیهایت برای نگرانی از سخت حالی باز نداری هواهای نفسانیت ترا بزیانهای فراوانی بکشانند ، جلو گیرومهار کش نفس سر کش خود باش وهنگام خشم ازجهشش بسختی بازدار و اورا سر کوب وریشه کن ساز .

المختار السادس والخمسون

و من كتاب له عليه السلام الى أهل الكوفة ، عند مسيره من المدينة الى البصرة .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هٰذَا ، إِمَّا ظَالِماً وَ إِمَّا مَظْلُوماً وَ إِمَّا بَاغِياً وَ إِمَّا مَبْغِياً عَلَيْهِ ، وَ إِنِّي أُذَكِّرُ اللهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هٰذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ ، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي ، وَ إِنْ كُنْتُ مُسِيئاً اسْتَعْتَبَنِي .

اللغة

(الحيّ) : القبيلة و منه مسجد الحيّ أعني القبيلة و حيّ من الجنّ : قبيلة منها (البغى) : الفساد و أصل البغي الحسد ثمّ سمّي الظالم بغياً لأنّ الحاسد ظالم ، (نفر إليّ) و نفروا إلى الشيء : أسرعوا إليه ـ مجمع البحرين ـ .

الاعراب

حيّي هذا : هذا عطف بيان للحيّ والتعبير بلفظة هذا وهم قريش المهاجرون أو هم مع الأنصار بعناية الوحدة الاسلاميّة الساكنون في المدينة بادّعاء حضورهم عند المخاطبين ذهناً حتّى كأنّهم يعاينونهم فانّ حرج الموقف يلفت نظر أهل الكوفة و فكرتهم إلى المدينة الّتي كانت مركزاً للاسلام و لأهل الحلّ و العقد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله .

إمّا : تفيد الترديد و الابهام و إذا كان مدخولها الجمع و ما في معناه يشعر بالتقسيم كقوله تعالى « إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً و إمّا كفوراً » ، اُذكّر : من باب التفعيل يتعدّى إلى مفعولين و هما قوله « الله » و « من بلغه » ، كتابي : فاعل قوله « بلغه » ، لمّا : بالتشديد بمعنى إلاّ كقوله تعالى « و إن كلٌّ لمّا جميع لدينا محضرون ٢٢ـ يس » و بالتخفيف مركّبة من لام التأكيد و ما الزائدة .

المعنى

قال ابن ميثم : وقوله : إمّا ظالماً ـ إلى قوله: عليه، من باب تجاهل العارف لأنّ القضيّة لم تكن بعد ظهرت لأهل الكوفة و غيرهم ليعرفوا هل هو مظلوم أو غيره .

وقال الشارح المعتزلي : ما أحسن هذا التقسيم وما أبلغه في عطف القلوب عليه و استمالة النفوس إليه ، قال : لايخلو حالي في خروجي من أحد أمرين ـ الخ .

أقول : جعل الشارح المعتزلي قوله عليه السلام (إمّا ظالماً و إمّا مظلوماً) حالا عن الضمير المتكلّم في قوله (خرجت) و تبعه ابن ميثم على هذا التفسير و لايخلو من الاعتراض .

إظهار الترديد منه عليه السلام في هذا الموقف الحرج و تأييد أهل التشكيك في إبهام حاله من كونه ظالماً أو مظلوماً لا يناسب مقامه و لا موقعه و لا يناسب الموقف هضم النفس بهذا التعبير الموهن كما ذكره المعتزلي .

و لايصحّ ما ذكره ابن ميثم « و لأنّ القضيّة لم تكن بعد ظهرت لأهل ـ الكوفة و غيرهم ليعرفوا هل هو مظلوم أو غيره » لأنّ غيره هو عثمان المقتول باهتمام أهل الكوفة و حضور جيش منهم فكيف لا يصحّ حاله عندهم و لا يعرفون برائة على عليه السلام عن الظلم و البغي حتّى يؤيّد شكّهم بهذا التعبير الموجب للفشل و المستند للمخالف في دعوة الناس إلى التخذيل و الكفّ عن النصرة .

و الأصحّ جعله حالاً عن الحيّ المقصود منه قبيلة قريش أو مسلمة مدينة من المهاجرين والأنصار فانّ قريشاً حيّه العنصري و مسلمة المدينة حيّه الاسلامي و التعبير بالمفرد باعتبار لفظ جمع أو كلّ كما ورد في الآية « إمّا شاكراً و إمّا كفوراً » .

والمقصود أنّي خرجت من بين قريش أو مسلمة المدينة حالكون بعضهم ظالماً و بعضهم مظلوماً ، و يؤيّده قوله « مبغياً عليه » و إلاّ فالأنسب أن يقول « مبغياً عليّ » ، و قوله عليه السلام (فان كنت محسناً) بالنظر إلى أعماله بعد نفرهم إليه لا بالنسبة إلى ماقبله ، و لفظ الماضي بعد « إن » تفيد معنى المضارع غالباً ، و اندرج في كلامه عليه السلام (فانّي خرجت عن حيّي هذا) معناً ذهبياً يشعر بديموقراطيّة ساميّة هي لبّ التعاليم الاسلاميّة .

و هي أنّه عليه السلام بعد تصدّيه للزعامة على الأمّة الاسلاميّة و بيعة المسلمين معه بالامامة تجرّد عن جميع المعاني العنصريّة و سلّم نفسه للشعب الاسلامي باسره و خرج عن حيّه و قبيلته فهو اليوم ابن الشعب الاسلامي عامّة بخلاف من تقدّمه من الزعماء الثلاثة ، فانّ أبابكر و عمر كانا ابنا المهاجرين و الأنصار ولم يخرجا عن التعصّب للعرب فهما ابنا العرب كما يظهر من ديوان العطايا الّذي نظمه عمر و من جعله العرب طبقات بعضها فوق بعض ولم يراع لمن أسلم من سائر الناس حقاً

وجعلهم موالي و أسقط حقوقهم الاجتماعيّة في موارد شتّى ، و أمّا عثمان فقد ظهر ابن حيّه بني أُميّة و فوّض إليهم أُمور المسلمين و بيت مالهم حتّى نقموا عليه و ثاروا على حكومته و قتلوه .

و قد أكّد عليه السلام هذه الفلسفة السامية العميقة بقوله « ظالماً أو مظلوماً ... » إي تجرّد عن حيّه على أيّ حال كان حيّه فانّ هذا التجرّد طبيعة زعامته العامّة على الأُمّة و لا ربط له بوضع حيّه من كونه ظالماً أو مظلوماً ، فانّ كلاالعنوانين ربما صارا من دواعي الخروج عن الحي ، و كلامه هذا أبلغ تعبير في استعطاف أهل الكوفة للقيام بنصرته فكأنّه قال : أنا من الشعب و منكم فهلمّوا إليّ .

الترجمة

از نامه ايست كه حضرتش در هنگام رفتن از مدينه ببصره بأهل كوفه نگاشته است :

أمّا بعد ، براستى كه من از اين قبيله بيرون شدم كه يا ستمكار بودند و يا ستمكش ، يا متجاوز بودند و يا تجاوز كش ، و خدا را يادآور همه خواننده‌هاى اين نامه مى كنم كه بمحض اطّلاع از مضمون آن بسوى من كوچ كنند ، تا اگر نيك رفتارم مرا ياري دهند ، و اگر بدرفتارم ازمن گله كنند و بمن اعتراض نمايند .

المختار السابع والخمسون

كتبه الى أهل الامصار ، يقص فيه ماجرى بينه وبين أهل صفين .

وَ كَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا اَلْتَقَيْنَا [وَ] اَلْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَ الظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ ، وَ نَبِيَّنَا وَاحِدٌ ، وَ دَعْوَتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ ، وَلَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي اَلْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ التَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ وَ لَا يَسْتَزِيدُونَنَا [وَ] اَلْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَ نَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ !

فَقُلْنَا : تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لَا يُدْرَكُ ٱلْيَومَ بِإِطْفَاءِ ٱلنَّائِرَةِ وَ تَسْكِينِ ٱلْعَامَّةِ ، حَتَّىٰ يَشْتَدَّ ٱلْأَمْرُ وَ يَسْتَجْمِعَ ، فَنَقْوَىٰ عَلَىٰ وَضْعِ ٱلْحَقِّ فِي مَوَاضِعِهِ ، فَقَالُوا : بَلْ نُدَاوِيهِ بِٱلْمُكَابَرَةِ ، فَأَبَوْا حَتَّىٰ جَنَحَتِ ٱلْحَرْبُ وَ رَكَدَتْ ، وَ وَقَدَتْ نِيرَانُهَا وَ حَمِسَتْ [حَمَشَتْ] ، فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا وَ إِيَّاهُمْ ، وَ وَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وَ فِيهِمْ ، أَجَابُوا عِنْدَ ذٰلِكَ إِلَى ٱلَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَىٰ مَا دَعَوْا ، وَ سَارَعْنَاهُمْ إِلَىٰ مَا طَلَبُوا حَتَّى ٱسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْحُجَّةُ ، وَ ٱنْقَطَعَتْ مِنْهُمُ ٱلْمَعْذِرَةُ ، فَمَنْ تَمَّ عَلَىٰ ذٰلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ ٱلَّذِي أَنْقَذَهُ ٱللهُ مِنَ ٱلْهَلَكَةِ ، وَ مَنْ لَجَّ وَ تَمَادَىٰ فَهُوَ ٱلرَّاكِسُ ٱلَّذِي رَانَ ٱللهُ [رِينَ] عَلَىٰ قَلْبِهِ ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ عَلَىٰ رَأْسِهِ .

اللغة

(بدء) الأمر : أوّله و بدىء بمعنى مبتدء ، (النائرة) : فاعلة من النار ، أى العداوة ، (جنحت) : أقبلت ، (ركدت) : ثبتت ، (حمست) : اشتدّت ، حمشت : التهبت غضباً ، (ضرّست) : عضّتنا بأضراسها ، يقال : ضرّسهم الدهر أى اشتدّ عليهم ، (المخالب) جمع مخلب وهو من الطير بمنزلة الظفر للانسان ، (أنقذه) : خلّصه ، (التمادي) في الشيء : الاقامة عليه و طلب الغاية منه ، (الركس) : ردّ الشيء مقلوباً ، (ران) غلب و غطّى .

الاعراب

أنّا : بالفتح مع اسمه و خبره تأوّل بالمصدر و خبر لقوله « بدء أمرنا »

القومُ: بالرفع ، قال ابن ميثم : عطف على الضمير في التقينا ، و قال الشارح المعتزلي: « التقينا و القوم » كما قال : قلت إذ أقبلت و زهر تهادى ، ومن لم يروها بالواو فقد استراح من التكلّف .

أقول : الظاهر أنّ التكلّف في العطف على الضمير المرفوع المتّصل من دون إعادة المنفصل و مع حذف الواو ينصب القوم مفعولاً ، منه براء : تقول العرب : أنا براء و نحن براء ، الذكر و الأنثى والمفرد و الجمع فيه واحد ، و تأويله ذو براء - مجمع البيان - و هو خبر نحن ، نداو : مجزوم في جواب الأمر ، اليوم : ظرف متعلّق بقوله « نداو » كقوله باطفاء النائرة .

المعنى

قد تصدّى عليه السلام في كتابه هذا إلى بلاغ رسمي لعموم المسلمين في الأمصار و البلاد الشاسعة يبيّن فيه ما آل إليه زحفه بالجيوش المسلمين إلى الشام لدفع بغي معاوية و صدّه عن الهجوم بالبلاد و تعرّضه للعيث و الفساد ، وأشار بقوله (و الظاهر أنّ ربّنا واحد) إلى موادّ الموافقة بين الفريقين المسلمين و الطائفتين اللتين اقتتلا .

و حصر مادّة الخلاف في أمر واحد و هو دم عثمان حيث إنّ مقاتلة أهل الشام يتشبّثون بمطالبته من أهل الكوفة و خصوصاً من علي عليه السلام ، و قد برّأ عليه السلام كلّ المقاتلة الكوفيّين من دم عثمان مع أنّ فيهم من ينسب إليه بجمع الجموع عليه كالأشتر النخعي - رحمه الله - أو المباشرة بالهجوم عليه في داره كعمّار بن ياسر فحكمه عليه السلام بهذه البرائة العامّة لوجهين :

١- أنّه قتل حقاً لا ظلماً ، لقيامه في زعامته على خلاف مصالح الأمّة الاسلاميّة و انحرافه عن سنن الشريعة ، و نقضه للقوانين الثابتة في الكتاب و السنّة ، و إحداثه البدعة و الفتنة ، و ليس على قاتله دية و لا قود ، فكلّهم براء من قتله ، ولا يجوز مطالبتهم به ، وقد ورد مطاعن عثمان في السير المتقنة بما لامزيد عليها .

٢- أنّ المباشر لقتل عثمان غير داخل في جيشه و غير معلوم عندهم ، والقصاص

و الدية إنّما يتعلّقان بالمباشر و هو مفقود ، فهم براء منه .

و قد بيّن عليه السلام اقتراحه لأهل الشام وهو ترك العداوة و الشحناء والخصومة و اللجاج في الوقت الحاضر لينحقّق الوحدة الاسلاميّة و يسكن فورة نفوس العوام و ثورتهم الّتي أثارها معاوية بدهائه و خداعه ، فاشتدّ الحكومة الاسلاميّة في ظلّ الوحدة و الوئام و تنجمّع القوى في جميع الثغور و من كلّ الأنام لتداوي ما لايدرك ، و ماهو ما لايدرك ؟

قد فسّره الشارح المعتزلي بالتمكّن من قتلة عثمان و القصاص منهم ، فقال « ص١٤٢ ج ١٧ ط مصر » :

قلنا لهم : تعالوا فلنطفىء هذه النائرة الآن بوضع الحرب إلى أن تتمهّد قاعدتي في الخلافة ثمّ تزول هذه الشوائب الّتي تكدّر عليّ الأمر ، و يكون للناس جماعة ترجع إليها ، و بعد ذلك أتمكّن من قتلة عثمان بأعيانهم فأقتصّ منهم .

أقول : و فيه نظر من وجهين :

١ـ أنّه عليه السلام لايدعو إلى معالجة قضيّة قتل عثمان بتعقيب قتلته ، لأنّه غرّر بنفسه حتّى قتل في غوغاء من المسلمين لايدرى من قتله .

٢ـ لامعنى للاقتصاص من جمع في قتل رجل واحد فانّه لايقتل قصاصاً للواحد إلاّ واحداً إذا ثبت أنّه قاتل وحده و لو اشترك جمع في قتل واحد لا يقتصّ منهم جميعاً .

و قال ابن ميثم : و الباء في قوله (بإطفاء النائرة) متعلّق بقوله (نداوي ما لايدرك) أى ما لايمكن تلافيه بعد وقوع الحرب و لايستدرك من القتل وهلاك المسلمين .

أقول : وله وجه ، و الأوجه أنّ المقصود من « ما لايدرك » الاتّفاق العامّ و التامّ بين المسلمين في نشر الاسلام و بثّ دعايته ، فانّه لولا خلاف معاوية معه لم يلبث الاسلام أعواماً قلائل حتّى يستولي على كلّ البلدان ويهتدي في ظلّ تعليماته العالية جميع بني الانسان ، فانّ أكثر الخلق الّذين بلغ إليهم تعليمات الاسلام

ونشرت في بيئتهم إنّما أسلموا طوعاً لما أدركوا من أنّه يهدي للّتي أقوم هي لتربية الاسلام العليا و طريقته الوسطى .

فلولا تسلّط بني أُميّة على الحكومة الاسلاميّة و تكديرهم قوانينه النيّرة العادلة الكافلة لصلاح بني الانسان مادّة و معناً لساد الاسلام في كافّة البلدان وشملت هدايته جميع أبناء الانسان فينال البشر بالتقدّم و الازدهار من القرون الأُولى الاسلاميّة .

و لكن أجاب أهل الشام باغواء معاوية بما لخّصه عليه السلام في قوله (فقالوا : بل نداويه بالمكابرة) أي طلب الكبر والسلطنة ، فيعلم كلّ أحد أنّ هدف معاوية من القيام بطلب دم عثمان ليس إلاّ طلب الرياسة والتسلّط على الأنام فأثار الحرب الشعواء حتّى دارت عليه الدائرة فتشبّث بمكيدة عمرو بن العاص إلى دهاء أُخرى و اعترف باقتراح علي عليه السلام .

فأجاب إلى مادعاه إليه من الرجوع إلى حكم القرآن ، و قال عليه السلام (و سارعناهم إلى ما طلبوا) ، قال المعتزلي في شرحه « ص ١٤٣ ج ١٧ ط مصر » : كلمة فصيحة ، وهي تعدية الفعل اللازم ، كأنّها لمّا كانت في معنى المسابقة والمسابقة متعدّية عدّي المسارعة .

أقول : و هذا ما عبّر عنه ابن هشام في المغني بالتضمين و جاء له بشواهد كثيرة منها قول الشاعر :

هنّ الحرائرُ لا ربّاتُ أخمرة سودُ المحاجر لايقرأن بالسور

وقد علّل عليه السلام إجابته إلى ذلك بايجاد محيط سالم يمكن فيه التفاهم وبيان الحجّة على الحقّ فانّ المحيط الموبوء الحربي مثار التعصّب و الغضب المانعين عن استماع دليل الخصم و التفاهم معه فلا يتمّ الحجّة عليه خصوصاً مع ما نشره معاوية فيهم من الأكاذيب و الاتّهامات الفارغة فحتّى في كلامه عليه السلام للتعليل وما بعدها في معنى المضارع و المقصود أنّ هدف الهدنة إتمام الحجّة على من خدعهم معاوية و عمرو بن العاص من أهل الشام ، واستنتج منه أنّ من انقاد لحكم القرآن

بعد ذلك أنقذه الله من الهلكة و العقاب و من لجّ و تمادى في غيّه فهو الراكس الّذي ران الله على قلبه و لم تنفع الحجّة الواضحه له .

قال الشارح المعتزلي : قال قوم : الراكس هنا بمعنى المركوس ، فهو مقلوب فاعل بمعنى مفعول ، كقوله تعالى « فهو في عيشة راضية ٧ ـ القارعة » أى مرضيّة ، وعندي أنّ اللفظة على بابها ، يعني أنّ من لجّ فقد ركس نفسه فهو الراكس و هو المركوس ـ إلى أن قال : و ران على قلبه أى ران هو على قلبه كما قلنا في الراكس ، و لايجوز أن يكون الفاعل و هو الله محذوفاً ، لأنّ الفاعل لايحذف ـ انتهى .

و ممّا ذكرنا ظهر ضعف ما قاله ابن ميثم في قوله (فمن تمّ علي ذلك) أى على الرضا بالصلح و تحكيم كتاب الله و هم أكثر أهل الشام و أكثر أصحابه عليه السلام و الّذين لجّوا في التمادي فهم الخوارج الّذين لجّوا في الحرب و اعتزلوه ـ الخ .

و في كلامه وجوه من النظر :

١ ـ كيف حكم أمير المؤمنين عليه السلام على أهل الشام بأنّه أنقذهم الله من الهلكة و ظاهر الهلكة العذاب الأخروي لا النجاة من الحرب و النيل بالحياة الدنيويّة .

٢ ـ أنّ صدور هذا البلاغ كان بعد الهدنة و قبل تحكيم أمر الخوارج و ظهور خلافهم عليه كماهو الظاهر .

٣ ـ أنّ صريح قوله عليه السلام « حتّى استبانت عليهم الحجّة ـ الخ » راجع إلى أهل الشام و لا ربط له بالخوارج الّذين كانوا معه و جاهدوا حقّ الجهاد قبل ارتدادهم عنه .

٤ ـ أنّ قوله (ومن لجّ و تمادى) يدلّ على أنّ المقصود من كلامه المخالفين معه قبل الهدنة وحين الحرب ولاينطبق على الخوارج ، والحاصل أنّ غرضه عليه السلام بيان هدف قبول الهدنة و الرجوع إلى حكم الله تعالى لإتمام الحجّة على أهل الشام ببيان الأدلّة على حقّيّته و بطلان مكائد معاوية و خواصّه كما هو وظيفة

القائم بالارشاد والهداية ليهلك من هلك عن بيّنة و يحيى من حيّ عن بيّنة ، فكلامه عليه السلام في حكم قضيّة كلّيّة و لا نظر له إلى تحقّق المصاديق الخارجيّة كما زعمه ابن ميثم عليه الرحمة .

الترجمة

ازنامه ايست كه بأهالي شهرها نوشت وآنچه درصفين ميان او ومخالفانش انجام يافت گزارش فرمود :

آغاز كار ما اين بود كه با مردم شام برخورد كرديم ، و ظاهر حال اين بود كه پروردگار و معبود ما يكى است و پيغمبرما يكى است ، و دردعوت بمسلمانى هم آهنگيم ، و ما ازآنها در ايمان بخدا و تصديق بفرستادهٔ او فزونى نخواستيم ، وآنها هم دراين باره از ما فزونى نخواستند ، ووضع ما در همه جهت يكى بود و فقط مورد اختلاف خونخواهى براى عثمان بود ، درصورتيكه ما ازخون عثمان پاك بوديم و بدان آلوده نبوديم .

ما پيشنهاد كرديم : بيائيد تا دربارهٔ آنچه بدست نداريم امروزه چاره جوئى كنيم بوسيله خاموش كردن آتش شورش وجوشش دشمنى ميان خود وشماها وبكمك آرام كردن افكار پريشان توده مردم مسلمان تا آنكه كار اسلام محكم گردد وجماعت اسلام بى مخالفت پابرجا شود و ما نيروگيريم تا هرحقّى را بجاى خودش برقرارداريم .

آنها در پاسخ گفتند : ما با زورآزمائى وضع موجود را معالجه مى كنيم ، وسراز پيشنهاد ما برگردانيدند و پافشارى كردند تاجنگ سردرآورد و پردرآورد و پاى برجا شد وآتش سوزانش شعله ور وتيز گرديد .

و چون دندانش برکالبد ما وآنها فروشد و چنگال درتن ما وآنها انداخت بناچار بهمان پيشنهادى كه ما باآنها داشتيم پاسخ مثبت دادند و بحكم قرآن رضا شدند ، و ما هم باشتاب آنچه را خواستند پذيرفتيم براى آنكه حجّت حق برآنها آشكار شود و عذر جهالت و شبهه آنها قطع گردد ، تا هر كس براين مطلب

پائيد و بدرستى آنرا پذيرفت همانكس باشد كه خداوندش از هلاكت و نابودى و عذاب نجات داده ، وهر كس لجبازى كرد وبناحق إصرار ورزيد وآنرا كش‌داد همان‌باشد كه خودرا نگونسار كرده هم آنكه خدايش بردل مهرزده و پرده كشيده و بدآمد وشكست معنوي برسراو چرخيده و گرفتارش كرده است .

المختار الثامن والخمسون

و من كتاب له عليه السلام الى الاسود بن قطيبة صاحب جند حلوان

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْوَالِيَ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيراً مِنَ الْعَدْلِ فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ ، فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ ، وَ ابْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ ، رَاجِياً ثَوَابَهُ ، وَ مُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ .

وَ اعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَ أَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَداً ، وَ مِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ ، وَ الْإِحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجَهْدِكَ ، فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ ، وَ السَّلَامُ .

اللغة

(اختلف) من موضع إلى موضع : تردّد ، و منه الحديث « من اختلف إلى المساجد أصاب إحدى الثمان » و مثله « كنت أختلف إلى ابن أبي ليلى في مواريث لنا » ، (سواء) قال في المغني : تكون بمعنى مستوٍ ، (الجور) : الميل عن الحقّ و هو خلاف العدل ، (قطّ) : من أسماء الأفعال بمعنى انته و كثيراً ما تصدّر بالفاء - مجمع البحرين - .

الاعراب

كثيراً : مفعول مطلق لقوله « منعه » بحذف الموصوف أى منعاً كثيراً أو مفعول له لمنعه ، ومن العدل متعلّق به ، سواء : خبر فليكن ، عندك : ظرف متعلّق بسواء ، في الحقّ : جارو مجرور متعلّق بقوله « سواء » ، في الجور : ظرف مستقرّ خبر ليس قدّم على اسمه و هو عوض و « من العدل » جار و مجرور متعلّق بقوله « عوض » ، فيها : متعلّق بقوله « لم يفرغ » ، ساعة : مفعول فيه ، فرغة : مصدر للمرّة ، حفظ نفسك : مبتدء مؤخّر لقوله « و من الحقّ » و هو ظرف مستقرّ و عليك متعلّق بقوله « الحقّ » ، الباء فى بك للالصاق .

المعنى

قال الشارح المعتزلي « ص١٤٥ ج١٧ ط مصر» : لم أقف إلى الآن على نسب الأسود بن قطبة ، و قرأت في كثير من النسخ أنّه حارثي من الحارث بن كعب ، ولم أتحقّق ذلك . والّذي يغلب على ظنّي أنّه الأسود بن زيد بن قطبة بن غنم الانصاري من بني عبيد بن عدي ، ذكره أبوعمر بن عبد البرّ في كتاب الاستيعاب ، وقال : ان موسى بن عقبة عدّه ممّن شهد بدراً .

أقول : حلوان بلد ربما يعدّ من البلدان العظيمة المحصّنة لحكومة فارس في الدولة الساسانيّة بعد مدائن الّتي كانت عاصمة تلك الدولة الكبرى في عصرها واقع جنوبَ مدائن ممّا يقرب من أربعة مراحل ، و قد تحصّن فيه يزدجرد الثالث بعد هزيمته من مدائن و سقوطها في أيدى المسلمين و عسكر هناك لسدّ هجوم جيش الاسلام و وقع بين الفريقين حروب هائلة انتهت بسقوط حلوان في أيدى المسلمين و بخراب هذه البلدة العظيمة .

والظاهر أنّه صار معسكراً لجنود الاسلام إلى أيّام زعامة أمير المؤمنين عليه السلام وكان سياسة الزعماء الماضين الّتي بناها عمر الإهانة والخشونة مع غير المسلمين العرب و إن كانوا مسلمين واحتقارهم والنظر إليهم كعبيد و إماء ، وكان من مهمّة حكومته عليه السلام تغيير هذه السياسة العمريّة و الإرفاق بعموم الناس تشويقاً لهم إلى قبول

الاسلام و إجراءاً للعدالة بين الأنام .

و قد أقدم على هذه السنّة النبويّة من طرق شتّى :

منها : تقريب الموالي و المسلمة من غيرالعرب وتسويتهم في العطايا مع العرب حتّى المهاجرين منهم و الأنصار .

و منها : إظهار اعتماده عليهم و تفويض المناصب إليهم بقدر لياقتهم ، ففوّض حجابته وهي من أهمّ المناصب حينئذ إلى قنبر وهو المخلص له عليه السلام والمعتمد عنده .

و روى صاحب منهج المقال بسنده عن جعفر بن محمّد عن أبيه أنّ علياً عليه السلام قال :

لمّا رأيتُ الأمر أمراً منكراً أوقدتُ ناري و دعوتُ قنبراً

و كفى بذلك شرفاً لقنبر و دليلاً على كمال عنايته عليه السلام به و اعتماده عليه .

و قد وصّى عليه السلام صاحب جند حلوان الحاكم في أرض الأمّة الفارسيّة بأنّه إذا تردّد على الوالي الأهواء يمنعه من رعاية العدل كثيراً ، وأغلب الأهواء المتردّدة على ذوى القدرة من العرب هو التعصّب العربي و الترفّع العنصري الّذي نشأوا عليه في الجاهليّة فأخمد لهيبه الاسلام في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ أحياه حكومة عرب وأسرة بني اُميّة أهل النفوذ في حكومته في جميع البلاد الاسلاميّة وخصوصاً في الشام والعراق الّتي تليها ، فأمره برعاية التساوي في الحقوق بالنسبة إلى جميع الناس ونبّه على أنّ الجور على أيّ قبيل لايقوى به الاسلام و لا يصير عوضاً عن العدل كما زعمه العمريّون بل الجور على غيرالعرب يوجب نفورهم عن الاسلام .

وأمره باجتناب ماتنكره وهوعرب بالنسبة إلى جميع الناس ، وفي قوله عليه السلام (و ابتذل نفسك) إشارة ظاهرة على ترك الترفّع العنصري أى اجعل نفسك كأحد من الناس لأداء ما فرضه الله عليك .

و نبّهه على أنّ الدنيا دار امتحان وابتلاء و اغتنام فرصة ساعة فيها للراحة و السرور يوجب الحسرة و الأسف يوم القيامة ، و نبّهه على أنّ وظيفة الوالي أن

يحفظ نفسه أى يمنعها عن هواها وجاهها عن الأمر عليه حتّى ينساها و يخلص همّه و جهده لخدمة الرعيّة مسلمين كانوا أو ذمّيّين و معاهدين معلّلاً بأنّ ما يصل من رعاية الرعيّة من حسن الذكر ورفاه معيشة العامّة في الدنيا ومن المثوبة في الأخرة أفضل من الّذي يصل به من الجهد و المشقّة من ذلك .

قال الشارح المعتزلي في شرح هذه الجملة (فانّ الّذي يصل إليك) : من ثواب الاحتساب على الرعيّة و حفظ نفسك عن مظالمهم و الحيف عليهم (أفضل من الّذى يصل باك) من حراسة دمائهم و أعراضهم و أموالهم ، و لاشبهة في ذلك .

و قال ابن ميثم في شرح الجملة « ص ١٩١ ج ٥ ط مؤسّسة النصر » : وأراد أنّ الّذى يصل إلى نفسك من الكمالات و الثواب اللازم عنها في الأخرة بسبب لزومك للأمرين المذكورين أفضل ممّا يصل بعدلك و إحسانك إلى الخلق من النفع و دفع الضرر .

أقول : وهو يقرب ممّا ذكره الشارح المعتزلي ولا يخفى ضعف كلا التفسيرين على أهل النظر .

الترجمة

از نامه‌اى كه بأسود بن قطبة سرلشكر حلوان نگاشته :

أمّا بعد ، براستى كه اگر هوسهاى فرمانگذار پياپي باشد اورا بسيار از إجراى عدالت جلوگير گردد ، بايد از پيروى هوس درگذرى و بهمه مردم در إجراى حق بيك چشم نگرى ، زيرا كه درخلاف حق هيچ عوضى از عدالت وجود ندارد ، بركنار باش از آنچه كه مانند آن را نسبت بخود زشت و ناهنجار شمارى وخودرا در انجام آنچه خدا برتو فرض كرده و وظيفه تو دانسته خواردار ، بامید پاداش نيك او و از بيم شكنجه اش .

و بدانكه دنيا خانه آزمايش وبلا است ، هرگز دنيادار ساعتى درآن بيكار و بركنار از انجام وظيفه نيارامد جز آنكه در روز رستاخيز بر آن افسوس خورد و راستش اين است كه هيچ چيزى ترا از رعايت حق و درستى بى‌نياز نسازد ، واز

جمله حقوقی که برعهده تو است این است که خوددار باشی و نفس خودرا مهار زنی و با همه کوشش خود بکارهای رعایا بپردازی ، زیرا آنچه از این راه بتو عاید می‌شود بهتر است از آن رنج و تعب که در إجرای حق و رعایت رعیّت بتو می رسد .

المختار التاسع والخمسون

و من كتاب له عليه السلام الى العمال الذين يطأ الجيش عملهم [عملهم الجيوش]

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ مَنْ مَرَّ بِهِ الْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ الْخَرَاجِ وَ عُمَّالِ الْبِلَادِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَ قَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لِلهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الْأَذَىٰ وَ صَرْفِ الشَّذَىٰ ، وَ أَنَا أَبْرَءُ إِلَيْكُمْ وَ إِلَىٰ ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ إِلَّا مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ لَا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَىٰ شِبَعِهِ ، فَنَكِّلُوا مَنْ [بِمَنْ] تَنَاوَلَ مِنْهُمْ [شَيْئاً] ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ ، وَ كُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَارَّتِهِمْ وَ التَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا اسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ وَ أَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ الْجَيْشِ فَارْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ وَ مَا عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَ لَا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللهِ وَ بِي [فَأَنَا] أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَةِ اللهِ إِنْ شَاءَ [اللهُ] .

اللغة

(الجباة) : جمع جابي : الّذين يجمعون الخراج ، جبيت الماء في الحوض ،

أى جمعته ، (الشذى) : الضرب والشرّ ، لقد أشذيت وآذيت ، (المعرّة) : المضرّة عرّه معرّة أى ساءه ، (جوعة) : مرّة من جاع ، (نكّلوا) أى عاقبوا ، خوّفوا جبّنوا ، نكل ينكل بالضمّ : جبُن ، (عراه) الأمر : غشيه .

الاعراب

من جباة الخراج : لفظة من بيانيّة ، هى مارّة بكم : جملة اسميّة ، صفة للجنود أو حال عنه ، عنها : ظرف مستقرّ مفعول ثانٍ لقوله « لايجد » و مذهباً مفعوله الأوّل اُخّرعنه و « إلى شعبه » متعلّق بقوله « مذهباً » ، ظلماً : عطف بيان قوله شيئاً .

المعنى

هذا بلاغ رسمي صدر منه عليه السلام يهدف إلى حفظ الأمن و النظام في البلاد الواقعة على مسير الجنود الواجفة إلى جبهة الحرب ، و الظاهر منه أنّه عليه السلام يسير مع الجنود وله زحفان معها للجنود :

١ـ من المدينة إلى الكوفة إلى البصرة في حرب الجمل .

٢ـ من الكوفة إلى الشام في حرب صفّين .

فمن المقصود بقوله عليه السلام (من مرّ به الجيش) ؟ و هل يمكن أن يكون المخاطب به كلّ أحد من جباة الخراج و العمّال الشامل لأهل الذمّة ففوّض أمر محاكمة من ظلم من الجيش إلى كلّ فردٍ و فوّض إليه مجازاته و عقوبته فكيف يستقيم ذلك ؟ و هل ينتجُ إلاّ الهرج والمرج والشغب ؟! فلا بدّ و أن يكون المخاطب عموم أهل كلّ بلدٍ على نحوالواجب الكفائي و يحتاج إجراء هذا الأمر إلى لجنة مركّبة من أعضاء ينتدبون لإجراء مثل هذه الاُمور عن قبل كلّ أهل البلد البالغين الواجدين لشرائط الانتخاب و الانتداب وهى المعبّرعنه بلجان الايالات و الولايات المنظورة في تشكيلات الدول الراقية لبسط الديموقراطيّة السامية .

فكتابه عليه السلام هذا ينظر إلى تشريع هذاالنظم الهامّ الديموقراطي ، وقدصرّح عليه السلام بتفويض الاختيارات في محاكمة الجنديّ المتعدّي و مجازاته وهى شعبة

هامّة من دائرة العدليّة في التشكيلات المدنيّة الراقية ، ولابدّ من اقتدار هذه اللجان على إجراء اُصول المحاكمات و تنفيذ المجازات بوجدان الرجال الاخصّائيّين في هذه المسائل الهامّة ، و يشعر بجواز تصدّي أهل الكتاب الذمّيّين لذلك إذا كان عمّال بلد منهم خاصّة أو مساهمين مع المسلمين لأنّ خطابه عليه السلام يشملهم لقوله : (وأنا أبرأ إليكم و إلى ذمّتكم) .

قال الشارح المعتزلي « ص١٤٧ ج١٧ » : وإلى ذمّتكم ، أى اليهود والنصارى الّذين بينكم ، قال عليه السلام « من آذى ذمّيّاً فكأنّما آذاني » و قال : إنّما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا ، وأموالهم كأموالنا ، و يسمّى هؤلاء ذمّة ، أى أهل ذمّة بحذف المضاف .

و قد استثنى من معرّة الجيش و ضرره بالناس مادّة واحدة عن العقوبة وهى مورد الاضطرار لسدّ الجوعة و حفظ النفس عن التلف فيجوز له أخذ ما يأكله إلى حدّ الشبع و لكنّ الظاهر ضمانه لقيمة ما يأخذه اضطراراً لأنّ الاضطرار يسقط الحرمة و العقوبة لا الضمان كما هومقرّر في الفقه .

قال ابن ميثم « ص ١٩٩ ج ٥ » : و تقدير الكلام : فإنّي أبرء إليكم من معرّة الجيش إلاّ من معرّة جوعة المضطرّ منهم ، فأقام المضاف إليه مقام المضاف أو أطلقه مجازاً إطلاقاً لاسم السبب على المسبّب .

أقول : و هل يجوز معرّتهم للاضطرار في غير مورد الجوعة كما إذااضطرّوا إلى قطع الأشجار للمبنايات الضروريّة للجيش أو الاسكان في البيوت للاضطرار إلى توقّي الحرّ و البرد و غير ذلك ؟ يشعر إضافة الجوعة إلى المضطرّ بالعموم ويؤيّده قاعدة الاضطرار المأخوذة من حديث الرفع المشهور « رفع عن اُمّتي تسعة » و عدّ منها ما اضطرّوا إليه .

الترجمة

از نامه‌اي كه به‌كارگران وكارمندان شهرهاى سرراه قشون نگاشته است :
از طرف بنده خدا علي أمير مؤمنين بهر كس لشكر بدو گذرد ازكارمندان

جمع مالیات و خراج وازکارگران وکارکنان همه شهرستانها .

أمّا بعد ، براستی که من لشکرهائی گسیل داشتم که بخواست خدا برشما گذرخواهند کرد ، من سفارش آنچه را خدا بر آنها واجب کرده است نموده‌ام که خودرا از آزار ورنج دادن مردم نگهدارند ، من پیش‌شما مسلمانان ودربرابرهر که در پناه دارم از دیگران بیزار وبری هستم اززیانکاریهای لشکریانم مگر گرسنه‌ای ازراه ناچاری برای رفع گرسنگی از مال کسی بهره گیرد وراه دیگری برای رفع نیازخود نداشته باشد ، شما هر که را که چیزی بستم ازآنان بر گرفت خود او را بسزا برسانید واز ستمش بازدارید .

ودست کم‌خردان شهرستان خودرا از زیان رساندن بلشگر و درآویختن با آنان جز در موردی که استثناء کردم کوتاه سازید ، و من خود بهمراه لشگرم و هرستم و ناگواری از آنها بشما رخ‌داد و برشما چیره شدند و چارهٔ آنرا جز بکمك خداوندی نتوانید بخود من مراجعه کنید ومن بکمك‌خداوند وخواست‌خدا آنرا چاره کنم ونگون گردانم .

المختار الستون

و من کتاب له علیه السلام الی کمیل بن زیاد النخعی ، وهو عامله علی هیت : ینکر علیه ترکه دفع من یجتاز به من جیش العدو طالباً الغارة

أَمّا بَعْدُ ، فَإِنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مٰا وُلِّيَ ، وَ تَكَلُّفَهُ مٰا كُفِيَ ، لَعَجْزٌ حٰاضِرٌ ، وَ رَأْيٌ مُتَبَّرٌ ، وَ إِنَّ تَعٰاطِيَكَ الْغٰارَةَ عَلىٰ أَهْلِ قِرْقِيسٰا ، وَ تَعْطِيلَكَ مَسٰالِحَكَ الَّتِي وَ لَّيْنٰاكَ لَيْسَ بِهٰا [لَهٰا] مَنْ يَمْنَعُهٰا وَ لاٰ يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهٰا ، لَرَأْيُ شَعٰاعٌ ، فَقَدْ سِرْتَ جِسْراً لِمَنْ أَرٰادَ الْغٰارَةَ مِنْ أَعْدٰائِكَ

عَلىٰ أَوْلِيائِكَ غَيْرَ شَدِيدِ ٱلْمَنْكِبِ ، وَلاٰ مَهِيبِ الْجانِبِ ، وَلاٰ سادٍّ ثُغْرَةً ، وَلاٰ كاسِرٍ لِعَدُوٍّ شَوْكَةً ، وَلاٰ مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ ، وَلاٰ مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ ، وَالسَّلاٰمُ .

اللغة

(المتبّر) : الهالك و الفاسد ، قال تعالى : « إنّ هؤلاء متبّر ما هم فيه ١٣٩ ـ الاعراف » ، (التعاطي) : تفاعل من العطاء يفيد معنى التناول ، (قرقيسا) : من القرى الّتي على الفرات ملحقة بالشام في ذلك الزمان ، (المسالح) جمع مسلحة : الموضع الّذي يقام فيه طائفة من الجند لحمايتها ، (شعاع) : المتفرّق المبعثر ، (الثغرة) : الثلمة ، (مجزٍ) : كافٍ و مغنٍ و أصله مجزىء فخفّفت الهمزة فصار مجزي و أُعلّ إعلال الناقص فصار مجزٍ .

المعنى

قال الوحيد البهبهاني في حاشيته على الرجال الكبير: كميل هذا هو المنسوب إليه الدعاء المشهور ، قتله الحجّاج وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد أخبره بأنّه سيقتله وهو من أعاظم خواصّه ، قال شيخنا البهائي في أربعينه وغيره : والعجب من الوجيزة أنّه قال فيه : م ا و ح فتأمّل ، قال جدّي رحمه الله : و في النهج مايدلّ على أنّه كان من ولاته على بعض نواحي العراق .

أقول : و مقصوده ـ رحمه الله ـ هذا الكتاب الّذي كتبه إليه و هو عامل له على هيت .

و قال الشارح المعتزلي في « ص ١٤٩ ج١٧ ط مصر» : هو كميل بن زياد ابن سهيل ، و سرد نسبه إلى مالك بن أدد ، ثمّ قال : كان من أصحاب علي عليه السلام و شيعته و خاصّته ، قتله الحجّاج على المذهب فيمن قتل من الشيعة ، و كان كميل ابن زياد عامل علي عليه السلام على هيت ، وكان ضعيفاً يمرّ عليه سرايا معاوية تنهب أطراف

العراق و لايردّها ، و يحاول أن يجبر ما عنده من الضعف بأن يغير على أطراف أعمال معاوية مثل قرقيسيا و ما يجري مجراها من القرى الّتي على الفرات .

أقول : الظاهر أنّ هذا الكتاب التوبيخي الحادّ صدر من ديوان عليّ عليه السلام إلى كميل بن زياد - عليه الرحمة - بعد إغارة أعوان معاوية على الأنبار و قتل حسّان ابن حسّان البكرى فأصاب لهيب قلبه الشريف كميلاً ، والهدف أمران :

١ـ التوصية على عمّاله عليهم السلام خصوصاً من كان منهم عاملاً في الثغور المتأخمة لعدوّ حيّال كمعاوية على شدّة الانضباط و اليقظة تجاه تنقّلات العدوّ ومهاجمتهم على أعمال ولايتهم و من دونها من الولايات الّتي كانت يحميها عليّ عليه السلام .

٢ـ إشعاره عليه السلام بأنّ مجاوبة الإغارة بالإغارة في البلاد الاسلاميّة لايناسب شأن الحكومة العادلة الاسلاميّة لأنّ في كلّ بلدٍ جمع من الأطفال و النساء و الضعفاء و من لايدَ له على تغيير المظالم و لايرضى بها و الإغارة تشمل الحيف على بعض هذه الجماعات الّتي لايصحّ التعرّض لهم ، وليس من دأبه عليه السلام الانتقام من الظلم بالظلم بل ردّ الظالم من ظلمه و إلزامه بالعدل مع أنّ أهل قرقيسيا كأهل أنبار رعاياه مسلمهم و ذمّيهم و إن تسلّط عليهم معاوية ظلماً و عدواناً .

الترجمة

ازنامه‌ای که بکمیل بن زیاد نخعي عامل خود درهیت نوشته ومسامحه اورا در جلوگیری از عبور لشکر دشمن برقلمرو حکمرانی او برای غارت برقلمرو حکومت علي عليه السلام و پرداختن بغارت در قلمرو دشمن را براو زشت شمرده‌است :

أمّا بعد ، براستی که سستي مرد در نگهداری آنچه براو حکمفرما شده‌است وتکلف آنچه ازاو خواسته نشده و مسئول آن نیست یك ناتوانی روبرو است و یك نظریّه باطل و گسیخته ، وراستی که دست‌اندازی تو برای چپاول برمردم شهرستان قرقیسیا و بی‌سرپرست گذاردن پاسگاه خود که ما بتو واگذار کردیم درحالیکه نیروی دفاع نداشته و کسی نبوده تا لشکر دشمن را ازآن براند وجلوگیری کند محقّقاً رأي بی‌بنیادیست .

راستی که تو پلی‌شدی برای هردشمنی که می‌خواهد بردوستانت چپاول کند و مال آنها را ببرد ، نه بازوی نیرومندی برای دفع دشمن داری و نه ازتو حسابی برده می‌شود و نه هیبتی در قلمروت داری و نه رازی را نگهمیداری و نه شوکت دشمن را می‌شکنی ، ونه از مردم شهرخود دفاع می کنی ونه از فرمانده و پیشوای خود کفایت می‌نمائی ، و السلام .

المختار الواحد والستون

ومن كتاب له عليه‌السلام الى أهل مصر مع مالك الاشتر لما ولاه امارتها .

أَمّا بَعْدُ، فإنَّ اللهَ - سُبْحانَهُ - بَعَثَ مُحَمَّداً - صلى الله عليه وآله - نَذيراً لِلْعالَمينَ وَ مُهَيْمِناً عَلَى الْمُرْسَلينَ ، فَلَمّا مَضى - صلى الله عليه وآله - تَنازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَاللهِ ما كانَ يُلْقى في رَوْعي ، وَلا يَخْطُرُ بِبالي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ - صلى الله عليه وآله - عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنّي مِنْ بَعْدِهِ !! فَما راعَني إلاّ انْثيالُ النّاسِ عَلى فُلانٍ يُبايِعُونَهُ ، فَأَمْسَكْتُ يَدي حَتّى رَأَيْتُ راجِعَةَ النّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلامِ يَدْعُونَ إِلى مَحْقِ دينِ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وآله - فَخَشيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلامَ وَ أَهْلَهُ أَنْ أَرى فيهِ ثَلْماً أَوْ هَدْماً تَكُونُ الْمُصيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلايَتِكُمُ الَّتي إِنَّما هِيَ مَتاعُ أَيّامٍ قَلائِلَ يَزُولُ مِنْها ما كانَ كَما

يَزُولُ السَّرَابُ ، أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَ زَهَقَ ، وَ اطْمَأَنَّ الدِّينُ وَ تَنَهْنَهَ .

و منه : إِنِّي وَ اللهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِداً وَ هُمْ طِلَاعُ الْأَرْضِ كُلِّهَا مَا بَالَيْتُ وَ لَا اسْتَوْحَشْتُ ، وَ إِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ وَ الْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَ يَقِينٍ مِنْ رَبِّي ، وَ إِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللهِ لَمُشْتَاقٌ ، وَ حُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ ، وَ لَكِنَّنِي آسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هٰذِهِ الْأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَ فُجَّارُهَا فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللهِ دُوَلاً وَ عِبَادَهُ خَوَلاً وَ الصَّالِحِينَ حَرْباً ، وَ الْفَاسِقِينَ حِزْباً ، فَإِنَّ مِنْهُمُ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمُ الْحَرَامَ وَجُلِدَ حَدّاً فِي الْإِسْلَامِ ، وَ إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرَّضَائِخُ ، فَلَوْلَا ذٰلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ وَ تَأْنِيبَكُمْ وَ جَمْعَكُمْ وَ تَحْرِيضَكُمْ ، وَ لَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَ وَنَيْتُمْ .

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدِ انْتَقَصَتْ ، وَ إِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدِ افْتُتِحَتْ وَ إِلَى مَمَالِكِكُمْ تُزْوَى ، وَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى ؟! انْفِرُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ ، وَ لَا تَثَّاقَلُوا إِلَى الْأَرْضِ فَتُقَرُّوا بِالْخَسْفِ ، وَ تَبُوءُوا بِالذُّلِّ ، وَ يَكُونَ نَصِيبُكُمُ الْأَخَسَّ ، وَ إِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الْأَرِقُ ، وَ مَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ ، وَ السَّلَامُ .

اللغة

(مهيمناً) : أصل مهيمن مؤيمن فقلبت الهمزة هاءاً كما قيل في أرقت الماء : هرقت ، و قد صرّف فقيل : هيمن الرجل إذا ارتقب و حفظ و شهد . مجمع البيان . (الرّوع) : القلب ، (البال) : الخاطر ، (تزعج) : تردّ ، (منحّوه) : مبعّدوه (الانثيال) : الانصباب ، (محق) : قيل : المحق ذهاب الشيء كلّه حتّى لايرى له أثر ، (ثلمة) كبرمة : الخلل الواقع في الحائط وغيره ، (هدمت) البناء من باب ضرب : أسقطته ، (زاح) : ذهب ، (زهق) : زال و اضمحلّ ، (تنهنه) : سكن ، و أصله الكفّ تقول : نهنهت السبع فتنهنه : أى كفّ عن حركته و إقدامه .

(طلاع الأرض) : ملؤها ، (آسى) : أحزن ، (الدّولة) في المال بالضمّ : أن يكون مرّة لهذا و مرّة لذاك ، (الخول) : العبيد ، (الرضيخة) : شيء قليل يعطاه الانسان يصانع به عن شيء يطلب منه كالأجر ، (التأليب): التحريض والاغراء (التأنيب) : أشدّ اللوم ، (ونيتم) : ضعفتم وفترتم ، (تزوى): تقبض، (تثّاقلوا) : بالتشديد ، أصله تتثاقلوا ، (تقرّوا بالخسف) : تعترفوا بالضيم و تصبروا له ، (تبوءوا) بالذلّ : ترجعوا به ، (الأرق) : الّذى لاينام .

الاعراب

نذيراً : حال عن محمد صلى الله عليه وآله ، أنّ العرب : جواب القسم ، منحّوه : اسم فاعل من نحّى مضاف إلى مفعوله ، إلاّ انثيال : مستثنى مفرّغ و في موضع الفاعل لقوله راعني ، رأيت : من رؤية البصر متعدّ إلى مفعول واحد ، راجعة : مصدر مضاف إلى الناس أى ردة الناس ، قد رجعت : جملة حاليّة عن قوله عليه السلام « الناس » ، تكون المصيبة به : جملة وصفيّة لقوله ثلماً ، واحداً ، حال عن فاعل لقيتهم .

و قوله « و هم طلاع » جملة اسميّة حال عن مفعوله ، و إنّي من ضلالهم : استيناف و تعليل لما سبق و يحتمل كونها حاليّة و كذلك قوله « و إنّي إلى لقاء الله » ، لمشتاق : مبتدء مؤخّر لقوله إلى لقاء الله وهو ظرف مستقرّ و الجملة خبر قوله إنّي ، و حسن : عطف على لقاء أى لحسن ثوابه و هو خبر مقدّم لقوله لمنتظر ،

راجٍ : صفة لمنتظر مرفوع تقديراً .

آسى : متكلّم عن مضارع أسى ، أن يلي : ناصبة مصدريّة مع صلتها و هي مضارع ولى إى آسف على ولاية السفهاء و الفجّار ، رحمكم الله : جملة دعائيّة معترضة بين انفروا ومتعلّقه ، فتقرّوا : منصوب بأن مضمرة و كذا ما عطف عليه من قوله عليه السلام و تبوءوا و يكون .

المعنى

قال الشارح المعتزلي « ص ١٥٢ ج ١٧ ط مصر » : و الروع : الخلد ، وفي الحديث « إنّ روح القدس نفث في روعي » قال : مايخطر لي ببال أنّ العرب تعدل بالأمر بعد وفاة محمّد صلى الله عليه وآله عن بني هاشم ، ثمّ من بني هاشم عنّي : لأنّه كان المتيقّن بحكم الحال الحاضرة ، وهذا الكلام يدلّ على بطلان دعوى الاماميّة النصّ وخصوصاً الجليّ منه .

أقول : قد فسّر أهل البيت في كلامه عليه السلام ببني هاشم و هو غير صحيح لأنّ أهل بيت النبي و عترته هم فاطمة و عليّ و الحسن و الحسين عليهم السلام ، يدلّ على ذلك آية التطهير .

قال في مجمع البيان بعد تفسير كلمة البيت : و اتّفقت الأمّة بأجمعها على أنّ المراد بأهل البيت في الآية أهل بيت نبيّنا ثمّ اختلفوا فقال عكرمة أراد أزواج النبيّ لأنّ أوّل الآية متوجّه إليهنّ ، و قال أبو سعيد الخدري و أنس بن مالك و واثلة بن الاسقع و عايشة و أمّ سلمة أنّ الآية مختصّة برسول الله و عليّ وفاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام .

ذكر أبوحمزة الثمالي في تفسيره : حدّثني شهر بن حوشب عن أمّ سلمة قالت : جائت فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وآله حريرة لها ، فقال : ادعي زوجك و ابنيك ، فجائت بهم فطعموا ، ثمّ ألقى عليهم كساءاً له خيبرياً فقال : اللهمّ هؤلاء أهل بيتي و عترتي فأذهب عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيراً ، فقلت : يا رسول الله و أنا منهم ؟ قال : أنت على خير - انتهى .

و قد روى في هذا المعنى أخباراً أُخر عنها و عن عائشة و عن جابر و عن الحسن بن علي عليه السلام وقال : والروايات في هذا كثيرة من طريق العامّة و الخاصّة لو قصدنا إلى إيرادها لطال الكتاب ـ الخ .

فالمقصود من الجملتين واحد و هو عدم احتمال تنحية العرب إيّاه عليه السلام عن الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله والمقصود أنّ استحقاقه لها وتوصية النبي بكونه بعده صاحب الأمر واضحة جليّة عندهم من إصرار النبي على ذلك و تكراره في كلّ موقف يقتضيه و إعلامه على رؤوس الأشهاد في غدير خم و تنصيصه عليه في قوله صلى الله عليه وآله « يا علي أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي » المتّفق على صدوره عنه صلى الله عليه وآله غير مرّة فدلالة كلامه عليه السلام على وجود دلائل واضحة و مبيّنة للعرب بخلافته كالنار على المنار .

و العجب من الشارح المعتزلي حيث اتّهم كلامه بالدلالة على عدم وجود النصّ و لا أدرى أنّها أيّ دلالة من أقسام الدلالات مطابقة أم تضمّن أم إلتزام ؟! و إنّما أظهر عليه السلام العجب من توافق أكثر العرب من ترك إطاعة الكتاب و السنّة و عدم تمكينهم له .

فانّ تصدّى الامامة و التصرّف في أُمور الأمّة يحتاج إلى أمرين : صدور النصّ بها و تمكين الأمّة لها ، فاذا لم يتمكّنو للامام بمقدار يتحقّق جماعة الاسلام بحيث تقوى على إنفاذ الأُمور و الدفاع عن المخالف يقع الامام في المحذور لأنّه إن نهض تجاههم بقوّة بشريّة يقتلونه وإن نهض بقوّة إلهيّة تقهرهم فيسقط مصلحة التكليف القائمة على الاختيار وقد قال الله لنبيّه صلى الله عليه وآله : « و ما أنت عليهم بجبّار فذكّر بالقرآن من يخاف وعيد ٤٥ ـ ق » .

قال الشارح المعتزلي في هذه الصفحة : قوله (فأمسكت بيدى) أى امتنعت عن بيعته (حتّى رأيت راجعة الناس) يعني أهل الردة كمسيلمة و سجاح وطليحة ابن خويلد ومانعي الزكاة و إن كان مانعوا الزكاة قد اختلف في أنّهم أهل ردّة أم لا ، ثمّ عقّب كلامه بمارواه عن ابن جرير الطبرى من اجتماع أسد و غطفان و طيء

على طليحة بن خويلد - إلى أن قال : « فخرج عليّ عليه السلام بنفسه و كان على نقب من أنقاب المدينة » .

أقول : الظاهر أنّ المراد من إمساكه يده إمساكه عن بيعة موافقيه معه وقيامه بالامامة فانتظر أمر بيعة أبي بكر هل يفوز بالأكثريّة الساحقة بحيث يسقط تكليفه بالجهاد والدفاع لقلّة أعوانه أم لا؟ فكان الأمر رجوع الناس وارتدادهم عن وصيّة رسول الله و استخلافه فانّ المقصود من كلمة « الناس » في قوله « رأيت راجعة الناس » المعرّف باللام هو المقصود منه في قوله « الناس » في جملة (فما راعني إلّا انثيال الناس على فلان) .

و قد فسّره الشارح بأبي بكر و قال : أى انصبابهم من كلّ وجه كما ينثال التراب على أبي بكر ، وهكذا لفظ الكتاب الّذى كتبه للأشتر و إنّما الناس يكتبونه الآن « إلى فلان » تذمّماً من ذكر الاسم .

أقول : مرحباً باعترافه بتذمّم الناس من اسم أبي بكر .

فمقصوده عليه السلام من الناس الّذين رجعوا عن الاسلام يدعون إلى محق دين محمّد صلى الله عليه وآله هم الّذين بايعوا مع أبي بكر ، و لمّا أيس عليه السلام من المبارزة معهم بقوّة الامرة و الحكومة و تصدّي زعامة الأمّة عدل إلى مبارزة مسلميّة و بايع أبا بكر و نصر الاسلام بآرائه النيّرة و هداهم إلى المصالح الاسلاميّة كاظماً غيظه و صابراً على سلبهم حقّه ، فكم من مشكلة حلّها وقضيّة صعبة لجأوا فيها إليه حتّى قال عمر في عشرات من المواقف : « لولا عليّ لهلك عمر » و هذا هو المعنيّ بقوله عليه السلام : (فخشيتُ إن لم أنصر الاسلام و اهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم) .

و هذه الصعوبات الّتي حلّها علماً و رأياً هي الأحداث الّتي نهضت لها حتّى زاح الباطل و زهق ، و المقصود منه توطئة خبيثة دبّرها بنو اُميّة لمحق الاسلام و الرجوع إلى آداب الجاهليّة الأولى (واطمأنّ الدين وتنهنه) عن الزوال ببقاء ظواهر الاسلام و دفع الشبهات و عرفان جمع من العرب و الناس الحقّ و رجوعهم

إليه و استقرار طريقة الشيعة الاماميّة و تحزّبهم علماً و تدبيراً حتّى تسلسل أئمّة الحقّ كابراً عن كابر فأوضحوا الحقائق و هدوا إلى صراط عليّ جماً غفيراً من الخلائق حتّى قويت شوكتهم وظهرت دولتهم في القرون الاسلاميّة الأولى ودامت و اتّسعت طيلة القرون الأخرى تنتظرون أيّام كلمتهم العليا و ظهور الحجّة على أهل الأرض والسماء ليظهر الله دينه على الدين كلّه و لو كره المشركون .

ويؤيّد ماذكرنا قوله عليه السلام (إنّي والله لولقيتهم واحداً و هم طلاع الأرض كلّها ما باليت و لا استوحشت) فانّه يرجع إلى جميع الأدوار الّتي مضت عليه ولايجد ناصراً كافياً لأخذ حقّه وسحق عدوّه وكان يأسى على ولاية السفهاء والفجّار أمر هذه الأمّة - إلى أن قال : (وإنّ منهم من لم يسلم حتّى رضخت له على الاسلام الرضائخ) .

وقد اعترف الشارح المعتزلي بأنّ المقصود منهم المؤلّفة قلوبهم الّذين رغبوا في الاسلام و الطاعة بجمال وشاء دفعت إليهم و هم قوم معروفون كمعاوية و أخيه يزيد وأبيهما أبي سفيان و حكيم بن حزام و سهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام بن المغيرة و حويطب بن عبد العزّى ، و الأخنس بن شريق و صفوان بن أميّة و عمير بن وهب الجمحي ، وعيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، وعبّاس ابن مرداس وغيرهم و كان إسلام هؤلاء للطمع و الأغراض الدنيويّة - انتهى .

وليس مقصوده عليه السلام من العرب الّذين كانت تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله و منحّوه عنه بعده إلاّ هؤلاء و أتباعهم و هم الّذين انثالوا على أبي بكر يبايعونه و هم الّذين رجعوا عن الاسلام يدعون إلى سحق دين محمّد صلى الله عليه وآله ، و هذا ظاهر لمن تدبّر صدر كتابه و ذيله و فهم سياقه و مغزاه .

وأمّا تاريخ الردّة و أهلها بمالها من الغوغاء في أيّام أبي بكر فيحتاج تحليله و توضيح حقائقه إلى أبحاث طويلة لايسع المقام خوضها و تحقيق الحقّ فيها .

و لايخفى أنّ تعبيره عليه السلام عمّن يشكو عنهم بالعرب و بالناس مع أنّ المقام يناسب التعبير عنهم بالمسلمين يشعر بماذكرناه و كأنّه براعة استهلال بما ذكره بعد

ذلك من ارتدادهم و رجوعهم عن الاسلام .

ثمّ نسأل عن المقصود من قوله : (ألاترون إلى أطرافكم قد انتقصت ـ الخ) هل المقصود منه إلاّ تجاوز معاوية و أتباعه على بلدان المسلمين و فتحها و الغزو معها للاستيلاء عليها فهم على جانب و المسلمون على جانب ؟! .

الترجمة

ازنامه‌ای که با مالك أشتر بمردم مصر نگاشت هنگامی که اورا بولایت مصر گماشت :

أمّا بعد ، پس براستی که خداوند سبحان محمد ﷺ را فرستاد تا بیم دهندهٔ جهانیان باشد و گواه و أمین برهمه فرستادگان خداوند منّان ، چون ازاین‌جهان در گذشت ـ و بر او درود باد ـ مسلمانان برسر کار خلافت او نزاع کردند و بخدا سوگند که در نهاد من نمی گنجید ودر خاطرم نمی گذشت که عرب کار جانشینی و رهبری پس از اورا ازخاندانش بگردانند ونه اینکه مرا از پس وفات وی از آن دور سازند و بکنار اندازند .

و مرا در هراس اندر نساخت مگر پیرامون گیری مردم برفلانی «ابی‌بکر» در بیعت با وی ، من دست روی هم نهادم و بنظاره ایستادم تا بر گشت مردم را از دین بچشم خود دیدم که از اسلام بر گشته اند و برای نابود ساختن دین محمد ﷺ دعوت می کنند .

پس ترسیدم اگر اسلام ومسلمانان را یاری ندهم رخنهٔ سخت وتباهی کلّی در اسلام بینم که مصیبت آن برمن بزرگتر باشد از فوت سروری و حکمفرمائی بر شما مسلمانها که خود بهرهٔ چند روز اندك است ، و هرچه هم باشد چون سراب زائل گردد و چون ابر و سحاب از هم بپاشد ، پس برای دفع ورفع این پیشامدها بپا خواستم و کوشیدم تا باطل از میان رفت و نابود شد و دیانت اسلام گسترده و پابرجا گردید .

و قسمتی از آن نامه چنین است :

راستش اینست که بخدا سوگند من یکتنه اگر باهمه آنها که روی زمین‌را یکجا پر کنند روبرو گردم باکی‌ندارم و هراسی بخود راه ندهم ، من گمراهی آنان را که در آن افتاده‌اند و راست کرداری و رهیابی خودم را بچشم دل بینایم و در یقین بپروردگارم پای برجا ، و راستی که من بملاقات پروردگارم بسیار شیفته‌ام ، و براستی که بپاداش نیك او منتظر وامیدوارم ، ولی پیوسته اندوه میخورم از اینکه سرکاری و پیشوائی این امّت اسلامي را کم خردان و هرزه های آنان دردست گیرند ، و نتیجه اینست که :

مال خدا را که در بیت‌المال سپرده شود از آن‌خود دانند و بدست هم بدهند و بندگان خدا را بردگان خود شمارند و نیکان امّت را به پیکار خونین گیرند و تبهکاران را یاران وهمدستان خود سازند واز آنان بسود خود حزب درست کنند .

زیرا ازهمین سفیهانست کسی که درمیان شما مسلمانها نوشابه حرام نوشیده و در محیط اسلام کیفر آنرا چشیده و حدّ شرعي براو جاری گردیده .

وازهم آنها کسانی‌اند که اسلام را نپذیرفتند مگر اینکه برای اظهارمسلمانی رشوه ها و عوضها برایشان مقرّر گردید ، اگر این‌چنین نبود من تا اینجا شما را تشویق بمقاومت ونهضت نمی کردم و بسستی‌درکار سرزنش نمی‌دادم و بجمع آوری و توحید نیرو ترغیب نمی‌نمودم ، و چون سر بازمی‌زدید و سستی می کردید شمارا وامی گذاشتم ، آیا نمی‌بینید مرزهای شما رو بکاست است و شهرهای شما را دشمن گشوده است و کشورهای شما درهم فشرده و کوچك می‌شود و شهرستانهای شما را بباد غارت می گیرند ، کوچ کنید ـ خدایتان رحمت کناد ـ برای پیکار بادشمن‌خود و تنبلی را ازخود دور کنید وزمینگیر نشوید تا بکاستی وتباهی اندرشوید و بخواری تن دردهید و بهره شما از زندگی پست‌تر از همه باشد .

و راستی که دلاور جنگجو بی‌خواب است ، و هر کس بخوابد و غفلت ورزد دشمن از او بخواب نیست و در کمین شبیخون باو است ، و السلام .

المختار الثاني والستون

و من كتاب له عليه السلام الى أبي موسى الاشعرى ، و هو عامله على الكوفة و قد بلغه عنه تثبيطه الناس على الخروج اليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَ عَلَيْكَ ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ ، وَاشْدُدْ مِئْزَرَكَ ، وَ اخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ وَ انْدُبْ مَنْ مَعَكَ ، فَإِنْ حَقَّقْتَ فَانْفُذْ ، وَ إِنْ تَفَشَّلْتَ فَابْعُدْ وَ أَيْمُ اللهِ لَتُؤْتَيَنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ ، وَ لَا تُتْرَكُ حَتَّىٰ يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ ، وَ ذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ ، وَ حَتَّىٰ تُعْجَلَ فِي قَعْدَتِكَ ، وَ تَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ ، وَ مَا هِيَ بِأَلْهُوَيْنَا الَّتِي تَرْجُو ، وَلٰكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَىٰ يُرْكَبُ جَمَلُهَا ، وَ يُذَلُّ صَعْبُهَا ، وَ يُسَهَّلُ جَبَلُهَا ، فَاعْقِلْ عَقْلَكَ ، وَ امْلِكْ أَمْرَكَ ، وَ خُذْ نَصِيبَكَ وَ حَظَّكَ ، فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَىٰ غَيْرِ رُحْبٍ وَ لَا فِي نَجَاةٍ ، فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيَنَّ وَ أَنْتَ نَائِمٌ حَتَّىٰ لَا يُقَالُ : أَيْنَ فُلَانٌ ؟ وَ اللهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ ، وَ مَا أُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ ، وَ السَّلَامُ .

اللغة

(فثبّطهم) : حبسهم بالجبن يقال: ثبّطه عن الأمر أى أثقله وأقعده ، (الجحر) بالضمّ : ثقب الحيّة و نحوها من الحشار ، (الزبد) بالضمّ : ما يستخرج بالمخض من اللبن ، (خثر) اللبن خثورة من باب قتل بمعنى ثخن واشتدّ و رجل خاثر النفس أي ثقيل كسلان .

الاعراب

وهو عامله على الكوفة : جملة حاليّة و يحتمل الاستيناف وكذا ما بعده و يحتمل فيه العطف أيضاً ، هو لك : جملة اسميّة صفة لقوله قول ، و عليك: ظرف مستقرّ معطوف على لك و يمكن أن يكون عطفاً على هو بتقديره بعده أى و هو عليك فتكون حاليّة و المعنى أنّه قولك حالكونه يكون على ضررك ، أيم الله : قسم و هو مبتدء لخبر محذوف و هو قسمى و مابعده جواب القسم .

المعنى

قال الشارح المعتزلي « ص ٢٤٦ ج ١١ ط مصر » : المراد بقوله (هو لك و عليك) أنّ أبا موسى كان يقول لأهل الكوفة : إنّ علياً إمام هدى ، و بيعته صحيحة إلاّ أنّه لايجوز القتال معه لأهل القبلة ، هذا القول بعضه حقّ و بعضه باطل .

أقول : الظاهر من كلامه أنّ البعض الحقّ منه تصديقه بامامته و صحّة بيعته و البعض الباطل عدم تجويزه القتال معه لما قال عنه ابن ميثم « و يقول : إنّها فتنة فلايجوز القيام فيها ويروى عن النبيّ صلى الله عليه وآله أخباراً يتضمّن وجوب القعود عن الفتنة و الاعتزال فيها » - إلى أن قال : و هو عليه من وجوه :

١- كان معلوماً من همّه أنّه لم يقصد بذلك إلاّ قعود الناس عنه ، و فهم منه ذلك ، وهو خذلان للدين في الحقيقة وهو عائد عليه بمضرّة العقوبة منه عليه السلام ومن الله تعالى في الأخرة .

اقول : و يؤيّد ذلك ما قيل في حال أبي موسى من أنّه من المعتقدين بعبد

الله بن عمر ومن الّذين يميلون إلى انتخابه بالخلافة لظاهرة تقواه الجامد العاري عن تحقيق الحقّ كأكثر المتزهّدين و قد اعتزل عن عليّ عليه السلام و لم يبايعه وتبعه جمع من كبار الصحابة كأسامة بن زيد و عمرو بن عاص و سعد بن أبي وقّاص ، و كان اعتزالهم عنه عليه السلام فتّ في عضد ولايته و نصر لعدوّه وهو معاوية وقد لحقوا به بعد ذلك ، و أظهر أبو موسى جوهره في قضيّة الحكمين فيما بعد ، و قال ابن ميثم :

٢ـ أنّه لمّا كان على الحقّ في حربه كان تثبيط أبي موسى عنه جهلاً بحاله و ما يجب من نصرته و القول بالجهل عائد على القائل بالمضرّة .

٣ـ أنّه في ذلك القول مناقض لغرضه لأنّه نهى عن الدخول مع الناس و مشاركتهم في زمن الفتنة و روى خبراً يقتضي أنّه يجب القعود عنهم حينئذٍ مع أنّه كان أميراً يتهافت على الولاية و ذلك متناقض ، فكان عليه لا له .

أقول : و الأوضح أن يقال أنّ تصدّيه للولاية في هذه الحالة دخول في الفتنة لأنّها سياسة للناس فلو اعتقد بما نقل لزم عليه الاستعفاء و العزلة عن العمل فوراً مضافاً إلي أنّ اعترافه بامامته و صحّة بيعته يقتضي وجوب طاعته عليه فلامعنى للخلاف معه بأيّ استناد مع أنّه اعتمد على النهي من القتال معه عليه بأنّ المخالفين من أهل القبلة و القتال مع أهل القبلة لقمع الفتنة مشروع في القرآن كما قال الله تعالى « و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحديهما على الأخرى فقاتلوا الّتي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله ٩ـ الحجرات » و أيّ بغي أعظم من نكث طلحة و الزبير بيعتهما و جمعهما الجموع على خلاف عليّ عليه السلام ؟!

وقد شدّد عليه الأمر بالخروج من الكوفة و من معه و اللحاق به بقوله : (فارفع ذيلك و اشدد مئزرك و اخرج من جحرك ، و اندب من معك) .

ثمّ نبّه عليه السلام إلى ما في قلبه من الشكّ و النفاق بقوله : (فان تحقّقت فانفذ و إن تفشّلت فابعد) .

ثمّ نبّهه عليه السلام إلى ما يؤول إليه خلافه معه من سوء العاقبة بقوله : (و أيم الله

لتؤتينّ من حيث أنت ـ الخ) .

قال الشارح المعتزلي : معناه إن أقمت على الشكّ و الاسترابة و تثبيط أهل الكوفة عن الخروج إليّ و قولك لهم ، لايحلّ لكم سلّ السيف لا مع عليّ ولامع طلحة ، و ألزموا بيوتكم و اكسروا سيوفكم ، لتأتينّكم و أنتم في منازلكم أهل بالكوفة أهل البصرة مع طلحة و نأتينّكم نحن بأهل المدينة و الحجاز فيجتمع عليكم سيفان من أمامكم و من خلفكم فتكون ذلك الداهية الكبرى ـ الخ ..

و قال في شرح قوله عليه السلام (ولاتترك حتّى يخلط زبدك بخاثرك) : تقول للرجل إذا ضربته حتّى أثخنته : لقد ضربته حتّى خلطت زُبده بخاثره ، و كذلك حتّى خلطت ذائبه بجامده ، والخاثر اللبن الغليظ ، والزبد خلاصة اللبن وصفوته فاذا أثخنت الانسان ضرباً كنت كأنّك خلطت ما دقّ و لطف من أخلاطه بما كثف و غلظ منها ، و هذا مثل و معناه لتفسدنّ حالك و لتخلطنّ ، و ليضطربنّ ما هو الآن منتظم من أمرك ـ الخ .

أقول : وحيث أنّ الخطاب له شخصاً يمكن أن يكون مراده عليه السلام الإخبار عن حاله فيما يأتي عليه من انتخابه حكماً في صفّين و المقصود أنّه حيث يصدّق ظاهراً إمامته و يمنع أهل الكوفة من نصرته بحجّة الدفاع عن مصلحتهم سيأتي عليه الابتلاء بالحكومة في صفّين فيظهر سوء عقيدته بالنسبة إليه عليه السلام و خيانته بأهل الكوفة في إظهار عزل الامام وتسليمهم إلى معاوية فيعجل في الفرار من كوفة و يحذر من دنياه و آخرته لما ارتكبه بخدعة عمرو بن عاص معه .

وقد يظهر من بعض التواريخ أنّ هذا الكتاب ثالث الكتب الّذي كتبها عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري و أصرّ و أبلغ في الاستعانة منه لدفع العدوّ الثائر ، ولكن أبوموسى الأشعري أصرّ على الانكار والمكابرة حتّى عزله عليه السلام عن ولاية الكوفة و أجرى عزله بيد مالك الأشتر .

الترجمة

اين نامه ايست كه بأبوموسى أشعري نگاشت كه كار گزار آنحضرت بود بر كوفه

درحالیکه بآنحضرت گزارش رسید أبوموسی مردم کوفه را از اجابت دعوت آنحضرت بازمی‌دارد چون آنها را برای جنگ با أصحاب جمل دعوت کرده بود :

از طرف بندهٔ خدا علي أمیرمؤمنان بسوی عبد الله بن قیس .

أمّا بعد ، راستی که بمن از تو گفتاری رسیده است که از آن تو است و بر زیان تو است ، چون فرستاده و پیك من اینك بتو در رسد بی‌درنگ دامن بالا زن و کمرت را تنگ بربند و از سوراخت بدر آی و هر آنکه باخود داری احضار کن اگر حق را دریافتی آنرا مجری کن و اگرسستی شیوه خود ساختی و نرد شکّاکی باختی از منصب خود در گذر و دورشو ، بخدا سوگند هرچه باشی و هر کجاباشی دستخوش گرفتاری شوی و بدنبالت آیند و رها نشوی تا گوشت و استخوانت بهم درآمیزند و تروخشکت بهم آمیزند و نهان و عیانت هویدا گردد و تا اینکه از کناره گیری و بازنشست در شتاب اندر شوی و از آنکه در برابرت باشد بهراسی چونانکه از آنکه در پشت سرت باشد و پیگرد تواست بهراسی .

این پیشآمد برای تو چنانچه امیدواری آسان نیست بلکه بزرگترین گرفتاری و دشواری است که باید برمرکبش برنشست و دشواریش را هموار کرد و گردنه و کوهش را صاف نمود .

خرد خویش را بکار گیر وخودرا داشته‌باش و بهرهٔ خود را دریاب ، واگر نخواهی دورشو دور ، بی‌خوشآمد و بی‌کامیابی ورستگاری ، تو که درخواب‌باشی محقّقاً دیگران وظیفهٔ ترا ایفاء کنند وکارترا کفایت نمایند تاآنکه بدست‌فراموشی سپرده شوی ونگویند: فلانی کجاست ؟ بخدا سوگند که این راه حق است وبدست حقدار است و باکی ندارد که ملحدان خدانشناس چه بازی کنند ، و السلام .

المختار الثالث والستون

ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية : جواباً

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَ أَنْتُمْ عَلىٰ مَا ذَكَرْتَ مِنَ ٱلْاُلْفَةِ وَ ٱلْجَمَاعَةِ فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَ كَفَرْتُمْ ، وَ ٱلْيَوْمَ أَنَّا ٱسْتَقَمْنَا وَ فُتِنْتُمْ ، وَ مَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلاَّ كُرْهاً ، وَ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الْإِسْلاٰمِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وآله ـ حِزْباً .

وَ ذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرَ ، وَ شَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ وَ نَزَلْتُ [بَيْنَ] ٱلْمِصْرَيْنِ ! وَ ذٰلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ فَلاٰ عَلَيْكَ ، وَ لَا ٱلْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ .

وَ ذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي ٱلْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ ، وَ قَدِ ٱنْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ ، فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهْ [فَاسْتَرْقِهْ] ، فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذٰلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ ٱللهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ ، وَ إِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ :

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَ جُلْمُودِ

وَ عِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وَ خَالِكَ وَ أَخِيكَ مُقَامٍ وَاحِدٍ ، وَ إِنَّكَ ـ وَ اللهِ ـ مَا عَلِمْتُ الْأَغْلَفُ الْقَلْبِ ، الْمُقَارِبُ

الْعَقْلِ ، وَ الْأَوْلىٰ أَنْ يُقَالَ لَكَ : إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لاٰ لَكَ ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ ، وَ رَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ ، وَ لَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَ لاٰ فِي مَعْدِنِهِ فَمٰا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ !! وَ قَرِيبٌ مٰا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمٰامٍ وَ أَخْوٰالٍ حَمَلَتْهُمُ الشَّقٰاوَةُ ، وَ تَمَنِّي الْبٰاطِلِ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وآله - فَصُرِعُوا مَصٰارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً ، وَ لَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً بِوَقْعِ سُيُوفٍ مٰا خَلاٰ مِنْهَا الْوَغىٰ ، وَ لَمْ تُمٰاشِهَا [تُمٰاسَّهَا] الْهُوَيْنٰا .

وَ قَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمٰانَ ، فَادْخُلْ فِيمٰا دَخَلَ فِيهِ النّٰاسُ ، ثُمَّ حٰاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَ إِيّٰاهُمْ عَلىٰ كِتٰابِ اللّٰهِ تَعٰالىٰ ، وَ أَمّٰا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهٰا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصٰالِ ، وَ السَّلاٰمُ لِأَهْلِهِ .

اللغة

(أنف) كل شيء أوّله وطرفه ، (شرّده) : أهربه ، (المصرين) : الكوفة و البصرة ، (و استرفه) : نفّس عنك من الرفاهية و هى السعة ، (الأغوار) : المنخفضة من الأرض ، (الحاصب) : ريح فيها حصباء و هى الرمل ، (الجلمود) : الأحجار الصلبة .

(أعضضت) بالضاد المعجمة : أى جعلت السيف يعضّهم و يقتلهم ، قال ابن ميثم : و أغصصت السيف بفلان أى جعلته يغصّ به فقرأه بالغين المعجمة و الصاد المهملة فجعله من المقلوب وفيه تعسّف .

(أغلف) : أى خلقة و جبلّة مغشاة بأغطية فلايفقه ، (المقارب) بالكسر :

الّذي ليس بالتمام ، (الضالّة) : المفقودة ، (السائمة) : الأنعام المجتمعة للرعي ، (لم تماشها) : صيغة جحد من ماشى يماشي أى لايصاحبها الهوينا ، و لا تماشّها كما في نسخة أُخرى .

الاعراب

و أنتم : عطف على اسم كنّا ، أنّا آمنّا : في تأويل المفرد فاعل فرّق ، أى إيماننا و كفركم ، فذلك جدير : جملة اسميّة جزاء الشرط و في محلّ خبر إنّي ، تضربهم بحاصب : جملة حاليّة عن الرياح ، و الله و ما علمت : جملتان معترضتان بين اسم إنّ و خبره وهو الأغلف القلب و ما في ما علمت مصدريّة زمانيّة مفعول فيه لقوله علمت و الفعل ملغى عن مفعوليه و نزّل منزلة اللازم لإفادة الإطلاق ، المقارب : خبر ثان لانّ ، قريب : عطف على الأغلف ، ما أشبهت : فعل التعجّب .

المعنى

قال الشارح المعتزلي « ص ٢٥١ ج١٧ ط مصر » : أمّا الكتاب الّذي كتبه إليه معاوية وهذا الكتاب جوابه ، فهو : من معاوية بن أبي سفيان ، إلى عليّ بن أبيطالب :

أمّا بعد ، فإنّا بني عبد مناف لم نزل ننزع من قليب واحد ، و نجري في حلبة واحدة ، ليس لبعضنا على بعض فضل ، ولا لقائمنا على قاعدنا فخر ، كلمتنا مؤتلفة ، و ألفتنا جامعة ، و دارنا واحدة ، يجمعنا كرم العرق ، و يحوينا شرف النجاد ، و يحنو قويّنا على ضعيفنا ، و يواسي غنيّنا فقيرنا ، قد خلصت قلوبنا من دغل الحسد ، و طهرت أنفسنا من خبث النيّة .

فلم نزل كذلك حتّى كان منك ما كان من الإدهان في أمر ابن عمّك ، والحسد له ، ونصرة الناس عليه ، حتّى قتل بمشهد منك ، لاتدفع عنه بلسان ولا يد ، فليتك أظهرت نصره ، حيث أسررت خبره ، فكنت كالمتعلّق بين الناس بعدوّ (بعذر خ) و إن ضعف ، و المتبرّي من دمه بدفع و إن وهن .

ولكنّك جلست في دارك تدسّ إليه الدواهي و ترسل إليه الأفاعي ، حتّى

إذا قضيت وطرك منه أظهرت شماتة ، وأبديت طلاقة وحسرت للأمر عن ساعدك ، و شمّرت عن ساقك و دعوت الناس إلى نفسك ، و أكرهت أعيان المسلمين على بيعتك .

ثمّ كان منك ماكان من قتلك شيخي المسلمين أبي محمّد طلحة و أبي عبدالله الزبير و هما من الموعودين بالجنّة ، و المبشّر قاتل أحدهما بالنار في الأخرة .

هذا إلى تشريدك بأمّ المؤمنين عائشة ، و إحلالها محلّ الهون ، مبتذلة بين أيدي الأعراب و فسقة أهل الكوفة ، فمن بين مشهّر لها ، و بين شامت بها ، وبين ساخر منها ، ترى ابن عمّك كان بهذه لو رآه راضياً ؟ أم كان يكون عليك ساخطاً ؟ و لك عنه زاجراً أن تؤذي أهله و تشرّد بحليلته ، و تسفك دماء أهل ملّته .

ثمّ تركك دار الهجرة الّتي قال رسول الله صلى الله عليه وآله عنها « إنّ المدينة لتنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد » فلعمري لقد صحّ وعده و صدق قوله ، ولقد نفت خبثها وطردت عنها من ليس بأهل أن يستوطنها ، فأقمت بين المصرين ، وبعدت عن بركة الحرمين ، ورضيت بالكوفة بدلاً عن المدينة ، و بمجاورة الخورنق والحيرة عوضاً عن مجاورة خاتم النبوّة .

و من قبل ذلك ما عيّبت خليفتي رسول الله أيّام حياتهما ، فقعدت عنهما ، و ألّبت عليهما ، وامتنعت من بيعتهما ، و رمتَ أمراً لم يرك الله له أهلاً ، و رقيت سلّماً وعراً ، و حاولت مقاماً دحضاً ، وادّعيت ما لم تجد عليه ناصراً ، و لعمري لو ولّيتها حينئذٍ لما ازدادت إلاّ فساداً و اضطراباً ، و لا أعقبت ولايتكها إلاّ انتشاراً و ارتداداً ، لأنّك الشامخ بأنفه ، الذاهب بنفسه ، المستطيل على النـاس بلسانه و يده .

وهاأنا سائر إليك في جمع من المهاجرين و الأنصار تحفّهم سيوف شاميّة ، و رماح قحطانيّة ، حتّى يحاكموك إلى الله ، فانظر لنفسك و للمسلمين و ادفع إليّ قتلة عثمان ، فإنّهم خاصّتك و خلصاؤك و المحدقون بك .

فان أبيت إلاّ سلوك سبيل اللجاج ، و الاصرار على الغيّ و الضلال ، فاعلم

أنّ هذه الآية إنّما نزلت فيك و في أهل العراق معك « ضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون ـ ١١٢ـ النحل » .

أقول : و أنا أحكي ما ذكره في شرح الكتابين و نقد كتاب معاوية معلّقاً عليه بما سنح للخاطر على وجه الايجاز مزيدا للفائدة .

فقال : قال عليه السلام : لعمري إنّا كنّا بيتاً واحدا في الجاهليّة لأنّا بنو عبد ـ مناف .

أقول : لقد أحسن في تفسير الألفة و الجماعة بين بيت هاشم و بيت اميّة بأنّهما بنو عبد مناف لأنّ بين البيتين فروق كثيرة حتّى في الجاهليّة ـ إلى أن قال: ثمّ قال عليه السلام : و ما أسلم من أسلم منكم إلاّ كرهاً ، كأبي سفيان و أولاده يزيد و معاوية و غيرهم من بني عبد شمس .

قال عليه السلام : و بعد أن كان أنف الاسلام محارباً لرسول الله صلى الله عليه وآله ، أي في أوّل الاسلام ، يقال : كان ذلك في أنف دولة بني فلان ، أي في أوّلها ، و أنف كلّ شيء أوّله و طرفه ، و كان أبوسفيان و أهله من بني عبد شمس أشدّ الناس على رسول الله صلّى الله عليه و آله في أوّل الهجرة ، إلى أن فتح مكّة .

أقول : قد قرأ الشارح المعتزلي « حربا » بالراء المهملة بعد قوله « و بعد أن كان أنف الاسلام كلّه لرسول الله » فنقله بهذه العبارة نقلاً بالمعنى والأولى قرائته بالزاء المعجمة « حزباً » لأنّه لا يستقيم كون أنف الاسلام محارباً له صلى الله عليه وآله .

قال : ثمّ أجابه عن قوله « قتلت طلحة و الزبير و شرّدت بعائشة ، و نزلت بين المصرين » بكلام مختصر أعرض فيه عنه هواناً به ، فقال (هذا أمر غبت عنه) فليس عليك به اثم العدوان الّذي تزعم و لا العذر إليك لو وجب عليّ العذر عنه .

فأمّا الجواب المفصّل فأن يقال : إنّ طلحة و الزبير قتلا أنفسهما ببغيهما و نكثهما و لو استقاما على الطريقة لسلما ، و من قتله الحقّ فدمه هدر ، و أمّا كونهما شيخين من شيوخ الاسلام فغير مدفوع ، و لكنّ العيب يحدث ، و أصحابنا

يذهبون إلى انّهما تابا ، و فارقا الدنيا نادمين على ما صنعا ، و كذلك نقول نحن فانّ الأخبار كثرت بذلك ، فهما من أهل الجنّة لتوبتهما .

أقول : في كلامه هذا تناقض ظاهر فانّه حكم أوّلاً بأنّهما قاتلا أنفسهما ، ودمهما هدر ، و كيف يجتمع هذا مع القول بأنّهما تابا و ندما وهما من أهل الجنّة و لابدّ أن يكون التوبة قبل الموت .

إلى أن قال : و أمّا الوعد لهما بالجنّة فمشروط بسلامة العاقبة ، و الكلام في سلامتهما ، و إذا ثبتت توبتهما فقد صحّ الوعد لهما و تحقّق .

أقول : الوعد بالجنّة بشرط سلامة العاقبة يعمّ كلّ المسلمين فلا امتياز لهما بهذا الوعد مع أنّ حديث التوبة لم يثبت خصوصاً في حقّ طلحة المقتول في معمعان القتال و لو تاب الزبير فلابدّ أن يرجع إلى عليّ عليه السلام لا أن يفرّ من ميدان الحرب و منه عليه السلام حتّى يقتله ابن جرموز .

إلى أن قال : و أمّا امّ المؤمنين عائشة فقد صحّت توبتها و الأخبار الواردة في توبتها أكثر من الأخبار الواردة في توبة طلحة والزبير لأنّها عاشت زماناً طويلاً و هما لم يبقيا ، و الّذى جرى لها كان خطأً منها ، فأىّ ذنب لأمير المؤمنين عليه السلام في ذلك ؟ و لو أقامت في منزلها لم تبتذل بين الأعراب و أهل الكوفة ، على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أكرمها و صانها و عظّم من شأنها ، و من أحبّ أن يقف على ما فعله معها فليطالع كتب السيرة ، و لو كانت فعلت بعمر ما فعلت به ، و شقّت عصا الأمّة عليه ثمّ ظفر بها ، لقتلها و مزّقها إرباً إرباً ، ولكنّ علياً كان حليماً كريماً .

و أمّا قوله : لو عاش رسول الله صلى الله عليه وآله فبرّبك هل كان يرضى لك أن تؤذي حليلته ، فلعليّ عليه السلام أن يقلب الكلام عليه ، فيقول : أفتراه لو عاش أ كان يرضى لحليلته أن تؤذى أخاه و وصيّه ، وأيضاً أتراه لوعاش أتراه يرضى لك يا ابن أبي سفيان أن تنازع علياً الخلافة و تفرّق جماعة هذه الأمّة ، و أيضاً أتراه لو عاش أ كان يرضى لطلحة و الزبير أن يبايعا ثمّ ينكثا لا لسبب ، بل قالا : جئنا نطلب الدراهم فقد قيل لنا أنّ بالبصرة أموالاً كثيرة ، هذا كلام يقوله مثلهما .

فأمّا قوله : تركت دار الهجرة ، فلا عيبَ عليه إذا انتقضت عليه أطراف الاسلام بالبغي و الفساد أن يخرج من المدينة إليها ، و يهذّب أهلها ، و ليس كلّ من خرج من المدينة كان خبثاً ، فقد خرج عنها عمر مراداً إلى الشام ، ثمّ لعلي عليه السلام أن يقلب عليه الكلام فيقول له : و أنت يا معاوية قد نفتك المدينة أيضاً عنها ، فأنت إذاً خبث ، و كذلك طلحة و الزبير و عائشة الّذين تتعصّب لهم و تحتجّ على الناس بهم ، و قد خرج من المدينة الصالحون ، كابن مسعود و أبي ذرّ و غيرهما و ماتوا في بلاد نائية عنها .

و أمّا قوله : بعدت عن حرمة الحرمين ، و مجاورة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكلام إقناعيّ ضعيف ، و الواجب على الامام أن يقدّم الأهمّ فالأهمّ من مصالح الاسلام ، و تقديم قتال أهل البغى على المقام بين الحرمين أولى .

و أمّا ما ذكره من خذلانه عثمان و شماتته به و دعائه الناس بعد قتله إلى نفسه و إكراهه طلحة و الزبير و غيرهما على بيعته ، فكلّه دعوى والأمر بخلافها و من نظر كتب السير عرف أنّه بهته و ادّعى عليه ما لم يقع منه .

و أمّا قوله : التويت على أبي بكر و عمر ، و قعدت عنهما ، وحاولت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فانّ علياً عليه السلام لم يكن يجحد ذلك و لاينكره ، و لاريب أنّه كان يدّعي الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لنفسه على الجملة ، إمّا لنصّ كما تقوله الشيعة أو لأمر آخر كما يقوله أصحابنا .

أمّا قوله : لو وليتها حينئذٍ لفسد الأمر و اضطرب الاسلام ، فهذا علم غيب لايعلمه إلاّ الله ، و لعلّه لو وليّها حينئذٍ لاستقام الأمر و صلح الاسلام و تمهّد .

أقول : لاوجه للتعبير هنا بلعلّه بل هو المحقّق ، فانّ الفساد و الاضطراب نشأ من نقض عهد ولايته عليه السلام حيث إنّ قبائل العرب الحاضرين في غدير خمّ السامعين لقول النبيّ صلى الله عليه وآله « من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه » و الواعين لقوله « يا عليّ أنت منّي بمنزلة هارون من موسى » لايشكّون في أنّ القائم بالأمر بعده هو علي عليه السلام .

و لكن لمّا رأوا وسمعوا أنّ أكثر أصحاب النبيّ من المهاجرين و الأنصار

عدلوا عن وصيّته وتوليته شكّ بعضهم في أصل الاسلام و في أنّه دين إلهي قائم بالوحي و بعضهم تردّد في إنجاز أوامره و عهوده و وصاياه في سائر مشاعر الاسلام مثل الزكاة و غيرها فثاروا على الاسلام و ارتدّوا .

و هذا هو فلسفة ارتداد العرب على الحكومة المركزيّة القائمة على خلافة أبي بكر الانتخابيّة ، ففي السقيفة زرعت جراثيم الفساد و بذورها و نمت إلى أن أثمرت في خلافة عثمان ، فقام الاختلاف على ساق و تلاشت وحدة المسلمين ، حتّى نقلت الخلافة و الزعامة الاسلاميّة إلى أمثال معاوية ، و طمعت فيها أمثال طلحة و الزبير ، فانّ ظهور مطامعهم و تكالبهم على الدنيا أثّر في نفوس عامّة الناس وأضعف عقائدهم بالنسبة إلى ما ورد في القرآن الشريف من الوعيد و الإنذار .

الترجمة

أمّا بعد ، ماوشما چنانچه یاد کردی هم اُنس و گرد هم بودیم ولی در گذشته ازهم جداشدیم برای آنکه ما ایمان آوردیم وشما بکفر باقی ماندید وامروز هم ازهم جدائیم برای آنکه ما درراه راستی می‌رویم و بایمان خود پای بندیم وشما پیرامون فتنه هستید واز اسلام بر گشتید ، شما هم از دل قبول اسلام نکردید بلکه بناخواه اظهار مسلمانی نمودید بعد از اینکه در صدر اسلام همه را با رسول خدا درنبرد بودید « بعد از اینکه همه مسلمانان نخست حزب و طرفدار رسول خدا صلی الله علیه و آله شدند ـ خ » .

یاد آورشدی که من طلحه وزبیررا کشتم و عایشه را راندم ودربصره و کوفه اقامت کردم ، اینهاهمه درغیبت تو واقع شده وبرعهدهٔ تو نیست و بتومربوط نیست وعذرخواهی ازآن بتو ارتباطی ندارد .

یاد آورشدی که درجمع مهاجر و انصار مرا دیدارخواهی کرد ، با اینکه از روزی که برادرت « یزید بن أبي سفیان » اسیر شد « یعني روز فتح مکّه » هجرت برداشته شد وقانون آن ملغی گردید و مسلمانان پس از فتح مکّه که پیرامون تواند مهاجر نیستند ، اگردر این دیدار شتابی هست درآسایش باش (برآن سوارشو خ)

زیرا اگرمن بدیدار تو آیم سزاوار است برای آنکه خداوندم بدیدار تو فرستد تا ازتو انتقام بگیرم ، واگرتو بدیدارمن آئی چنانست که شاعر بنی‌أسد سروده :

به پیشواز بادهای گرم تابستانی شتابند تا با خار و خاشاك و سنگریزه در پست وبلند روبرو گردند .

دربرمن‌است همان‌شمشیری که باآن جدّ تو ودائی وبرادرت را دریك میدان (میدان‌نبرد اُحد) کشتم ، وراستی که- تامن دانسته‌ام - تومردی دل‌مرده و کم‌خرد بودی وبهتراست دربارهٔ تو گفت : بنردبانی برآمدی که ترا ببد پرتگاهی کشاند و بزیانت رساند وسودی نبری ، زیرا کسی را مانی که جز گمشده خودرا جوید وجزچراگاه خویش را بچراند ، و بدنبال مقامی می گردی که سزاوار آن نیستی واز خاندان آن دوری .

وه چه اندازه گفتارو کردارتو ارهم بدورند ، وتادانسته‌ام تو بأعمام وأخوال خود مانی که بدبختی وآرزوهای بیهوده آنان را با نکار رسالت محمّد ﷺ واداشت و تاآنجا بااو ستیزه کردند که در قتلگاه خود بخاك وخون غلطیدند ، همانجا که توخود می‌دانی ، نتوانستند ازخود دفاعی عظیم نمایند وحریم وجودخودرا اززخم شمشیرهائی که میدان نبرد از آنها بر کنار نیست مصون دارند ، آنجا که سستی و مسامحه درآن روا نیست .

تو دربارهٔ کشندگان عثمان پر گفتی ، بیا با مسلمانان هم‌آهنگ شو وآنچه را پذیرفتند بپذیر وسپس آنانرا درمحضرمن محاکمه کن تاتورا وآنها را بقانون کتاب خدا وادارم .

و أمّا آنچه تو از دعوی خونخواهی عثمان می‌خواهی بدان ماند که بخدعه بخواهند کودکی را در نخست دوران شیربری از شیر بازگیرند و پستان مادر را در پیش او نازیبا و بد جلوه دهند ، درود برهر که شایسته او است .

المختار الرابع والستون

و من كتاب له عليه السلام اليه أيضا

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ [عَيْنِ] الْأُمُورِ فَلَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِادِّعَائِكَ الْأَبَاطِيلَ، وَ إِقْتِحَامِكَ [اقْتِحَامِكَ] غُرُورَ الْمَيْنِ وَ الْأَكَاذِيبِ، وَ بِانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ وَ ابْتِزَازِكَ لِمَا اخْتُزِنَ دُونَكَ، فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ، وَجُهُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَ دَمِكَ، مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ، وَ مُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ الْمُبِينُ، وَ بَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ؟ فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَ اشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلَابِيبَهَا، وَ أَعْشَتِ الْأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا.

وَ قَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ الْقَوْلِ ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السَّلْمِ، وَ أَسَاطِيرَ لَمْ يَحُكْهَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ، أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ، وَ الْخَابِطِ فِي الدَّيْمَاسِ، وَ تَرَقَّيْتَ إِلَى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةِ الْمَرَامِ، نَازِحَةِ الْأَعْلَامِ، تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَنُوقُ، وَ يُحَاذَى بِهَا الْعَيُّوقُ.

وَ حَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدَراً أَوْ وِرْداً، أَوْ أُجْرِيَ

لَكَ عَلىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عَهْداً ، فَمِنَ الْآنَ فَتَدارَكْ نَفْسَكَ وَ انْظُرْ لَهٰا ، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتّٰى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبادُ اللهِ أُرْتِجَتْ عَلَيْكَ الْأُمُورُ ، وَ مُنِعْتَ أَمْراً هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ ، وَالسَّلامُ .

اللغة

(آن) : قرب وحان ، (اللمح الباصر) : النظر بالعين الصحيحة ، (الأباطيل) جمع الباطل على غير قياس ، (المدارج): الطرائق ، (الاقحام والاقتحام): الدخول في الشيء من غير رويّة ، (المين) : الكذب ، (الغرور) : بالضمّ مصدر وبفتح الأول صفة بمعنى الفاعل ، (الانتحال) : ادّعاء ما ليس له ، (الابتزاز) : الاستلاب ، (الجحود) : إنكار ما يعلم .

(أغدفت) المرأة قناعها : أرسلته على وجهها ، (الأفانين) : الأساليب المختلفة ، (الأساطير) : الأباطيل واحدها أُسطورة بالضمّ و إسطارة بالكسر ، (الدهاس) : المكان السهل دون الرمل ، (الديماس) بالكسر : المكان المظلم وكالسراب و نحوه .

(المرقبة) موضع عالٍ مشرف يرتفع إليه الراصد ، (الأنوق) بالفتح : طائر وهو الرخمة أو كارها في رؤوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ، (العيّوق) : نجم فوق زحل ، (تنهد) : ترفع ، (ارتجت) : اغلقت .

الاعراب

الباصر: صفة لقوله باللمح مجازاً، أى بلمح الانسان الباصر والباء للاستعانة ، بادّعائك : الباء للسببيّة ، ممّا قد وعاه : من للتعليل ، فاحذر الشبهة و اشتمالها : قال الشارح المعتزلي: ويجوز أن يكون اشتمال مصدر مضاف إلى معاوية أى احذر الشبهة و احذر اشتمالك إيّاها على اللبسة ، أى ادّراعك بها وتقمّصك -إلى أن قال: ويجوز أن يكون مصدراً مضافاً إلى ضمير الشبهة فقط . ذو : صفة للكتاب ، أساطير: عطف على أفانين ، لم يحك : مضارع مجزوم من حاك يحوك و حوك الكلام صنعته

و نظمه ، تقصر دونها : جملة حاليّة .

المعنى

قال الشارح المعتزلي « ص ٢٧ ج ١٨ ط مصر » : و هذا الكتاب هو جواب كتاب وصل من معاوية إليه عليه السلام بعد قتل عليّ عليه السلام الخوارجَ ، و فيه تلويح بما كان يقوله من قبل: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعدني بقتال طائفة أُخرى غير أصحاب الجمل و صفّين ، و إنّه سمّاهم المارقين .

أقول : وكان معاوية بعد قتل الخوارج و هم شجعان جيش الكوفة الصادقين للجهاد في صفّين يرجو نيل الخلافة على كافّة المسلمين لأنّ خلافهم مع عليّ عليه السلام و قتلهم في نهروان كافّة إلاّ عدد يسير قد فتّ في عضد عليّ عليه السلام و شوّش أمره إلى حيث انجرّ إلى الفتك به ، فانتهز معاوية هذه الفرصة وطمع في قبول عليّ عليه السلام شروطاً للصلح تؤيّد مقصود معاوية في صعود عرش الخلافة الاسلاميّة برضا كافّة المسلمين وتجويز عليّ خلافته باقراره على ولاية الشام و نصبه على أنّه وليّ عهد له من بعده .

قال الشارح المعتزلي « ص ٢٦ ج ١٨ ط مصر » : و كان كتب إليه يطلب منه أن يفرده بالشام و أن يولّيه العهد من بعده ، و أن لا يكلّفه الحضور عنده ، و كان مقصوده بعد أخذ هذا الاعتراف عنه عليه السلام التدبير في الفتك به بأيّ وجهٍ يمكنه ، و قد أدرك عليه السلام غرضه من هذا الكتاب فأبلغ في ردعه و دحض مطامعه بما لا مزيد عليه ، و بيّن له أنّه بعيد عن مقام الخلافة بوجوه عديدة :

١ـ سلوكه مسالك أجداده الجاهليّين بادّعاء الأباطيل و اقتحام غرور المين و الأكاذيب فكأنّه باقٍ على كفره أخلاقاً و معناً و إن كان مسلماً ظاهراً ، فلا أهليّة له لزعامة المسلمين .

٢ـ دعواه مقاماً شامخاً علا عنه ، و استلابه ما قد اختزن دونه ، قال الشارح المعتزلي : يعني التسمّي بأمير المؤمنين ، وفسّره ابن ميثم بمال المسلمين و بلادهم الّتي يغلب عليها .

٣ـ فراره عن الحقّ و جحوده ما يعلمه حقاً و ثبت عنده حتّى وعاه سمعه وملىء به صدره .

وقد فسّره المعتزلي بفرض طاعة عليّ عليه السلام لأنّه قد وعاها سمعه ، لا ريب في ذلك .

إمّا بالنصّ في أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله كما تذكره الشيعة ، فقد كان معاوية حاضراً يوم الغدير لأنّه حجّ معهم حجّة الوداع ، وقد كان أيضاً حاضراً يوم تبوك حين قال له بمحضر من الناس كافّة « أنت منّي بمنزلة هارون من موسى » و قد سمع غير ذلك .

و إمّا بالبيعة كما نذكره نحن فانّه قد اتّصل به خبرها ، و تواتر عنده وقوعها ، فصار وقوعها عنده معلوماً بالضرورة كعلمه بأنّ في الدنيا بلداً اسمه مصر ، و إن كان ما رآها .

٤ ـ و انتهى عليه السلام كتابه إلى التأكيد في منعه عن تصدّي الخلافة ، فقال عليه السلام (و حاش لله أن تلي للمسلمين بعدي صدراً أو ورداً ، أو أجرى لك على أحد منهم عقداً أو عهداً) .

وهذا تصريح ببعده عن الخلافة إلى حيث دونها الأنوق ويحاذي بها العيّوق .

و أنذره من سوء عاقبة إصراره على التمرّد و الطغيان بقوله عليه السلام (فانّك إن فرّطت حتّى ينهد إليك عباد الله ارتجت إليك الأمور ـ الخ) .

الترجمة

از نامه‌ای که آنحضرت عليه السلام بازهم بمعاویه نگاشته است :

أمّا بعد ، آن هنگامت فرارسیده که بخود آئی و از آنچه بچشم خود دیدی پند پذیری ، براستی که تو بازهم براه نیاکان بت پرست خود می‌روی برای آنکه بیهوده دعوی داری وخودرا در فریب ودروغ اندر می‌سازی و آنچه را برتر ازمقام تو است بخود می‌بندی و در آنچه ازتو دریغ است دست اندازی می کنی تا از حق گریزان باشی واز پیروی آنچه از گوشت وخون تنت بتو آمیخته تراست سر باژنی

و انکارش کنی ، همان حقائقی که بگوش خود فرا گرفتی و در دلت انباشته اند و بخوبی می‌دانی .

پس از کشف حقیقت راه دیگری جز گمراهی و ضلالت نیست ، و پس از تمامی بیان و حجّت جز شبهه سازی وجود ندارد ، از شبهه سازی و فریب کاری و عوام فریبی بر کنار شو ، زیرا که دیرزمانی است فتنه و آشوب پرده های سیاه خودرا گسترده و با تیرگی خود دیده های کوته بین را کور و نابینا کرده .

نامه‌ای ازتو بمن رسید که سرتاسر سخن‌بافیها و دگرگونیها داشت ، منطق درست وخیرخواهی در آن سست بود وبمانند افسانه‌هائی بود که ازدانش وبردباری درنگارش آن بهره‌ای نبود ، بمانند مردی شدی که از خاك تیره گوهرجوید و در تاریکی شب خار بر آرد ، و گام فرا مقامی برداشتی که بسیار از تو دور است ، و نشانه‌اش ناجور ، کرکس را بدان یارای پرواز نیست و با ستارهٔ عیّوق دمساز است .

پناه برخدا که تو فرمانروا برمسلمانان گردی و پس‌از من درخرد ودرشت کارآنها مداخله کنی یا من دراین باره برای تو بر یکتن از آنان قرار و تعهّدی امضاء کنم .

از هم‌اکنون خودرا دریاب و برای خویش چاره اندیش ، زیرا اگر کوتاه آئی تا بندگان خدا برسرتو آیند کارها برتو دشوار گردد و درهای نجات بروی تو بسته شوند و از آن مقامی که امروزه ازتو پذیراست بازمانی ، و السلام .

المختار الخامس والستون

الی عبدالله بن العباس ، وقد تقدم ذکره بخلاف هذه الروایة

أَمّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْمَرءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ ، وَ يَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذي لَمْ يَكُنْ لِيُصيبَهُ ، فَلا يَكُنْ أَفْضَلُ ما نِلْتَ

فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغَ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءَ غَيْظٍ ، وَ لٰكِنْ إِطْفَاءَ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءَ حَقٍّ ، وَ لْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ ، وَ أَسَفُكَ عَلٰى مَا خَلَّفْتَ وَ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ .

اقول : و في قوله رضى الله عنه : و قد تقدّم ذكره بخلاف هذه الرواية ، إشارة إلى أنّ ماذكره هنا وماتقدّم عليه بهذا المعنى مكتوب واحد نقل بروايتين .

فيحتمل أن تكون كلتا الروايتان مأثورتين عنه عليه السلام بناءاً على صدورهما معاً عنه عليه السلام في مكتوب واحد ، فتكون إحداهما نسخة بدلٍ صدرت عن الكاتب فبعثت إحداهما و حفظت الأُخرى فنقلت و رويت أيضاً .

ويحتمل أن يكون الاختلاف ناشياً عن النسّاخ بتصرّف وتصحيف وعلل أُخرى .

الترجمة

از نامه‌ای که آنحضرت عليه السلام بعبدالله بن عبّاس نگاشته ، این نامه بروایت دیگری که با این مضمون اختلاف داشت پیشتر نقل شد :

أمّا بعد ، براستی که مرد برای رسیدن به بهره‌ای که از دست بدر نمی‌رود خشنود می‌شود (یعني روزی مقدّر) و بر آنچه نباید بوی برسد و مقدّر او نیست غمگین می گردد ، نباید پیش تو بهترین بهرهٔ دنیایت کامیابی جسماني یا تشفّي خاطر از خشمگینی و انتقام از دشمنت باشد .

ولی باید بهترین چیزی که بحساب آری این باشد که باطل را خاموش و نابود سازی و یا حقّی را زنده و پایدار کنی ، باید شادی تو بمالی باشد که برای ذخیرهٔ آخرتت پیش می‌فرستی ، و افسوست از آنچه باشد که بجای خود برای دیگران می گذاری ، و باید همّ تو معطوف بوضع تو پس از مردن باشد .

المختار السادس والستون

ومن كتاب له عليه السلام الى قثم بن العباس ، وهو عامله على مكة

أَمَّا بَعْدُ، فَأَقِمْ لِلنَّاسِ الْحَجَّ ، وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيامِ اللهِ ، وَ اجْلِسْ لَهُمُ الْعَصْرَيْنِ فَأَفْتِ الْمُسْتَفْتِيَ ، وَ عَلِّمِ الْجاهِلَ ، وَ ذاكِرِ الْعالِمَ ، وَ لا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلاَّ لِسانَكَ ، وَ لا حاجِبٌ إِلاَّ وَجْهَكَ ، وَ لا تَحْجُبَنَّ ذا حاجَةٍ عَنْ لِقائِكَ بِها ، فَإِنَّها إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوابِكَ في أَوَّلِ وِرْدِها لَمْ تُحْمَدْ فِيما بَعْدُ عَلَى قَضائِها .

وَ انْظُرْ إِلَى ما اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مالِ اللهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيالِ وَ الْمَجاعَةِ ، مُصِيباً بِهِ مَواضِعَ الْفاقَةِ [الْمَفاقِرَ] وَ الْخَلاَّتِ ، وَ ما فَضَلَ عَنْ ذلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنا لِنُقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنا .

وَ مُرْ أَهْلَ مَكَةَ أَنْ لا يَأْخُذُوا مِنْ ساكِنٍ أَجْراً ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحانَهُ يَقُولُ : « سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَ الْبادِ » فَالْعاكِفُ : الْمُقِيمُ بِهِ ، وَ الْبادِي الذي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَفَّقَنا اللهُ وَ إِيَّاكُمْ لِمَحابِّهِ ، وَ السَّلامُ .

اللغة

(ذيدت) : منعت ، (ورد) : دخول الغنم والبعير على الماء للشرب ، (المفاقر) الفقر جمع فقور و مفاقر : ضد الغنى و ذلك أن يصبح الانسان محتاجاً أو ليس له

ما يكفيه ـ المنجد ـ ، (الباد) : مخفّف البادي ساكن البادية .

الاعراب

بأيّام الله : الباء للتعدية تأكيداً ، فأفت : أمر من أفتى يفتي ، لك : ظرف مستقرّ خبر لقوله « ولايكن » ، إلى الناس : ظرف متعلّق بقوله « سفير » و هو اسم لايكن ، إلاّ لسانك : مستثنى في كلام تامّ منفي يجوز فيه النصب والاتباع للمستثنى منه و هو قوله « سفير» فانّه يفيد العموم لتقدّم النفي عليه و يحتمل كون الاستثناء منقطعاً بدعوى عدم دخول اللسان و الوجه في مفهوم السفير و الحاجب .

قال الشارح المعتزلي « ص ٣١ ج١٨ » : وروى « ولايكن إلاّ لسانك سفيراً لك إلى الناس » بجعل « لسانك » اسم كان مثل قوله (فما كان جواب قومه إلاّ أن قالوا) و الرواية الأُولى هي المشهورة ، وهو أن يكون « سفيراً » اسم كان و « لك» خبرها ، ولايصحّ ما قاله الراوندي : إنّ خبرها « إلى الناس » ، لأنّ «إلى» هاهنا متعلّقة بنفس « سفير » فلا يجوز أن تكون الخبر عن « سفير » تقول : سفرت إلى بني فلان في الصلح ، و إذا تعلّق حرف الجرّ بالكلمة صار كالشيء الواحد .

أقول : و أضعف ممّا ذكره الراوندي ما ذكره ابن ميثم « ص ٢١٧ ج ٥ » « و إلاّ للحصر و ما بعدها خبر كان » فانّه إنّما يستقيم على كون الاستثناء مفرّغاً و قد عرفت أنّه تامّ على الرواية المشهورة و على ما ذكره الشارح المعتزلي من الرواية الغير المشهورة فالاستثناء مفرّغ و لكن « لسانك » اسم كان لا خبره .

و قال ابن ميثم في الصفحة التالية : و روى « مواضع المفاقر » و الاضافة لتغاير اللفظين .

أقول : قد جعل في « المنجد » المفاقر جمع الفقر فالإضافة معنويّة تفيد التخصيص و الفرق المعنوي بين المضاف و المضاف إليه جلي .

المعنى

قد نهى عليه السلام في آخر كتابه أهل مكّه عن أخذ الأُجرة عن الحاجّ الساكن في مكّه للحج مفسّراً آية (سواءاً العاكف فيه والباد ـ ٢٥ـ الحج) و هل المقصود

منه يعمّ أخذ الأُجرة عن الساكنين في البيوت المملوكة أو المقصود خصوص الساكنين في المسجد الحرام كما هو ظاهر الأية و أرض الحرم الغير المملوكة بالخصوص ؟ فيه بحث لايسع المقام بسط الكلام فيه .

قال الشارح المعتزلي : وأصحاب أبي حنيفة يتمسّكون بها ـ أي بهذه الأية ـ في امتناع بيع دور مكّة و إجارتها و هذا بناء على أنّ المسجد الحرام ، هو مكّة كلّها و الشافعي يرى خلاف ذلك ، و يقول : إنّه الكعبة ، و لا يمنع من بيع دور مكّة ولا إجارتها و يحتجّ بقوله تعالى « الّذين أُخرجوا من ديارهم » .

أقول : في دلالة الأية على ما ذكره أصحاب أبي حنيفة ضعف ظاهر كما أنّ تفسير المسجد الحرام بخصوص الكعبة كما ذكر عن الشافعي أضعف ، كاحتجاجه بالأية على مالكيّة دور مكّة .

الترجمة

از نامه‌ای است که آنحضرت بکار گزار خود در مکّه قثم بن عبّاس نگاشته :

أمّا بعد ، درانجام حجّ مردم را راهنما باش و آنهارا بروزهای خدایادآوری کن در بامداد و پسین برای پذیرائی از آنها بنشین ، و بهر کس در مسائل دین از تو فتوی خواست فتوی بده و نادانهارا دانش بیاموز وبا دانشمند ازمردم هم گفتگو باش ، ومیان تو ومردم کسی واسطه و ایلچی نباشد جز زبانت و دربانی نباشد جز رخسارت .

هیچ حاجتخواهی را ازدیدار خودت پشت در نگذار ، زیرا اگر از درخانهٔ تو رانده شود درآغاز مراجعه کردن برآوردن حاجتش بعدازآن هم تاآنجا مورد پسند نباشد که جبران آنرا بنماید .

آنچه از مال خداوند نزد تو گردآمد بدان توجّه کن ، و بعیالداران و گرسنه‌های محیط فرمانگزاریت مصرف کن و بمستمندان و بیچارگان برسان ، و هرچه ازآن بیش باشد برای ما بفرست تا میان کسانی که در اطراف ما هستند بخش کنیم .

بمردم مكّه دستور بده از كسانى كه ساكن مكّه شوند اجرت سكونت نگيرند زيرا خداى سبحان مى‌فرمايد « عاكفين و بيابانگردان در آن برابرند » أمّا مقصود از عاكف كسانيند كه درمكّه اقامت دارند و مقصود از بادي وبيابانى كسانيند كه جزازاهالي خود شهرمكّه براى انجام وظيفه مقدّس حجّ بمكّه مى‌آيند . خدا ما وشمارا براى هرچه دوست دارد توفيق دهد ، و السلام .

المختار السابع والستون

ومن كتاب له عليه السلام الى سلمان الفارسى رحمه الله قبل أيام خلافته

أَمّا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا مَثَلُ ٱلدُّنْيَا مَثَلُ ٱلْحَيَّةِ ، لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا ، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا ، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا ، لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا ، وَ تَصَرُّفِ حَالَاتِهَا ، وَ كُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا ، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا أَطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَىٰ سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَىٰ مَحْذُورٍ [أَوْ إِلَىٰ إِيئَاسٍ أَزَالَتْهُ عَنْهُ إِلَى إِيحَاشٍ ، وَ السَّلَامُ - شرح المعتزلي -].

اللغة

(أشخصته) : أذهبته .

الاعراب

ليّن : خبر مقدّم ومسّها : مبتداء مؤخّر وكذا ما بعدها وكلتا الجملتين بمنزلة عطف البيان لقوله عليه السلام « مثل الدنيا مثل الحيّة » فترك فيهما حرف العطف و وصل بينهما و بينها ، كن آنس ما تكون - الخ - : قال ابن ميثم : ما مصدريّة و آنس ينصب على الحال و أحذر خبر كان .

أقول : و الأولى جعل آنس و أحذر خبراً واحداً لكان ، فيكون من قبيل قولهم « الرمّان حلو حامض » .

المعنى

قال الشارح المعتزلي « ص ٣٩ ج ١٨ ط مصر » : و كان سلمان من شيعة عليّ عليه السلام وخاصّته وتزعم الاماميّة أنّه أحد الأربعة الّذين حلقوا رؤوسهم وأتوه متقلّدي سيوفهم في خبر يطول .

و قد روى من حديث ابن بريده عن أبيه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أمرني ربّي بحبّ أربعة ، و أخبرني أنّه يحبّهم : عليٌّ و أبوذرّ و المقداد و سلمان .

الترجمة

از نامه‌ای که آنحضرت علیه السلام پیش‌از دوران خلافتش به سلمان فارسي - رحمه الله - نگاشته :

أمّا بعد ، همانا دنیا ماری را ماند نرم اندام و زهرآگین ، ازآنچه اش که خوشت آمد روی بر گردان و دوری گزین که بسیار بی‌وفا است و اندکی با تو همراه می‌شود ، هیچ اندوه دنیا را مخور ، چه بخوبی می‌دانی از تو جدا می‌شود و دیگر گونیها دارد ، هرگاه بیشتر با او انس گرفتی و دل آرام تو شد بیشتر از او درحذرباش و بترس ، زیرا یار دنیا هرچه بشادی آن دلبند و خاطرجمع باشد اورا بمشکل ومحذور پرتاب می کند ، وهرگاه بآرامش او مطمئن شود اورا بهراس می‌افکند .

المختار الثامن والستون

ومن كتاب له عليه السلام الى الحارث الهمداني

وَ تَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَ انْتَصِحْهُ [وَ اسْتَنْصِحْهُ] ، وَ أَحِلَّ حَلاٰلَهُ وَ حَرِّمْ حَرٰامَهُ ، وَ صَدِّقْ بِمٰا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ ، وَ اعْتَبِرْ بِمٰا مَضىٰ مِنَ

ٱلدُّنيا ٱما [لِما] بَقِيَ مِنْها ، فَإِنَّ بَعْضَها يُشْبِهُ بَعْضاً ، وَ آخِرُها لاحِقٌ بِأَوَّلِها ، وَ كُلُّها حائِلٌ مُفارِقٌ ، وَ عَظِّمِ ٱسمَ ٱللهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلاّ عَلىٰ حَقٍّ وَ أَكْثِرْ ذِكْرَ ٱلمَوْتِ ، وَما بَعْدَ ٱلمَوْتِ ، وَ لا تَتَمَنَّ ٱلمَوْتَ إِلاّ بِشَرْطٍ وَثِيقٍ ، وَ ٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضاهُ صاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَ يُكْرَهُ [يُكْرِهُهُ] لِعامَّةِ ٱلمُسْلِمِينَ وَ ٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ وَ يُسْتَحىٰ مِنْهُ فِي ٱلعَلانِيَةِ ، وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذا سُئِلَ عَنْهُ صاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوِ ٱعْتَذَرَ مِنْهُ ، وَ لا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبالِ ٱلقَوْلِ [م] ، وَ لا تُحَدِّثِ ٱلنّاسَ بِكُلِّ ما سَمِعْتَ بِهِ فَكَفىٰ بِذٰلِكَ كَذِباً ، وَ لا تَرُدَّ عَلَى ٱلنّاسِ كُلَّ ما حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفىٰ بِذٰلِكَ جَهْلاً ، وَ ٱكْظِمِ ٱلغَيْظَ وَ تَجاوَزْ عِنْدَ ٱلمَقْدَرَةِ ، وَ ٱحْلُمْ عِنْدَ ٱلغَضَبِ ، وَ ٱصْفَحْ مَعَ ٱلدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ ٱلعاقِبَةُ ، وَٱسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَها ٱللهُ عَلَيْكَ ، وَلا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ ٱللهِ عِنْدَكَ ، وَ لْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ ما أَنْعَمَ ٱللهُ بِهِ عَلَيْكَ .

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ ٱلمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَ أَهْلِهِ وَ مالِهِ وَ أَنَّكَ ما تُقَدِّمُ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ ، وَ ما تُؤَخِّرُهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ ، وَ ٱحْذَرْ صَحابَةَ مَنْ يَقِيلُ رَأْيُهُ وَ يُنْكَرُ عَمَلُهُ ، فَإِنَّ ٱلصّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصاحِبِهِ ، وَ ٱسْكُنِ ٱلأَمْصارَ ٱلعِظامَ فَإِنَّها جِماعُ ٱلمُسْلِمِينَ ،

وَ اَحْذَرْ مَنَازِلَ اَلْغَفْلَةِ وَ اَلْجَفَاءِ وَ قِلَّةَ اَلْأَعْوَانِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ ، وَ اقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَىٰ مَا يَعْنِيكَ ، وَ إِيَّاكَ وَ مَقَاعِدَ اَلْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ اَلشَّيْطَانِ وَ مَعَارِيضُ اَلْفِتَنِ ، وَ أَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَىٰ مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ أَبْوَابِ اَلشُّكْرِ ، وَلاَ تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّىٰ تَشْهَدَ اَلصَّلاَةَ إِلاَّ فَاصِلاً فِي سَبِيلِ اللهِ ، أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ ، وَ أَطِعِ اللهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ ، فَإِنَّ طَاعَةَ اللهِ فَاضِلَةٌ عَلَىٰ مَا سِوَاهَا ، وَخَادِعْ نَفْسَكَ فِي اَلْعِبَادَةِ ، وَ ارْفُقْ بِهَا وَلاَ تَقْهَرْهَا ، وَ خُذْ عَفْوَكَ وَ نَشَاطَهَا إِلاَّ مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ اَلْفَرِيضَةِ ، فَإِنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَ تَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا ، وَ إِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ اَلْمَوْتُ وَ أَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ اَلدُّنْيَا وَ إِيَّاكَ وَ مُصَاحَبَةَ اَلْفُسَّاقِ فَإِنَّ اَلشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ ، وَ وَقِّرِ اللهَ وَ أَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ ، وَ احْذَرِ اَلْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ ، وَ اَلسَّلاَمُ .

المعنى

قال الشارح المعتزلي « ص٤٢ ج١٨ ط مصر » :

الحارث الهمداني و نسبه

هو الحارث الأعور صاحب أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو الحارث بن عبدالله بن كعب - سرد النسب إلى - صعب بن معاوية الهمداني ، كان أحد الفقهاء ، له قول في الفتيا ، وكان صاحب علي عليه السلام ، و إليه تنسب الشيعة الخطاب الذي خاطبه به

في قوله عليه السلام :

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمنٍ أو منافقٍ قبلا

و هي أبيات مشهورة قد ذكرناها فيما تقدّم .

أقول : ظاهر حال المكتوب و الكتاب أن يكون من غائب إلى غائب لبيان المآرب ، و قد يصدر الكتاب من الأعاظم و الأنبياء و الأولياء إلى أخصّائهم ليكون مثالاً للإرشاد و منشوراً للتعليم واستفادة العموم وهدايتهم إلى طريق الرشاد فالمخاطب به خاصّ و المقصود منه عامّ ، و من هذا القبيل رسائل أصحاب عيسى إلى خواصّهم و حواريّهم المعدودة من المآخذ والمصادر الدينيّة عند المسيحيّين و المضمونة في العهد الجديد من الكتاب المقدّس عند أتباع الأناجيل ، و هذا الكتاب الّذي صدر منه عليه السلام إلى الحارث الهمداني من هذا القبيل فانّه مثال للهداية و الإرشاد لكافّة العباد ، و يدلّ على علوّ مقام الحارث الهمداني و حظوته بموقف عالٍ عند أمير المؤمنين عليه السلام حيث خصّه بهذا المنشور الإرشادي الغزير المادّ والعميق المغزى بالنظر إلى التعاليم العالية الأخلاقيّة كمثل أعلى في طريق التزكية النفسانيّة واف في المرام لجميع الأنام ، وقد انتخب السيّد الرضيّ منه قطعة صالحة لما يرمي إليه في نهجه هذا من المقاصد الأدبيّة .

قال ابن ميثم : هذا الفصل من كتاب طويل إليه ، و قد أمره فيه بأوامره ، و زجره بزواجره ، مدارها على تعليم مكارم الأخلاق و محاسن الآداب .

أقول : و قد جمع عليه السلام في هذا الفصل كلّما يلزم لمسلم معتقد إلهيّ في الرابطة بينه و بين الله تعالى من التمسّك بالقرآن و ملازمة أحكامه من الحلال والحرام وفي المواجهة مع الدنيا والاعتبار عن فنائها وعدم الركون عليها والاتّعاظ بما سلف منها و في التوجّه إلى الموت والتهيّؤ لما بعده بادّخار الأعمال الصالحة و الاجتناب عن الأعمال المهلكة .

ثمّ نظم وصايا اجتماعيّة في الروابط بين المسلم و سائر إخوانه و أبناء نوعه و حذّر عن الاستئثار بما يكره سائر الناس و يضرّهم و عن النفاق ، و أمر بصيانة

العرض وحفظ اللسان عن حكاية الكذب بأعمّ معانيها إلى أن بلغ الوصاية بالتضحية في سبيل الله ، و الاجتناب عن المعاشرة و الصحابة مع الفسّاق و ضعفاء الرأى و السكونة في الأمصار للإلحاق بجامعة المسلمين ـ إلى آخر ما أفاده عليه السلام .

الترجمة

از نامه‌ای که آنحضرت عليه السلام به حارث همداني نگاشته :

برشتهٔ قرآن بچسب و اندرزش بجو ، حلالش را حلال شمر و حرامش را حرام ، بدانچه از حق در گذشته می‌داني باور کن ، و آیندهٔ دنیا را با گذشته اش بسنج که بهم مانند و پایانش بآغازش پیوسته شود همه دنیا گذرا و ناپایست .

نام خدارا بزرگتر شمار از آنکه جز براستی یاد کنی ، مرگ ومابعد مرگ را بسیار بیادآور ، آرزوی مردن مکن مگر با وضعی مورد اعتماد ، از کرداری که پسند خود تو وناپسند دیگر مسلمانها است برحذر باش ، از کرداری که نهانی انجام شود و درآشکار شرم‌آور است بپرهیز ، از هر کرداری که چون از کنندهٔ آن باز پرسی شود منکر آن گردد یا از آن پوزش خواهد برحذر باش ، آبروی خودرا عزیزدار وهدف تیر گفتارش مساز ، هرچه شنیدی برای مردم حکایت مکن که همین برای آلودگی بدروغگوئی بس است ، هرچه را مردم برایت حکایت کنند انکار مکن ، زیرا این انکار برای اثبات نادانی تو بس است ، خشم خود را فروخور و درهنگام غضب بردبار باش ، و چون برانتقام توانائی گذشت کن ، وچون بخت یار ودولت بیدارشد صرف نظر کن تا سرانجام باتو باشد ، هر نعمتی که خدایت داد نیکودار و هیچ نعمتی را که ازنعمتهای خدا است فرومایه مشمار و از دستش مده ، و باید اثر نعمت خداوند که بتو عطا کرده در تو دیدار شود .

وبدانکه برترمؤمنان آنکس است که خود وخاندانش ودارائیش را پیشکش درگاه خدا کند ، زیرا هرچیزی که پیش داشتی برای خودت می‌ماند ، و هرچه بدنبال خود گذاشتی و درگذشتی خیرش بدیگران می‌رسد .

از یاران سست نظر و کج اندیشه وزشت کار برحذر باش ، زیرا یاررا بایارش

بسنجند ، در شهرهای بزرگ نشیمن کن ، زیرا مرکز اجتماع مسلمانانند .

ازمنزلهای دورافتاده وبینوا و کم یاور برای طاعت خداوند دورباش ، توجّه خود را بهمان چیزی معطوف دار که مسئول آنی و از آن بهره می‌بری ، از پاتوق بازارها بپرهیز که محضرهای شیطانند و انگیزشگاه آشوبها ، بکسی که بر او برتری داری بسیار توجّه کن ، زیرا این خود از راههای شکرگزاریست .

درروز جمعه پیش‌از انجام نمازجمعه مسافرت مکن مگر برای جهاد درراه خدا یا عذر خداپسند و مقبول ، درهرکاری فرمانبرخدا باش و بدستور اوکار کن زیرا فرمانبری خدا از هرکاری بهتر است ، در انجام عبادت خود را گول بزن تا بدان راغب‌شوی و باخود مدارا کن وبزورش بعبادت وادار مکن ونشاط ورغبت خود را منظور دار مگر نسبت بنماز واجب و کارهای لازم و مفروض که بناچار باید انجام داد و بپای آنها ایستاد و در موقع بآنها عمل کرد .

مبادا در حالی مرگ گریبانت بگیرد که برای دنیا از پروردگار خود گریزانی و پشت بحضرت او داری .

مبادا یار بزهکاران شوی که بدی ، بدی آرد ، خدا را محترم شمار ودوستانش را دوست دار .

از خشم برحذرباش که لشکر بزرگی است از لشکرهای شیطان .

المختار التاسع والستون

و من کتاب له علیه السلام الی سهل بن حنیف الانصاری ، وهو عامله علی المدینة فی معنی قوم من أهلها لحقوا بمعاویة .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَلاَ تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ ، فَكَفَى لَهُمْ غَيّاً وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِياً ، فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى

وَ ٱلْحَقِّ ، وَ إِيضَاعُهُمْ إِلَى ٱلْعَمَى وَ ٱلْجَهْلِ ، وَ إِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا ، وَ مُهْطِعُونَ إِلَيْهَا ، قَدْ عَرَفُوا ٱلْعَدْلَ وَ رَأَوْهُ وَ سَمِعُوهُ وَ وَعَوْهُ وَ عَلِمُوا أَنَّ ٱلنَّاسَ عِنْدَنَا فِي ٱلْحَقِّ أُسْوَةٌ ، فَهَرَبُوا إِلَى ٱلْأَثَرَةِ ، فَبُعْداً لَهُمْ وَ سُحْقاً !!

إِنَّهُمْ - وَ ٱللهِ - لَمْ يَفِرُّوا مِنْ جَوْرٍ ، وَ لَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ ، وَ إِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ ٱللهُ لَنَا صَعْبَهُ ، وَ يُسَهِّلَ لَنَا حَزْنَهُ ، إِنْ شَاءَ ٱللهُ ، وَ ٱلسَّلَامُ [عَلَيْكَ وَ رَحْمَةُ اللهِ وَ بَرَكَاتُهُ] .

اللغة

(يتسللون) : يخرجون إلى معاوية هاربين في خفية و استتار ، (فلا تأسف): لاتحزن ، (الغيّ) : الضلال ، (الايضاع) : الاسراع ، (مهطعين) : مسرعين ، (الاسوة) : مستوين ، (الاثرة) : الاستبداد .

الاعراب

ممّن قبلك : الباء للتبعيض ، غياً : تميز ، فرارهم : مصدر مضاف إلى الفاعل ، فبعداً وسحقاً: منصوبان على المفعول المطلق لفعل محذوف أى فابعدوا بعداً واسحقوا سحقاً ، يفيد الدعاء عليهم .

المعنى

هذا الكتاب لهيب من لهبات قلبه المقدّس تشتعل من إصابات مخالفة رعاياه على قلبه الشريف حيث يرمونه بسهام نفاقهم وتخلّفهم عنه ساعون وراء آمالهم الدنيويّة الدنيّة ، فقد قعد جمع من كبار الصحابة عن بيعته و تخلّف عنه جمّ ممّن بايعه بعد

رحلته إلى البصرة لإخماد ثورة الجمل و إلى صفّين لسدّ خلل خلاف معاوية .

فلمّا انتهى حرب صفّين بأسوء العواقب من مقاومة أهل الضلال و قيام أهل النهروان على وجهه و هم جلّة أصحابه المخلصين الأبطال ، و شاع هذه الأخبار الهائلة و أحسّ المتقاعدون عن البيعة و النفر معه نصرة معاوية عليه بمكائده و بذل الأموال الطائلة لمن مال عنه عليه السلام إليه شرع المهاجرون و الأنصار المتخلّفون عنه في التسلّل إلى معاوية مثنى و فرادى وكان ذلك فتاً في عضد حكومته و ضربة شديدة على عامله في المدينة .

فكأنّه طلب منه عليه السلام معالجة هذا الداء العضال بما رآه عليه السلام .

فكتب إليه بعدم التعرّض لهم وصرف النظر عنهم و تفويضهم إلى سوء عاقبتهم الّتي اختاروها لأنفسهم من الغيّ و الضلال و هلاك الأبد .

و إن كان من جزائهم عند الحكومات بسط العقوبة عليهم بالحبس و بمصادرة أموالهم و هدم دورهم .

و لكنّه عليه السلام عزّى عامله عن هذه المصيبة الهائلة بما نبّه عليه من أنّهم أناس يفرّون من العدل إلى الظلم ومن الهدى إلى الضلالة ومن الحقّ إلى الباطل و من الجنّة إلى النار بعد تمام الحجّة و وضوح البيان « و ما ذا بعد الحقّ إلاّ الضلال» .

الترجمة

از نامه‌ای كه آنحضرت به سهل بن حنيف أنصاري فرمانگزار خود در مدينه نگاشت دربارهٔ مردمی كه از اهل مدينه بمعاويه پيوستند :

أمّا بعد ، بمن رسيده كه مردانی از قلمرو فرمانگزاری تو نهانی بمعاويه پيوستند و عهد ما را گسستند ، برشمارهٔ آنان كه از دست می‌دهی و از كمك آنان بی‌بهره می‌شوی افسوس مخور ، همين گمراهی و سر گردانی برای سزای آنها و تشفّی خاطر تو بس كه از شاهراه هدايت وحقيقت گريخته‌اند وبه كوری ونادانی شتافته‌اند (چه شكنجه ازاين بدتر ؟)

همانا که آنان اهل دنیایند که بدان روی آورده و بسوی آن می‌شتابند بااینکه بخوبی عدالت را شناخته ودیده و گزارش آنرا شنیده‌اند وباور کرده‌اند ودانسته‌اند که همه مردم نزد ما و در آئین حکومت ما حقوق برابردارند و از این برابری و برادری گریخته و بدنبال خودخواهی و امتیاز طلبی رفته‌اند گم باشند ، نابود باشند .

براستی که ـ سوگند بخدا ـ اینان ازستم نگریخته‌اند وبعدل‌وداد نپیوسته‌اند و ما امیدواریم که در این کار خداوند دشواری ها را برما آسان سازد و سختی‌هارا هموار کند انشاء الله . و السلام .

المختار السبعون

ومن كتاب له عليه السلام الى المنذر بن الجارود العبدى ، وقد خان فى بعض ما ولاه من أعماله

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ صَلاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ ، وَ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ ، وَ تَسْلُكُ سَبِيلَهُ ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً ، وَلا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَاداً ، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ ، وَ تَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ ، وَ لَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَ شِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ ، وَ مَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ [خِيَانَةٍ] فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللهُ .

قالَ الرَّضيُّ : [وَ] ٱلْمُنْذِرُ هٰذا هُوَ ٱلَّذي قالَ فيهِ أَميرُ ٱلْمُؤْمِنينَ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ إِنَّهُ لَنَظّارٌ في عِطْفَيْهِ ، مُخْتالٌ في بُرْدَيْهِ ، تَفّالٌ في شِراكَيْهِ .

اللغة

(رقّى) بالتشديد : رفع إليّ ، و أصله أن يكون الانسان في موضع عال فيرقى إليه شيء ، (العتاد) : العدّة ، (الشسع) : سير بين الاصبعين في النعل العربي .

الاعراب

قال الشارح المعتزلي : واللام في لهواك متعلّقة بمحذوف دلّ عليه « انقياداً » لأنّ المتعلّق من حروف الجرّ بالمصدر لايجوز أن يتقدّم على المصدر .

أقول : يصحّ أن تتعلّق بقوله « لاتدع » فلايحتاج إلى تكلّف التقدير وهو أوضح معناً أيضاً و كذا في الجملة التالية .

المعنى

المنذر بن الجارود من أشراف العرب و من عبد القيس الناهي في الشرف ينسب إلى نزار بن معد بن عدنان ، كان الجارود نصرانياً فوفد على النبيّ صلى الله عليه وآله في سنة تسع أو عشر من الهجرة فأسلم وحسن إسلامه و سكن بعد ذلك في البصرة وقتل بأرض فارس أو نهاوند مع النعمان بن المقرّن .

و قد بالغ عليّ عليه السلام في ذمّه وتوبيخه في هذا الكتاب لما ثبت عنده من خيانته في أموال المسلمين و صرفها في شهواته و عشيرته زائداً على ما يستحقّون وهذا ممّا لايتحمّله عليه السلام .

قال الشارح المعتزلي في « ص ٥٩ ج ١٨ ط مصر » : و أمّا الكلمات الّتي ذكرها الرضيّ عنه عليه السلام في أمر المنذر فهي دالّة على أنّه نسبه إلى التيه و العجب ، فقال : (نظّار في عطفيه) أي جانبيه ، ينظر تارة هكذا و تارة هكذا ، ينظر لنفسه و يستحسن هيئته ولبسته ، وينظر هل عنده نقص في ذلك أو عيب فيستدركه بازالته ،

كما يفعل أرباب الزهو و من يدّعي لنفسه الحسن و الملاحة .

قال: (مختال في برديه) يمشي الخيلاء عجباً -إلى أن قال (تفتّال في شراكيه) الشراك : السير الّذي يكون في النعل على ظهر القدم ، والتفل بالسكون مصدر تفل أي بصق ، و التفل محرّكاً : البصاق نفسه وإنّما يفعله المعجب و التائه في شراكيه ليذهب عنهما الغبار و الوسخ ، يتفل فيهما ويمسحهما ليعودا كالجديدين .

الترجمة

از نامه اي كه آنحضرت عليه السلام بمنذر بن جارود عبدي نگاشت كه در كار فرمانگزاری خود خيانت كرده بود :

أمّا بعد ، راستی كه خوبی و شايستگی پدرت مرا فريفت و گمان بردم پيرو درستی او هستی وبراه او می‌روی ، بناگاه چنين بمن رسيد كه تو يكسره هوسبازی و دنبال هوای نفس می‌روی و برای آخرتت توشه‌ای برنمی گيری ودر فكرسرای ديگر نيستی .

دنيايت را بويرانی آخرتت آباد می كنی و با دينت بخويشانت وصله می‌زنی وبآنها كمك می كنی .

و اگر چنانچه آن گزارشاتی كه از تو بمن رسيده درست باشد شترخاندانت و بند كفشت بهتراز تو است ، و كسی كه چون تو باشد شايسته نباشد كه مرزداری كند ويا كاری بوسيلهٔ او انجام شود ويادرجه‌ای ازاو بالارود ياشريك در كار گزاری خلافت كه امانت إلهي است بوده باشد يا آنكه برجمع خراج و ماليات أمين شمرده شود ، بمحض اينكه اين نامهٔ من بتو رسيد بسوی من بيا ، انشاء الله .

المختار الواحد والسبعون

ومن كتاب له عليه السلام الى عبدالله بن العباس

أَمّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسابِقٍ أَجَلَكَ ، وَلا مَرْزُوقٍ مٰا لَيْسَ لَكَ

وَ أَعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ : يَوْمٌ لَكَ ، وَ يَوْمٌ عَلَيْكَ ، وَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ ، وَ مَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ .

المعنى

بعد ما انتشر الاسلام و ورد الخراج و الغنائم كالسيل إلى الحجاز ، مال جمع من الصحابة إلى ادّخار الأموال وتحصيل الثروة و الجاه ، وقد حذّرهم عليه السلام من الاغترار بالدنيا وزخارفها و ملأ أسماعهم بالمواعظ الشافية في الخطب والكتب ومنها هذا الكتاب الّذي أرسله إلى ابن عبّاس ليكون عظةً و إرشاداً للناس ، و نبّه فيها على أنّ الرزق و الأجل أمران مقدّران مرزوقان و أنّ إقبال الدنيا و إدبارها على كلّ أحد لايكون بالكسب و الجهد و أنّ كلّ ما هو آتٍ قريب .

الترجمة

از نامه‌ای كه آنحضرت بعبد الله بن عبّاس نگاشت :

أمّا بعد ، براستی كه تو از اجل مقدّر پيشدستی نتوانی ، وآنچه را از آنت نيست روزی نگيری ، بدانكه روزگار دو هنگامه است ، روزی بسود تو و روزی بزيانت ، دنيا خانه‌ايست كه دست بدست می گردد آن هنگامه كه از آن تو است تورا آيد گرچه بينوا باشی وآن هنگامه كه برزيان تواست برسرت چرخد ونتوانی بنيروی خود جلوش را بگيری .

المختار الثانی والسبعون

ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ ، وَ الْإِسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ

لَمُوهِّنٌ رَأْيِي، وَ مُخْطِئٌ فِرَاسَتِي، وَ إِنَّكَ إِذْ تَحَاوَلُنِي الْأُمُورَ وَ تُرَاجِعُنِي السُّطُورَ كَالْمُسْتَثْقَلِ النَّائِمِ تَكْذُبُهُ أَحْلَامُهُ، وَ الْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ، لَا يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ، وَ لَسْتَ بِهِ غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ وَ أُقْسِمُ بِاللهِ إِنَّهُ لَوْلَا بَعْضُ الْإِسْتِبْقَاءِ لَوَصَلْتُ إِلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ: تَقْرَعُ الْعَظْمَ، وَ تَهْلِسُ [تَنْهَسُ] اللَّحْمَ، وَ اعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ، وَ تَأْذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحَتِكَ [وَ السَّلَامُ لِأَهْلِهِ].

قال المعتزلي: و روى تهلس اللحم و تلهس بتقديم اللام و تهلس بكسر اللام تذيبه حتى يصير كبدن به الهلاس وهو السل، وأمّا تلهس فهو بمعنى تلحس ابدلت الحاء هاءاً وهو من لحست كذا بلساني بالكسر، ألحسه، أى تأتي على اللحم حتى تلحسه لحساً، لأنّ الشيء إنّما يلحس إذا ذهب و بقي أثره و أمّا «ينهس» و هى الرواية المشهورة فمعناه يعترق.

اللغة

(موهّن): مضعّف، وقال المعتزلي: لائم نفسي ومستضعف رأيي، (التردّد) الترداد و التكرار في مجاوبة الكتب و الرسائل، (بهظه): أثقله، (القوارع): الشدائد، (ثبّطه) عن كذا: شغله، (تأذن) بفتح الذال: تسمع.

الاعراب

لموهّن: خبر فانّي و رأيي مفعوله، كالمستثقل: خبر إنّك، تكذّبه: جملة حاليّة عن «النائم» و كذا جملة لايدري.

المعنى

يأسف عليه السلام في كتابه هذا على ابتلائه بالمراسلة مع معاوية حيث يعلم أنّ المواعظ لاتؤثّر فيه و ما يتضمّن كتبه من إظهار الاعتقاد بالله و رسوله صرف لقلقة اللسان ولايجوز تراقيه ، بل تظاهره بمطالبة دم عثمان لايكون عن اعتقاده بأنّه ممّا يجب عليه و له حقّ فيه بل جعله وسيلة إلى جلب قلوب أنصاره و موافقيه الّذين ضلّوا و أضلّوا ، فشبّهه بالنائم الثقيل الّذي يرى أحلاماً كاذبة و المتحيّر في المقام الّذي لايقدر حمله والجاهل في أعماله الّذي لايدري أنّما يأتيه في عقب أعماله ينفعه أو يضرّه .

ثمّ نبّه على أنّ مداراته معه لاتكون لعجزه عن قمعه و قهره بل لما يقتضيه المصلحة من إبقاء ظاهر الاسلام و حفظ مركزيّة العلم و الدين بوجود أهل البيت و عترته الحاملين لحقائق الدين و القرآن .

فانّه لويجدّ في الحرب معه ليستأصله من شافته ينجرّ إلى هلاك أنصاره عليه السلام و أنصار معاوية المتمسّكين بالاسلام ، فيكرّ الكفّار على المسلمين و يقهرونهم في ظاهر الدين و ربما ينجرّ إلى قتل الحسن و الحسين عليهما السلام بقيّة العترة الطاهرة فينقطع الامامة كما صرّح به في الاستسلام إلى اقتراح قبول الصلح في جبهة صفّين

فالمقصود من بعض الاستبقاء في كلامه عليه السلام هو الاستبقاء على ظاهر الاسلام و حفظ العترة الطاهرة لخير الأنام وهذا هو المصلحة الّتي رعاها في ترك المحاربة مع أصحاب السقيفة و مخالفيه بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله .

الترجمة

از نامه‌ای كه آنحضرت عليه السلام بمعاويه نگاشته :

أمّا بعد ، براستی كه من درتكرار پاسخ نامه‌های تووشنيدن آنها رأی خودرا سست می‌شمارم وخودرا سرزنش می‌نمايم ونبايد مراسله باتورا تااين‌حد ادامه دهم وتو كه دركارها بامن دادوستد می كنی ودر نگارش سطور مراجعه وتكرار می‌نمائی كسی را مانی كه درخواب سنگينی اندراست و رؤياهای دروغين بيند و يا كسی كه

درمقامی برتر از خود ایستاده و بر دوش او سنگینی می کند و نمی داند آینده بسود او است یا زیان او ، تو خود او نیستی مانند او هستی .

بخدا سوگند ، اگر برای حفظ بقیّه ظواهر اسلام و بقیّه عترت خیرالانام و مؤمنین پاکدل نبود ضربتهای کوبنده از من بتو می رسید که استخوانت را خرد می کرد و گوشت تنت را همه از آن جدا می نمود ، بدانکه شیطان برسرراه تواست و تو را بکلّی بازداشته از اینکه بکارهای بهتر و نتیجه بخش تر از آنچه می کنی برگردی و راه دین و حقیقت را بپوئی وبگفته های اندرز گوی خود گوش بدهی (درود برأهل آن) .

المختار الثالث والسبعون

من حلف له عليه السلام كتبه بين ربيعة واليمن، ونقل من خط هشام بن الكلبي

هٰذا مَا أجْتَمَعَ عَلَيْهِ أهْلُ ٱلْيَمَنِ حاضِرُها وَ بادِيها ، وَ رَبيعَةُ حاضِرُها وَ بادِيها أنَّهُمْ عَلىٰ كِتابِ اللهِ : يَدْعُونَ إلَيْهِ ، وَ يَأْمُرُونَ بِهِ وَ يُجيبُونَ مَنْ دَعا إلَيْهِ وَ أمَرَ بِهِ ، لاٰ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً ، وَ لاٰ يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلاً ، وَ أنَّهُمْ يَدٌ واحِدَةٌ عَلىٰ مَنْ خالَفَ ذٰلِكَ وَ تَرَكَهُ ، أنْصارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : دَعْوَتُهُمْ واحِدَةٌ ، لاٰ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَةِ عاتِبٍ ، وَ لاٰ لِغَضَبِ غاضِبٍ ، وَ لاٰ لِاسْتِذْلالِ قَوْمٍ قَوْماً ، وَ لاٰ لِمَسَبَّةِ قَوْمٍ قَوْماً ، عَلىٰ ذٰلِكَ شاهِدُهُمْ وَ غائِبُهُمْ ، وَ سَفيهُهُمْ وَ عالِمُهُمْ ، وَ حَليمُهُمْ وَ جاهِلُهُمْ ، ثُمَّ إنَّ عَلَيْهِمْ بِذٰلِكَ عَهْدَ اللهِ وَ ميثاقَهُ إنَّ عَهْدَ اللهِ كانَ مَسْئُولاً ، وَ كَتَبَ عَلِيُّ ٱبْنُ أبي طالِبٍ .

اللغة

(الحلف) : العهد أى و من كتاب حلف ، فحذف المضاف ، (اليمن) : كلّ من ولده قحطان نحو حمير و عك و جذام و كندة و الازد و غيرهم .

و (ربيعة) : هو ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان و هم بكر و تغلب و عبد القيس ، و (هشام) : هو هشام بن محمّد بن السائب الكلبي نسّابة ابن نسّابة عالم بأيّام العرب و أخبارها . (الحاضر) : أهل القرى و المدن ، (البادى) سكّان البدو .

الاعراب

هذا ما اجتمع : قال ابن ميثم : هذا مبتدء و ما موصولة و هى صفة المبتدء و خبره أنّهم ، و يجوز أن يكون هذا مبتدء و خبره ما اجتمع عليه و يكون قوله أنّهم تفسيراً لهذا .

أنّهم على كتاب الله : قال الشارح المعتزلي : حرف الجرّ يتعلّق بمحذوف أى مجتمعون .

أقول : الظاهر أنّه ظرف مستقرّ متعلّق بفعل عامّ خبر لأنّ أى أنّهم ثابتون على كتاب الله .

المعنى

أشار في قوله (ما اجتمع عليه أهل اليمن) الخ - إلى محاربات و أحقاد كانت بين الفئتين القحطاني و العدناني في أيّام الجاهليّة فأماتها الاسلام و أحياها رجعة السقيفة ثمّ بلّغها أوجها سياسة بني اُميّة المثيرة للخلاف بين المسلمين لغرض الاستيلاء عليهم

و أشار عليه السلام في قوله (لاينقضون عهدهم لمعتبة عاتب) الخ - إلى ما يثير قبائل العرب الجاني للحروب و المناضلات و جمعها في أربعة : المعاتبة ، والغضب ، وقصد التسلّط و الاستذلال بعضهم لبعض ، و السبّ و الشتم المتبادل بينهم بعضهم مع بعض.

قال الشارح المعتزلي «ص٦٧ ج ١٨ ط مصر» : واعلم أنّه قد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله : «كلّ حلف كان في الجاهليّة فلا يزيده الاسلام إلاّ شدّة» ولا حلف في الاسلام ، لكنّ فعل أمير المؤمنين عليه السلام أولى بالاتّباع من خبر الواحد ـ الخ .

أقول : هذه الجملة تدلّ على أنّ ما ذكره الرضيّ رحمه الله في نهجه كان معلوم الصدور حتّى عند أمثال أبي الحديد المتأخّر عن عصره بما يقرب من قرنين فتدبّر .

الترجمة

عهدنامه‌ای که آنحضرت میان قبیلهٔ ربیعه و یمن بخط خود نوشته و از خط ابن هشام کلبی نقل شده است :

اینست آنچه همه أهل یمن از شهری و بیابانی و ربیعه از شهری و بیابانی بر آن اتّفاق کردند :

۱ـ همه بر قانون قرآن و پیرو آنند وبدان دعوت کنند و بدان دستوردهند وهر کس بدان دعوت کند اورا اجابت کنند ، آنرا بهیچ بها نفروشند واز آن بدلی نگیرند و بجای آن نپسندند .

۲ـ همه همدست و متّفق باشند در برابر کسی که مخالف این قرار باشد وآنرا وانهد و یاور همدیگر باشند در این باره و کلمهٔ آنها یکی باشد .

۳ـ عهد و پیمان خودرا بخاطر گله ازهمدیگر یاخشم کسی یاقصدخوار کردن مردمی مردم دیگررا یا بدگوئی و دشنام دادن بهمدیگر نشکنند .

٤ ـ مسئول این عهد و پیمانست هر کدام حاضر مجلس هستند و هر کدام غائب هستند از نادان و دانا و بردبار و جاهل آنان .

سپس عهد ومیثاق خداوند بعهدهٔ آنهااست که باید رعایت کنند ، براستی که عهد خداوند مسئولیّت دارد و مورد بازپرسی است .

علیّ بن ابیطالب نوشته است .

المختار الرابع والسبعون

ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية [من المدينة] فى أول ما بويع له ذكره الواقدى فى كتاب الجمل

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلىٰ مُعاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيانَ :

أَمّا بَعْدُ ، فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذارِي فِيكُمْ وَ إِعْراضِي عَنْكُمْ ، حَتّىٰ كانَ مِمّا لابُدَّ مِنْهُ وَ لادَفْعَ لَهُ ، وَ الْحَدِيثُ طَوِيلٌ ، وَ الْكَلامُ كَثِيرٌ ، وَقَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ ، وَ أَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ ، فَبايِعْ مَنْ قِبَلَكَ ، وَ أَقْبِلْ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحابِكَ ، [وَ السَّلامُ] .

اللغة

(الوفد) : الواردون على الملك .

المعنى

هذا أوّل مكتوب أرسله عليه السلام إلى معاوية يطلب منه أخذ البيعة له من أهل الشام بمقتضى ثبوت خلافته معناً بالنصّ من النبيّ صلى الله عليه وآله و عرفاً بمبايعة المهاجرين و الأنصار معه ، وكان عليه السلام يعلم ما في قلب معاوية من النقمة على قتل عثمان .

فلخّص أمره في قوله (فقد علمت إعذاري فيكم) أى إظهار عذره و ذلك باجتهاده في نصيحة عثمان و ذبّه عن هجوم الناس عليه حتّى بعث الحسنين للدفاع عنه ولكنّ الثورة دارت عليه ، و أعرض عليه السلام عن التعرّض لبني اُميّة و أشار إلى أنّ الموضوع يحتاج إلى شرح طويل لايسعه المقام .

الترجمة

از نامه‌اى كه آنحضرت در آغاز بيعت باوى بمعاويه نگاشت ، واقدي آنرا در كتاب جمل خود ضبط كرده‌است :

از بندهٔ خدا امیرمؤمنان بمعاویة بن ابی‌سفیان .

أمّا بعد ، توخود می‌دانی که من دربارهٔ شماها حقّ نصیحت را بجای آوردم و چون نتیجه نداد ازشماها کناره کردم تا آنچه شدنی بود شد وچاره‌ای هم نداشت در اینجا داستان درازاست وسخن بسیار ، گذشته‌ها گذشت و برگشتی ندارد وآمد آنچه آمدنی بود ، تو باهر کس در پیش خود و بفرمان خود داری بنام من بیعت کن و با جمعی از یاران و همکارانت به پیشگاه من بیا وشرط طاعت بجای آور .

المختار الخامس والسبعون

لعبدالله بن العباس ، عند استخلافه اياه على البصرة

سَعِ النّاسَ بِوَجْهِكَ وَ مَجْلِسِكَ وَ حُكْمِكَ ، وَ إيّاكَ وَ الْغَضَبَ فَإنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطانِ ، وَاعْلَمْ أنَّ ما قَرَّبَكَ مِنَ اللهِ يُباعِدُكَ مِنَ النّارِ وَ ما باعَدَكَ مِنَ اللهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النّارِ .

قال الشارح المعتزلي :« ص ٧٦ ج ١٨ ط مصر» : روى « و حلمك » قال: و طيرة من الشيطان بفتح الطاء و سكون الياء أى خفّة و طيش .

الاعراب

سع : أمر من وسع يسع ، و الباء في بوجهك للالصاق .

و مقصوده عليه السلام المساواة في معاشرته و معاملته بين الناس بحيث يشملهم جميعاً .

الترجمة

برای عبد الله بن عبّاس نگاشته هنگامیکه اورا در بصره گماشته :

مردم را همه پذیرا باش با چهرهٔ باز و در مجلس خود و در قضاوت خود .

مبادا خشم گیری که خشم جهش و پرشی است از شیطان .

و بدانكه هر آنچه تو را بخداوند نزديك كند از دوزخت دورسازد وهرچه تو را از خدا بدور كند بدوزخت نزديك سازد .

المختار السادس والسبعون

و من وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج

لاَ تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ وَ يَقُولُونَ وَ لَكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً .

اللغة و المعنى

حمّال ذووجوه : يتحمّل ألفاظه بسياقه الخاص أن تحمل على معان مختلفة و وجوه عديدة فاذا تمسّك أحد بمعنى و فسّرها بما يوافق مقصوده تمسّك الخصم بوجه آخر و تفسير يخالفه فلايخصم ، و هذا الكلام بالنسبة إلى متشابهات القرآن و كلّياته صادقة لا بالنسبة إلى محكماته الواضحة البيّنة ، و لعلّ ما يريد ابن عبّاس أن يحتجّ به محصور في القسمين الأوّلين ، و أمّا السنن الواردة في صحّة مدّعاه الدالّة على أنّ علياً عليه السلام حقّ في كلّ ما يعمل فصريحة ناصّة كافية في إفحام الخوارج .

قال الشارح المعتزلي « ص٧٢ ج ١٨ ط مصر » : و ذلك أنّه أراد أن يقول لهم : قال رسول الله صلى الله عليه وآله « عليّ مع الحقّ و الحقّ مع عليّ يدور معه حيثما دار » و قوله « اللهمّ وال من والاه ، و عاد من عاداه ، و انصر من نصره ، و اخذل من خذله » و نحو ذلك ـ الخ ،

أقول : و في المقام أبحاث عميقة لايسع الكتاب للخوض فيها .

الترجمة

از سفارشى كه آنحضرت بعبد الله بن عبّاس كرد چونش براى احتجاج نزد خوارج فرستاد :

بآيات قرآن با آنها محاجّه مكن كه قرآن معاني بسيار دربردارد و بچند وجه تفسير مي‌شود ، مي گوئي و جواب مي گويند ، ولي با حديث پيغمبر با آنها محاجّه كن كه دربرابر آن جوابي ندارند .

المختار السابع والسبعون

ومن كتاب له عليه السلام الى أبي موسى الاشعري جواباً في أمر الحكمين ذكره سعيد بن يحيى الاموي في كتاب المغازي

فَإِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ ، فَمَالُوا مَعَ الدُّنْيَا ، وَ نَطَقُوا بِالْهَوَى ، وَ إِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ مَنْزِلاً مُعْجِباً اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، فَإِنِّي أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحاً أَخَافُ أَنْ يَعُودَ عَلَقاً ، وَ لَيْسَ رَجُلٌ - فَاعْلَمْ - أَحْرَصَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ - صلى الله عليه وآله - وَ أُلْفَتِهَا مِنِّي ، أَبْتَغِي بِذٰلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ وَ كَرَمَ ٱلْمَآبِ ، وَ سَأَفِي بِالَّذِي وَ أَيْتُ عَلَى نَفْسِي ، وَ إِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ ٱلْعَقْلِ وَ التَّجْرِبَةِ ، وَ إِنِّي لَأَعْبُدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ ، وَ أَنْ أُفْسِدَ أَمْراً قَدْ أَصْلَحَهُ اللهُ ، فَدَعْ مَا لاَ تَعْرِفُ ، فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ ٱلسُّوءِ ، وَ السَّلاَمُ .

قال الشارح المعتزلي : و روى و نطقوا مع الهوى ، أى مائلين عنه ، وروى و أنا أداري بالراء من المداراة ، وروى نفع ماأولى باللام ، يقول : أوليته معروفاً

و روى أن قال قائل بباطل و يفسد أمراً ، و أنا أداوي ، أن يعود علقاً ، فدع عنك .

اللغة

(العلق) : الدم الغليظ ، (وأيت) : وعدت و تعهّدت ، (أعبد) : آنف و أستنكف .

المعنى

قوله (قد تغيّر كثير منهم) يشير إلى انحرافهم عن سنّة الرسول الرامية إلى تهذيب النفوس و تحكيم العقيدة بالمبدأ و المعاد الباعث على الزهد في شئون الدنيا بزعامة علي عليه السلام ففات كثير من حظّهم الأخروي و المعنوي .

قوله (منزلاً معجباً) أي نزلت عن مقام الولاية الإلهيّة و الخلافة المنصوصة إلى مقام الامارة العادية بالانتخاب من الناس و قد اجتمع معه في هذا المقام النازل قوم وصلوا إلى هذا المقام قبله كأبي بكر و عمر وطمع فيه معه قوم آخرون كطلحة و الزبير و معاوية و عمرو بن عاص و عبدالله بن عمر المرشح من جانب أبي موسى الأشعري ، فأظهر عليه السلام العجب من تنزّله إلى هذا المقام .

و قد فسّر الشارحان القوم المجتمع معه في هذا المنزل بأنصاره و أعوانه الّذين بايعوا معه فأعجبتهم أنفسهم و طمعوا في الشركة معه في تمشية أمر الخلافة وأن يكون إمضاء الأمور بالشور معهم على اختلاف آرائهم .

قال الشارح المعتزلي : و هذا الكلام شكوى من أصحابه و نصّاره من أهل العراق ، فانّهم كان اختلافهم عليه و اضطرابهم شديداً .

أقول : هذا بناء على أنّ هذا الكتاب صدر منه إليه بعد قرار الحكمين ، ولكن إن صدر منه حين انتدابه أهل الكوفة لحرب الجمل وكان أبوموسى يثبّطهم عنه فلايستقيم .

قوله (وأنا أداوي منهم قرحاً) الظاهر أنّ القرح هوضعف العقيدة الاسلاميّة و الانحراف عن ولايته عليه السلام .

قوله (و سأفي بالّذي وأيت علي نفسي) من التضحية في سبيل الحقّ و طلب الشهادة في المناضلة مع أعداء الحقّ ، و يؤيّد ذلك قوله (و إنّي لأعبد أن يقول قائل بباطل و أن أفسد أمراً قد أصلحه الله) .

الترجمة

از نامه ای که آنحضرت بأبي‌موسى أشعري نگاشته در پاسخ نامه او دربارهٔ حکمین ، سعید بن یحیی اموي آنرا در کتاب مغازی آورده :

براستی که بسیاری مردم از بسیاری بهره وریهای خود رو گردان شده‌اند و دل بدنیا داده واز هوای نفس سخن گویند ، من دراین میان بمقام شگفت آوری فروافتاده‌ام که مردمی خود پسند در آن گرد آمده‌اند ، من می‌خواهم ریشی که در دل دارند و می‌ترسم خونی بسته شود « وآنها را بکشد » درمان کنم ، و بدانکه مردی نیست که بر اُمّت محمّد صلی الله علیه و آله رؤوف تر و بر اتّفاق و اُلفت آنان از من حریصتر باشد و من دراین‌باره پاداش خوب می‌جویم و سرانجام نیك .

و بدانچه با خویش تعهّد کرده‌ام وفادارم و گرچه تو از شایستگی که با آن از من جدا شدی دیگر گون گردی و بی‌وفائی را پیشه سازی ، چه براستی بدبخت آنکس است که از بهره وری از عقلی که باو داده شده محروم ماند و از تجربه‌ای که اندوخته سود نبرد وآنرا بکار نبندد .

وبراستی که من گریزانم ازاینکه گوینده‌ای بیهوده وناروا گوید و از اینکه تباه سازم امری را که خداوند بهبود ساخته و بصلاح آورده ، آنچه را ندانی وا نه و پیرامونش مگرد واز روی دانش و یقین کار کن ، زیرا مردمان بد گفتارهای بد و ناروا از هرسو بجانب تو می پرانند « و تو را منحرف می‌سازند » .

المختار الثامن والسبعون

ومن كتاب له عليه السلام لما استخلف ، الى امراء الاجناد

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ ، وَ أَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ .

المعنى

قال الشارح المعتزلي « ص٧٩ ج ١٨ ط مصر» : أى منعوا الناس الحقّ فاشترى الناس الحقّ منهم بالرشا و الأموال ، فأرجع ضمير اشتروا إلى الناس ـ إلى أن قال : و روى فاستروه بالسين المهملة أى اختاروه و يقال : استريت خيار المال : أى اخترته ، و يكون الضمير عائداً إلى الظلمة لا إلى الناس .

و قال ابن ميثم : فاستروه أى فباعوه و تعوّضوا عنه بالباطل لما منعوا منه كقوله تعالى « و شروه بثمن بخس ـ سورة يوسف ـ ٢٠ » .

أقول : المقصود من الاشتراء هنا أخذ ما ليس بحقّ بدلاً من الحقّ كقوله تعالى « اشتروا الضلالة بالهدى ـ ١٧ـ البقرة » فانّه لابدّ للناس من الالتزام بنظام يعيشون في ظلّه فهو إمّا حقّ إلهيّ ، و إمّا غيرحقّ يحمل عليهم قسراً كما أنّه في زماننا هذا بدّلوا القانون الالهيّ بقانون انتخابيّ بشريّ ، فاذا صار هذا البدل متداولاً و معمولاً بين الناس يقتدي به أخلافهم و من يأتي من بعدهم فيصير الباطل الّذي حمل عليهم ممّا يقتدى به .

الترجمة

از نامه‌اى كه آنحضرت عليه السلام بفرماندهان قشون خود نگاشت چون خليفه شد :

أمّا بعد ، همانا كسانى كه پيش از شما بودند هلاك شدند براى آنكه مردم را ازحق بازداشتند وآنان حق را بناحق فروختند ومردم را بباطل و بيهوده واداشتند تا همه بدان اقتداء كردند و ازآن پيروى نمودند .

قد وقع الفراغ من هذا الجزء العشرين من شرح نهج البلاغة في العشرين من شهر ربيع المولود من سنة التاسع و الثمانين بعد الألف و ثلاثمائة من الهجرة النبويّة القمريّة ، بيد مؤلّفه محمد باقر الكمره‌اى ـ في شهر ري .

الى هنا انتهى الجزء العشرون من أجزاء الكتاب بعون الله الملك الوهاب ، وقد عاق المقدور طبعه عن طبع الجزء الواحد و العشرين الذى هو آخر أجزاء الكتاب رغم جهود الناشر المحترم واستعجاله فلله الحمد على كل حال ، و تم تصحيحه و تهذيبه و ترتيبه بيد العبد ـ السيد ابراهيم الميانجى ـ عفى عنه وعن والديه فى مفتتح سنة ـ ١٣٩٠ ـ والحمدلله رب العالمين .

فهرس ما في هذا الجزء من المطالب

العنوان	الصفحة
المختار الحادى و الثلاثون	
من وصية له للحسن بن علي عليهما السلام .	٢
الترجمة .	٤
الفصل الثاني من وصيته عليه السلام .	٥
الترجمة .	٧
الفصل الثالث .	٨
الترجمة .	١٢
الفصل الرابع .	١٤
الترجمة .	١٦
الفصل الخامس .	١٨
الترجمة .	٢٠
الفصل السادس .	٢٢
الترجمة .	٢٥
الفصل السابع .	٢٦
الترجمة .	٣١
الفصل الثامن .	٣٣
الترجمة.	٤٢
المختار الثانى والثلاثون .	
من كتاب له عليه السلام إلى معاوية.	٤٤
الترجمة .	٤٧
المختار الثالث والثلاثون	
من كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس.	٤٨
الترجمة .	٥٠
المختار الرابع والثلاثون	
من كتاب له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر.	٥١
الترجمة .	٥٣
المختار الخامس و الثلاثون	
من كتاب له عليه السلام إلى عبدالله بن العباس	٥٤
الترجمة .	٥٦
المختار السادس والثلاثون	
من كتاب له عليه السلام إلى عقيل بن أبيطالب	٥٧
الترجمة .	٦١
المختار السابع والثلاثون	
من كتاب له عليه السلام إلى معاوية .	٦٢
الترجمة .	٦٤
المختار الثامن والثلاثون	
من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر.	٦٥
الترجمة .	٦٨

العنوان	الصفحة
المختار التاسع والثلاثون	
من كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص.	٦٩
الترجمة .	٧١
المختار الاربعون	
من كتاب له عليه السلام إلى بعض عمّاله.	٧٢
الترجمة .	٧٩
المختار الواحد والاربعون	
من كتاب له عليه السلام إلى عمر بن أبي سلمة.	٧٨
الترجمة .	٨٠
المختار الثاني والاربعون	
من كتاب له عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة.	٨١
الترجمة .	٨٣
المختار الثالث والاربعون	
من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه .	٨٤
الترجمة .	٨٨
المختار الرابع والاربعون	
كتبه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري	٨٨
بقية من المختار الرابع والأربعين	
ذكر من فدك .	٩٤
ذكر نبذة من خطبة الزهراء عليها السلام .	٩٧
بحث تحقيقي في أمر فدك .	١٠٠
الترجمة .	١١٦
بقية من المختار الرابع والأربعين	
في زهده عليه السلام .	١١٧
بقية من المختار الرابع والأربعين	١١٩
» » » »	١٢٢
المختار الخامس والاربعون	
كتبه إلى بعض عمّاله .	١٢٦
الترجمة .	١٢٨
المختار السادس و الاربعون	
من وصية له عليه السلام للحسن والحسين	
عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لع.	١٢٩
الترجمة .	١٣٣
المختار السابع والاربعون	
من كتاب له عليه السلام إلى معاوية .	١٣٤
الترجمة .	١٣٧
المختار الثامن والاربعون	
كتبه إلى غيره .	١٣٨
الترجمة .	١٤٠
المختار التاسع والاربعون	
من كتاب له عليه السلام إلى أمرائه على	
الجيوش .	١٤٠
الترجمة .	١٤٥
المختار الخمسون	
كتبه إلى عمّاله على الخراج .	١٤٦
الترجمة .	١٥٠
المختار الواحد والخمسون	

العنوان	الصفحة
من كتاب له عليه السلام إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة وتحديد أوقاتها .	١٥١
الترجمة .	١٦١
المختار الثاني والخمسون	
من عهد له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي .	١٦٢
موقعية مصر في الحكومة الاسلامية .	١٦٥
الفصل الأول من العهد .	١٩٧
كيفية فتح مصر .	١٧٢
الترجمة .	١٧٨
الفصل الثاني من العهد في بيان روابط الوالي مع الرعية .	١٧٩
الترجمة .	١٩٠
الفصل الثالث في بيان طبقات الناس وأنها سبع .	١٩٣
الترجمة .	٢٠١
الفصل الرابع بيان ما يتصف به الجندى .	٢٠٢
رسالة الاسكندر إلى ارسطور ورد ارسطو عليه .	٢٠٨
الترجمة .	٢١٣
الفصل الخامس في العدالة واحياء الفضيلة وحفظ الحقوق .	٢١٨
الترجمة .	٢٣٠

العنوان	الصفحة
الفصل السادس في ما يلزم للقاضي من الأوصاف والألقاب .	٢٣١
الترجمة .	٢٤١
الفصل السابع في تحقيق العمال وتفقد أمر الخراج .	٢٤٢
عهد سابور بن اردشير لابنه .	٢٥١
الترجمة .	٢٥٢
الفصل الثامن في تحقيق حال الكتاب	٢٥٤
الترجمة .	٢٦١
الفصل التاسع وصيته عليه السلام بالتجار وذوى الصناعات .	٢٦٢
الترجمة	٢٧٨
الفصل العاشر وصيته عليه السلام في حفظ الطبقة السفلى .	٢٧٥
الترجمة .	٢٧٨
الفصل الحادى عشر في بيان ما يرتبط على الوالى نفسه .	٢٧٩
الترجمة .	٢٨٤
الفصل الثاني عشر في نهيه عليه السلام عن احتجاب الوالي عن الرعية .	٢٨٦
الترجمة .	٢٨٩
الفصل الثالث عشر وصيته عليه السلام للوالي في خاصته وبطانته .	٢٨٩

العنوان	الصفحة
الترجمة.	٢٩٧
الفصل الرابع عشر حثه عليه السلام على رعاية الصلح وقبول الدعوة إليه .	٢٩٨
الترجمة.	٣٠٥
الفصل الخامس عشر في التوصيات الأخلاقية بالنسبة إلى الوالي نفسه.	٣٠٦
الترجمة.	٣١٨
خاتمة عهده عليه السلام .	٣٢٠
ترجمة خاتمة عهده عليه السلام .	٣٢١
المختار الثالث والخمسون	
من كتاب له عليه السلام إلى طلحة والزبير.	٣٢٤
الترجمة.	٣٢٩
المختار الرابع و الخمسون	
من كتاب له عليه السلام إلى معاوية .	٣٣٠
الترجمة.	٣٣٣
المختار الخامس و الخمسون	
من كلام له عليه السلام وصى بها شريح ابن هاني .	٣٣٣
الترجمة.	٣٣٥
المختار السادس والخمسون	
من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة.	٣٣٥
الترجمة.	٣٣٨
المختار السابع والخمسون	
كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ماجرى بينه وبين أهل صفين .	٣٣٨
الترجمة.	٣٤٤

العنوان	الصفحة
المختار الثامن والخمسون	
كتبه إلى الأسود بن قطيبة .	٣٤٥
الترجمة.	٣٤٨
المختار التاسع والخمسون	
من كتاب له عليه السلام إلى العمال .	٣٤٩
الترجمة.	٣٥١
المختار الستون	
من كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي .	٣٥٢
المختار الواحد والستون	
من كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر مع مالك الأشتر .	٣٥٥
المختار الثاني والستون	
من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري .	٣٦٤
المختار الثالث والستون	
من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً.	٣٦٩
ترجمة المختار الثالث والستون .	٣٧٦
المختار الرابع والستون	
من كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً.	٣٧٨
المختار الخامس والستون	
من كتاب له عليه السلام إلى عبدالله بن العباس	٣٨٢

العنوان	الصفحة
المختار السادس والستون	
من كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العبّاس .	٣٨٤
المختار السابع والستون	
كتبه إلى سلمان الفارسي رحمه الله.	٣٨٧
المختار الثامن والستون	
كتبه إلى الحارث الهمداني .	٣٨٨
المختار التاسع والستون	
كتبه إلى سهل بن حنيف الأنصاري.	٣٩٣
المختار السبعون	
كتبه إلى المنذر بن الجارود .	٣٩٦
المختار الواحد والسبعون	
كتبه إلى عبدالله بن العباس .	٣٩٨
المختار الثاني و السبعون	
كتبه إلى معاوية .	٣٩٩
المختار الثالث والسبعون	
من حلف له عليه السلام كتبه بين ربيعة واليمن .	٤٠٢
الترجمة.	٤٠٤
المختار الرابع والسبعون	
من كتاب له عليه السلام إلى معاوية .	٤٠٥
المختار الخامس والسبعون	
لعبدالله بن العباس .	٤٠٦
المختار السادس والسبعون	
من وصيّة له عليه السلام لعبدالله بن العباس.	٤٠٧
المختار السابع والسبعون	
من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري .	٤٠٨
الترجمة.	٤١٠
المختار الثامن والسبعون	
إلى أمراء الأجناد .	٤١١
الفهرس	**٤١٣**

فرهنگ نوین

عربی - فارسی

ترجمه القاموس العصری

تألیف : الیاس انطون الیاس

باهتمام سید مصطفی طباطبائی با ۶۴۵۰۰ لغت و بیش از دوهزار عکس و تصویر جدیدترین فرهنگ عربی به فارسی که تا کنون در ایران به‌چاپ رسیده است در ۸۶۵ صفحه به‌قطع وزیری ۳۴ × ۱۷ سانتیمتر انتشار یافت .

این فرهنگ برخلاف بسیاری از کتابهای لغت عربی - فارسی طوری تنظیم شده که خوانندگان بدون صرف وقت و به آسانی میتوانند هر کلمه را به اصل خود برگردانیده وترجمهٔ آنرا بدست بیاورند . اعراب ووجوه حرکات درنهایت صحت و کوچک ترین اشتباهی از این حیث بنظر نمیرسد . واژه‌ها باکلمات هم معنا ویا تفسیر ساده مرادف آنها همراه وبسیاری از اصطلاحات وتعبیرات عامیانه و رایج در کشورهای عرب با معنی صحیح آنها ترجمه گردیده است ، چنانکه انواع حیوانات و پرندگان ، ماهی ها و حشرات ، گیاهها ودرختها و گلها و میوه‌ها و گیاهان داروئی ، آلات وادوات علمی وصنعتی ، ادوات مورد استعمال زندگانی روزانه ، لباس و پوشاک ، و سائل نقلیه ، حرفه ها وپیشه ها وبزرگان وناموران تاریخ و صدها مطالب دیگر باعکس چاپ شده وبطور کلی برای رفع نیازمندی دانشجویان ، دانش پژوهان وعلاقه مندان بزبان عربی وواژهای نو از هرجهت سودمند میباشد .

از انتشارات:

کتابفروشی اسلامیه

خیابان پانزده خرداد شرقی - تلفن - ۵۲۱۹۶۶

دیوان یحیی

محتوی قصائد و مراثی

در مدائح و مصائب حضرت ختمی مرتبت صلی الله علیه و آله و سلم

و ائمه اطهار علیهم السلام

اثر طبع عالم ربانی و حکیم صمدانی

مرحوم میرزا یحیی مدرس اصفهانی

طاب ثراه

در ۵۸۴ صفحه بقطع وزیری باکاغذ اعلا

وچاپ حروفی عالی وجلد زرکوب لوکس

حاضر شد

از انتشارات :

کتابفروشی اسلامیه

تهران - خیابان پانزده خرداد شرقی - تلفن - ۵۲۱۹۶۶

ترجمه جلد دوازدهم

بحار الانوار

تالیف

مرحوم ملا محمد باقر مجلسی

در زندگانی

حضرت علی بن موسی الرضا علیه السلام

مترجم: موسی خسروی

حق چاپ محفوظ

از انتشارات:

کتابفروشی اسلامیه

تهران - خیابان پانزده خرداد شرقی - تلفن - ۵۲۱۹۶۶


انتشارات

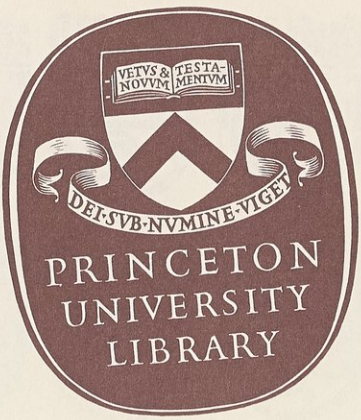
VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

